البدو

الجزء الثاني
فلسطين - سيناء - الأردن - الحجاز

تأليف
ماكس فرايهير فون أوبنهايم
آرش برونيلش و فرنركاسكل

ترجمة : محمود كبيبو
تحقيق وتقديم ماجد شبّر

شركة دار الوراق للنشر المحدودة
المملكة المتحدة - لندن

الطبعة العربية الأولى

لشركة دار الوراق للنشر المحدودة ـ المملكة المتحدة
First edition Published in Arabic by Al Warrak publishing Ltd. UK in 2004
ISBN (Volume two) 1 900 700 41 7

الطبعة العربية الثانية 2007

التـوزيـع

Al Warrak publishing Ltd.
56 Gloucester Road
Suite 500
London SW7 4UB -UK
Tell. 00 44 208 723 2775
Fax. 00 44 207 281 9213
www.alwarrakbooks.com
e-mail: warraklondon@hotmail.com

الفرات للنشر والتوزيع
ص. ب 6435 ـ 113 بيروت ـ لبنان

هاتف: 961 - 1 - 750054

فاكس: 961 - 1 - 750053

e-mail: Info@alfurat.com

البدو

Max Freiherr von Oppenheim

Die Beduinen

Unter Mitarbeitung von

Erich Bräunlich und Werner Caskel

Band II

Die Beduinenstämme in

Palastina, Sinai, Trans Jordanien, Hedjaz

OTTO HARRASSOWITZ
1943 Leipzig

First edition Published in Arabic by Al Warrak publishing Ltd. UK in 2004
Second edition 2007

The Publication of this work was supported by a grant from the Goethe-Institut Inter nationes

ساهمت مؤسسة غوتا - إنترناسيونس مشكورة في بعض تكاليف هذه الترجمة

ISBN (Volume two) 1 900 700 41 7

المساهمون في الجزء الثاني

* تحقيق ومراجعة وتدقيق: ماجد شبّر.

* ترجمة: محمود كبيبو.

* مراجعة القسم الأول والثاني: إبراهيم الحيدري.

* التصحيح اللغوي: عبد الحسن دهيني - عبد الرزاق الدجيلي.

* التنضيد والصف والإخراج: زهرين - بيروت.

* المتابعة والإشراف: ماجد شبّر.

* إعداد وتصميم بعض مشجرات القبائل: ماجد شبّر.

الفهرس

القسم الأول

فلسطين

القسم الثاني
سيناء

القسم الثالث
شرق الأردن

القسم الرابع

الحجاز

مدخل

تحدثت في الجزء الأول (ص 51 ـ 74) من هذا الكتاب بالتفصيل عن نشوء وتطور كتاب البدو. ولذلك لن أضيف هنا سوى القليل إلى ما كتبت:

خلال إقامتي في القاهرة كعضو في ممثليتنا الدبلوماسية هناك جمعت أخباراً ومعلومات عن القبائل البدوية في فلسطين وشرقي الأردن وسيناء والحجاز التي ستعالج في هذا الجزء، ثم تابعت توسيعها وتطويرها خلال قيامي بالتنقيب في تل حلف وخاصة خلال الحرب العالمية. وبعد الحرب أيضاً تمكنت من الحصول على المزيد من المعلومات والحقائق بواسطة سكرتيري العربي الواسع الخبرة إلياس معلوف وبمساعدة أبناء القبائل، وخاصة قبائل الحجاز، الذين قدمهم لي في دمشق صديقي محمد بن بسام. وأنا مدين بالشكر في الحصول على كثير من التفاصيل الهامة في هذا الجزء أيضاً لصديقي الوفي الأمير شكيب أرسلان.

إلا أنه بدا من الضروري تجديد المعلومات المسجلة عن عدد من القبائل أو استكمالها. في هذا الصدد أنا مدين بشكل خاص بالشكر الجزيل للسيد عمر صالح البرغوثي، وهو محام في القدس دلني عليه السيد البروفسور برونيلش الذي كان قد تعرف عليه خلال رحلة في فلسطين. في عام 1929م تحدثت بالتفصيل مع السيد برغوثي عن مستلزمات كتابنا عن البدو فأرسل لي أحدث البيانات اللازمة لجداولنا وبعض المعلومات عن تاريخ القبائل المذكورة بالإضافة إلى مجموعة من الصور

المنشورة في هذا الجزء[1]. جميع المواد الجديدة عن فلسطين والجزء الأكبر من المواد المتعلقة بشرقي الأردن حصلت عليها منه. والسيد البرغوثي باحث بارز يعرف تاريخ بلده جيداً ولقد كتب عنه دراسات علمية مختلفة، نذكر منها على سبيل المثال: Traces of the Feudal System in Palestine و Judical Courts among the Bedouin of Palestine وكلاهما منشور في: Journal of the Palestine Oriental Society. بالإضافة إلى: تاريخ فلسطين، القدس 1923م.

ويعود الفضل في تعميق المواد علمياً، وخاصة من الناحية التاريخية، للسيد البروفسور برونيلش والدكتور كاسكل. إلاَّ أن البروفسور برونيلش لم يستطيع المشاركة في العمل إلاَّ في المرحلة الأولى لأنه منذ بداية الحرب يقف في ساحة المعركة وهو الآن برتبة رائد. وأنا أغتنم هذه المناسبة لأعبر لهذين السيدين، وخاصة للسيد الدكتور كاسكل، مرة أخرى عن جزيل شكري وامتناني.

وفيما يتعلق بهذا الجزء أيضاً أود لفت انتباه القارئ إلى ما ذكرته من معلومات عن "طبيعة البدو" (الجزء الأول، ص 75 ـ 93). ولا يغير في الأمر شيئاً أن يكون جزء كبير منهم قد استقر الآن كلياً أو جزئياً، وذلك لأن روح البداوة القديمة ما زالت حية فيهم جميعاً ـ على عكس المدنيين أو الفلاحين العرب الذين لا ينحدرون من قبائل بدوية قديمة. وتجدر الإشارة إلى أن القبائل المعالجة في هذا الجزء، كما على سبيل المثال في جنوبي فلسطين وفي شبه جزيرة سيناء وشرقي الأردن، يوجد لديها ظواهر محلية خاصة بها، منها الإيمان، المنتشر على نطاق واسع بالمزارات والقبور والأشجار. وسوف أتحدث في (الجزء الخامس)[*] من هذا الكتاب عن هذه الظواهر.

من أجل فهم الأحداث خلال الحرب وفهم الظروف الناجمة عنها، وبصورة

(1) صورة الملك علي بن الحسين تكرمت بتقديمها لي الآنسة ليلي مولتان، برلين.

(*) لم يصدر من الكتاب سوى أربعة أجزاء فقط. وقد احترقت أقسام من الكتاب أثناء الحرب العالمية الثانية (ماجد شبّر).

عامة من أجل فهم شؤون القبائل البدوية في الحجاز، كان من اللازم أن نتحدث ببعض التفصيل عن تاريخ أحفاد النبي محمد، ليس فقط في الأزمنة القديمة وإنما أيضاً في القرن الحالي.

وكما ذكرت في مقدمة الجزء الأول: «نشوء وتطور كتاب البدو» ص 56، قضيت خلال الحرب العالمية وقتاً طويلاً في تركيا لأنني نُقِلت إلى السفارة الألمانية في القسطنطينية. ولقد أتيحت لي الفرصة هنا لأن أتدخل في المفاوضات التي جرت في ربيع عام 1915 بين الحكومة التركية والأمير فيصل، الابن الثالث والأهم بين أولاد الشريف حسين الكبير، الذي أرسله أبوه إلى اسطنبول لتسوية بعض المصاعب البادئة بالظهور. كما أتيحت لي الفرصة أيضاً لأن أطلع على الصعوبات والمشاكل القائمة بين الأتراك والعرب وذلك من خلال مرافقتي جمال باشا في رحلة إلى حلب وعين صوفر ودمشق والقدس دامت عدة أشهر. وسأشير إلى هذه الرحلة في الفصول اللاحقة من هذا الكتاب بالخطوط العريضة على الأقل.

الجزء الثاني

القسم الأول: فلسطين

مقدمة: قسم فلسطين

منذ الحرب العالمية تعودنا على أن فلسطين لم تعد تعني كامل أرض الميعاد وإنما فقط الضفة الغربية للأردن، ونحن سنستعمل الكلمة بهذا المعنى حصراً.

فلسطين منطقة جبلية يقسمها انهدام عميق وتصعد بهدوء من البحر نحو الأعلى ثم تنحدر فجأة نحو الشرق باتجاه وادي الأردن. إلى الشمال من الانهدام تقع منطقة جبلية، تنحدر نحو الجنوب على شكل مدارج، هي منطقة الجليل القديمة التي تتصل بواسطة ممر مع السهول المرتفعة الواقعة بين لبنان والحرمون (مرجعيون). وتتألف هذه المنطقة من الجليل الأعلى وفيه مدينة صفد العالية والجليل الأدنى حول مدينة الناصرة. ويفصل هاتين المنطقتين عن بعضهما سهل البطوف.

يتشكل الانهدام (الوادي) بواسطة سهل يسريل (مرج ابن عامر) الذي يمتد من جهة إلى ثابور Thabor في جبال الجليل ومن جهة إلى جنين في جبال السامرة، ويتصل في الغرب مع السهول الساحلية وفي الشرق مع وادي الأردن بواسطة تل بيسان.

يحد السامرة، وهي منطقة هضبية تتخللها وديان خصبة، من الشمال الغربي جبل الكرمل ومن الشمال الشرقي جبال جلبوع Gilboa؛ في الجنوب لا يوجد حدود طبيعية بينها وبين يهودا(*) Judäa. ويطلق العرب على السامرة اسم جبل

(*) يهودا هي جزء من منطقة الضفة الغربية حيث تقسم الكتابات الإسرائيلية منطقة الضفة=

نابلس أو جبل النار بسبب الثورات التي تندلع مراراً وتكراراً في هذه المنطقة منذ العصور الوسطى.

وبينما تتحول جبال الجليل والسامرة إلى سلاسل عرضانية تتجمع في يهودا على شكل ظهر ضيق تقع على قمته القدس والخليل. ويشكل سقفها الشرقي صحراء يهودا(*)، "وهي منطقة مرتفعة قليلة الأمطار، وبالتالي قاحلة، تتخللها وديان عميقة وتنتهي بجدار شديد الانحدار نحو البحر الميت وسهل الأردن لا يمكن صعوده إلا من مواقع قليلة" (دالمان). وتتألف منطقة يهودا المرتفعة من جبل القدس وجبل الخليل.

المنطقة الحدودية من جهة سيناء منطقة سهلية مرتفعة تصعد من بئر السبع شيئاً فشيئاً نحو الجنوب والشرق حتى ارتفاع جبل المقراه ثم تنحدر من هنا بقوة إلى صحراء التيه ووادي العربة، الامتداد الجنوبي للبحر الميت. وفي الغرب تنتهي الأراضي إلى صحراء تغطيها الرمال من جهة البحر وفي الداخل أيضاً. ويبدو واضحاً هنا تشكل الصحراء خلال عصور متأخرة. فهناك العديد من المواقع الأثرية وبقايا حضارات قديمة تدل على أن هذه الأراضي كانت في يوم من الأيام شديدة الخصوبة. ويشكل وادي العريش الحدود الطبيعية، لكن الحدود الفعلية تمر إلى الشمال من رفح عبر منطقة عين قديس الغنية بالينابيع وتتجه إلى الذروة الشمالية لخليج العقبة.

تضيق السهول الساحلية شيئاً فشيئاً كلما اتجهنا نحو الشمال، إذ يبلغ عرضها عند غزة 25 كيلومتراً بينما يتراوح بين 5 و10 كيلومتر عند عكا. وفي موقعين تتقدم الجبال حتى البحر، على الكرمل عند حيفا وعلى رأس الناقورة إلى الشمال من عكا

الغربية إلى يهودا والسامرة. يهودا هي المنطقة المحدودة بين جنوب شرق القدس وإلى منطقة الخليل وشمال النقب. (ماجد شبَّر).

(*) صحراء يهودا: حسب التعبير الإسرائيلي هي المنطقة الصحراوية التي تمتد من شرق القدس حتى البحر الميت ومن البحر الميت حتى جبال الخليل. (ماجد شبَّر).

حيث تبدأ منطقة الانتداب الفرنسي. ويخترق السهول الساحلية عدد من المجاري المائية أبعدها في الجنوب وادي غزة القادم من منطقة بئر السبع وأغزرها نهر العوجا إلى الشمال من يافا. وبين هذين النهرين يجري نهر روبين الذي يصب في البحر إلى الشمال من يمنية (يبنا). عبر مجراه الأعلى، وادي الصرار، الذي لا تجري فيه المياه بصورة دائمة، يمر خط القطار المؤدي إلى القدس. ومن بين الجداول المائية الواقعة شمال العوجا نذكر فقط وادي الحوارث القادم من منطقة طولكرم. السهول الساحلية صالحة للزراعة ما لم تكن تغطيها الرمال أو المستنقعات. وفي الآونة الأخيرة استوطن الصهاينة في الجزء الواقع شمال العوجا كما اشتروا أيضاً الأراضي الواقعة على خليج عكا.

يُقسم نهر الأردن بواسطة البحيرات التي يمر فيها إلى ثلاثة مقاطع. يمر مجراه الأعلى عبر أرض الحولة المستنقعية وبحيرة الحولة التي تسمى أيضاً بحر الخيط بعد أرض الخيط الواقعة جنوبها. والمجرى الأوسط بين بحيرة الحولة وبحيرة طبرية شديد الانحدار وأهم معبر في هذا المقطع جسر بنات يعقوب. وقبل دخول نهر الأردن في بحيرة طبرية ينفتح على يساره سهل البطيحة الصغير الذي تعرفنا على سكانه، التلاّويّة، في القسم السابق. والبحيرة محاطة بجبال عالية تنحسر فقط شمال طبرية فاسحة المجال لتشكل سهل الغوير. وعند مخرج النهر من البحيرة يبدأ غور الأردن الذي يصل حتى البحر الميت. يتراوح عرض الغورين 4 و20 كيلو متراً وينخفض عند أريحا إلى حوالى 390 متراً تحت سطح البحر. وفي هذا المنخفض ينقطع وادي الأردن الحقيقي البالغ عرضه كيلو متر واحد عدة مرات. إذ يصب في الأردن قادماً من الغرب نهر جالود عند بيسان، ووادي فارعة، ووادي العوجا، وسواقي أريحا. أمّا المعابر الرئيسية لنهر الأردن إلى الجنوب من بحيرة طبرية فهي: جسر المجامع، الدامية، وجسر اللنبي عند أريحا. ويحمل وادي الأردن في مقاطع مختلفة أسماء مختلفة. فهو يسمى جنوب بحيرة طبرية غور بيسان، وعند أريحا غور سيسبان. وكان الغور بكامله في العصور الوسطى العربية مزروعاً وعامراً، أمّا اليوم فلم يعد يُزرع على مساحات متصلة إلا من بحيرة طبرية حتى مصب اليرموك،

إلى الجنوب من ذلك وفي نقاط متفرقة فقط. وإلى الجنوب من البحر الميت يتابع غور الأردن سيره في وادي العربة الصحراوي إلى خليج العقبة.

لم تكن فلسطين أبداً بلداً بدوياً بالمعنى الحقيقي للكلمة. ففي الجبال كان السكان المستقرون على الدوام هم المسيطرون، فقط في السهول كان البدو يحتلونها في الأوقات التي تضعف فيها سلطة الحكومة، وخاصة سهل يسريل (مرج ابن عامر) الذي كان منذ القدم يجذب البدو الذين يعيشون على الجانب الآخر من نهر الأردن. يشذ عن ذلك جنوبي البلاد حيث كانت الحدود بين منطقة البدو والمناطق الزراعية تتغير دائماً بسبب مجاورتها للصحراء.

بسبب موقع فلسطين كمعبر بين آسيا وإفريقيا تتمتع طرقها بأهمية خاصة. وكان أهم هذه الطرق في الماضي "طريق ماريس" «Via Maris» التي تأتي من دمشق وتعبر نهر الأردن عند جسر بنات يعقوب وتصل إلى سهل مرج ابن عامر مارة قرب الخانات التي تعود إلى العصر المملوكي: جب يوسف، ومنية، وخان التجار. وعلى مقربة من لجون تدخل مرة أخرى في الجبال ثم تسير بعد ذلك موازية للشاطئ عبر قلنسوة واللد والرملة إلى غزة ثم إلى العريش. وهناك طريق قديمة ثانية تأتي من دمشق أيضاً وتعبر نهر الأردن جنوبي بحيرة طبرية عند جسر المجامع؛ تمر قرب بيسان وجنين ثم تصل بعد ذلك عبر نابلس إلى القدس والخليل. أمّا في الجنوب فتشكل بئر السبع أهم عقدة مواصلات؛ من هنا تتجه عدة طرق إلى سيناء وشبه الجزيرة العربية. وهناك طريق كانت في الماضي مطروقة كثيراً لأغراض التجارة والترحال هي طريق غزة البتراء.

بعد ما ذكرناه أعلاه يصبح مفهوماً أن البدو لعبوا في تاريخ فلسطين دوراً أضعف من دورهم في المناطق الأخرى المجاورة لشبه الجزيرة العربية. وبالنسبة للعصر القديم يظهر هذا واضحاً في التوراة حيث لا يرد ذكر البدو إلاّ كجيران بعيدين لإسرائيل.

كان الإسرائيليون محميين من القبائل البدوية الشرقية بواسطة الشعوب

المستقرة في شرقي الأردن وهي الأمونيون والمؤابيون والإدوميون. إلا أن هذا السد كان يخترق في بعض الأحيان. ففي الفصول 6 ـ 8 من كتاب القضاة يصف إحدى الهجمات البدوية النموذجية على المنطقة: كان المدينيون والأملكيون و"أبناء الشرق"[(1)] يعبرون نهر الأردن في أعوام متتالية ويفلتون جمالهم في الحقول الزراعية ثم يعودون إلى الصحراء، إلى أن ألحق بهم جدعون في سهل يسريل هزيمة نكراء بأن قام بإغلاق طريق عودتهم عبر نهر الأردن. أمّا في جنوب فلسطين فلم تكن هناك حدود ثقافية أو قومية ضد سكان سيناء. إذ إنهم لم يكونوا يشكلون خطراً على إسرائيل لأنهم كانوا نصف رُحل ولم يكونوا مضطرين إلى البحث في أعوام القحط والجوع عن مراعٍ لقطعانهم في المناطق الزراعية.

في العهد الإغريقي والروماني كانت الحدود الحضرية في شرقي الأردن قد تقدمت بعيداً نحو الشرق بحيث إن فلسطين لم يعد لها أي تماس مباشر مع البدو. أمّا في العهد البيزنطي فقد تراجعت الحدود مرة أخرى في الجنوب كما في الشرق بحيث أصبح شرقي الأردن في القرن الخامس الميلادي مليئاً بالقبائل البدوية التي كانت مواطنها في شمال الحجاز، في مدين القديمة. وكانت التجمعات القبلية الكبيرة تسمى: عاملة، وجذام، ولخم، وهي تجمعات نسبت جميعها في وقت لاحق إلى عرب الجنوب. وفي القرن نفسه تسرب بعض البدو إلى فلسطين ذاتها. فشكلوا في مخيمات في صحراء يودا مستوطنات مسيحية لكن هذه المستوطنات أخليت في بداية القرن السادس نتيجة تعرضها لهجمات بدو غرباء. وفي المدن أيضاً كان يوجد عرب. إذ إن تميم الداري وهو أحد الصحابة المعروفين ومن قبيلة لخم كان من مواليد الخليل حيث كان أحفاده يتولون في وقت لاحق خدمة المقام الإبراهيمي.

بدأ الفتح الإسلامي لفلسطين في عام 13هـ/ 634م. وقام قائد الجيش عمرو بن العاص بتنفيذ عملياته انطلاقاً من أيله حيث تقدم في بادئ الأمر على امتداد وادي

(1) هذه الأسماء تعني هنا الأقوام البدوية حصراً.

عربة حتى نبع الغمر. ومن هنا تقدم نحو الشمال الغربي إلى السهل الواقع بين القدس والساحل. وبعد أن تلقى دعماً من الجيش الأكبر الموجود في شرقي الأردن والمكلف بمهاجمة دمشق سلّم قيادة الجيش لخالد بن الوليد الذي حقق في معركة اليرموك (بين القدس وغزة) نصراً حاسماً. على إثر ذلك انسحب الجيش البيزنطي من فلسطين ورجع إلى ما وراء نهر الأردن. لكن المسلمين تبعوه عبر وادي بيسان وعبروا الوادي على الرغم من أنه كان غير صالح للعبور بسبب غمره بالمياه نتيجة تفجير السدود. ثم هاجموا الجيش البيزنطي عند فحل على الجانب الآخر لنهر الأردن وأجبروه على متابعة انسحابه إلى دمشق. لم يفتح المسلمون مدن فلسطين إلاّ بعد أعوام من معركة نهر اليرموك (636م) التي حسمت مصير سورية بكاملها.

قام المسلمون بتقسيم فلسطين إلى منطقتين عسكريتين هما: جند فلسطين وجند الأردن. كانت المنطقة الأولى تضم يهوْدا والسّامرة وعاصمتها الرملة التي أسسها العرب، والمنطقة الثانية تضم الجليل وسهل يسريل (مرج ابن عامر) وعاصمتها طبرية.

وكما في جميع المناطق المفتوحة كان الجيش في فلسطين أيضاً يشكل الكتلة الأساسية للسكان العرب الجدد. وكانت القوات الموجودة هنا تتألف بمعظمها من أبناء القبائل الموجودة في شرقي الأردن الذين كان بعضهم يقاتلون في الأصل على الجانب المسيحي. ثم قام هؤلاء بجلب الجزء الأكبر من أبناء قبائلهم شيئاً فشيئاً إلى المنطقة. واستوطن العاملة في الجليل الأعلى وفي الجبل الواقع إلى الشمال منه والذي يحمل اسم جبل عامل تكنياً بهم، واستوطن الجذام في الجليل الأدنى وبمجموعات صغيرة في الجنوب. أمّا لخم فقد تقدموا من عربة إلى غزة واحتلوا السهول الساحلية من جهة الشمال ومن جهة الجنوب حتى مصر. وبينما حافظ لخم إلى حد ما على حياتهم البدوية فإن القبيلتين الأخريين تخلتا عن حياة البداوة وأصبحتا مستقرتين. بالإضافة إلى هذه القبائل المستوطنة في المناطق المجاورة لفلسطين جلب الإسلام إلى فلسطين بدواً كانوا يقيمون في مناطق بعيدة عنها، ومنهم على سبيل المثال أبناء تجمعات قيسية. وفي وقت مبكر جاء أيضاً الطائيون

عبر وادي عربة؛ وكانوا ينتمون إلى قبائل سنبس، ودرما، وزريق، وجرم.

نتيجة اختلاط القبائل وبسبب القرب من عاصمة المملكة دمشق انتقلت الصراعات على السلطة عام 664م والتناقضات التي نجمت عنها بين كلب وقيس، عرب الجنوب وعرب الشمال، على الغور إلى فلسطين (انظر الجزء الأول، ص 335 وما بعدها و412 وما بعدها). وظلت الكراهية المتبادلة قائمة حتى بعد زوال أسبابها المباشرة؛ وكما في سورية حدثت في فلسطين أيضاً ثورات سفيانية. ففي عام 227هـ/ 841م ـ 842م ثار أبو حرب في دور السفياني ضد العباسيين. وظلت ذكرى هذه الأحداث ماثلة في أذهان الكعابنة في الخليل. وما زال التناقض قيسي ـ يمني باقياً حتى اليوم في كثير من المناطق والقبائل البدوية في فلسطين.

بعد سقوط الحكم الأموي عام 750م ونقل عاصمة الدولة إلى بغداد عاد النفوذ القديم الذي كان لمصر على فلسطين. فمنذ النصف الثاني من القرن التاسع أصبحت فلسطين تحكم غالباً من حكام مصر شبه المستقلين. ولذلك قام الفاطميون بعد احتلال القاهرة (969م) مباشرة باحتلال فلسطين. وقد اصطدموا هنا ليس فقط بأنصار الحكم القديم، الذين كانوا يلتفون حول المطالبين بالسلطة من أمثال التركي ألفتكين «ألفتكن»والحمداني أبي تغلب، وإنما أيضاً بالقرامطة. وكان القرامطة قد دعموا في الأصل تقدم الفاطميين من تونس نحو الشرق عن طريق القيام بغارات في سورية. لكنهم غيّروا موقفهم بعدما سقطت القاهرة في يد حلفائهم وقاموا بحملتين في فلسطين ضد مصر (970م و973م). وفي عام 978م/ 979م جاء القرامطة لآخر مرة إلى فلسطين لكنهم هزموا وعادوا إلى شبه الجزيرة العربية بعد الحصول على مبلغ سنوي.

أدى ظهور القرامطة إلى تنشيط القبائل البدوية في فلسطين. وبرزت على رأس هذه القبائل عائلة ابن الجراح من طي. وكانت هذه العائلة تقف في الأصل مع القرامطة لكنها انتقلت إلى الفاطميين في الوقت المناسب. لا بل إن مفرج بن دغفل ابن الجراح (توفي 1013م/ 1014م) وابنه حسن حاولا إقامة إمارة خاصة بهما في جنوب فلسطين. إلا أن الحكومة الفاطمية نجحت في إفشال هذه المحاولات

المتكررة واعتمدت في محاربتها لها على القيسيين الذين كانوا ضد طي باعتبارها من اليمنيين (انظر الجزء الأول، ص 417 و498 وما بعدها). ومن أجل إضعاف العنصر البدوي قامت الحكومة في عام 1050م بترحيل الجزء الأكبر من السنبس إلى مصر. وأن يتجرأ البدو آنذاك أيضاً، وحتى قرب العاصمة الرملة، على القيام ببعض أعمال السطو والنهب فهذا ما يثبته هجومهم قرب الرملة على أربعة أساقفة ألمان كانوا عام 1065م على طريق الحج إلى القدس.

وبينما كان الحكم الفاطمي قد جلب الأمن والهدوء للبلاد، وإن كان بمقدار محدود فقط، فقد سادت مع مجيء السلاجقة (منذ 1071م) أوضاع مضطربة في فلسطين. ونتيجة صراعات بين الأمراء السلاجقة عادت القدس عام 1098م إلى سلطة الفاطميين، وفي 15 يوليو/ تموز 1099م استولى عليها الصليبيون. وأدت الفترة السلجوقية القصيرة إلى مجيء مهاجرين غير عرب إلى فلسطين هم التركمان. وإذا ما كانت تلك الموجة من المهاجرين التركمان لم تصمد أمام الحكم الصليبي فقد تبعتها في وقت لاحق موجات أخرى حافظت على نفسها حتى اليوم. وسوف نتحدث عن ذلك بشكل أكثر تفصيلاً في الجزء الرابع.

تحت الحكم الصليبي اختفت، على ما يبدو، الحياة القبلية في فلسطين الأصلية كلياً. وقد تحالف بدو جنوب البلاد، ومنهم الدرما والزريق، جزئياً مع الفرنجة. ولذلك نقلهم صلاح الدين إلى مصر. وبعد معركة حطين (1187م) واستيلاء صلاح الدين على فلسطين كلها، باستثناء بعض المدن الساحلية، أعيد تقسيم البلاد على أسس جديدة مما أدى إلى حدوث انزياح كامل في الصورة السكانية. وينعكس هذا التغير، حسبما يقول برغوثي مصيباً في كتابه عن تاريخ فلسطين، في تقسيم البلاد إلى مديريات أو أقاليم تقسيماً لم يزل قائماً حتى اليوم. ويسمى عدد كبير من هذه الأقاليم باسم قبيلة أو عائلة، ، من مثل: بني مالك، بني حارث، بني زيد، بني سالم عند القدس، بني عمير عند الرملة، بني صعب عند نابلس، بني حارثة عند جنين واللجون. للأسف ليس معروفاً أصل هذه العائلات إلا في حالات قليلة: يعتقد أن بني حارث جاؤوا من وادي موسى (البترا)، وأن بني

حارثة هم سنبس (طي) وكذلك بني عمير، من جرم.

تابع أوائل حكام مصر من المماليك الإجراءات التي بدأها صلاح الدين: بعد احتلال آخر المدن التي كانت لما تزل في يد الصليبيين أجروا تقسيمات إدارية جديدة. فشكل الجليل محافظة صفد، وألحق الجنوب بكامله في بادئ الأمر بدمشق لكنه رفع بعد ذلك إلى درجة محافظة مستقلة، محافظة غزة، بعد فصل القدس عنها. وكما في سورية تشكلت خلال العهد المملوكي في فلسطين أيضاً مناطق تحكمها عائلات نبيلة كانت متعادية فيما بينها مما تسبب في حدوث اضطرابات دائمة. وفي هذا الإطار رفع مرة أخرى شعار التناقض قيسي - يمني. وبالمقارنة مع هذه العناصر الإقطاعية لعب البدو دوراً ثانوياً، في الشمال على الأقل. أمّا في الجنوب فكان على الحكومة أن تحسب لهم حساباً وخاصة لقبيلة جرم (الجرامنة) القوية التي كانت تقيم قرب القدس.

بعد انتقال السلطة إلى العثمانيين (1516م) حدث انزياح للقوى بين بدو فلسطين. إذ فقد الجرم أهميتهم السياسية؛ ولعل السبب في ذلك يعود إلى أنهم ظلوا عند احتلال فلسطين موالين للحكومة السابقة. وأصبح بنو حارثة، الذين أعلنوا فوراً ولاءهم للمنتصرين، أهم قبيلة في فلسطين. ومنح أمراء حارثة الأراضي المقيمين فيها ملكاً متوارثاً تحت اسم سنجق اللجّون. ووفرت الرسوم الجمركية على الطرق في اللجّون وجنين دخلاً كبيراً. أمّا في الجنوب فقد استمرت الحركة الجارية هناك منذ زمن طويل والتي أدت إلى مجيء قبيلتا السوالمة وعايد من مصر إلى ساحل فلسطين. وفي الوقت نفسه وصلت طلائع بدو بئر السبع الحاليين بهيئة بني عطية. وجميع هذه القبائل انجرت إلى النزاع الذي نشب عام 1520م بين أقوى رجلين في المناطق العثمانية الجديدة، وهما جان بردي غزالي حاكم دمشق وخاير بك حاكم القاهرة. لكن الصراع لم يصل إلى درجة الحرب المكشوفة لأن جان بردي الذي كان يراهن على عودة الحكم المملوكي عزل في العام التالي.

وضع السلطان سليم فلسطين وكامل جنوب سورية تحت سلطة حاكم دمشق ولكن نطاق حكم الباشا الموجود هناك قُلص في وقت لاحق. إذ ضم شمال

فلسطين إلى باشاوية صيدا المشكلة حديثاً ووزع جنوب فلسطين بين سنجق غزة وسنجق القدس (وفي وقت لاحق سنجق نابلس أيضاً) وعومل من الناحية الإدارية معاملة مختلفة.

في بداية القرن السابع عشر مد الأمير الدرزي فخر الدين سلطته إلى فلسطين لكنه واجه هناك مقاومة من الأمير أحمد بن طرباي من بني حارثة. وعندما أرسلت الحكومة عام 1613م قوة عسكرية لمحاربة فخر الدين اشترك أحمد في العمليات العسكرية وساهم أيضاً في إسقاط الأمير الدرزي عام 1633م. أدى هذا الحدث إلى حدوث انزياحات بين بدو حوران (انظر الجزء الأول ص 419) انتقلت إلى فلسطين حيث هاجرت قبيلة صقر إلى الجليل، وحلت هنا في القرن الثامن عشر محل بني حارثة. وفي جنوب فلسطين ظهر في القرن السابع عشر مجمع بدوي جديد هو مجمع الأحيدات المنحدر من بني عطية والقادم من شرقي الأردن.

في فلسطين النائية بدأت سيطرة النظام الإقطاعي على الإدارة في وقت أبكر من بقية أجزاء الإمبراطورية العثمانية. ففي سبعينات القرن السادس عشر تشكلت في غزة أسرة موظفين حكمت نحو 100 عام. وكان مؤسسها أحمد بك رضوان أوغلو الذي كان أبوه وجده قد توليا إدارة غزة لفترة مؤقتة. وفي القرن الثامن عشر كانت صيدا فترة طويلة من الزمن في يد عائلة العظم (انظر الجزء الأول، ص 418 و419 وما بعدها). وفي الوقت نفسه وصل تعسف النبلاء إلى ذروته في المناطق النائية وخاصة في جبل نابلس الذي كانت تسوده القلاقل منذ زمن بعيد. فكانت الحروب بين العائلات والقرى المختلفة لا تتوقف. في خضم هذه الفوضى برزت منذ عام 1730م شخصية قيادية متميزة هي الشيخ ظاهر العمر الزيداني الذي سيطر تحت عنوان جباية الضرائب على منطقتي طبرية وصفد وتمكن من الاحتفاظ بهما على الرغم من الإجراءات العسكرية المضادة. وبعد استيلائه على عكا (1749م) أصبح عملياً حاكم شمال فلسطين بالكامل. وقد انتشرت سمعته كإداري بارع في كل مكان وأخذ مسيحيون ومسلمون يهاجرون إلى منطقته قادمين من أماكن بعيدة. وكما فعل في السابق فخر الدين مع صيدا رفع ظاهر العمر عكا من قرية بائسة إلى

المرفأ الأول في فلسطين كلها. وظل في السلطة أكثر من عشرين عاماً. ولكن عندما تدخل في السياسة الدولية، بأن اتصل بعلي بك في مصر الذي كان ثائراً منذ عام 1768م وبمجموعة من السفن الروسية كانت عام 1770م ـ 1772م تتحرك في البحر المتوسط، تبين أن الوسائل المتوفرة لديه غير كافية لتلبية متطلبات هذا الموقف. وما لبث أن تخلى عنه حلفاؤه وقصفه الأسطول التركي عام 1775م ثم قام جنوده المرتزقة أنفسهم بقتله أثناء الحصار. وكان ظاهر العمر قد اعتمد في بداية صعوده على قبيلة صقر البدوية ولكن علاقته بهم تغيرت عندما أصبح صاحب أراضي واضطر إلى حماية الفلاحين ضدهم.

من عام 1776م حتى عام 1804م كانت عكا مقراً لأحمد جزار باشا الذي اشتهر عالمياً بسبب دفاعه عن المدينة ضد نابليون (1799م). وقد سيطر فترة طويلة على فلسطين كلها لأنه جمع عدة مرات باشاوية صيدا وباشاوية دمشق في يده. ونتيجة لذلك وبسبب طبعه الظالم تمكن من إخضاع البدو الذين يمارسون أعمال السلب والنهب من أمثال صقر وزعماء جبل نابلس المشاكسين.

في نهاية القرن الثامن عشر وصل استيلاء البدو على فلسطين بصورة عامة إلى نهايته. فمعظم القبائل الحالية كانت قد سيطرت على مناطقها الحالية. إلا أن المجمعات القبلية الكبيرة في منطقة بئر السبع، وعلى رأسها الترابين والتياحا والجبارات، كانت لما تزل قيد التشكيل ولذلك كانت لما تزل تحت حكم شيوخ الأحيدات.

كان نظام حكم إبراهيم باشا خلال فترة الاحتلال المصري لفلسطين (1831م ـ 1840م) التدخل الأول في حرية البدو وامتيازات النبلاء. وعبر السكان عن غضبهم بثورة عام 1834م التي كانت مراكزها في جبل نابلس والخليل. وشارك في المعارك من القبائل البدوية قبائل البحر الميت وقبيلة الجبارات.

بعد انسحاب المصريين شهدت فلسطين فترة شديدة الاضطراب. فقد انتعشت من جديد الصراعات بين زعماء العشائر المتنافسين وخاصة في المنطقة الواقعة بين

قرية العنب، مقر عائلة أبو غوش السيئة السمعة، وبيت جبرين. وحاول كل طرف كسب تأييد البدو له، وحتى قبائل شرقي الأردن، ومنها عدوان، عبرت النهر لنجدة حلفائها. وفي الجليل نصّب عقيلة آغا من قبيلة هنادي، والذي كان قد بدأ في الخدمة التركية قائداً لمجموعة من المتطوعين، نفسه زعيماً محلياً وتمكن من المحافظة على سلطته هنا، مع بعض الانقطاعات، حتى الستينات.

مع نهاية حرب القرم حدث تحسن ظاهر في نظام الإدارة في فلسطين. فقد نجحت قوات سريّا(*) باشا حاكم القدس (1857 ـ 1864م) ليس فقط بإخماد حماس النبلاء والزعماء المحليين بل فرضت أيضاً سلطة الحكومة وهيبتها بين قبائل الجنوب. ومع تحسن الحالة الأمنية توسعت رقعة الأراضي الزراعية. ففي عام 1865م كان المرج، سهل يسريل، لما يزل منطقة بدوية بحتة، لكنه في عام 1872م كان قد أصبح منطقة زراعية. وهناك ملاحظة للقنصل البروسي آنذاك في القدس جورج روزن تبين التقدم الكبير الذي حققته البلاد في هذا المجال في الثلث الأخير من القرن الماضي: "في عهد تيتوس وجد الرومان فلسطين خضراء مثل إيطاليا. وفي عهد الصليبيين كانت الملكية الزراعية في البلاد ذات قيمة كبيرة. وفي العصور الوسطى المتأخرة أصبح كثير من المناطق صحراء صخرية قاحلة. وعندما غادرت القدس وبيت لحم في عام 1867م كانتا كذلك. ولكن عندما عدت إلى البلاد بعد حوالي 24 عاماً، في خريف 1890م، وجدت غربي القدس الصخري القاحل، وخاصة المنطقة الجنوبية الواقعة بين القدس وبيت لحم، قد تغيّرا تغيّراً كلياً. فقد أزيلت الكتل الصخرية من الأراضي وزرعت أشجار الزيتون والتين والعنب والحقول المثمرة".

أمّا النهوض الاقتصادي الذي شهدته فلسطين تحت الإدارة الإنجليزية نتيجة الهجرة الصهيونية وتدفق كثير من رؤوس الأموال فهو أمر معروف. ولكن هذا التطور شكّل كارثة بالنسبة للبدو تتجلى في الإحصائيات التالية: في عام 1922م كان في فلسطين 103,000 بدوي، أمّا في عام 1931م فلم يكن هناك سوى 60,000.

أمّا الأحداث الرهيبة التي وقعت في فلسطين منذ عام 1929م والمقاومة

(*) ذكر المؤلف سريّا، والصحيح هو ثريا باشا. (ماجد شبّر).

الضارية التي أبداها العرب بقيادة المفتي الأكبر الحاج محمد أمين الحسيني ضد سيطرة الغرباء على بلادهم، ونضالهم البطولي في سبيل الحرية والقمع الوحشي لثوراتهم، فهذه أمور لا يمكن معالجتها في هذا الكتاب.

يسود بين قبائل فلسطين اليوم نموذج الحياة نصف البدوية. وبصورة عامة لم تكن البلاد أبداً مكاناً للإقامة الدائمة لمجموعات بدوية كبيرة، وحتى الدخول المؤقت لرعاة الجمال القادمين من الشرق أصبح جزءاً من الماضي. وفي الجليل يتوزع البدو بمجموعات صغيرة في مختلف الأرجاء لكنهم يفضلون سهل الغوير وسهل البطوف. وهم يتحركون بحرية كاملة في وادي الأردن الأسفل لكنهم في السهول الساحلية بدأ المستوطنون اليهود الجدد يطردونهم شيئاً فشيئاً. أمّا في صحراء «يهودا» وفي منطقة بئر السبع فليس لهم منازع.

ومن العلامات المميزة في فلسطين الجماعات المسماة الغوارنة الذين يعملون في تربية الجاموس في مستنقعات منطقة الحولة وبأعداد صغيرة في المناطق المحيطة بعكا. وكلمة غوارنة تعني لغوياً سكان الغور، وهي تستعمل أيضاً بهذا المعنى في وادي الأردن الأسفل، غير أنها تتضمن بعض الاحتقار الناجم بالتأكيد عن أن العبيد استوطنوا في منطقة أريحا(*).

وتجدر الإشارة إلى أن الجغرافي الإدريسي (منتصف القرن الثاني عشر) يتحدث عن سكان الغور ذوي البشرية الداكنة.

جاء معظم بدو شمال فلسطين الحاليين من منطقة حوران، ومن هؤلاء على سبيل المثال الصقر والصبيح. وفي الجنوب كانت الطريق الساحلية تستعمل في كثير من الأحيان كبوابة للدخول. وعبر هذه البوابة جاءت إلى فلسطين مراراً وتكراراً قبائل من شمال سيناء وشرقي مصر، ومنها: الجبارات والسواركة، والعايد

(*) من الجائز القول إن الغُوارنة ينظر إليهم نظرة دونية لأنهم من مربي الجاموس، كحال المعدان في العراق. (ماجد شبَّر).

والسوالمة، والنفيعات، والكشوك، وكثير من الجماعات الصغيرة ذات الأصول المختلفة. أمّا الهجرات القادمة من شرقي الأردن فقد جاءت عموماً على الطرق التي تقطع عربة جنوب البحر الميت وتؤدي إلى سهول غزة الغنية بالحبوب. وقد جاءت إلى هنا طي في مطلع العصر الإسلامي ثم الأحيدات والحويطات في العصر الحديث. وبين الهجرات الشمالية والهجرات الجنوبية يشكل الكرمل حدوداً لم تُتخط إلا نادراً.

لم يبق من الهجرات الإسلامية الأولى سوى بعض البقايا القليلة ومنها: الجراوين (جذام) في مجمعي الترابين والتياها، ومن هجرات طي المتأخرة قبيلتا الجرامنة والعبيدية.

كما أن جزءاً من سكان البدو الحديثين يجري في عروقهم دم جذام، ومنهم: العايد (حالياً ضمن مجمع الجبارات) والمساعيد. وقبيلتا العزازمة والظلّام المقيمتان عند بئر السبع ينحدران من قطاعة المقيمة في الحجاز. والنصيرات (على البحر الميت). وسوف نتحدث عن هذه القبيلة وغيرها من القبائل في الجزء الرابع. وكثير من القبائل تضم فروعاً كانوا في الأصل فلاحين لكنهم تركوا قراهم في أوقات الأزمات الاقتصادية والتحقوا شيئاً فشيئاً بالمجتمعات الجديدة.

وكما ذكرنا أعلاه فقد تأثر البدو في فلسطين أيضاً بالتحزب قيسي ـ يمني. ولكن هذا التحزب كان في حالات قليلة فقط، كما في حالة عرب الأمير الحارثي، وراثياً. أمّا في أغلب الحالات فقد كان يستند إلى علاقات الجوار أو الصداقة. ولذلك لا يتطابق الانتماء النَّسَبي مع الانتماء الحزبي بل هناك قبائل من أصل واحد موزعة على الحزبين. نجد الحالة الأولى عند قبيلة الجرامنة الموالية لقيس على الرغم من أنها من طي أي من عرب الجنوب، ونجد الحالة الثانية عند قبيلتي الكعابنة والأحيدات. وأن يكون الانتماء الحزبي مرتبط بالجيرة فهذا ما يتضح من تجمعات قبائل صحراء يودا «يهودا» حيث ينتمي النصيرات والتعامرة، المجاورون للعشيرة اليمنية الوادية، إلى اليمنيين، بينما الرشايدة والكعابنة الجنوبيون والجهالين

مثل ناحية الخليل قيسيون[1]. كما أن مجمع الجبارات المجاور للخليل من جهة الغرب يعتبر نفسه من القيسيين. أمّا في منطقة بئر السبع البدوية الخالصة فلا وجود لهذا التحزب، ولكن القبائل الموجودة هناك متحالفة بصفتها حزب الجنوب ضد الجبارات، حزب الشمال. وأمّا التياها والترابين وكذلك الجبارات فهم بالفعل ليسوا قبائل موحدة وإنما اتحادات. ومثل هذه الاتحادات كانت موجودة هنا في أزمنة سابقة، ومنها على سبيل المثال: الوحيدات، وربما طي في العصور الوسطى.

لا يوجد في الوقت الحاضر سياسة خاصة بالبدو في فلسطين. ولم يتضح بعد مدى مشاركة القبائل في الصراعات الدائرة منذ عام 1929م. ولكن هناك بعض الشيوخ مثل أبو كشك (كشوك) وفريح أبو مدين (حناجرة) المتحمسون جداً للفكرة القومية.

سنعالج في هذا الفصل في البداية قبائل شمال فلسطين ثم في وقت لاحق قبائل وادي الأردن. وبعد ذلك سننتقل إلى الساحل ومنه إلى قبائل صحراء يودا وقبائل غزة وبئر السبع.

وأخيراً تجدر الإشارة إلى أن القبائل الفلسطينية تذكر عادة في الأدلة السياحية والخرائط مع إضافة كلمة "عرب"، أي "بدو" أو "انصاف بدو"، إلى اسمها. فيقال على سبيل المثال عرب السيّاد، وعرب الحمدون، والخ. . . ولكن يبدو أن الأمر يتعلق بتعبير لغوي يستعمله الفلاحون وأبناء المدن. أمّا نحن فلن نستعمله إلا مرة واحدة وذلك في حالة "عرب الأمير الحارثي" حيث إن استعماله هنا صحيح لأن الأمر لا يتعلق بقبيلة حقيقية وإنما بأتباع الأمير المذكور.

---

(1) العشيرة اليمنية العرقوب التي تشكل اليوم جزءاً من ناحية الخليل كانت في السابق تابعة للقدس.

في شمال فلسطين

م يعد يوجد في شمال فلسطين قبيلة بدوية
ت متناثرة هنا وهناك. وتزداد كثافتهم على
على، وخاصة في أرض الحولة في الشمال
حيرة الحولة. وهناك مركز تجمع آخر للبدو
بحيرة طبرية، بينما الضفة الشرقية للبحيرة،
يش عليها سوى قبيلة واحدة هي قبيلة

سطين من منطقة حوران، وخاصة من منطقة
إلى فلسطين في القرون الأخيرة وقد تركت
على، ومنها على سبيل المثال: السيّاد (أ 1)
وينتمي بعض القبائل القادمة من الجولان
قبيلة منضمة اليوم إلى النعيم.

قبل قليل، وفرع الحناحنة من المزاريب (جـ

الأول)، ص 483 الملاحظة 13، 21، 23 وهنا

4)، وربما أيضاً الوهيب (د 5). ويُعيد الـ
الدين، الجد الأول للنعيم. ويعتقد بأن المحـ
ذلك وسمهم أيضاً. ويتفرع منهم الخرانبة
الحرب، الحمدون أيضاً[1]. وكان المحمدا
تقلصوا اليوم إلى عدد قليل من الخيام وكا
الصيف من صفد عبر حاصبيا إلى البقاع العزيـ

يمثل ربيعةَ الجولانِ في شمال فلسطين
ـ وتجدر الإشارة هنا إلى أن المزاريب يتألفو
الفرعية الحناحنة من نعيم، والعبيدات من ر
قديمة في شرقي الأردن[3].

بعض القبائل المذكورة تحولوا إلى فلا
كرعاة. ولم يعد سوى القليل منهم يقوم ب
نذكر على سبيل المثال: الحمدون الذين يـ
نحو الغرب إلى سفوح جبل عامل، بينما
(ب 1 ـ 3) بين الساحل (في الشتاء) ومـ
على ضفاف بحيرة الحولة وفي المناطق الـ
هذه المناطق المستنقعية[4].

نتيجة ضعفهم اقتصادياً لم يكن لديـ

(1) إلا أنهم ينتمون حسب البرغوثي إلى بني حمـ
تربيه، ص 203 يعتبرهم من اللهيب.

(2) إلا أن أشكنازي قبائل نصف بدوية في شمال فـ
Palestine du Nordص 237 يعتقد أنهم ينحدر

(3) انظر مقال عدوان.

(4) روبنسون، فلسطين، الجزء الثالث، ص 886
أشكنازي. الخريطة الأخيرة تذكر الغوارنة أيـ

الحمدون فقط يسببون أحياناً بعض المتاعب للسلطات بما يقومون به من أعمال السلب والنهب. ولا يتمتع بمكانة اجتماعية محترمة إلاّ الحجيرات (حـ 1) وعائلة الأمراء المواسي (د 1) المنحدرة من آل فضل الجولان المعروفين.

تجدر الإشارة إلى أننا سنعالج القبائل الفلسطينية الشمالية اللهيب، والشمالنة، والسمكية، والصبيح، بصورة مستقلة بسبب الأهمية التي تمتعت بها في أزمنة سابقة، على الرغم من أن مكانها الطبيعي حسب قوتها الحالية هو في هذا المقال.

قبائل صغيرة في شمال فلسطين(1)

أ ـ قضاء صفد(2)

القبيلة	الشيخ	المنطقة	عدد الخيام
1 ـ السياد(3)	متعب بن مزعل(4)	جب يوسف	100
2 ـ الحمدون(5)	اسماعيل الخليل	قدس	12
أ ـ الرحايلة	ساري علي الرحال		7
ب ـ بيت أحمد	محمد الظاهر		5
جـ ـ بيت محمد	اسماعيل الخليل		9
3 ـ النميرات(6)	رمضان الحسون	الخيط؛ جب يوسف	8
4 ـ المحمدات(7)	رمضان النميرات(8)	الوقاص؛ جب يوسف	14
5 ـ الصويلات(9)	صالح العوض	بين الحوله ـ بحيرة طبرية	
أ ـ محامدة	محمد الحمد		10
ب ـ صوالحة	صالح العوض		10
6 ـ القديرية(10)	خالد بن معجل	على الحدود	

القبيلة	الشيخ	المنطقة	عدد الخيام
أ ـ المناصرة	خالد بن معجل(11)		20
ب ـ البدارنة	خليل أبو شنة		19
جـ ـ الدلايزة	أحمد اليوسف		3
7 ـ السواعد(12)	[illegible]/	ميرون؛ أرض الخيط	5
	محمود الصالح		2

ب ـ قضاء عكا (13)

القبيلة	الشيخ	المنطقة	عدد الخيام
1 ـ العرامشة(14)	شقال المغيص	شمال البصّة	50[16]
أ ـ طبابشة			
ب ـ قرديين			
جـ ـ حنينات			
د ـ بيت سويدان			
هـ ـ بيت أبو [illegible]			
2 ـ القليطات(15)	نايف أبو دلة[illegible]	شمال البصّة	[illegible]
أ ـ القليطات			
ب ـ الخريشات			
3 ـ السمنية(18)	[illegible]	البصّة جنوب	40
أ ـ العطاعطة			
ب ـ المناصرة			

القبيلة	الشيخ	المنطقة	عدد الخيام
جـ ـ القريعات			
د ـ القواعرة			

جـ ـ قضاء الناصرة

القبيلة	الشيخ	المنطقة	عدد الخيام
1 ـ الحجيرات(19)	عبود الرملي	البطوف	
أ ـ الصوالحة	عبود الرملي		32
ب ـ الغدايره	حسن مصطفى الحاسر		40
2 ـ الجنادي(20)	محمود الجنداوي	صفورية	10
3 ـ الجواميس(21)	محمد حسن [illegible]	صفورية، عيلوط	20
4 ـ [illegible]	[illegible] الحسين [illegible]	عيلوط، معلول	
أ ـ [illegible](22)	[illegible]		25
ب ـ العبيدات(23)	[illegible] الحسين [illegible]		12
جـ ـ الغر[illegible](24)	[illegible]		2
5 ـ الغزالين(25)	حسن [illegible]	الناصرة	15
6 ـ السبارجة(26)	[illegible]	جنوب الناصرة	5

د ـ قضاء طبرية

القبيلة	الشيخ	المنطقة	عدد الخيام
1 ـ المواسى(27)	الأمير محمد العجاج	سيانة؛ ياقوق	
أ ـ الزهران(28)			
1 ـ الطاهات	حسين الطه		9
2 ـ القواسمة	أحمد القاسم		6
3 ـ الدوالى	إبراهيم الدالى		8
ب ـ العيسات(28)	قاسم العيسات		16
جـ ـ العوايدة(28)	عبده النادر		11
د ـ البطاطخة			
1 ـ الطوالبة(29)	خالد الحمادة		20
2 ـ الهياشنة(29)	خميس المصطفى		10
3 ـ المرايمة(29)	أحمد الموسى		12
4 ـ الدواعرة(30)	محمود المحمد		22
هـ ـ الامارة	الأمير محمد العجاج		7
2 ـ التلاوية(31)	خميس القوطانى	الغوير	
أ ـ قواطنة			16
ب ـ شنابة			9
جـ ـ جوابرة			8
د ـ دراوشة			8
3 ـ السمايرة(32)	حسين المحمد	الغوير	15
4 ـ الخرانية(33)	عبد الله محمد الجمعة	الغوير	9

القبيلة	الشيخ	المنطقة	عدد الخيام
أ ـ الغوانم	عبد الله محمد الجمعة		8
ب ـ الصوالحة	حسين جمعة		8
5 ـ زهيب(34)	نزال المحمد	وادي الحمام	
أ ـ الدوابشة(35)	نزال المحمد		15
ب ـ قطيعات	علي محمد الفاعور		15
جـ ـ طرافى	فضيل الأحمد		25
د ـ مرعاوي	عايد العبد		6
هـ ـ خمايسة(36)	هلال المصطفى		7
و ـ حميدة(36)	ذيب محمود العرابي		15
6 ـ الدلايكة(37)	محمد الخطيب	طبرية	
أ ـ العيسى	محمد الخطيب		12
ب ـ الشحادات	حسن شحادة		5
جـ ـ المحمد	موسى الإبراهيم		12
د ـ الدرويش	سليمان الشبلي		6
7 ـ الخوالد	محسن الهندي	جنوب طبرية	12
8 ـ المشارقة(38)	علي الذيب	سارونة ـ المنارة	20
9 ـ الرقيبات(39)	حسن بن عبد الله(40)	النقيب	20

ملاحظات حول الجدول

1 ـ مواد إحصائية من زمن أقدم موجودة عند روبنسون، الجزء الثالث، ص 885. عدد من القبائل مذكور في خارطة آرمسترونغ. وتذكر قائمة أشكنازي عدداً من القبائل الصغيرة. وليس من المجدي التطرق إلى الاختلافات بخصوص

الشيوخ وعدد الخيم ولكن سنكتفي بالإشارة إلى أن أشكنازي يذكر (أ 3) مع 54 خيمة، و (د 2) مع 118 خيمة، و (د 5) مع 29 خيمة.

2 ـ يذكر برغوثي بالإضافة إلى القبائل المذكورة هنا الزبيدات وعرب الجسر ولكنه لم يعالجهم.

3 ـ روبنسون؛ بوركهاردت، ص 18. بوركهاردت يذكرهم على الضفة الشرقية لبحيرة الحولة حيث لم يزل يوجد منهم حتى اليوم 100 خيمة؛ انظر أيضاً شوماخر، الجولان، ص 91؛ أشكنازي، ص 204. الوسم: ∧ (الفاجح) على الساق الخلفية اليمنى. صيحة الحرب: عيال أبو يوسف!

4 ـ الشحادة بن عرض بن السيف.

5 ـ خريطة آرمسترونغ؛ تربية، ص 203. صيحة الحرب: عيال محمد! من أقرباء الحمدون يوجد 10 خيام منهم عند زمّارين في ناحية حيفا بزعامة الشيخ بشير الشحادة.

6 ـ وصف مصر، باريس 1820 ـ 1829م، الجزء السادس عشر، ص 124؛ مايو، الجزء الأول، ص 102؛ بوركهاردت، ص 11. صيحة الحرب: راعي العليا!

7 ـ وصف مصر، ومايو، نفس المصدرين السابقين، بوركهاردت، ص 18 (الجولان). الوسم: O | على الفخذ الأيمن؛ صيحة الحرب: عيال محمد!

8 ـ نتيجة الصلة الوثيقة بين المحمدات والنميرات يمكن أن يكون هو نفس الشيخ السابق.

9 ـ روبنسون؛ خريطة آرمسترونغ. الوسم ⊥ على الجهة اليمنى للرقبة و / على الأنف؛ صيحة الحرب: عيال الشايب!

عائلات صويلات أخرى:

إبراهيم الحنوط	9 خيام	عند الكابري شمال شرق عكا
أحمد القاسم	6 خيام	عند حيفا
محمد الحمد	خيمة واحدة	في ماروس
ذياب الصالح	خيمتان	ـــــ

10 ـ خريطة آرمسترونغ. عند جب يوسف أيضاً. يزعم القديرية أنهم من أقرباء القديرات (تياها). خلال الاحتلال المصري حاربت القبيلة مع الأتراك وتعرضت نتيجة ذلك لاضطهاد إبراهيم باشا. الوسم: X على الفخذ الأيمن؛ صيحة الحرب: عيال علي!

11 ـ ابن منصور بن ناصر بن هولة.

12 ـ روبنسون. الوسم: X على الفخذ الأيسر. أشكناري رقم 59 يضعهم بين عكا وحيفا.

13 ـ يذكر برغوثي بالإضافة إلى القبائل المذكورة هنا: الغوارنة، والسويطات، وعز الرمل، ولكن دون أن يعالجها.

14 ـ خريطة آرمسترونغ؛ تريبه، ص 203. الوسم: X على الفخذ الأيمن؛ صيحة الحرب: محمدات! وهم يرجعون أصلهم إلى بني صقر.

15 ـ العدد 50 يتألف من 30 خيمة و20 بيت مجموع ساكنيها 220 شخصاً.

16 ـ الوسم وصيحة الحرب مثل رقم 14 (مثل العرامشة). أشكنازي رقم 54 يضعهم بين عكا والكرمل.

17 ـ تسكن على أرض سورية.

18 ـ خريطة آرمسترونغ. الوسم وصيحة الحرب مثل العرامشة والقليطات.

القبائل الثلاث تربطها علاقات قربى.

19 ـ تربطها صلة قربى مع الكعبية في ناحية حيفا. حوالي 200 نسمة. الوسم: | O على الفخذ الأيمن: صيحة الحرب: كعابنة!.

20 ـ خريطة آرمسترونغ. يزعمون أنهم حمدون. الوسم: ⊥ الجنادي محتقرون.

21 ـ يزعم أنهم من أقرباء الصبيح (انظر أدناه)، يبدو أنهم ينحدرون كالصبيح من اللجاه. الوسم: / (مطرق) على الخد الأيمن؛ صيحة الحرب مثل الصبيح: إخوة صبحة!

22 ـ الوسم: | O على الجهة اليمنى من العنق (الحيوانات الصغيرة على الأذن).

23 ـ الوسم الآن مثل الحناحنة، في السابق: ∧ على العنق؛ صيحة الحرب: راعي الكحيلة!

24 ـ الوسم مثل الحناحنة.

25 ـ في الأصل فلاحون في عين غزال جنوب حيفا.

26 ـ الوسم سابقاً: | O؛ صيحة الحرب: راعي المريطة!

27 ـ خريطة آرمسترونغ. صيحة الحرب: عيال العيسى! تقيم مجموعة من القبيلة عند جب يوسف، ناحية صفد، 12 خيمة للعوايدة بزعامة أحمد العلي وخيمة واحدة للبطاطخة.

28 ـ الوسم: ∩ على الفخذ الأيسر و ـ (مطرق بالعرض) على الساق الأمامية اليسرى و / بين العين اليسرى والأذن.

29 ـ الوسم: ⌈ على الورك الأيسر.

30 ـ الوسم: X كرمالي «كرماله» على الفخذ الأيمن، وهو وسم

السمنية، أقربائهم من جهة الأم.

31 ـ روبنسون؛ انظر الجزء الأول، نبتل صغيرة في الجولان 5. صيحة الحرب: عيال جمعة!.

32 ـ الوسم: [وسم] على الكتف الأيمن

33 ـ روبنسون؛ خريطة آرمسترونغ. الوسم: X على الفخذ الأيسر.

34 ـ بوركهاردت، ص 18 يذكرهم على الضفة الشرقية لبحيرة الحولة، وهم من أقرباء قبيلة النعيم التي تحمل نفس الاسم (الجزء الأول، ص 480). صيحة الحرب: راعي العليا!

35 ـ الوسم: O—O (مبزاز؟) على الورك الأيمن.

36 ـ الوسم: // على الخد الأيمن.

37 ـ يقولون إنهم ينحدرون من الموالي. صيحة الحرب: عيال داخول!.

38 ـ صيحة الحرب: أولاد علي!.

39 ـ بوركهاردت ص 18 "بركيات"؛ شوماخر، الجولان، ص 90. يعيدون نسبهم إلى الصحابي عبد الرحمن بن عوف، وتربطهم علاقات مصاهرة مع العائلتين السنيتين الطبري والفاهوم في الناصرة. صيحة الحرب القديمة: راعي الصفرا! 12 خيمة بزعامة الشيخ خليف الجديع موجودة عند بني حسن في شرقي الأردن.

40 ـ ابن قاسم بن محمد بن حمد.

لهيب

مر معنا اسم لهيب سابقاً بين قبائل حلب. واللهيب الموجودون هناك تربطهم صلات قربى وثيقة مع القبيلة الفلسطينية، وكلاهما ينحدر من الزبيد الذين وجدوا في العصور الوسطى موطناً جديداً لهم في حوران. ولم يعد لدى لهيب فلسطين سوى ذكريات مشوشة عن هذا الأصل ولكن صيحتهم للحرب ووسمهم يؤكدان ذلك بصورة قاطعة. وان يكونوا قد جاؤوا من الشرق يتبين من أن بوركهاردت (ص 18) كان قد سجلهم في الجولان. وتجدر الإشارة إلى أنه لم يزل يوجد في الجولان لهيب انضموا إلى الفضل والنعيم.

ينقسم اللهيب إلى الرساتمة والعيثة[1]. يسكن الرساتمة شمال غرب صفد ويمتدون عبر الحدود إلى بلاد بشارة، وفي الشتاء ينزلون إلى ضفاف الحولة. ويسكن العيثة في خربة طوبى (عند صفد) التي أجرهم إياها أحمد باشا الجزار باشا.

وهناك قبيلة لهيب ثالثة تتبع اللهيب الفلسطينية هي لهيب اللقلوق في لبنان. وقد وصف بوركهاردت طريقة حياتها[2]: في الصيف يعيشون على قمم الجبال العالية بين بشرّي والعاقورا، وفي الشتاء بين جبيل وطرطوس على الساحل. وهي

(1) هذا الاسم النادر نجده أيضاً عند عائلات زبيد، بين الدليم على سبيل المثال.

(2) ص 11: "الهيب"؛ انظر أيضاً نفس المصدر، ص 333.

الوحيدة التي عبرت لبنان ووصلت حتى

هيب(1)

	منطقة التنقل	عدد الخيام
	علما؛ الرأس الأحمر؛ ماروس	
		8
		10
		8
	صفورية؛ البطوف	20
	خربة طوبى	25

حول الجدول

الثالث، ص 885؛ ترييه، ص 65 وما بعدها؛
13 (1) و 270 (2) نسمة.

لوسم: ┌┐ على الجهة اليمنى من العنق.

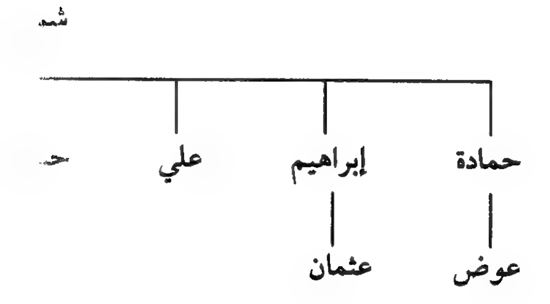
الوسم: | O على الجهة اليمنى من العنق.

ان لصاً شجاعاً ومحدّثاً رائعاً، أشكنازي ص

عكار (في المنطقة الواقعة خلف طرابلس) وعددهم
وعددهم 50 خيمة.

الشمالـ

الشمالنة، الذين يسكنون عند مصب نه
الفلسطينية الوحيدة التي حققت الدعاية الصـ
مؤقتاً فقط. وكان الشمالنة قد سُلبوا أراضيهـ
إلى المستوطنين اليهود طلباً للحماية، لا بل
اليهودية. وكان شملون جد الشمالنة قد ـ
مصر. وأبناؤه وأحفاده هم أجداد الفخذ الحالي



(1) قارن أشكنازي، ص 207.

الشمالنة(1)

الشيخ الأكبر: أحمد الشرقي

القبيلة	الشيخ	عدد الخيام
1 ـ الخلايلة	فلاح المحمود	15
2 ـ الحجاحجة	أحمد الشرقي	19
3 ـ الحساسنة	موسى العلي	7
4 ـ أولاد علي	شحادة العقلة	5
5 ـ العثامنة	علي العثمان	9
6 ـ العوضات	حامد المحمود	2
القبائل الملحقة		
1 ـ السوالمة(2)	رشيد الموسى	15
2 ـ الريّات(3)	يوسف العلي	5

ملاحظات

1 ـ أشكنازي رقم 19، كنسوس 1931م: 551 نسمة، 108 خيام. صيحة الحرب: عيال شملون!.

2 ـ صيحة الحرب: عيال سالم! الوسم: ⌒ على الورك الأيمن.

3 ـ صيحة الحرب: عيال ريّا!.

السمكية

يلي الشمالنةَ على الشاطئ الشمالي للبحيرة عند تلحوم السمكية. وهم على صلة وثيقة مع بني سمِك الذين كانوا في القرنين السادس عشر والسابع عشر يسكنون على الفرات وينتمون، من ناحية النسب، مثل هؤلاء إلى البو شعبان[1] (زبيد). وفي يوم من الأيام كان السمكية مهمين وكان زعيمهم يحمل لقب "شيخ عرب صفد". وبما أن هذا اللقب أصبح في القرن الثامن عشر من نصيب شيوخ الصقر فإن العصر الذهبي للسمكية يجب أن يكون في زمن أسبق. وكانت منطقة تنقل السمكية تصل سابقاً حتى الجولان، ولم يزل أقرباؤهم يعيشون هناك حتى اليوم، وبالتحديد في قرية خوخة التابعة لأملاك ورثة عبد الرحمن باشا اليوسف[2].

(1) انظر الجزء الأول ص 315.

(2) انظر الجزء الأول ص 533.

السمكية (1)

المختار : أسعد السعيد

القبيلة	الشيخ	عدد الخيام
1 ـ القطي (الطوسي)	علي الحمد	5
2 ـ السويس	محمد الحنى	9
3 ـ البكار	احمد القاسم	4
4 ـ الظواهر	ابراهيم العيلا	5
5 ـ العجاج	أسعد السعيد	4
6 ـ عباس	جمعة الموسى	4
7 ـ الدرابسة	عطا الله قطيش	6
8 ـ الحمزات	[illegible]	9
9 ـ [illegible]	حسن العجاج	3
10 ـ [illegible]	[illegible]	5
11 ـ [illegible]	شحوذ الابراهيم	3

ملاحظات

1 ـ وصف مصر، الجزء السادس عشر، ص 120 وما بعدها. روبنسون، الجزء الثالث، ص 556؛ أشتنازي رقم 23. كنسوس 1931م: 290 نسمة. الوسم: (خطام) على الخد؛ صيحة الحرب: عيال شعبان!

صبيح

في بداية القرن التاسع عشر كان الصبيح. الذين تقتصر منطقتهم اليوم على مساحة ضيقة حول ثابور، ثاني أهم قبيلة في شمال فلسطين[1] بعد الصقر (اليوم في وادي الأردن). ويعتقد أنهم ينحدرون من اللجاه في منطقة حوران[2]. وفي منتصف القرن الثامن عشر كانوا خاضعين للشيخ ظاهر العمر حاكم عكا[3]. وفي وقت لاحق تبعوا قائد القوات غير النظامية عقيلة آغا الذي كان له بين عام 1850م و1870م نفوذ كبير في شمال فلسطين (انظر المقال التالي). وكانت تنشب بين حين وآخر عداوة بين الصبيح والصقر. وفي إحدى المعارك قتل شيخ الصقر شويباش ابن ملاّك عندما حاول حماية قرية كفر مصر جنوب الثابور من الصبيح.

تمتد منطقة الصبيح من الشجيرة في الشمال عبر الثابور وحتى وادي الشرّار في الجنوب. صيحة الحرب: إخوة صبحة![4].

(1) سيتزن، الجزء الثاني، ص 154.

(2) يعتبرون بني خالد قبيلتهم الأم.

(3) نيقولا الصباغ، تاريخ الشيخ ظاهر العمر، ص 72.

(4) انظر أسعد منصور، تاريخ الناصرة، ص 77.

الصبيح(1)

شيخ المشايخ: عثمان الشهاب(2)

القبيلة	الشيخ	عدد الخيام
1 ـ الشديدة(3)		
أ ـ الشكور	مفضى البرجس	15
ب ـ الشبلي	حسين الأسعد	40
جـ ـ الحمدان	عثمان الشهاب	50
د ـ الموالي	عليق المحمد	15
قبائل ملحقة		
أ ـ المقطرن(4)	محمود حسن الرشدات	50
ب ـ السنيدات(5)	محمود ذياب	20
جـ ـ الظهري	حسين خليل السلامة	30
د ـ النجيدات(6)	أحمد شتيوة	20
	محمد السمير	

ملاحظات

1 ـ وصف مصر، الجزء 16، ص 124 (Description de L'Égypte)؛ أشكنازي رقم 37. كنسوس 1931م: 716 نسمة.

2 ـ في عام 1857م كان شهاب الحمد شيخاً؛ تاريخ الناصرة، ص 77.

3 ـ الوسم //O (مطرقين وفتخة).

4 ـ الوسم (للقبيلة التالية أيضاً) / (مطرق).

5 ـ **السنيدات**، والظهري، والنجيدات ينحدرون أيضاً من اللجاه. وبالفعل يوجد **ظهرة بين فروع** السلوط الموجودين هناك (الجزء الأول، ص 490).

6 ـ ، وسمهم نفس وسم الشديدة.

الهنادي[1]

أصبح الهنادي الفلسطينيون في منتصف القرن الماضي مشهورين بسبب شهرة زعيمهم عقيلة آغا. وكان أبو عقيلة، موسى الحاسي، قد جاء عام 1814م من مصر إلى غزة حيث وجد المأوى عند رجل من قبيلة البراعصة اسمه محمد نجا[2]. وبعد سنوات طويلة توفي موسى هناك عام 1830م. وقد رزق من زواجه من امرأة تركمانية من عائلة الشقيرات ولدان: عقيلة وصالح. خلال فترة الاحتلال المصري خدم عقيلة عند إبراهيم باشا[3]. وفي بداية الأربعينات دخل في خدمة أحد نبلاء الناصرة، لكنه بعد وقت قصير جمع حوله عدداً من الأنصار. وفي عام 1845م تدخل في نزاع نشب بين المسيحيين اللاتينيين في الناصرة مما جعله مكروهاً عند الحكومة واضطر في النهاية إلى الهرب إلى شرقي الأردن واللجوء إلى بني صخر هناك. ولكن نفوذه كان قد قوي إلى درجة أن حاكم عكا قرر في عام 1847م تسليمه قيادة مجموعة من الجنود غير النظاميين تضم 75 رجلاً من الهنادي والهوارة[4]. في

---

(1) انظر المقال الذي يحمل الاسم نفسه، الجزء الأول، ص 431 وما يليها.

(2) نعتمد، ولم نذكر ما يخالف ذلك، على التقرير الوارد عند أسعد منصور في تاريخ الناصرة، ص 73 وما يليها الذي يستند إلى مصدر معاصر (ميخائيل قعوار).

(3) لاينج، تقرير عن بعثة الولايات المتحدة إلى الأردن والبحر الميت، ص 143.

(4) كان الهوارة (أشكنازي رقم 80) فرقة خيّالة. غير نظامية من شمال إفريقيا ومصر عملت منذ عام 1780م في خدمة الباشاوات السوريين؛ انظر سيتزن، الجزء الأول ص 275، والجزء

بادئ الأمر استقر عقيلة مع هؤلاء الرجال في عبّلين، إلى [illegible]
عمرو"(*)، لكنه قرر بعد ذلك العيش حياة بدوية. وخلال [illegible]
جزء كبير من الجليل، من شفا عمرو عبر الناصرة وحتى غور [illegible]

في عام 1852م كُلّف عقيلة بحماية شمال فلسطين من [illegible]
حوران. وعلى الرغم من تحقيقه بعض النجاحات في الجو[illegible]
الثوار ثم ألقي القبض عليه وأرسل إلى حصن فيدين في [illegible]
آنذاك (1853م). وبعد عام تمكن من الفرار بطريقة مغامرة. [illegible]
طريق حلب حيث تلقى دعماً من أبناء قبيلته البطران[1]. وفي هذه الأثناء [illegible]
اندلعت حرب القرم وكان أخوه صالح قد التحق بالجيش ومع [illegible]
سمعوا بعودة عقيلة فروا من الخدمة والتحقوا به. وبما أن [illegible] كانت خالية من
القوات العسكرية بسبب الحرب رأى باشا بيروت أنه من الأفضل إعادة عقيلة [illegible]
العمل في خدمته (1855م).

في هذا الوقت ازداد الهنادي قوة بانضمام جماعات جديدة لهم [illegible]
مصر. في عام 1854م انضم إليهم شيخ الطيحاوي المشهور ثم تبعه في [illegible]
أجزاء جديدة من البراعصة والحرابي بقيادة أبو كريم. بدا للحكومة هذا [illegible]
للقوة خطيراً إلى درجة أنها حرضت قائد القوات غير النظامية [illegible]
ابن شمدين آغا ـ الذي لعب في وقت لاحق دوراً مؤسفاً عندما [illegible]
1860م في دمشق ـ ضد عقيلة. وفي عام 1857 (أو 1858م) حدثت في [illegible]
المعركة القديمة المشهورة مع الصليبيين، معركة بين القائدين [illegible]

الثاني ص 150. وفي وقت لاحق انتقلوا إلى إبراهيم باشا، انظر أسد جبرائيل رستم، [illegible]
تاريخ سورية في عهد محمد علي باشا، ص 78 وما بعدها [illegible] for a Corpus of Arabic
[illegible] Documents Relating to the History of Syria emder Mehemet Ali Pascha, 5 - 78 f.
يعد اسم قبيلة وإنما اسم وحدة عسكرية.

(*) شفا عمر وتكتب أيضاً شفا عمرو في أغلب المصادر. (ماجد [illegible]

(1) انظر الجزء الأول، ص 301.

الذي دعمته القبيلتان البدويتان صقر وصبيح، انتصاراً حاسماً[1]. وبذلك تعززت مكانته من جديد. وظل محتفظاً بهذه المكانة حتى الإصلاح العسكري عام 1863م الذي ألغيت بموجبه القوات غير النظامية.

بسبب نشوب الاضطرابات البدوية عام 1864م اضطرت الحكومة إلى إعادته إلى الخدمة مؤقتاً. ومع ذلك لم يشعر عقيلة بالأمان، ففر إلى الكرك حيث كانت له علاقات طيبة من أوقات سابقة[2]. إلا أنه تبين مجدداً أن عقيلة لا يمكن تعويضه وبعد استدعائه وعودته نجح في فرض نفسه ولكن اللعبة القديمة تكررت مرة أخرى: إذ حاول هولو باشا[3]، Holo حاكم نابلس آنذاك، اعتقاله لكن عقيلة تمكن من الفرار وذهب إلى الصلت ومعه 250 خيالاً من أتباعه.

ثم عاد مرة أخرى إلى وطنه وتولى منصبه القديم لكنه لم يستعد بعد ذلك نفوذه السابق أبداً. توفي في عام 1870م وهو مدفون مع أخيه صالح في عبلين[4].

كان عقيلة شخصية هامة دون شك. ولقد ترك أعظم الانطباع عند المسافرين الأوروبيين الذين عمل معهم مراراً وتكراراً بصفة دليل. ويصفه لانج بأنه "أجمل كائن بشري رآه في حياته". وأن تكون طموحاته السياسية قد فشلت فإن السبب في ذلك يعود إلى الظروف. فلو جاء مائة عام قبل ذلك لأصبح ظاهر عمر ثان. إن التهمة التي وجهها له الأمير شكيب أرسلان بأنه أجرى اتصالات مع قوى أجنبية من أجل تحقيق أهدافه، قد تكون صحيحة. ولكن الشيء المؤكد هو أنه خلال ملاحقة المسيحيين عام 1860م استخدم نفوذه لصالحهم.

عمل قويطين آغا، ابن عقيلة، في خدمة الحكومة أيضاً. وعندما وضع جنوب شرقي الأردن تحت الإدارة المباشرة (1893م) ذهب بمهمة رسمية إلى الكرك.

---

(1) هذا الحدث لم يزل الناس يتناقلون روايته حتى اليوم، انظر أشكنازي، ص 202 وما بعدها.

(2) انظر لانج، ص 224. موزيل، البتراء العربية، الجزء الثالث، ص 89.

(3) انظر الجزء الأول، ص 455.

(4) الخبران الأخيران غير موجودين في Palestine Exploration Fund، كما أن تاريخ وفاته جاء 1866م أو 1867م.

وعاش ابنه عقيلة في العبيدية جنوب بحيرة طبرية[1].

الهنادي اليوم مشتتون. يعيش جزء منهم في الدلهمية غير بعيد عن العبيدية. ويعيش آخرون في شرقي الأردن وفي المنطقة السورية.

الهنادي(1)

شيخ المشايخ: محمد سعيد الحاسى أحمد الهجرس

القبيلة	الشيخ	المنطقة	عدد الخيام
1 ـ عبيدات	محمد الشامخ	الدلهمية	8
2 ـ عواقير(2)	محمد الشامخ	الدلهمية	16
3 ـ براعصة(3)	محمد الشامخ	الدلهمية	8
4 ـ ولد علي(3)	عيسى البطران	الدلهمية	7
5 ـ الحاسي	محمد سعيد الحاسي	الدلهمية	12
6 ـ دسه(4)	محمد سعيد الحاسي	الدلهمية	7
قبائل ملحقة			
ـ بيت قنيش		غابة شفا عمرو	

ملاحظات

1 ـ انظر أشكنازي رقم 79.

2 ـ جزء منهم موجود في سورية.

3 ـ لديهم أقرباء بين هنادي حلب.

4 ـ جزء منهم يعيش قرب عمان.

---

(1) تصريح للأمير شكيب أرسلان.

البشاتوة

تمتد منطقة البشاتوة على جانبي نهر الأردن من الدلهمية حتى منطقة بيسان. هم معروفون منذ نهاية القرن الثامن عشر، ويعتقد بأن اسمهم مشتق من اسم قرية البشرة[1]. يشكل البشاتوة تجمعاً يتألف من أجزاء من قبائل عديدة مختلفة المنشأ؛ ليس لهم قيادة مركزية معترف بها إلا أن الشيوخ ظاهر المثقال ومفضي السعيد ورشيد السعد لهم نفوذ أكبر من نفوذ زملائهم.

يعتبر المجمع نفسه يمنياً وهو متحالف مع جيرانه الجنوبيين، الصقر.

---

(1) [illegible] ص 209.

البشاتوة(1)

القبيلة	الشيخ	المنطقة	عدد الخيم
1 ـ الشحيمات(2)	ظاهر المثقال		[illegible]
2 ـ البكار(3)	مفضي السعيد		20
3 ـ العمري(4)	توفيق السعد		[illegible]
4 ـ الشمالي(5)	علي الشمالي		5
5 ـ الحوافظة(6)	توفيق السعد		[illegible]
6 ـ الشكور(7)	سليمان المفلح		[illegible]
7 ـ الصهابنة(8)	إبراهيم المحمود	وادي البيرة	[illegible]
8 ـ الفوارس(9)	عيد أبو فارس	أم توتة	
9 ـ الفضيين(10)	فياض الأحمد	زور الرزينة	
10 ـ العرامشة(11)	حمد النهار		
11 ـ عليميين(12)	محمد العليمي		
12 ـ الفروخ(13)	موسى الفروخ		
13 ـ الطواقشة(14)	علي السالم		
14 ـ قوم المطلق(15)	نجيب المطلق		
15 ـ الحوارنة(16)	رجا المحسن		

ملاحظات

1 ـ مايو الجزء الأول، ص 109 وما بعدها. وصف [illegible]

122 وما بعدها؛ سيتزن، الجزء الثاني، ص 149؛ بوركهارد [illegible]

1931م: 1176 نسمة، 247 خيمة.

2 ـ أكراد أيوبيون. صيحة الحرب: أهل العليا! الوسم: O | على الخد الأيمن.

3 ـ نعيم. صيحة الحرب: إخوان عمشا! الوسم: / على الخد الأيمن.

4 ـ جرامنة. صيحة الحرب: إخوان صبحا! الوسم: X على الأذن اليمنى.

5 ـ بني مهدي. الوسم: O على الخد و / خلفها.

6 ـ جرامنة من البلقا. صيحة الحرب: إخوان «صبحا!».

7 ـ فلاحون من حوران؛ يزعمون أنهم من بني هلال.

8 ـ "زوايدة" Zwajede.

9 ـ غنيمات من البلقا.

10 ـ فلاحون من نابلس.

11 ـ من القبيلة التي تحمل نفس الاسم شمال عكا ب1. قبائل صغيرة في شمال فلسطين.

12 ـ يزعمون أنهم من أحفاد الخليفة عمر.

13 ـ سردية.

14 ـ فلاحون من قرى البلقا وعجلون.

15 ـ من فرع الفاعور في المشالخة، انظر فصل شرقي الأردن.

16 ـ من قرية طفس في حوران.

الصقر

في القرن الثامن عشر كان الصقر، الذين يعيشون اليوم في غور بيسان، القبيلة السائدة في شمال فلسطين. وهم قريبون جداً من السردية (الجزء الأول، ص 535 وما يليها) إذ يفترض أن جدهم ملاّك وجد السردية فواز كانا أخوة.

يقول الصقر أنهم كانوا في الماضي يسكنون في سهل حوران. ونتيجة حرب مع قبيلة شقيقة نفتهم الحكومة إلى جنوب فلسطين وقتلت شيخهم جبر. وفي وقت لاحق قادهم الشيخ قعدان عائداً بهم إلى الشمال وطرد السردية إلى نجد ثم استوطن مع قبيلته حول بيسان. بقي في جنوب فلسطين فرع الفرجات فقط الذي انضم هناك إلى الترابين ـ هذه الرواية أسطورية ولكنها تتضمن بعض الجوانب الموثقة تاريخياً.

يوجد في سلسلة نسب "شيخ المشايخ" الحالي ما يؤيد ذلك: فاضل بن يوسف بن عرسان بن مطلق بن سعيد بن سعد بن كعدان[1] بن رسلان بن جبر بن سليمان بن حسن بن رباح بن صقر[2] بن ملاّك. الحلقة الثالثة في شجرة النسب هذه، رباح، هي "الملك ريبا"[3] العربي الذي ورد ذكره مراراً عند روجيه (كتب

(1) سيتزن (الجزء الثالث، ص 380): "سعد الشادان".

(2) في شجرة نسب شيخ الصقر الذين انضموا إلى الترابين يوجد بين صقر وملاّك حلقتان: بن حسن بن حمد.

(3) روجيه، Roger, La Terre Sainte, Paris 1964، ص 225، 232، 343، انظر الصورة على الصفحة 231.

في ثلاثينيات القرن السابع عشر) والذي يسميه ماريتي(1) "رباك". كان رباح يحكم في منطقة حوران وفي الجولان(2)، وكان يشكل هناك سنداً للزعيم الدرزي فخر الدين الذي التجأ إليه قبل وقت قصير من سقوطه عام 1633م. ولعل موقف رباح هو مصدر الرواية التي تذكرها حكايات القبيلة عن عداوة الصقر مع السردية؛ لأن السردية كانوا خصوم فخر الدين ومتحالفين مع الأتراك. وفي وقت لاحق اضطر الصقر إلى النزوح من منطقة حوران، وفي بداية القرن الثامن عشر نجدهم على هذا الجانب من بحيرة طبرية، أي على الأرض الفلسطينية. كانوا آنذاك تحت قيادة [illegible](3)، وفي وقت لاحق، حوالي 1730م ـ 1760م، تحت قيادة [illegible] يحمل لقب شيخ عرب صفد(4).

في هذا الوقت بدأ صعود الشيخ ظاهر العمر الذي أصبح فيما بعد سيد عكا. وكان الشيخ ظاهر [illegible] في بادئ الأمر [illegible] الصقر لكن القبيلة تحالفت في وقت [illegible] مع أعدائه، [illegible] الصقر عدة مرات واضطروا في عام 1735م إلى الهرب [illegible] لاحقة قتل الشيخ الأكبر راشد الجبر [illegible] على أرجح الظن، الشخص المذكور [illegible] حالي(7). وبعد ذلك تمّ التوصل إلى

---

(1) [illegible]، 270.

(2) [illegible] المنطقة [illegible] لنهر الرقاد الأسفل: حامي صقر.

(3) [illegible] Van Egmond en [illegible]، لا يدن 1758م، الجزء [illegible] ثت الرحلتان في الأعوام 1700م ـ 1709م [illegible] الرحلة الأولى لأن الشيخ كليب المذكور [illegible] 538). ولا يرد ذكر اسم قبيلتهم هنا إلا [illegible]

(4) [illegible] وما يليها.

(5) [illegible] تتحدث عنها حكايات القبيلة.

[illegible]

السلام مع ظاهر العمر تحت تأثير وطنة. أما الشيخ فعذاب [illegible]
توسطت بين الفريقين[1]. وفي وقت لاحق كسر أحمد باشا الجزار شوكة القبيلة
وحطم قوتها القتالية.

في الوقت الحاضر انصهر مجمع الصقر مع بعضه البعض إلى عدد قليل من
العشائر، إلا أنها تضم عدداً كبيراً من الفروع ذات المنشأ المختلف. وفي بداية
القرن التاسع عشر، ولربما خلال الاحتلال المصري[2]، انحسرت سلطتهم على
وادي الأردن حيث كانوا قبل ذلك يخيمون بين [illegible] فهم يسكنون في
الصيف في غور بيسان ونحو الداخل حتى [illegible]، وفي الشتاء باتجاه الجنوب حتى
البقيعة ووادي فارعة.

في عهد السلطان عبد الحميد تم تحويل أراضي الصقر إلى أراضٍ أميرية بعد
تولى السلطان دفع الضرائب العقارية المستحقة منذ عدة أعوام. ومنذئذ صار متوجباً
على الصقر أن يدفعوا، بالإضافة إلى العشر، ضريبة عقارية قدرها عشرة بالمائة
أيضاً، أي إن عليهم دفع 20 بالمائة. وفي عهد الانتداب [illegible]
لاستعادة الأراضي بشروط أقل تكلفة ولكن القبيلة أصبحت مؤخراً فقيرة [illegible]
درجة أنها اضطرت إلى بيع جزء من الأراضي التي [illegible]

ينتسب الصقر إلى اليمنيين. وصيحة الحرب عندهم: أهل الجدعة [illegible]
الشام! ولقد حافظت عائلة الشيوخ على مكانتها المحترمة القديمة وأصبح [illegible]
"مثل عطاء ابن ملاك" قولاً يضرب به المثل تعبيراً عن الكرم.

لا يقوم الملاك وبعض عائلات الشيوخ الأخرى بتحضير الكشك(*) [illegible]

---

(1) الصباغ، ص 84 وما بعدها، 54.

(2) سيتزن، الجزء الثاني، ص 380. كنعان، مجلة الجمعية الاسيوية [illegible]، لندن، الجزء 6، 1936، ص 25.

(*) هي من أكلات بلاد الشام المشهورة [illegible]
وبعدها يطبخ. (ماجد شبّر)

الحليب المحفوظ) الأمر الذي يعد بالنسبة لهم امتيازاً. ويبدو أن الأمر يتعلق هنا بموقف كان سائداً قبل الإسلام؛ إذ إن الخمس، القبائل التي كانت لها علاقة وثيقة مع المقدسات في مكة، لم يكونوا يجففون الحليب المحمض.

العائلات الخمس التي انبثقت عن أسرة الشيوخ القديمة تثبت ريشة نعامة على الخشبة الأمامية لخيمها. وهذه علامة افتخار يستعملها أيضاً شيوخ البدو في الصحراء الكبرى[1].

الصقر(1)

شيخ المشايخ: فاضل العرسان

القبيلة	الشيخ	عدد الخيام
1 ـ الملاك(2)	فاضل العرسان	25
2 ـ ابن مروبع(3)	عارف الحمد	12
قبائل ملحقة		
1 ـ ابن مريخ(4)	حسن أخو شوحة	12
2 ـ القظام(5)	فارع القظام	8
3 ـ البشيرات(6)	عبد الله البشيري	7
4 ـ الغنيّة(7)	شامخ الغنيّة	5
5 ـ الخوالد(8)	طريخم الحجيرة(9)	11
6 ـ الزبيدات(10)	علي الفارس	70
7 ـ البلدية	محمد الحسين	40

(1) راكوف وكاسكل، الخيمة البدوية، أرشيف بيزلير «Baessler»، 1938م، ص 63.

القبيلة	الشيخ	عدد الخيام
8 ـ الوادي(12)	فايز الوادي	35
9 ـ المهادوة(13)	موسى المهادوة	5
10 ـ الأمير العبادي(14)	الأمير مرعي الحسن	4
11 ـ القروط(15)	حسين الأحمد	20
12 ـ الحمود (15)		20
13 ـ البدنديّة(16)	مفلح العمر	12
14 ـ العبيد	قاسم العبيد	3
15 ـ الويسات(17)	محمد الويس	2
16 ـ الموالي(18)	عبد الله الموالي	8
17 ـ المعادين(19)	سالم الحصاحصة	12
18 ـ العرجات	لافي العرجات	4
19 ـ القشوش	صالح القشوش	6
20 ـ العليات (العلايا)(20)	لافي العليات	6
21 ـ البشكمة(21)	حسن البشكمي	4
22 ـ الزيدان(22)	راجي الزيدان	4
23 ـ الشهاب(22)	شهاب الأحمد	4
24 ـ المساليخ(23)	موسى جلّوط	5
25 ـ القلايع(23)	حامد الرجلة	7
26 ـ القماوشة(23)(24)	محمد أبو دية	5
27 ـ النعيمات(25)		5

عَبيد(*)

القبيلة	الشيخ	عدد الخيام
1 ـ العبيد(25)	عبيد العدوان	5
2 ـ الغرير(26)	فضل الغرير	4
3 ـ الدوامسة(27)	فالح الدوامسة	5
4 ـ الثليجة(28)	بخيت النمر	15
5 ـ هميل(29)	عمرو الهميّل	15
6 ـ الدواليب	حسين الرويض	7
7 ـ أهل الصفرا	حسن الصفرا	5
8 ـ الحصيد	حصيد الفريوان	5

ملاحظات

1 ـ ت. كنعان، (الصقر بدو بيسان) مجلة الجمعية الآسيوية الملكية لندن، الجزء 16، 1936م، ص 21 ـ 32 يذكر بدلاً من فرعي صقر الأصليين[1] المذكورين عندنا 5 عائلات يجمعها معاً تحت اسم شيوخ، المهادوة مع فرعين آخرين غير موجودين عندنا بصفة أمراء. كنسوس 1931م: 2115 نسمة، 418 خيمة مقابل 402 في الجدول.

2 ـ صيحة الحرب: راعي العشوا، لكن عائلة الفياض: راعي الرعلة! الوسم ┌┴┐ على الورك الأيسر و / (مطرق) على الورك الأيمن. لهم أقرباء في

(*) عبيد المقصود بها هم العبيد وليس كما يبدو منها أنهم عُبيدَ حيث الكلمة الألمانية تسمهم Sklaven ما يقابلها Slave في اللغة الإنكليزية. (ماجد شبَّر).

(1) لا تذكر صراحة ولكن شيخهما، عارف.

بصرىٰ إسكي شام في حوران.

3 ـ صيحة الحرب: راعي العليا! الوسم: / على الخد الأيسر و / على الأذن اليمنى.

4 ـ صيحة الحرب: راعي المريطة! (الشرّادة)! الوسم: | O على الفك الأيسر. وهم ينحدرون من ولد علي (عنزة).

5 ـ صيحة الحرب: راعي الهرشا! الوسم: ≠ على الورك الأيمن و على الخد الأيسر. ينحدرون من السرحان، انظر المقال الخاص بذلك في فصل شرقي الأردن.

6 ـ صيحة الحرب: راعي المليحة (خيّالة الحصن)! ينحدرون من عرب المسيّك، انظر مقالة عمرو في فصل شرقي الأردن.

7 ـ الوسم: / على الخد الأيمن. ينحدرون من بني غاني (؟).

8 ـ صيحة الحرب: راعي الحيزا! ينحدرون من بني خالد (العجلون؟).

9 ـ "كنعان": "حضيري".

10 ـ صيحة الحرب: راعي البويضة (عيال جبر، عيال حمير)! الوسم: ⊓ على الفخذ الأيمن و— على الأذن. الاسم وصيحة الحرب والوسم تشير إلى أن القبيلة تنحدر من زبيد الموجودين في أماكن أخرى في فلسطين.

11 ـ "كنعان": "بلادية" مع الشيخ علي محمد حسين. أي ابن الشيخ المذكور هنا. صيحة الحرب: رخوين المحازم!

12 ـ صيحة الحرب: راعي العليا! الوسم: ⊓ على الفخذ الأيمن و ⊔ على الأذن. ينحدرون من الأسرة الدرزية المعروفة شهاب.

13 ـ بني مهدي، انظر مقال عدوان في فصل شرقي الأردن.

14 ـ صيحة الحرب: حيدرية! الوسم ∠ على الأذن اليمنى و / على الخد الأيمن. ينتمون إلى أسرة تزعم أن لها أصل شريف، ولكن في الحقيقة فهي تنحدر على الأرجح من الأسرة الحاكمة القديمة العقيليين.

15 ـ "كنعان" : "قروط" . صيحة الحرب: أهل القرطة! الوسم: ـــ على الأذن اليمنى و / على الخد الأيمن. تركمان.

16 ـ "كنعان" : "بداندية" . صيحة الحرب: راعي المليحة! الوسم: على الأذن اليمنى و / على الخد الأيمن. ينتمون إلى أتباع الأمير العبادي.

17 ـ من أحفاد الصحابي أويس القرني(*) .

18 ـ فرع من القبيلة الحلبية التي تحمل الاسم نفسه.

19 ـ من قرية خرما قرب القدس.

20 ـ فهيدات، انظر: قبائل صغيرة عند أريحا.

21 ـ الوسم: / على الخد الأيمن و ـــ على الأذن اليمنى. ينحدرون من البشاكمة: تركمان في حماه.

22 ـ نعيم، ينتمون إلى رابطة أخويّة.

23 ـ الوسم: على الجهة اليسرى من الرقبة. خوارنة ولذلك محتقرون.

24 ـ "كنعان" : «قهاوشة».

25 ـ موزعة في القبيلة.

26 ـ "كنعان" : "عبيد" عند الشيخ عيد. عبيد للملاّك.

27 ـ عبيد الوادي (8).

28 ـ كانوا في الأصل عبيداً للأمير الهارثي وانتقلوا بعد انقراض هذه العائلة إلى الصقر.

29 ـ كنعان: "همويل" . في الأصل عبيد عند شيوخ بني مهدي. صيحة الحرب: عبيد شما!

(*) أويس القرني هو ليس صحابياً بل هو أحد الزهاد المشهورين. (ماجد شبّر).

المساعيد

يعد مساعيد وادي فارعة من أشهر قبائل فلسطين؛ ويحمل شيوخهم لقب أمير. صيحة الحرب عندهم: بني عقبة! وبناء على ذلك فهم ينتمون إلى هذا الفرع من جذام السكان القدامى لشمال غرب شبه الجزيرة العربية. وبالفعل فإن حكاية ترحال المساعيد تشير أيضاً إلى الساحل الشرقي لخليج العقبة؛ ولم تزل تعيش هناك حتى اليوم بقايا القبيلة[1]. حكاية ترحال المساعيد وهجرتهم موجودة عند شقير، تاريخ سيناء، ص 117، ريفو بيليك 1905م، ص 412 وما بعدها، (ب. ديسّارد) واستناداً إلى نفس المصدر عند موزيل أيضاً: البتراء العربية، الجزء الثالث، ص 72[2]: في يوم من الأيام ذهب شيخان من بني عقبة، داوود المتاريك والمسعودي[3] من العربة إلى غزة لكي يشتريا الحبوب. وفي الطريق نشب بينهما خلاف دام حول فتاة جميلة من قبيلة مُطير كانت تعيش تحت حمايتهما. أدى الخلاف إلى افتراق الشيخين. ذهب المسعودي، وبالتالي المساعيد الذين تميع صورتهم مع جدهم في الحكاية، إلى غزة[4]. وهناك تعين عليهم أن يقدموا لحاكم

---

(1) انظر مقال الحويطات، الملاحظة 26.

(2) انظر أيضاً بيكه، ص 265.

(3) يسميه شقير أمير المساعيد.

(4) هنا تتوقف الحكاية عند ب .ديسارد وموزيل.

المدينة كل عام حصاناً أصيلاً إلى أن رفض الأمير سليمان المنطار في يوم من الأيام أداء هذه الضريبة. نتيجة لذلك نشبت حرب بينهم وبين الأتراك قتل فيها الأمير؛ ولم يزل قبره حتى اليوم يحظى بالتكريم[1]. على إثر ذلك انقسم المساعيد إلى ثلاث مجموعات: رحلت الأولى نحو الشمال وهي القبيلة الموجودة في وادي فارعة، ورحلت الثانية نحو الغرب وهي مساعيد العريش الذين ينحدر منهم أيضاً أولاد سليمان في مصر. أمّا المجموعة الثالثة فهم مساعيد الحجاز الذين ينتسب إليهم أيضاً الأحيوات الموجودون في سيناء.

من الصعب تحديد الزمن الذي وقعت فيه أحداث هذه الحكاية. كل ما يمكن قوله هو الزعم بأن هذه الهجرة حدثت في وقت حديث نسبياً لأن هجرة بني عقبة إلى الكرك، التي تلي في الحكاية الهجرة الأولى مباشرة، حدثت، بالدليل الثابت، في القرن السابع عشر[2]. ومن ناحية أخرى يجب أن تكون قد حدثت قبل المرحلة العثمانية لأن أبناء عائلة شيوخ المساعيد يحملون لقب أمير، وهو لقب لم يعد يمنح، حسب علمنا، بعد مجيء الأتراك[3].

حسب بوركهاردت (ص 21) يعني لقب أمراء المسعودي: أمير القدس، وهذا بالتأكيد لا يعني أمير مدينة القدس وإنما أمير منطقة جبل القدس. فقد خلفوا في هذه المنطقة أمراء الجرم[4]. ولم تزل عائلة الأمراء غنية ومحترمة.

تقتصر الآن منطقة سكن المساعيد، التي كانت في بداية القرن التاسع عشر تصل حتى البحر الميت، على وادي فارعة الذي يمارسون في جزئه الأسفل (القراوىٰ) العمل الزراعي. وفي الصيف يرحلون أحياناً مع قطعانهم إلى الجبال

(1) تل المنطار يكرم أيضاً كونه قبر شمشون.

(2) انظر مقال عمرو في فصل شرقي الأردن.

(3) إذا لم يكن اللقب مشتقاً من إمارة بني عقبة. تحت كلمة "الأتراك" (الصفحة 69 أعلاه) يكون المقصود في هذه الحالة المماليك.

(4) انظر مقال الجرامنة أدناه.

الواقعة شرق نابلس.

المساعيد(1)

شيخ المشايخ(2): الأمير عبد الله بن ضامن بن بركات بن خليل

العائلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ الإمارة(3)			
أ ـ عيال بركات(4)	الأمير عبد الله الضامن	وادي فارعة	8
ب ـ عيال دريعي(5)	الأمير سعود الدريعي		7
2 ـ الحناحنة(6)			
أ ـ الشريتح	حسن الشريتح		6
ب ـ الحليتم	عبودة الحليتم		6
جـ ـ أبو الحمايل	ذياب بن كابد		3
د ـ الخليفات	عقلة الخليفات		3
هـ ـ عبلات	عيد العبلات		4
و ـ البنادقة	أحمد السلامة		
ز ـ الصفيات	رحيل الصفيات		5
ح ـ الفقير (مضيات)	عقلة بن مضيات		5
ط ـ الحروب	محمد البابر		
عائلات ملحقة			
1 ـ الفحيلي(7)	ساكت الفحيلي		3
2 ـ الطلوح(8)	صالح العرزوق		2

عبيد(*)

1 ـ السميرات (المقابلة)(9)	خليل السميري	وادي فارعة	
2 ـ الشطي(10)	خضر النواتي		

ملاحظات

1 ـ وصف مصر، الجزء 16، ص 116، 122؛ انظر أيضاً مايو، الجزء الأول ص 94. روبنسون، أبحاث توراتية جديدة في فلسطين (1852م)، ص 400: 100 رجل على الخيول و100 رجل على الأقدام. ياوسن Coutumes des Arabes ص 403: 80 خيمة.

2 ـ بركات يذكر جد الأمير في: Palestine Exploration Fund، السنة 1906م، ص 36. ويذكر ياوسن ابنه ضامن.

3 ـ الوسم: O على الخد الأيمن و — على الأذن.

4 ـ صيحة الحرب: خيال الوادي!

5 ـ صيحة الحرب: راعي الراشدة (أحمدي)!

6 ـ جزئياً بني عقبة.

7 ـ انظر الجزء الأول، ص 541 و542.

8 ـ عنزة.

9 ـ صيحة الحرب: عبيد صبحة! الوسم — على الخد الأيمن، وكذلك التاليون.

10 ـ صيحة الحرب: عبيد الأميرة!

(*) راجع هامشنا ص66 الجزء الثاني (ماجد شبّر).

قبائل صغيرة في أريحا

يسكن في الغور الجنوبي عدد من القبائل الصغيرة التي توصف عموماً بأنها هتيم[1] وبالتالي لا تحظى بمكانة خاصة. وفي الحقيقة العرينات فقط هم من الهتيم، بينما البقية هم جماعات صغيرة متفرقة من قبائل أخرى ومن اللاجئين والعبيد. فقد كان الدوك والنويعمة، على سبيل المثال، عبيداً للجرامنة في أحد الأيام عندما كانت هذه القبيلة لم تزل تحكم الغور الأسفل. وبعد طرد الجرامنة انتقلوا إلى ملكية قبائل أخرى، إذ كان الدوك من نصيب الفهيدات والكعابنة، والنويعمة من نصيب النصيرات. وعندما تراجعت سلطة أسيادهم الجدد أصبحوا مستقلين.

الفهيدات هم أحفاد بني فهد الذين كانوا في العصور الوسطى يعيشون تحت حكم جرم[2] جنوب فلسطين وهم من ناحية النسب ينتمون إلى الزبيد[3]. وكان الفهيدات في القرن الثامن عشر قبيلة كبيرة تصل حتى غور بيسان[4] حيث يحافظ

(1) ستيزن، الجزء الثاني، ص 246 وما يليها.
(2) هذه هي القبيلة الأم للجرامنة.
(3) قلقشندي، صبح الأعشى، الجزء الأول، ص 322؛ مقريزي، قبائل عربية في مصر، ص 48. قارن أيضاً أسامة بن منقذ، درنبورغ، ص 20 وما بعدها (هجوم بني فهد عند البترا).
(4) وصف مصر، الجزء 16، ص 122.

اسم ناحية صحراء بني فهيد على ذكراهم هناك. كما أنهم تركوا هناك مجموعة انضمت إلى الصقر تحت اسم العليات.

يرجع الكعابنة شجرة نسبهم إلى كعب بن زهير، وهو شاعر في صدر الإسلام أصبح مشهوراً بقصيدته في مدح النبي (بانت سعاد). ولعل الأصح اعتبارهم جزءاً من كعابنة الخليل. إلا أن كعابنة الخليل قيسيون بينما كعابنة أريحا يعتبرون أنفسهم يمنيين. ويعود الفضل في حصولهم على أرضهم إلى هدية قدمها لهم أمير المساعيد.

وأخيراً يوجد بين بدو أريحا بعض المنفيين والمطرودين الذين جاؤوا من مصر، ألاَ وهم الصعايدة والسمنة. واسم الصعايدة مشتق من الصعيد في مصر العليا. ويقال إن جدهم جاء من هناك هرباً من ثأر للدم ثم استوطن في هذه المنطقة بعد تعرضه لبعض المخاطر.

ليس مؤكداً ما إذا كان للصعايدة علاقة بمن يسميهم شوماخر "عرب الصعيد". هؤلاء كانوا قبيلة في عجلون أبادها الأتراك في القرن الماضي حتى آخر رجل[1].

(1) مجلة الجمعية الألمانية ـ الفلسطينية، لايبزغ، العدد 38، ص 130، يوجد صعايدة في شمال فلسطين، أشكنازي، رقم 53.

قبائل صغيرة في أريحا(1)

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ العرينات(2)	عودة السويلم	الشتاء الغور ـ وادي فارعة	
		الصيف ـ بيت لحم؛ الوادية	
أ ـ القطعان	سليمان أبو الدبس		2
ب ـ المطاحيل	عودة السويلم		1
جـ ـ الشهبان	رشيد الشهبان		7
د ـ الطلاية	محمد الفريج		3
2 ـ الدوك(3)	سلامة العواد	الشتاء ـ الدوك	50
		الصيف ـ دير ديوان	
3 ـ النويعمة(4)	محمد سليم العواطلي		50
4 ـ الفهيدات(5)	حجاج أبو فهيد(6)		5
قبائل ملحقة			
ـ النويرات(7)	سالم العزام		7
5 ـ الكعابنة(8)	سعد النجوم	الشتاء ـ أريحا	
		الصيف ـ دير جرير	
أ ـ النجوم	سعد النجوم		5
ب ـ الفريجات(9)	عبد الله اليوسف		3
جـ ـ عطيفات	محمد الحماد		5
هـ ـ نصيرات(10)	عبيد الحفيظ بن نصير		2
و ـ الجماعات(11)	أحمد الجماعات		1
6 ـ الصعايدة(12)	أحمد		8

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
قبائل ملحقة			
السمنة (دبيسات)(13)	موسى الجدعان		15

ملاحظات

1 ـ بعض القبائل التالية مذكورون في قائمة توورويت Palestine Exploration Fund, London 1875م، ص 28.

2 ـ انظر جدول تياها في فصل سيناء. الوسم: — على الخد الأيمن و O— خلف الأذن اليمنى؛ وهذا الوسم الأخير مشتق من وسم لقبيلة الشرارات التي ينحدر منها العرينات، والوسم هو: O—+.

3 ـ صيحة الحرب: عبيد مريم! الوسم: / على الفخذ (لا يستعمل بسبب عدم وجود جمال لديهم).

4 ـ يجب فهمهم بين عبيد قائمة توورويت. صيحة الحرب: عبيد مريم! الوسم: T (لا يستعمل بسبب عدم وجود جمال لديهم).

5 ـ الوسم: — على الأذن اليمنى و / على الأذن اليسرى. صيحة الحرب: راعي الجديعة! في حالات الفرح ينشدون: نوخت حيران عبس بين ظل وبين شمس.

6 ـ قاض معروف، البرغوثي، محاكم عدلية بين بدو فلسطين، ص 11.

7 ـ بلاونة من غور أبو عبيدة، انظر فصل شرقي الأردن. صيحة الحرب: إخوة دلعب! الوسم: (على الأذن اليمنى.

8 ـ صيحة الحرب: صبيان الكعابنة! وسم النجوم غير معروف، وسم بقية الفروع: / على الخد الأيمن.

9 ـ ينحدرون من فرع الترابين الذي يحمل نفس الاسم (هـ ا جـ).

10 ـ من نفس القبيلة التي تحمل الاسم نفسه وستعالج في المقال القادم.

11 ـ من أصل غريب أيضاً.

12 ـ الوسم: / على الأنف والخد الأيمن.

13 ـ الوسم: / على الخد الأيمن؛ صيحة الحرب: دبيسات!

النصيرات

يستحق النصيرات اهتماماً أكبر مما تستحقه القبائل الصغيرة السابقة. صحيح أن الرحالة القدامى[1] لا يعتبرونهم من الطبقة الأولى ولكنهم بالرغم من هذا يتمتعون بسمعة دينية مباركة. وهذا ما يعبر عنه أيضاً شكل عملهم؛ فالفرع، الدواعرة (أبو يمين)، منظم على شكل رابطة أخوية دينية. وكما في أيام روبنسون، حيث كان الشيخ مصطفى أبو يمين[2] يمنح البركة، فإن الشيخ بركات أبو ميثا يعطى اليوم هذه البركة؛ وهو يتمتع بحق إعطاء الاسم في قبيلته. وعن جد الدواعرة تروى الحكاية التالية:

قبل 300 سنة قرر شريف من الحجاز اسمه ختمي الحج إلى القدس برفقة عبده. وفي مدائن صالح فقد المسافران جمليهما. ورفض مرافقوهما السماح لهما بالركوب على جمالهم وسخروا منهما. فجلس ختمي وعبده على حجر وقام الحجر بنقلهما إلى البقيعة على البحر الميت، إلى الشرق من بيت لحم. ولم يزل

(1) سيتزن، الجزء الثاني، ص 246 وما يليها، 266 وما يليها. سيتزن يتحدث فقط . . . دون أن يذكر اسم قبيلة النصيرات. ولكن الانتماء يظهر من أسماء الشيوخ. انظر روبنسون، الجزء الثاني، ص 558: "المخيمان أبو يمين وأبو ناصر يشكلان معاً قبيلة . . . ".

(2) روبنسون الجزء الثاني، ص 531 وما بعدها.

الحجر موجوداً هناك حتى اليوم؛ وله شكل الجمل مع مكانين لجلوس شخصين، وهو يحمل للذكرى اسم حجر الدواعرة[1]. وبعد ذلك تابع الشيخ ختمي وعبده رحلتهما إلى القدس. وهناك قام حاكم المدينة بزجهما في السجن، ولكن أبواب السجن انفتحت لهما تلقائياً. وهنا عرف الناس أنهما من الأولياء الصالحين وأهدوهما قرية صور باهر الواقعة في منتصف الطريق بين القدس وبيت لحم. وحظي الشيخ ختمي بتكريم عظيم من الناس. وكان له رسول خاص يوفده إلى رؤساء الفرق الصوفية لتبادل الرسائل. وهذا الرسول هو جد النصيرات[2].

من الواضح أن خاتمة هذه الحكاية ترمي إلى إقامة صلة وثيقة بين فرع النصيرات (أبو نصير) وفرع الدواعرة الذي أسسه الشيخ ختمي، ولكن هذه الصلة هي بالتأكيد ليست أصلية، كما أن الأصل المزعوم يتناقض مع الحكاية.

يسكن النصيرات في الصيف في المرصّص وفي الشتاء في أريحا والعديا الواقعة شمالها. ولهم أقرباء يعيشون في عجلون، وبالتحديد في قريتي الحصن والناطفة التابعتين لمنطقة بني عبيد[3].

في مطلع القرن التاسع عشر تراجع عددهم تراجعاً كبيراً. وكانوا في السابق محاربين أشداء شاركوا أيضاً في ثورة عام 1834م. ولقد استقلت اليوم العناصر الزنجية التي كانت في السابق موجودة بينهم[4]، انظر الصفحة 73 أعلاه. والنصيرات يمنيون.

(1) إلى هنا تصل الحكاية في Palestine Exploration Fund, London، 1874م، ص 68.

(2) هناك رواية أخرى تقول بأنهم أحفاد أحد أخوة الشيخ ختمي.

(3) ولكن هؤلاء لا يعترفون بهذه القرابة، انظر بيكه، ص 289.

(4) روبنسون، الجزء الثالث، ص 373؛ سيتزن، الجزء الثاني، ص 247، 297.

النصيرات

شيخ المشايخ : عايد الحلو

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ الدواعرة (الفهود)(1)	بركات أبو ميثا	أريحا	3
2 ـ النصيرات(2)	عايد الحلو	أريحا	15

ملاحظات

1 ـ صيحة الحرب : راعي الحريدة! الوسم : / على الأنف و على الخد الأيمن.

2 ـ صيحة الحرب : إخوة وطفة! الوسم : / على الخد الأيمن وجرح في الأذن اليمنى.

النفيعات

في قضاء حيفا الذي يمتد على الساحل باتجاه الجنوب حتى وادي الحوارث تقريباً يوجد قبيلة عربية كبيرة وحيدة هي قبيلة النفيعات. وهم، شأنهم شأن غالبية بدو المنطقة الساحلية، جاؤوا من الجنوب. وكانت قبيلتهم الأم تعيش في العصور الوسطى في سيناء[1]، لكنها هاجرت في وقت لاحق، باستثناء فرع واحد، إلى مصر[2].

يسكن النفيعات حول الخضيرة، وقد ورد ذكر لهم هناك منذ عام 1799م[3]. وكان شيخهم آنذاك الشيخ عبد الله السُّراب، الذي ما زالت عائلته حتى اليوم تتولى الحكم. وتنحدر عائلة السُّراب من أصل يختلف عن أصل النفيعات. فهي تنتمي إلى بني عقبة، وهم قبيلة من جذام لها وجود قوي بين سكان فلسطين وشرقي الأردن. والسُّرابات قوم محترمون ويعتنون بنسبهم النبيل.

(1) ورد ذكرها في عام 1001هـ/ 1593م، انظر شقير، تاريخ سيناء، ص 110.

(2) اليوم في محافظة الشرقية (1897م) Recensement Général de L'Égypte، الجزء الثالث، ص 13.

(3) وصف مصر، الجزء 16، ص 116 وما بعدها.

النفيعات

شيخ المشايخ: نمر حسن السيد؛ علي عبد الله

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ السرابات(1)	نمر حسن السيد؛ علي عبد الله	الخريبة	400
قبائل ملحقة			
1 ـ الشيخ حلو(2)			
2 ـ الحصيوات	سالم الإبراهيم		16
3 ـ العكاشة	محمد العكاشة		28
قبائل ملحقة			
1 ـ الحجاب(3)	العبد الحاجبي		54
2 ـ الدبلة(4)	محمد العطبة		20
3 ـ الحنوص(5)	محمد الأسعد		11
4 ـ المباركين(6)			

ملاحظات

1 ـ صيحة الحرب: راعي العليا! الوسم: C على الجهة اليسرى من الرقبة وجرح في رأس الأذن اليسرى.

2 ـ ينتمون إلى فرقة دينية تقوم بمعالجة المضطرين عقلياً والمصابين بمرض الكلب. وهم ينتسبون، مثلهم مثل كثير من قبائل الدراويش، إلى نعيم الجولان.

3 ـ بني مرة، والمعني بذلك سكان قرية تحمل الاسم نفسه واقعة قرب القدس.

4 ـ من الكرك.

5 ـ عبّاد من البلقاء.

6 ـ عبيد سود للحاجبي.

عرب الأمير الحارثي

في السهل الساحلي إلى الغرب من طولكرم، في وادي الحوارث، وجد أتباع أمير قبيلة حارثة، الذي كان في يوم من الأيام شخصاً بالغ الأهمية، ملاذاً. وكان بنو حارثة قبيلة من طي تنتمي إلى مجموعة سنبس[1] التي هاجرت إلى فلسطين في فجر الإسلام. وعندما قامت الحكومة الفاطمية في عام 442هـ/ 1050م بنقل السنبس إلى مصر[2] بقي بنو حارثة في فلسطين. وكانوا في العهد المملوكي يقيمون في منطقة جنين. ولم تزل المنطقة الواقعة جنوب خط جنين ـ بيسان تحمل حتى اليوم اسم "بلاد (بني) حارثة". كانوا آنذاك قابعين لآل مرا القبيلة الطائية الحاكمة في جنوب سورية[3]. وفي عام 803هـ/ 1400م قدموا قوات للفرقة العسكرية التي قدمها نعير، أمير الفضل، للسلطان المملوكي لمواجهة تيمور.

ورد ذكر عائلة شيوخ بني حارثة، ابن طرباي (طربية)، لأول مرة في بداية

---

(1) الحمداني عن القلقشندي، ص 188، لا يذكر هذا الانتماء، ولكن ابن خلدون يذكره، البربر، الجزء الأول، ص 13. وفي القرن السابع عشر كانت عائلة الأمراء تعيد نسبها إلى السنبس، محبي، الجزء الأول، ص 334، واليوم تعرف القبيلة على الأقل أصلها من طي وتعتبر نفسها من اليمنيين.

(2) المقريزي، قبائل عربية، ص 49.

(3) الحمداني عند القلقشندي، ص 188. ابن خلدون، البربر، الجزء الأول، ص 13؛ انظر الجزء الأول، ص 505 و504 وما يليها، نفس المصدر، ص 519.

القرن السادس عشر. وكانت تشيد بالسلطان سليم في غزة عندما كان في نهاية عام 1516م يزحف على مصر[1]. وكان رئيسهم آنذاك يشغل منصب "أمير الدربين"، أي أنه كان مسؤولاً عن أمن الطريقين العسكريين الكبيرين[2]. وبهذه الصفة كان أول من استقبل نبأ انتصار الأتراك قرب القاهرة. وهو الذي قدم أيضاً الخدمة للسلطان عند عودة الجيش إلى دمشق[3]. ويبدو أن هذا الأمير هو نفسه قراجا بن طرباي الذي قام جان بردى الغزالي[*]، أول حاكم عثماني لدمشق، عام 925هـ/ 1519م باعتقاله وشنقه مع شيوخ آخرين من جبل نابلس[4]. وانجرّ ابنه طرباي بن قراجا إلى الصراع الذي نشب عام 1520م بين جان بردى وأول حاكم عثماني لمصر، سيّىء السمعة خاير بك. فقد كان جان بردى، الذي كان قبل ذلك موظفاً مملوكياً كبيراً، يريد الاستقلال في سورية لكنه لم يلق الدعم من خاير بك، ثم انتقل النزاع بين الرجلين إلى القبائل البدوية الموجودة في المنطقة الحدودية السورية المصرية: السوالم (السوالمة) غربي غزة وبنو عطا في شرقي الأردن وبنو عطية في سيناء وقفوا إلى جانب دمشق، بينما وقف طرباي، طبعاً،

---

(1) فون هامر، تاريخ الدولة العثمانية، الجزء الثاني، ص 495.

(2) وهما الطريق المصرية المؤدية إلى القدس عبر لجوّن والطريق المؤدية إلى القدس عبر جنين. وعلى كلا الطريقين كان ابن طرباي وما زال حتى في القرن الثامن عشر يجبون رسم مرور، أنظر أدناه.

(3) ر. هارتمان، الشذرات التوبنغية من تاريخ ابن طولون، برلين 1929م، ص 120، 126.

(*) ولى السلطان سليم العثماني جان بردىٰ الغزالي أمر وحكم بلاد الشام بما فيها نابلس والقدس والكرك وغزة. وجان بردىٰ هذا هو من مماليك (الأشرف قايتباي) اشتراه وأعتقه، ثم عين مأموراً لقرية مصر تعرف باسم "منية غزال" فنسب إليها، وأخيراً كان قائداً عاماً للجيش الذي أرسله «طومان باي» لقتال السلطان سليم فانهزم في معركة غزة وفرّ وبعدها خان ملكه والتحق بالسلطان سليم وكان له عوناً على قهر "طومان باي" وفتح مصر وكافأه لخدمته فولاه السلطان العثماني ولاية الشام. (المصدر الأردن في التاريخ) (ماجد شبّر).

(4) ابن إياس، الجزء الثالث، ص 191، 244.

ضد جان بردى قاتل أبيه[1]. وعند سقوط جان بردى (1521م) ارتفعت أسهم طرباي عند الحكومة. وفي عام 938هـ/ 1531م ـ 1532م نفذ بناء قلعة أخيضر (الآن: الأخضر) التي ينبغي لها أن تحمي طريق الحج جنوب تبوك من هجمات بني لام[2].

كانت أراضي بني طرباي في القرن السادس عشر تشمل، بالإضافة إلى منطقة القبيلة، بلاد حارثة، وهي منطقة جنين وبيسان. تسمى هذه المنطقة عادة سنجق لجّون وكانت ممنوحة للطرباي وراثياً مقابل الولاء اوجا قلق[3].

وفي القرن التالي وسّعوا منطقتهم حتى البحر. وبعد أن ضاعت سلسلة الحكام فترة من الزمن عادت إلى الظهور لمجيء الأمير طرباي بن علي الذي توفي عام 1010هـ/ 1601م ـ 1602م[4]. وقد وسع ابنه أحمد (1601/ 1602م ـ 1647م) سلطة العائلة توسيعاً هاماً بأن استغل الاضطرابات السياسية التي حدثت في سورية آنذاك بسبب مطامح العائلات الأميرية المحلية من أمثال جانبولاد[*] في كلّس وابن صيفا في طرابلس وزعماء الدروز. وكان خصمه الرئيسي أمير لبنان، فخر الدين. وشارك أحمد عام 1613م مشاركة فعالة في التحالف الكبير الذي أدى إلى طرد فخر الدين من البلاد[5]. وبعد عودته عام 1618م حدثت مصالحة ولكن أحمد عقد عام 1622م

---

(1) المصدر السابق نفسه.

(2) جهان ـ نما، ص 523 وبعده محمد أديب، مناسك الحج، ص 75. كتب الاسم في الكتابين بشكل غير صحيح "طربان بن قراجا" ثم قام موزيل في كتابه "شمال الحجاز" ص 230 بتحويره مرة أخرى وسماه طربان بن فرّاج.

(3) جهان ـ نما، ص 554، 569.

(4) استناداً إلى محبّي، خلاصة الأثر، الجزء الأول، ص 221 وما بعدها؛ المقال المقصود نشره مرة أخرى فوستنفلد في كتابه: فخر الدين الأمير الدرزي ومعاصروه، الفصل 151.

(*) جانبولاد: أسرة كردية الأصل تحول اسمها إلى جانبلاط، وجانبولاد «تعني النفس الفولاذية» والذي حوّر إلى جانبلاط واشتهر من هذه الأسرة حسين باشا بن جانبلاط الذي عين حاكماً على كلّس. [بلاد الشام ومصر] عبد الكريم راخو دمشق 1967 ص 201. (ماجد شبّر).

(5) استناداً إلى «أخبار الأعياني في جبل دبنان Dubnan» ربما يكون لبنان! ص 259 ـ 326.

مرة أخرى حلفاً مع بشير قانصوه، أمير عجلون، ضد الزعيم الدرزي. لكن فخر الدين كان يقظاً واضطر خصومه إلى الهرب إلى الرملة. فتبعهم إلى هناك، إلاّ أنه انهزم. وفي العام التالي تكررت لعبة مشابهة. وبعد ذلك عقدت اتفاقية سلام تعهد بموجبها فخر الدين بهدم الحصن الذي كان قد بناه في حيفا وتعهد أحمد بن طرباي بحماية الطرق. ومنذ بادية الثلاثينات عاد أحمد مرة أخرى إلى العمل على إسقاط خصمه القديم[1]. وعندما سقط فخر الدين فعلاً عام 1633م وسّع أحمد منطقته نحو الغرب حتى حيفا وإلى ما وراء الكرمل. ونحو الجنوب وصل نفوذه إلى الكرك. وقدرت وارداته بحوالي 170,000 ليرة كان يدفع منها للسلطات المالية 24,000 ليرة[2].

حافظ الأمير أحمد على المناقب البدوية: فعندما طلب منه علي بن أحمد بن جانبولاد قتل يوسف بن صيفا الذي لجأ إليه والاستيلاء على الكنوز الهائلة التي كانت في حوزته، رفض الطلب وقال لضيفه إنه ليس لديه ما يقدمه له هدية سوى فرس أصيل لم يمتطيه أحد بعد وفاة أبيه.

توفي الأمير أحمد عام 1647م عن عمر يناهز الثمانين عاماً. وخلفه في الحكم ولداه زين[3] (1647م ـ 1660م) ومحِمْدِ (1660م ـ 1671م). ولم تكن أهمية محمد تقل عن أهمية أبيه، حسبما يستخلص المرء من وصف المندوب الفرنسي دارفيو[4] الذي قضى عنده في الستينات وقتاً طويلاً وعمل أحياناً سكرتيراً له. فقد عرف أحمد كيف يحافظ على السلطة التي أسسها أبوه وذلك عن طريق إقامة علاقات جيدة مع الموظفين الأتراك. وكان لديه حسب تقدير دارفيو أكثر من 5000 خيال

(1) روجيه، La Terre Sainte، باريس 1664م، ص 350 وما بعدها؛ انظر ص 346.

(2) دارفيو، رحلة، كوبنهاغن ولايبزغ، 1753م ـ 1756م، الجزء الثالث، ص 133؛ روجيه، ص 80 وما بعدها؛ أخبار الأعيان، ص 330 وما بعدها؛ تاريخ الناصرة، ص 46.

(3) حسب دارفيو، الجزء الثالث، ص 133، محبّي: «زين».

(4) دارفيو، الجزء الثالث، ص 85.

وكثير من الفلاحين. كما أن مكانته داخل عائلته التي كانت كثيرة التفرع ـ يذكر دارفيو 18 أميراً ـ كانت قوية أيضاً. عاش محمد مثل أبيه[1] على الطريقة البدوية في المخيم وكان يكره المدن. علماً بأنه لم يكن بأي حال معادياً للمدنية، بل بالعكس فقد كان رجلاً مثقفاً ومحبّاً للناس. توفي في جمادى الثاني عام 1082هـ/ 1671م ودفن في جنين[2]. حكم بعده ابن أخيه زبن. وبعد ابن زبن جاء يوسف بن علي، وهو آخر أمير مستقل في لجون؛ ففي عام 1677م سحب السنجق ونقل إلى سلطة أحمد باشا ترزي[3].

حافظت العائلة، طبعاً، على نفوذها الموروث في لجون وجنين؛ ففي عام 1697م كان الأمير شبلي لم يزل يجبي رسوم مرور على الطريق في المنطقتين، وفي عام 1726م كان الطرباي لا يزالون يملكون الكرمل[4]. ومذاك تختفي أخبار العائلة، فقد فقدت أهميتها في القرن الثامن عشر. وفي الوقت الحاضر نجدها في وادي الحوارث حيث وحدت بعض قبائل الساحل، مثل البلاونة والزبيدات، تحت سلطتها. وكان آخر أمير حارثي قد قتل عام 1870م على يد حسن الملحم من قبيلة الزبيدات. وبعد مقتله نشب خلاف حول إرثه بين أمير السردية الذي تربطه مع العائلة صلة قربى وبين الشيخ يوسف من قبيلة الكشوك المجاورة. فقد أجبر مجحم، أمير السردية، صبحا، البنت الوحيدة للأمير المقتول، على الزواج منه رغماً عنها لكن صبحا هربت مع الشيخ يوسف أبو كشك الذي خطفها بالقوة. وعلى إثر ذلك حدثت عدة معارك بين الطرفين انتهت أخيراً لصالح الشيخ يوسف بعد تدخل أمير المساعيد، سطم الفايز من بني صخر، والحاكم التركي المسؤول. وبعد ذلك تزوج أبو كشك صبحا واستولى على وادي الحوارث. لكن الأراضي

(1) سانديز، Sandys, Travailes, London...(رحلات)، لندن 1658م، ص 158.
(2) يبدو أن القبر لم يزل موجوداً حتى اليوم.
(3) مرادي، سلك الدرر، الجزء الرابع، ص 166.
(4) موندرل، رحلة من حلب إلى القدس، أوكسفورد، 1732م، ص 57 وما بعدها، 111؛ ب .آ .م. مايلر، وصف رحلة، فيينا ونورنبرغ، 1735م، ص 96.

انتقلت بعد ذلك إلى أيد أخرى عن طريق البيع وفي عام 1926م إلى الصهاينة. وأخيراً طرد السكان القدامى في يوليو/ تموز عام 1933م من أراضيهم بالقوة.

في عام 1928م لم يكن عرب الأمير الحارثي يضمون سوى ثلاث عائلات صغيرة، بالإضافة إلى أحفاد عبيد سابقين وبعض الأحرار من قبائل أخرى. كانوا وما زالوا يعيشون في الخيام، لكنهم يمارسون العمل الزراعي. وكان لديهم نحو 2000 شاة و 1000 جمل.

عرب الأمير الحارثي(1)

القبيلة	الشيخ	عدد الخيام
1 ـ الخرمات		2
2 ـ السرحان (غريفات)	حسن السرحان	3
3 ـ الكلبي(2)		1
قبائل ملحقة		
1 ـ دار عامر(3)	عبيد الله العامر	10
2 ـ دار غانم(3)	ذياب الغانم	10
3 ـ العوفية(4)	رحيم العوفي	20
4 ـ الطحامرة(5)	حمد أبو طحمير	5
5 ـ السروجية	فهيد السروجي	12

ملاحظات

1 ـ وصف مصر، الجزء 16، ص 118 وما بعدها، Palestine Exploration Fund 1873م، ص 105.

2 ـ هناك عائلة أخرى، عائلة مهنا، انقرضت.

3 ـ عبيد سود للأمير الحارثي.

4 ـ في الأصل عبيد، وفي وقت لاحق لاجئون عند الأمير ناصر الحارثي.
صيحة الحرب: داخون!.

5 ـ الوسم: ᒉ على الجهة اليمنى من الرقبة.

الكشوك

الكشوك هو اسم عائلة شيوخ تسكن في كفر سابا وبيار عدس مع أتباعها. ويعيد الكشوك شجرة نسبهم إلى طي، لكنهم في الحقيقة من أصل تركي[1] جاؤوا من مصر، بعد إقامة طويلة في بئر السبع، إلى المنطقة حيث التحقوا في بادئ الأمر بقبيلة المجانين.

يؤكد البرغوثي على الشكل الجميل لأبناء العائلة وعلى ذكائهم وسلوكهم المحترم. وهم يعتبرون أنفسهم قيسيين.

أمّا حماتهم السابقون، المجانين، فقد تقلصوا اليوم إلى عائلتين تسكن إحداهما عند الكشوك والأخرى عند النفيعات، لكنهما ما زالتا تتمتعان بمركز محترم لأنهما أقدم في المنطقة. كانت للمجانين في السابق علاقات وثيقة مع الأمراء الحارثيين. وبطلهم هو الشيخ حسن الصالح الذي يحفظ اسمه تل صغير قرب ملبّس. عاش قبل حوالي 120 عاماً ودخل في حرب مع الكشوك، الذين كان قد اختلف معهم، ومع السواركة في العوجا.

(1) برغوثي يعتقد بوجود قرابة مع الشيخ محمد بن كشك المذكور عند ابن إياس، الجزء الثالث، ص 28.

الكشوك(1)

شيخ المشايخ: شاكر بن محمد أبو كشك(2)

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ عيال محمود			8
2 ـ عيال يوسف			20
3 ـ عيال زبن			6
قبائل ملحقة			
1 ـ الزوايرة(3)	عيسى بزور		8
2 ـ اللبود(4)	موسى أبو لبد		7
3 ـ العرايشة(5)	محمد عودة		50
4 ـ الخولية(6)	إبراهيم الخولي	كفر سابا؛ بيار عدس	5
5 ـ العجاجرة(7)	حسن العجوري		15
6 ـ القرعان(8)	إبراهيم العويص		40
7 ـ المساطوة(8)			15
8 ـ المهور(9)	محمود المهر		
9 ـ الشوابكة(10)	حسن الشوبكي		30
10 ـ أبو قنديل(11)	يونس أبو قنديل		
11 ـ الخمايسة(12)			2
12 ـ الزواتين(12)			12

ملاحظات

1 ـ وصف مصر، الجزء 16، ص 116 وما بعدها؛ قارن 120 وما بعدها. صيحة الحرب: يا خيالة الرحمن! العائلات الكشوكية الأصلية الثلاث تستعمل الصيحة: خيّال الخيل! الوسم: Z على الفخذ الأيسر.

2 ـ سلسلة النسب: شاكر بن محمد بن فارس بن أسعد بن يوسف بن أحمد بن زيد بن سليمان بن صالح بن إبرهيم بن عيسى.

3 ـ من دير الزور.

4 ـ من يبنا.

5 ـ اسمهم يشير إلى أنهم من العريش ولكنهم يقولون إنهم أحيدات (انظر مقال ترابين).

6 ـ من غزة.

7 ـ من قرية عجور قرب الخليل.

8 ـ صيحة الحرب: عيال القرعة! الوسم: Λ على الورك. وهذا هو وسم الحويطات الذين يزعمون أنهم ينحدرون منهم (من الحويطات). قارن جدول الحويطات د 9).

9 ـ من بني سهيلة عند خان يونس، يزعمون أنهم من طي. صيحة الحرب: راعي الشقرا! الوسم: T على الفخذ.

10 ـ من شوبك. الوسم: □ على الورك.

11 ـ هناك من يقول إنهم من قطيا، وآخرون يقولون جرامنة.

12 ـ عبيد للكشوك.

السوالمة

السوالمة في العوجا هم آخر جزء من قبيلة مهمة كانت تسكن في نهاية العهد المملوكي في المحافظة المصرية الشرقية وإلى الأبعد نحو الشرق حول العريش. وقد ورد ذكرهم أول مرة خلال الاضطرابات التي حدثت في فترة حكم السلطان ملك ناصر محمد القصيرة (1495م ـ 1498)[1]. وعندما كان السلطان سليم (1516م) في طريقه إلى مصر بايعه جزء من القبيلة قرب غزة[2] بينما بقي جزء آخر في خدمة المماليك وقام بمضايقة الجيش العثماني المتقدم. وفي عام 1520م ثار السوالمة بسبب تدابير غير لبقة اتخذها محافظ الشرقية؛ أخمدت الثورة بعد تدخل شخصي من خاير بك حاكم مصر[3]. ولذلك وقف السوالمة في النزاع الذي نشب بين خاير بك وجان بردى غزالي حاكم دمشق إلى جانب الأخير. وبعد ذلك بوقت قصير هُجِّر السوالمة، كما يبدو، إلى فلسطين إذ إنهم كانوا في بداية القرن السابع عشر القبيلة السائدة بين يافا والرملة[4].

---

(1) ابن إياس، الجزء الثاني، ص 324. هناك ورد الاسم "سواملة" وفي مكان لاحق "سوالم"، الصحيح في الجزء الثالث، ص 94.

(2) غور GOR، الجزء الثاني، ص 495، الملاحظة، انظر ص 524.

(3) ابن إياس، الجزء الثالث، ص 94، 210 وما يليها.

(4) أخبار الأعيان، ص 304، 318.

في هذه الأثناء تقلص السوالمة كثيراً لكنهم ما زالوا يتمتعون بشيء من الاحترام. وفي الآونة الأخيرة انخفض عددهم أكثر بسبب تفشي مرض الزهري بينهم.

السوالمة(1)

شيخ المشايخ: ابن ذوقان

القبيلة	الشيخ	عدد الخيام
1 ـ ابن ذوقان	صبري بن محمود ذوقان	10
القبائل الملحقة		
1 ـ الحويطات		5
2 ـ ابن كعبة(2)	سعد بن كعبي	15
3 ـ جماعة درويش السالمي(3)	ضيف الله السالمي	12

ملاحظات

1 ـ صيحة الحرب: عيال سليم!.

2 ـ كعابنة.

3 ـ يزعمون أنهم ينحدرون من السليم في نجد، لكنهم في الحقيقة فلاحون من حمامة (شمال المجدل).

الجرامنة[1]

الجرامنة هو الاسم الجديد لقبيلة الجرم التي جاءت إلى فلسطين مع الهجرات القديمة جداً (طي). وقد ورد ذكرهم هنا في أيام الحروب الصليبية وكانوا آنذاك يسكنون من غزة نحو الداخل وحتى الخليل[2]. وفي العهد المملوكي أصبح الجرم القبيلة السائدة في جنوب فلسطين. وكان شيخهم يحمل في البداية لقب "مقدم" ثم أصبح يحمل لقب أمير. وكان مقر هؤلاء الأمراء في قرية قباب الساوية[3] في وادي الملح إلى الشرق من بئر السبع. في الغرب كان نفوذهم يصل إلى غزة وفي الشمال

---

(1) المقريزي، قبائل عربية في مصر، ص 47؛ حمداني في صبح الأعشى، الجزء الأول، ص 322. هناك قبيلة ثانية تحمل نفس الاسم كانت تسكن جنوب الكرك، لكنها تنتمي من ناحية النسب إلى قضاعة.

(2) ابن فضل الله العمري (توفي 1341)، تعريف، ص 80، يسمي عائلة الشيوخ آل فضل ابن حمى (صبح، الجزء الرابع، ص 211: حجى). في عهد السلطان برقوق (1382م ـ 1398م) كان اسم المقدم علي بن فضل، صبح، الجزء الرابع، ص 212، وفي وقت لاحق: عمر بن علي بن أبي بكر. Gaudefroy - Demombynes، ص 196.

(3) الإنس الجليل، الجزء الثاني، ص 430. الاسم الذي يزعم أنه مشتق من عائلة الأمراء بني ساوة، مشكوك فيه. ترجمة سوفير Sauvaire (تاريخ القدس والخليل، ص 231) تكتب: الشاورية وبني شاور. واليوم تسمى تلك القرية الواقعة بين الأنقاض ببساطة خربة القباب، موزيل، البتراء العربية، الجزء الثاني، ص 194.

حتى جبل نابلس[1]. وعندما حاول في عام 894هـ/ 1489م الأمير غير الراشد أبو العويس[*]، أو بالأحرى "وزيره" (الذي كان يسمى "الحاجب")، فرض ضريبة على فلاحي جبل القدس[2] باءت محاولته بالفشل بسبب تدخل كبار شيوخ المسلمين لدى الحكومة. وفي عام 899هـ/ 1494م حدث خلاف بين حاكم القدس وحاكم غزة حول تعيين أمير جديد. كان مرشح حاكم القدس محمد بن إبراهيم الود ياتي، el wed Jati، وكان مرشح حاكم غزة أبو العويس بن أبي بكر. واعتبرت القاهرة المسألة مهمة جداً إلى درجة أنها طلبت عقد اجتماع في غزة يحضره الحاكمان وقاضيا المدينتين. وهنا حصل الود ياتي على المنصب بعد أن كفل حاكم القدس جباية الضرائب المطلوبة ودفع مبلغ إضافي فوقها[3].

بعد وقت قصير من ذلك التاريخ يبدو أن إمارة الجرم فقدت شيئاً من أهميتها. فلم يرد ذكر لأمراء الجرم بين شيوخ البدو الذين زاروا السلطان سليم عند مروره قرب غزة في طريقه إلى مصر.

لا نجد في المراجع أي شيء عن الجرم في العهد العثماني. ولذلك فنحن مضطرون إلى الاعتماد على حكايات القبيلة حصراً. ولقد حافظت هذه الحكايات على ذكرى إقامة الجرم في وادي الملح. وتقول إن القبيلة هاجرت من هنا على ساحل البحر الميت وفي وادي الأردن إلى وادي فارعة. وليس هناك شك في أنها أقامت في تلك المناطق، إذ إن كثيراً من القبائل الموجودة هناك، ومنها الكعابنة والجهالين، تحتفظ بذكرى سيادة الجرم. وكان الدوك والنويعمة في أريحا عبيداً عند الجرم، وكان الفهيدات، هناك أيضاً، تحت حمايتهم[4]. أمّا العبيدية إلى

(1) ابن إياس، الجزء الأول، ص 342.

(2) في قرية الوادية نفسها لم تزل ذكرى الجرم حية.

(3) الإنس الجليل، الجزء الثاني، ص 676 وما بعدها، 698 وما بعدها.

(*) أبو عويسر كما يذكره (الإنس الجليل، الجزء الثاني، ص 346، ط 1973م/ دار الجيل (ماجد شبّر).

(4) انظر مقال: قبائل صغيرة في أريحا.

الشرق من بيت لحم فهم الذين خلفوهم[1]. وحتى وراء هذه المنطقة، عند عبّاد البلقا وعند البشاتوة إلى الجنوب من بحيرة طبرية، توجد بقايا من الجرامنة.

وحسب حكاية القبيلة انتهى حكم الجرم في وادي الأردن بسبب ثورة قامت بها القبائل الخاضعة بقيادة أمير المساعيد. فطرد الجرم نحو الساحل واستوطن جزء منهم في عوجا شمال يافا وجزء آخر جنوباً في وادي الصرار. لكنهم فقدوا في وقت لاحق الجزء الأكبر من هذه المنطقة لصالح جيرانهم الكشوك ـ المجانين في الشمال والجبارات في الجنوب. وعندما تمّ في نهاية القرن الماضي تسجيل جميع الملكيات العقارية في السجل العقاري (الطابو) تقاعس الجرامنة، بدافع الحذر من الاحتكاك بأجهزة الدولة كما هو الحال لدى جميع البدو، عن تسجيل أملاكهم ولذلك فقدوا حقوقهم فيها. ولم يبق لهم اليوم سوى القرى رأس العين، ومجدل يابا، ودير بلوط، والفجة، والمويلح إلى الشرق من يافا. وهم يسكنون في بيوت من حجر.

لا يوجد جرامنة أصليون إلا الفرعان السناقرة والدواقرة، اللذان لديهما نفس صيحة الحرب: عيال ضيغم. وهم لا يزوجون بناتهم للمجموعات الملتحقة بهم، وإنما يتزاوجون فقط مع العايد الذين نسبهم نقي أيضاً. وعلى الرغم من ذلك فقدوا قيادة القبيلة وأصبحت في يد الزررة.

يعتبر الجرامنة أنفسهم قيسيين متجاهلين أصلهم العربي الجنوبي.

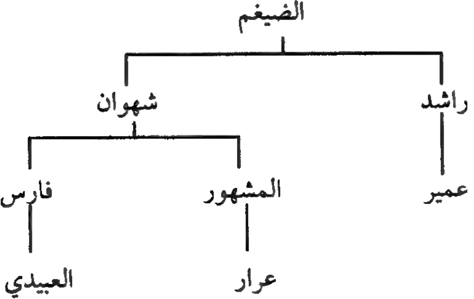
---

(1) لاحظ بوركهاردت، ص 21، الذي يذكر بقية من الجرم عند أريحا نفسها.

عائلتا الأمراء العرارات العويسات

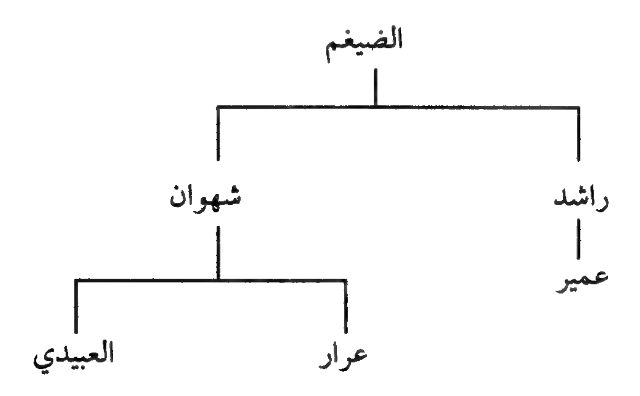
حافظت عائلة أمراء الجرم القديمة على نفسها لكنها فقدت صلتها بالقبيلة. وهي تتفرع إلى خطين حملا منذ زمن طويل لقب الشيخ في قريتي بني عمير ووادي الصرار التابعتين للرملة وتعيد الروايات المتناقلة أصلهم على الشكل التالي[1] إلى البطل الأسطوري الضيغم[2].

(1) عند البرغوثي تختلف هذه الشجرة بعض الشيء:



وإذا ما قارنا هذا مع ما كتبه بوركهاردت ص 192 (انظر أيضاً ص 326): "كان لدى سعود درع قديم ومشهور كان في يوم من الأيام لعرار الضيغمي الشهير، صاحب الحصان مشهور، وهو بطل معروف جداً في التاريخ العربي" فإننا نجد أنفسنا مضطرين إلى الظن أن البرغوثي وقع في خطأ بأن ظن أن "عرار فارس المشهور" هو اسم لثلاثة رجال هم: عرار وفارس ومشهور. وبناء على ذلك صححنا شجرة النسب أعلاه.

(2) قارن أيضاً بيكه، ص 260، حيث يجب قراءة ضيغم بدلاً من ضغيم.



لم يزل الضيغم، أو بالأحرى أحفاده الضياغمة، موجوداً في حكايات نجد أيضاً[1]. من العبيدي ينحدر العبيدية (انظر المقال الخاص بهم أدناه). وعرار هو جد خط العرارات الذين حكموا في وادي الصرار، وعمير هو جد العويسات السادة السابقين لمنطقة بني عمير. ولا شك في أن العويسات لهم صلة بالأمير أبو العويس المذكور في الصفحة 96 أعلاه، هذا مع صرف النظر عن موقف أبو العويس من عمير وشجرة النسب. وبما أنه كان هناك منذ القدم نوع من التوتر بين العويسات والعرارات مشابه للتوتر بين أبو العويس ومنافسه الود ياتي في العهد المملوكي، فإن البرغوثي لا يخطئ عندما يعتبر العرارات أحفاد الود ياتي.

كان العويسات يملكون إلى جانب منطقة بني عمير[2] منطقة بني حمار المجاورة لها شمالاً، لكنهم فقدوها في وقت مبكر لصالح العائلة النبيلة المعروفة "أبو غوش" من "قرية العنب". وكانوا يسكنون سابقاً في الخيم ثم استوطنوا قبل حوالى 60 عاماً في البرج وفي بير أماعين. وهم لم يعودوا اليوم يختلفون في المظهر عن محيطهم لكنهم ما زالوا يحملون لقب أمير.

(1) انظر الملاحظة السابقة ومقال شمر في فصل شمال ووسط شبه الجزيرة العربية (الجزء الثالث).

(2) يقع الجزء الأكبر من المنطقة شمال وادي الصرار، من برفيليا شرق الرملة حتى بيت نيتف في الجنوب.

يسمي العرارات أنفسهم الآن عيال الأمير ويعيشون عند العمارين الذين هم فرع من الجبارات. اسم أميرهم: سلامة بن الأمير يونس. وهم بالتأكيد المقصودون بـ "عرب الأمارة" الذين يذكرهم كتاب حملة نابليون، الجزء 16، ص116 وما بعدها، بين الرملة واللد بزعامة شيخ سلامة الأمير وهم يرافقون الحجاج في طريقهم إلى القدس، معلومة يقارن بشأنها نيبور، الجزيرة العربية ص 397.

الجرامنة

المختار: جمعة أبو زرّ

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ السناقرة(1)	محمد المصطفى		7
2 ـ الدواقرة	حسن اسماعيل		3
القبائل الملحقة			
1 ـ الوردات(2)	محمد أبو وردة		10
2 ـ الزررة(3)	جمعة أبو زرّ	شرق يافا	6
3 ـ العايد(4)	سالم العايدي		3
4 ـ أبو علوش(5)			4
5 ـ عبيد الوردات			3
6 ـ البخايتة			6

ملاحظات

1 ـ وصف مصر، الجزء 16، ص 118 وما بعدها، يذكرهم بين يافا ونابلس.

2 ـ في الأصل فلاحون من عرّابة قرب جنين.

3 ـ في الأصل فلاحون من بيت جبرين.

4 ـ انظر مقال الجبارات.

5 ـ الفروع الثلاثة الأخيرة عبيد زنوج ويتبع إلى أبو علوش للسناقرة، النجايتة للدواقرة.

السوطرية

يعيش السوطرية، الذين يسمون أيضاً السطرية، قرب الرملة. وهم ينحدرون في الأصل من خربة سطر الواقعة قرب خان يونس جنوب غزة والتي منها أخذوا أيضاً اسمهم. وقد بقيت مجموعات صغيرة منهم في الوطن حيث تعيش تحت حماية الترابين. وهناك فرع من السوطرية، الحطوب، لم يعد يعيشون في الخيام بل بنوا لأنفسهم قرية عند أبو الفضل قرب الرملة. أمّا البقية فيعيشون إلى الجنوب من منطقة السدرة. السوطرية يمنيون.

السوطرية(1)

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ الحطوب(2)	الحاج حسين عبد القادر	أبو الفضل	
أ ـ جماعة حسين عبد القادر			25
ب ـ الدواهيد	سلمان أبو داهود		10
جـ ـ عيال أبو حطب	حسن أبو حطب		24
د ـ عيال الحاج موسى	حسن أبو موسى		12
هـ ـ عيال محمود أبو عليان	أحمد أبو ديّة		12
و ـ الحميدات	إبراهيم أبو حميد		24
ز ـ عيال أبو حمدة	سليمان الشيخ أحمد		8
2 ـ الصيامات	حسين أبو سليمان	السدرة	40
3 ـ النقيرات	الحاج إبراهيم سالم		
أ ـ المصالحة	مصلح خليل		12
ب ـ عيال الحاج إبراهيم	الحاج إبراهيم سالم		
جـ ـ عيال سليمان حسن	سلمان بن حسن		8
د ـ عيال حسين أبو سالم	حسن أبو سالم		6

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
هـ ـ العيدة	الحاج محمود أبو عيد		12
و ـ النقيرات	مصلح أبو نقرة		20
ل ـ عيال برهم	برهم أبو نقيرة		16
قبائل ملحقة			
1 ـ الحمايدة(3)	الحاج سلمان الحاج سليم	السدرة	
أ ـ الخلايلة	صالح أبو عليان		15
ب ـ الشقاقرة	سلمان الحاج سليم		15
جـ ـ عيال عطية	جبر بن سلمة		9
د ـ عيال الحاج حسن	حسن أبو سليمان		11
هـ ـ المطور	عبد الله أبو مطر		14

ملاحظات

1 ـ على خريطة آرمسترونغ إلى الجنوب من يافا.

2 ـ الوسم: |O| على الجهة اليمنى من الرقبة.

3 ـ الحمايدة لا يتزاوجون مع السوطرية الحقيقيين.

قبائل صغيرة على الساحل

سنجمع في هذا المقال عدداً من القبائل التي تعيش أيضاً على الساحل بين حيفا ويافا ولكنها لا ترقى إلى مستوى القبائل التي عالجناها سابقاً، لا من ناحية العدد ولا من ناحية الأهمية التاريخية. وهي مثل هذه القبائل جاء معظمها من الجنوب.

بجانب وادي الحوارث تعيش قبيلتان كانتا سابقاً تتبعان الأمراء الحارثيين هما الزبيدات والبلاونة.

البلاونة فرع من قبيلة بلي المعروفة التي وطنها الأساسي في الحجاز ولكن لها أيضاً ممثلين في سيناء وجنوب فلسطين وفي وادي الأردن. ومن الممكن أن يكون بلاونة وادي الحوارث جاؤوا من سيناء لأن مجموعة من السواركة المقيمين في سيناء ملحقة بهم. تخيم القبيلة في الوادي في الشتاء فقط، أمّا في الصيف فتخيم عند أم خالد.

الزبيدات هم الجماعة الأبعد نحو الجنوب من الزبيديين الذين خرجوا من حوران وعالجناهم في فصل ما بين النهرين «العراق الشمالي" . وهم ما زالوا يستعملون صيحة الحرب القديمة التي كانت تستعملها زبيد وهي: أولاد جبر!، وإلى جانبها الصيحة التي يستعملها أقرباؤهم عند الصقر: راعي البويضة! كان الزبيدات يعيشون في السابق، مثل حماتهم بني طرباي، في جبل نابلس[1]، وهم

(1) وصف مصر، الجزء السادس عشر، ص 118 وما بعدها.

يسكنون حالياً في وادي الحوارث وفي بعض الأحيان في كفر صور وكفر زيباد جنوب شرق طولكرم. وبعد مقتل آخر أمير حارثي اضطروا إلى الهرب من الوادي، لكنهم أعيدوا إليه في وقت لاحق. وهم يعملون في الزراعة وتربية المواشي.

القطاطوة أيضاً، كالبلاونة، مهاجرون جاؤوا من الجنوب. والبدو الذين يحملون هذا الاسم منتشرون كثيراً بين قبائل الجنوب. وهم جميعاً ينحدرون من قطية (غرب العريش) في سيناء. ولم يزل للقطاطوة الذين نتحدث عنهم هنا علاقات مع أبناء قبيلتهم الموجودين عند بئر السبع. وهم يسكنون بين وادي الحوارث وبيارة حانون.

في قرية بيارة حانون وإلى الجنوب منها قرب قلنسوة وفرديسية تعيش جماعتان صغيرتان من الحويطات الذين هاجروا قبل حوالي 150 عاماً من موطنهم قرب معان. تسمي الجماعة الأولى نفسها حويطات وهي تنتمي إلى فرع المناجعة من القبيلة الأم (ب 6) لكنها استقبلت أيضاً بعض أبناء الطقاطقة (آ 6 جـ) والحويطات المصرية. أمّا الجماعة الثانية فتسمى الهزاهزة. وهي منبعثة عن قبيلة فرعية من حويطات ابن جازي (آ 3 ب) تحمل الاسم نفسه «أنظر 436 ـ 438 من هذا الجزء».

تبدأ منطقة نفوذ الجرامنة السابقة عند قلنسوة. ولم تزل القبيلة الصغيرة المقيمة هناك، قبيلة الملالحة، تستعمل صيحتهم للحرب: آل ضيغم! وهم يعيشون حالياً تحت حماية الكشوك الذين انضمت إليهم منهم 8 خيام. يسكن الجزء الرئيسي من الملالحة جنوب حيفا وهم يعاملون بين القبائل الموجودة هناك معاملة خاصة.

وبينما أصبح الملالحة فلاحين فما زال جيرانهم الرميلات يتنقلون في منطقة واسعة بين طولكرم والعوجا. وبين وقت وآخر يزورون أقرباءهم الذين يعيشون مع السواركة في منطقة العريش.

هناك مجموعة من السواركة أنفسهم تقدمت أيضاً حتى العوجا. ويعتقد بأنها موجودة في البلاد منذ حوالي 150 عاماً. يعمل السواركة اليوم بصفة عمال زراعيين في المستوطنات اليهودية لكن ذكريات الماضي ما زالت حية في نفوسهم كما هي

طبيعة البدو الأصلاء. فهم يروون القصص عن حرب نشبت قبل حوالى 120 عاماً بين الكشوك والمجانين (انظر ص 88 أعلاه) قاتلوا فيها هم أنفسهم إلى جانب الكشوك. وهناك قصة أخرى مشهورة من تاريخهم هي قصة النزاع بين القبيلتين الفرعيتين الحققة والدلادمة. بدأ النزاع بمحاولة بدوي من الحققة الاعتداء على شرف فتاة من القبيلة الشقيقة، وانتهى بهجرة الحققة فترة من الزمن إلى وادي عارة شمال طولكرم.

السواركة قيسيون. وفي الحرب يطلبون العون من جد القبيلة بالنداء: يا جدّنا عكاشة!.

قبائل صغيرة على الساحل(1)

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ السويطات(2)		الخريبة ـ الكرمل ـ	10
2 ـ الهياكلة(3)	شتيوي أبو هيكل	طولكرم	2
3 ـ الزبيدات	علي الخالد	وادي الحوارث	15
أ ـ عايلة أبو جاسر	فياض أبو جاسر		
ب ـ ملحم	حسن الملحم		
جـ ـ خالد	علي الخالد		
قبائل ملحقة			
1 ـ الزعيرات(4)			
2 ـ الجماعنة(5)			
4 ـ البلاونة(6)	سالم أبو عودة	طولكرم	20
أ ـ السحمة	سالم أبو عودة		25

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
ب ـ غثامين (الزبالة)	ظاهر الغثامين		
جـ ـ الهروف	محمد أبو اللوى		25
د ـ القواعين	سعد أبو جمعة		10
هـ ـ قرينات	سد أبو جمعة		4
قبائل ملحقة			
1 ـ الدلاخات(7)	عوض أبو دلاخ		4
2 ـ جهينة	حسن الجهيني		1
5 ـ القطاطوة(8)	سالم أبو حسين	طولكرم	15(10)
6 ـ الحويطات(9)	نصر الله أبو جرادة	طولكرم	8(11)
7 ـ الهزاهزة(9)	إسماعيل بن سلمى الهزهوزي	طولكرم	8
8 ـ الملالحة	علي أبو ملوح	قلنسوة	
9 ـ الرميلات	سليمان أبو عتيق	طولكرم ـ العوجا	14
10 ـ السواركة	حماد دلدوم	العوجا	
أ ـ الدلادمة(12)	حمّاد دلدوم		28
ب ـ الحققة(13)	سالم أبو حق		8
جـ ـ العدايسة			
د ـ الزيادات			
هـ ـ الكوزة			
و ـ البريصات			

ملاحظات

1 ـ القبائل مرتبة من الشمال إلى الجنوب.

2 ـ السويطات ممثلون أيضاً في قضاء عكا، انظر مقال: قبائل صغيرة في شمال فلسطين، الملاحظة 13، روبنسون، الجزء الثالث، ص 885؛ أشكنازي رقم 57.

3 ـ 15 من أبناء القبيلة و20 عبداً! كان الهياكلة في الأصل فلاحين في قرية الحمامة قرب المجدل. وهناك صلة قرابة بينهم وبين عائلة دار الهيكل في يافا.

4 ـ انقرضوا عام 1929م.

5 ـ عبيد عند الزبيدات، وهم يسمّون باسم جد القبيلة جمعة.

6 ـ الوسم: Ր على الورك الأيمن. صيحة الحرب: راعي العليا!

7 ـ من فرع العردات التابع لسواركة سيناء.

8 ـ الوسم: X .

9 ـ الوسم: Λ على الفخذ الأيسر؛ صيحة الحرب: إخوة صالحة!

10 ـ 50 نسمة.

11 ـ 36 نسمة.

12 ـ من فرع العردات التابع لسواركة سيناء؛ الوسم: / (عامود) على الورك الأيسر.

13 ـ من سواركة ـ الزبيدات؛ الوسم: ▽ (زناد) على الورك الأيسر.

السواحرة

عندما نتحول أخيراً إلى البحر الميت نجد في الجزء الشمالي من صحراء يودا «يهودا»، بين أبو ديس والبقيعة، السواحرة الذين أخذوا اسمهم من قرية "خربة ساحور" . وهم فرع منفصل عن بني عقبة. وهم يستعملون أيضاً عبارة "بني عقبة" ! كصيحة حرب.

تقول حكايات القبيلة أن السواحرة تركوا الحجاز لأنهم ضاقوا ذرعاً بالضرائب العالية التي فرضها عليهم الشرفاء هناك. وبعد إقامة طويلة في الكرك في شرقي الأردن هاجروا مرة أخرى وجاؤوا في نهاية المطاف، بقيادة عليّان الأقرع وأحمد الهلسة[1]، إلى خربة بيت ساحور قرب بيت لحم. وقد أصبحوا فلاحين.

وهناك قرابة بين السواحرة والعائلتين القدسيتين «من القدس»، الدزدار والعسلي.

السواحرة(1)

شيخ المشايخ: حمدان موسى(2)

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ الجعافرة	حمدان موسى		
أ ـ عيلة خليل	محمد الأعرج		10
ب ـ عيلة جعفر	عبد القادر حسن		10
جـ ـ الجعابيص(3)	حمدان موسى		8
د ـ مشهور	حسن المشهور		8
هـ ـ العويسات	داود المعلى	أبو ديس ـ البقيعة	10
2 ـ الهلسة			
أ ـ الشقيرات	إبراهيم حسن شقير(4)		
1 ـ شقير	إبراهيم حسن شقير		5
2 ـ مطر	إبراهيم مطر		15

(1) هؤلاء هم أجداد القبيلتين الفرعيتين الجعافرة والهلسة، اللتين تتألف منهما القبيلة. وقبل هذين الشيخين تذكر الحكايات أن شيخاً آخراً كان قد تولى القيادة هو الشيخ أبو مرقّعة.

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
ب ـ العبيدات	مهنا أسعد(5)		
1 ـ الجمال	محمد داود		4
2 ـ عيلة مهنا	مهنا اسعد(5)		9
جـ ـ الهلسة	حجازي محمد		
1 ـ عدوي	موسى صوان	ابو ديس ـ البقيعة	5
2 ـ حجازي	حجازي محمد		4
د ـ الزعاترة	محمد أبو حديد		
1 ـ عيلة زرعي	عيد المسعود		10
2 ـ عيلة كنعان	محمد أبو حديد		

ملاحظات

1 ـ غارماني، ص 135 وما بعدها Il Neged Settentrionale، ص28، Liste Tyrwhitt, Palestine Exploration Fund, London, 1857.

2 ـ في السابق كانت تحكم عائلة حسين حجازي (2 جـ 2)؛ الوسم: \ على الخد الأيسر وجروح معينة لكل عائلة.

3 ـ يجب أن يكون جعباص هو دزدار (قائد قلعة) القدس الذي تنحدر منه عائلة دزدار.

4 ـ الآن: علي الشخير.

5 ـ الآن: علي أسعد.

العبيدية

جنوب السواحرة في وادي النار، خلّف الجرم وراءهم، عندما اضطروا إلى الخروج من هذه المنطقة، مجموعة صغيرة تحمل اسم العبيدية نسبة إلى جدها العبيدي[1]. وحسب الروايات المسيحية تسكن القبيلة هنا منذ القرن الخامس عشر. فقد ظلت فترة طويلة من الزمن تخيف دير تيو دوسيوس ودير القديس سابا[2]. وتزعم حكايات الرهبان[3] أن العبيدية كانوا في الأصل "عبيداً" (وحراساً) لدير سابا، لكن هذا الزعم يتناقض مع الحكايات العربية.

أصبح العبيدية اليوم مستقرين، وهم يقيمون في قرى نذكر منها، على سبيل المثال، قرية "دير ابن عبيد"، لكن نسبهم الرفيع معروف على نطاق واسع، وبناتهم ذكيات وجميلات ومرغوبات للزواج. صيحة الحرب عندهم: صبيان الضياغمة! ولهم أقرباء يسكنون في عرابّه وسيلة قرب جنين.

(1) قارن مشجرة النسب ص 99 أعلاه. العبيدي مدفون في عين الرقيق.

(2) هناك رسالة من البطرك دوسيتيوس إلى شيوخهم (1690م) يشكو فيها من إلحاقهم ضرر بدير سابا، لم تزل موجودة.

(3) أيضاً Palestine Exploration Fund 1875م، ص 28.

العبيديّة(1)

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ عصاة(2)	محمد عودة الله(3)		
أ ـ دراوشة	حسين الحمدان		12
ب ـ عيال خلفة	محمد عودة الله		12
جـ ـ الربابعة	عطية العليان		30
2 ـ الردايدة(2)	عوض العبد الله		
أ ـ مراعنة	جدوع المحمد	وادي النار	10
ب ـ الردايدة	علي الحسن		10
3 ـ الحساسنة	عوض الله العبد الله		
أ ـ عيلة محيسن	يوسف الخطيب		12
ب ـ عيلة صالح	عوض الله العبد الله		11
4 ـ السرحان(4)	حمدان المصلح		12

ملاحظات

1 ـ مايوه، الجزء الأول، ص 79 وما بعدها. سيتزن، الجزء الثاني، ص 212.

2 ـ الوسم: / على الأنف والخد.

3 ـ الآن: موسىٰ عودة اللّه.

4 ـ الوسم: \ على الأنف والخد.

الرشايدة

لم يزل الرشايدة، في المنطقة الواقعة خلف عين جدي، متمسكين بعادات البدو وطريقة حياتهم، لكنهم لا يتمتعون باعتبار كبير. ولا يعود السبب في ذلك إلى نسبهم وإنما إلى حادث تاريخي ما[1]. إذ إن صيحة النصر عندهم "صبيان عبس!" تدل على أنهم من ناحية النسب قيسيون. ومن الناحية السياسية أيضاً ينتمون، على عكس جيرانهم، إلى حزب قيس.

(1) حسب البرغوثي! ولكن العبس الحاليين ـ قارن صيحة الحرب ـ انظر بوركهاردت، ص 323.

الرشايدة(1)

شيخ المشايخ: حمد أبو قرينات

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ الصقور(2)	حمد أبو قرينات		
أ ـ صقور			8
ب ـ قرينات			7
2 ـ جريات(3)	جدوع السعيدات		
أ ـ جريات		عين جدي	2
ب ـ سعيدات			3
3 ـ الرشايدة(4)	محمد الصانع		
أ ـ رشايدة			4
ب ـ بصايصة			3

ملاحظات

1 ـ أقدم ذكر للقبيلة: سيتزن (1806) الجزء الثاني، ص 220 وما بعدها. المقصود بذلك التترابين (الجزء الرابع، 1، 115). الإسم مأخوذ من حكاية عن انفصالهم عن عبس (في الواقع ذبيان) الذين انتهكوا في يوم من الأيام معاهدة صلح وتسببوا في نشوب حرب بين أبناء القبيلة الواحدة (الجزء الرابع، 1، 137، 4) أيوب صبري، 3، 247).

2 ـ الوسم: | على الصدغ (السالف) الأيمن، بالإضافة إلى | على الأذن اليمنى و || على الأذن اليسرى.

3 ـ الوسم: | على الأذن اليمنى.

4 ـ الوسم: / على الجهة اليسرى من الأنف.

التعامرة

التعامرة، المجاورون للعبيدية، هم الآن من أكبر قبائل فلسطين إذ لا يقل عدد خيامهم عن 700 خيمة. وفي عام 1838م لم يكن عددهم يزيد على 300 شخص[1]، وهذا يعني أنهم تزايدوا تزايداً كبيراً في هذه الأثناء. ويعود هذا الحدث غير العادي، من الناحية الأولى، إلى توسع الزراعة، ومن الناحية الثانية، إلى التزايد الذي نجم عن انضمام أجزاء من عمرو شرقي الأردن إلى التعامرة.

والتعامرة هم في الأصل، مثل بدو فلسطين الآخرين، فلاحون مقيمون في بيت (خربة) تعمور عند أسفل فريديس جنوب شرق بيت لحم[2]. ومن هذه القرية حصلوا على اسمهم التعامرة. وهم يعيدون نسبهم إلى قبيلة في وادي موسى (البترا) هي قبيلة بني حارث[3]. ولذلك تقول صيحتهم للحرب: صبيان بني حارث!.

شارك التعامرة في الثورة الكبرى التي حدثت عام 1834م، لكن الحكومة نزعت أسلحتهم وأجبرتهم على دفع الضريبة التي فرضها إبراهيم باشا وقدرها 100 قرش على كل رجل[4].

---

(1) روبنسون، الجزء الثاني، ص 400 وما بعدها. كنسوس 1931م: 4108 نسمة.

(2) سيتزن، الجزء الثاني، ص 221.

(3) غارماني، ص 133.

(4) روبنسون، نفس المصدر السابق.

طريقة حياة القبيلة فقيرة مثل بقية قبائل صحراء يودا. وليس للتعامرة مكان إقامة ثابت. في الصيف ينصبون خيامهم في الجبل وفي الشتاء على ساحل البحر الميت.

التعامرة يمنيون ولهم أقرباء في الطفيلة (شرقي الأردن) وفي برير قرب غزة.

التعامرة(1)

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ السعدة			
أ ـ شرايعة(2)	سليمان إسماعيل حماد		
1 ـ زواتين	حسن القاضي		75
2 ـ مساعدة	عبد النبي العبد الله		75
ب ـ شوادرة(3)	حمدان مسلم		
1 ـ عيلة صلاح	سالم الخطيب(4)		70
2 ـ شوادرة	عبد الله الدرعاوي(5)	في الصيف: الفريديس في الشتاء: الغور	80
2 ـ العبيات	سليم سليمان الحميدة؛ سليمان الوحش		
أ ـ حسينات(6)	عبد المحسن أبو دية(7)		50
ب ـ النوادرة(6)	موسى الحمد		50
جـ ـ المحاربة(8)	إبراهيم السلامة		100
3 ـ الحجاجحة(9)	حسن بن محمد بن صفي ابن مصطفى الزير		

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
أ ـ عيلة سالم	يوسف السليمان		100
ب ـ العساكرة	الحاج محمد السعيد	في الصيف: الفريديس في الشتاء: الغور	40
جـ ـ الصلاحات	سليم الحاج		60

ملاحظات

1 ـ أقدم ذكر لهم عند مرادي، الجزء الرابع، ص 95، بداية القرن الثامن عشر. القبائل الفرعية الثلاث ذكرت عند غارماني، ص 134 وما بعدها.

2 ـ الوسم: ╲ على الخد الأيمن.

3 ـ الوسم: ○ على الخد الأيمن.

4 ـ أحد أحفاد الخطيب المذكور عند روبنسون، الجزء الثاني، ص 402 (المتحدث باسم القبيلة أو كاتبها).

5 ـ تجمع العائلة في يدها منصب قاضي المنشد (للخلافات المتعلقة بالملكية) ومنقع الدم (للأذى الجسدي والقتل).

6 ـ الوسم: ╲ على الخد الأيمن.

7 ـ تتولى العائلة منصب العالِم (انظر مقدمة فصل شرقي الأردن في نهايته).

8 ـ الوسم: / على الخدين.

9 ـ عمرو من الكرك.

الجهالين

بينما كانت القبائل السابقة تنتمي إلى ناحية بيت لحم يتبع الجهالين لقضاء الخليل. فهم يسكنون في وادي سيّال في منطقة مصفرة «مسفرة»، وفي الصيف يرحلون شمالاً حتى يطّا (جنوب الخليل). يعمل الجهالين في تربية المواشي ويمارسون بعض الأعمال الزراعية. ويتزودون بالمياه من أحواض اصطناعية لتجميع مياه المطر. وعندما تنضب هذه الأحواض في أواخر الصيف تساق الحيوانات إلى ينابيع كرمل، التي للجهالين حصة فيها كجيرانهم الكعابنة[1].

يعتبر الجهالين منطقة حسما في شمال الحجاز وطناً لهم ويزعمون أنهم جاؤوا إلى منطقتهم الحالية في بداية العصر الإسلامي.

خاضت القبيلة حروباً كثيرة مع سكان قرية يطّا. وقد اضطرت مرة إلى ترك منطقتها والهرب إلى بئر السبع لعند التياها. لكنها حققت، بصورة عامة، كثيراً من الانتصارات؛ إذ إن يطّا اضطرت في النهاية إلى التخلي لهم عن منطقة خشوم بيوض قرب عراد.

في النصف الأول من القرن التاسع عشر كان الجهالين ما زالوا محاربين أقوياء وكانوا يغزون البلقا وسيناء ومنطقة غزة. وكانوا يقدمون للرحالة الأوروبيين خدمات

---

(1) روبنسون، الجزء الثالث، ص 7.

إرشادية (أدلاء)[1]. وهم ينتمون إلى "حزب" قيس.

الجهالين(1)

شيخ المشايخ: عبد العزيز أبو داهوك(2)

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ الدواهيك(3)	عبد العزيز أبو داهوك		29
أ ـ الدواهيك	عبد العزيز أبو داهوك		
ب ـ الغوانمة	محمد بن حمّاد		14
جـ ـ الكرشات	حسن بن صباح		7
قبائل ملحقة			
ـ النعرات			3
2 ـ الصرايعة(4)	سليمان بن هذلان سلامة الفقير	في الشتاء: وادي سيال/ في الصيف: يطّا	
أ ـ الهذالين	سلمان بن هذلان		12
ب ـ التبنة	حسن بن زايد		15
جـ ـ الفقرا(5)	سلامة الفقير		15
د ـ الحمّادين	حسن الحمّادين		10
3 ـ السلامات(6)	علي أبو غالية إبراهيم الهرش(7)		45

(1) سيتزن، Irby und Mangles، روبنسون، لانج، دي سولسي، تريسترام، Due de Luynes، غراي هيل.

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
أ ـ الهروش	إبراهيم الهرش(7)		
ب ـ البيسات	إبراهيم البيس	في الشتاء: وادي سيال	45
جـ ـ الغوالية	علي أبو غالية	في الصيف: يطّا	45
د ـ السيايلة	بنية بن علي		

ملاحظات

1 ـ روبنسون، الجزء الثالث، ص 5 وما يليها: 150 رجلاً، 22 حصاناً، 200 جمل. تتولى عائلات الشيوخ الأربع: أبو داهوك، والهذالين، وأبو غالية، والهرش، منصب قاضي النزاعات الناجمة عن الأذى الجسدي والقتل، ولذلك تسمى مخاطيط الدم.

2 ـ الآن: موسىٰ أبو داهوك. عائلة الشيوخ أبو داهوك يذكرها الرحالة منذ الستينات.

3 ـ صيحة الحرب: إخوة رمحة، راعي المليحة! الوسم: ⌒ على الجهة اليمنى من رقبة الجمال وعلى الأذن اليسرى للغنم، بالأضافة إلى ـــ على الصدغ.

4 ـ صيحة الحرب: إخوات صبحة؛ الوسم: / على الخد و ⌒ على الرقبة.

5 ـ ينتمون إلى جماعة دينية.

6 ـ صيحة الحرب: إخوة رمحة! الوسم: ◡ على رقبة الجمال وعلى الأذن اليمنى للغنم؛ بالإضافة إلى / على الخد الأيمن.

7 ـ الآن: سالم الهرش.

الكعابنة

كعابنة ناحية الخليل هم، على عكس القبيلة التي تحمل الاسم نفسه عند أريحا والمسماة كعابنة المصفرة، قبيلة غير مؤكدة الأصل؛ فهم أنفسهم يقولون إنهم ينحدرون من كعابنة بني صخر، إلا أنهم في الحقيقة قد يكونون من قبيلة الفلاحين التي تحمل نفس الاسم والموجودة في البلقا[1].

تعود ذكريات الكعابنة إلى الوراء حتى العهد العباسي المبكر. وهم يقولون إنهم حاربوا في رجوم اللغمة بقيادة جد عائلة شيوخهم ابن نجدي مع ابن بيهس زعيم اليمنيين[2]. وبالفعل ما زال الكعابنة حتى اليوم ينتسبون، مثل الجزء الأكبر من منطقة الخليل، إلى حزب قيس. وتتحدث حكايات القبيلة عن حكم الضيغم؛ والمقصود بذلك هم أمراء قبيلة الجرم التي كانت تحكم فعلاً في العهد المملوكي في هذه المنطقة.

في القرن التاسع عشر انضم إلى الكعابنة مثل التعامرة جماعات من عمرو من الكرك، من بينهم: البسايطة، والهتيميين، والطعيمات (1 ز، ح، ط، من الجدول).

---

(1) حسب غارماني، ص 4. قارن الصفحة 238 أدناه.

(2) شارك ابن بيهس في ثورة أبو حرب الذي ثار عام 227هـ/ 841م ـ 842م في فلسطين ضد العباسيين. وكانت الثورة ذات صبغة دينية، إذ كان أبو حرب يرتدي حجاباً مشابهاً للحجاب الذي يرتديه النبي المعروف في لالا روخ في خراسان، وقد كانوا يعتبرونه السفياني، أي المهدي الذي ينتظر مجيئه بنو أمية، الطبري، الجزء الثالث، ص 1319 وما يليها.

الكعابنة نصف رُحّل. في الشتاء ينصبون خيامهم في منطقة المصفرة، وفي الصيف قرب يطا. أما القبيلة الفرعية الظويعيين فتخيم حول بني نعيم. وتتقاطع منطقتهم في بعض المواقع مع منطقة الجهالين الذين تنشب أحياناً عداوات بينهم وبين الكعابنة.

الكعابنة(1)

شيخ المشايخ: سليم بن نجدي

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ زويديين(2)			
أ ـ رشيدات(3)	هبيشان أبو رشيد		9
ب ـ عمرين	سليمان عويظة		5
جـ ـ أبو غويرية(3)	سلمان أبو غويرية		3
د ـ ظويّعين(4)	سلمان ظويعين		8
هـ ـ بريدات(4)	محمد البريدات		3
و ـ خلايفة(4)	مسلّم الخلايفة		4
ز ـ البسايطة	عودة البسايطة	المصفرة	4
ح ـ الهتيميين(5)	بنية بن صالح الهتيم		2
ط ـ الطعيمات(5)	عودة الله الطعيمات		5
2 ـ الفرجات(6)			
أ ـ ابن نجدي	سليم بن نجدي		15
ب ـ البراقة	عايد البراقة		10
جـ ـ المليحات			12
د ـ القرب			15

ملاحظات

1 ـ قارن قائمة توررويت، Palestine Exploration Fund 1875م، ص 28؛ جدول آرمسترونغ.

2 ـ صيحة الحرب للجميع باستثناء الفروع (ز، ح، ط:): راعي المليحة!

3 ـ الوسم: على الرقبة.

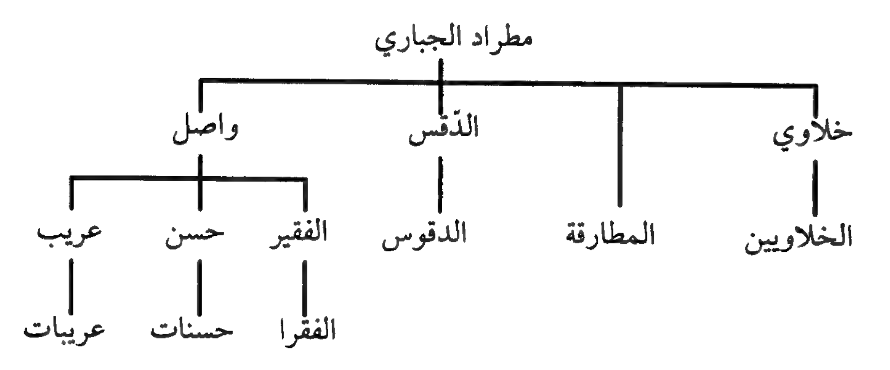
4 ـ الوسم: على الرقبة.

5 ـ صيحة الحرب: بني عقبة! الوسم: على أذن الأغنام وعلى رقبة الجمال.

6 ـ صيحة الحرب: عيال ريمه! الوسم: على الرقبة.

الجبارات

يعيش الجبارات حول عَراق المنشية (شمال شرق غزة) وهم اتحاد حر ضعيف الارتباط، الأمر الذي يعد نموذجياً بالنسبة لجنوب فلسطين ـ قارن تركيب مجمعي الترابين والتياها. ويقفون كحزب، أو صف، الشمال في مواجهة حزب الجنوب، أي قبائل بئر السبع. وهم يتألفون من الجبارات الأصليين والقبائل المتحالفة معهم. أمّا شجرة نسب الجبارات الأصليين فيه على الشكل التالي:



يقول الجبارات إن وطنهم الأصلي هو وادي ليف في الحجاز. وأنهم هاجروا من هناك عن طريق أرض العراية[1] إلى الساحل شرقي العريش[2]. وعندما تقدم الترابين المقيمون في سيناء إلى غزة لكي يجدوا لأنفسهم مخيمات صيفية جديدة،

(1) على طريق الحج بين حالات عمّار وتبوك، انظر بوركهاردت، رحلات في سورية، ص 659. خريطة موزيل، شمال شبه الجزيرة العربية 1926م، خطأ: "العرايد".

(2) شقير، ص 108.

انشطر الجبيرات إلى مجموعتين بقيت إحداهما على الساحل بين رفح وشيخ زويّد، بينما دفعت الأخرى إلى منطقة القبيلة الحالية[1]. وفي وقت لاحق تبعتها المجموعة الأولى إلى هناك.

في بداية القرن التاسع عشر هدأت الحرب التي نشبت بين الجبارات الذين بقوا على الساحل وبين الترابين والتي استمرت 20 عاماً (الأماكن التي دار فيها القتال: العمرو جنوب شرق العريش، والمويلح الواقعة إلى الجنوب منها، بالإضافة إلى الحسنة ووادي المغارة بعيداً إلى الغرب). وفي النهاية تمكن الترابين بمساعدة أخوتهم المصريين من إجبار الجبارات على مغادرة مقرهم القديم. وعندئذٍ انتقلت الحرب إلى جبارات غزة وانتهت بانتصار الترابين في وادي الشريعة. وفي معاهدة السلام التي تلت ذلك اعتبرت طريق قنان السرو شرقي غزة الحدود الجنوبية للجبارات[2]؛ أمّا الحدود الشمالية فقد ظلت وادي الصرار.

شارك الجبارات في الثورة الكبرى التي اندلعت عام 1834م ضد المصريين ومنوا بخسائر فادحة في الحملة التأديبية التي شُنت عليهم بعد ذلك[3]. ومنذ ذلك الحين أصبحوا غير محاربين وفقدوا كثيراً من عاداتهم البدوية. والجبارات قيسيون.

من بين القبائل المتحالفة مع الجبارات نذكر أولاً السوراكة (و) والرتيمات (هـ) والعمارين (ز). والسواركة هنا هم جزء من سواركة العريش. والرتيمات ينحدرون من نفس المنطقة التي كانوا ولا يزالون يسكنون فيها حتى عام 1830م[4]. وبعد وقت قصير طردهم الترابين مع الجبارات إلى فلسطين. واسم الرتيمات مشتق

(1) حسب شقير، ص 108، 580 وما بعدها لم يأت الجبارات إلى هناك إلاّ بعد عام 1830م. ولكن هذا غير ممكن لأنهم ذكروا هناك في عام 1799م، انظر وصف مصر، الجزء 16، ص 114 وما بعدها. ونحن نعتقد أن ما حدث في ثلاثينيات القرن الماضي هو فقط هجرة المجموعة الثانية.

(2) شقير، ص 580 وما بعدها.

(3) روبنسون، الجزء الثاني، ص 649.

(4) في هذا العام هاجموا هناك قافلة كانت في طريقها من غزة إلى مصر؛ شقير، ص 580.

من قرية الرتمة. وكان لجدهم عقيلي[1] ثلاثة أبناء: صايح، وزايد، ورمضان. وقد أعطى الاثنان الأولان (صايح وزايد) الاسم لفرعي الصوايحة والزيود. أمّا أحفاد رمضان، الرماضين، فهم غير متحالفين إلى الجبارات وإنما انضموا إلى مجمع التياها.

كان العمارين مرتبطين مع الجبارات منذ عام 1799م[2]. وهم ينحدرون من قرية أبو شوشة (جنوب شرق الرملة)، أي إنهم جاؤوا من الشمال. وتعيش عندهم عائلة عيال الأمير، الشيوخ السابقون لوادي الصرار[3].

كما أن القلازين (الثوابتة) كانوا كالعمارين مرتبطين مع الجبارات في عام 1799م[4]. لكن ارتباطهم مع الجبارات أقدم من ارتباط العمارين؛ إذ إن القلازين جاؤوا أيضاً من وادي ليف، الموطن الأول للجبارات[5].

(1) انظر فصل شمال ووسط شبه الجزيرة العربية، مقال عقيل في الجزء الثالث.

(2) وصف مصر، الجزء 16، ص 114 وما بعدها.

(3) انظر الصفحة 101 أعلاه.

(4) وصف مصر، الجزء 16، ص 114 وما بعدها.

(5) هناك جزء آخر من القلازين انضم إلى التياها.

العايد

تعد العايد[1]، بعد الأحيدات (ل) الذين عالجناهم في مقال الترابين، أهم القبائل المنضمة إلى الجبارات. وهم ينحدرون من جذام شمال غرب شبه الجزيرة العربية واستوطنوا في العصور الوسطى في منطقة "الشرقية" المصرية وكانوا مسؤولين عن حماية قافلة الحج على الطريق بين القاهرة والعقبة[2]. في بداية العهد العثماني كان العايد، إلى جانب السوالمة (انظر الصفحة 94 أعلاه)، القبيلة الرئيسية في منطقة الحدود المصرية الفلسطينية[3]. وعندما هاجر السوالمة إلى فلسطين تبعهم العايد ما لم يكونوا قد بقوا في مصر. ومثلهم مثل السوالمة قاتلوا عام 1623م عند يافا تحت راية ابن طرباي ضد الأمير الدرزي فخر الدين[4].

وفي الوقت اللاحق تفرقت القبيلة وأصبح العايد موجودين ليس فقط عند الجبارات وإنما أيضاً بين الجرامنة والترابين والتياها. وتنتسب إلى العايد العائلتان النبيلتان: العزة في بيت جبرين والأباظة في القاهرة.

---

(1) في الأصل: عائذ.

(2) المقريزي، قبائل عربية في مصر، ص 54، 85؛ صبح الأعشى، الجزء الأول، ص 333؛ ابن خلدون، البربر، الجزء الأول، ص 10؛ قلقشندي، ص 272؛ قارن شقير، ص 108.

(3) ابن إياس، الجزء الثالث، ص 211 وما بعدها، 240.

(4) أخبار الأعيان، ص 320.

الجبارات(1)

أ ـ عريبات

شيخ المشايخ : حسن أبو جابر

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ أبو جابر			20
2 ـ ابن جرّار			15
3 ـ ابن حسين		وادي الحسي؛ بايرة أبو جرار/ وادي قنيطرة	5
4 ـ المكحل			18
5 ـ ابن هضيبة			4
6 ـ ابن حسن			3
قبائل ملحقة			
1 ـ الشلايطة(2)			5
2 ـ البراصات(2)			6
3 ـ الظوافلة(3)			10
4 ـ النواجية(2)			10

ب ـ حسنات

شيخ المشايخ: محمد الطوايقة بن صباح

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ ابن صباح			6
2 ـ العواودة			5
3 ـ أبو ضبيع		تل النجيلة	3
4 ـ أبو معيلي			2
5 ـ العكر			2
6 ـ أبو مريفي			2
قبائل ملحقة			
1 ـ عبيد سود			15
2 ـ الحاوي(2)		تل النجيلة	3
3 ـ الرباعنة(4)			5
4 ـ أبو الغطاس(2)			5

جـ ـ الفقرا

شيخ المشايخ: محمد هويدي بن مشرف(5)

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ ابن مشرف			20
2 ـ أبو ربيلة			6
3 ـ أبو رزيق		الشلالة؛ وادي الصرار	4
4 ـ أبو فريخ			5
5 ـ ابن باز			2
قبائل ملحقة			
1 ـ النواجية(2)			10
2 ـ عبيد سود			15

د ـ الدقس(6)

شيخ المشايخ: حسين الدقس(7)

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ الدقس	حسين الدقس		50
2 ـ الخلاويين	سليمان أبو روّاع		60
أ ـ أبو رواع		وادي الحسي؛ الفالوجة ـ برير ـ الجمّامة	8
ب ـ أبو رشود			6
جـ ـ أبو دعيج			6
3 ـ المطارقة	حمّاد بن علي		13

هـ ـ الرتيمات(8)

شيخ المشايخ: نمر العدوس

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ الصوايحة	نمر العدوس		
أ ـ العدوس	نمر العدوس		10
ب ـ الشباية	صالح أبو شبيب		6
جـ ـ العشيبات	سالم أبو عشيبة		2
د ـ الحليوات	جدوع أبو حليوة		4
هـ ـ الدوامسة	إبراهيم أبو دامس		4
2 ـ الزيود	جمعة الهبيدي		
أ ـ الهبيدي	جمعة الهبيدي	صيفاً: سقرية شتاء: وادي الصرار؛ جليا؛ ذنبة	4
ب ـ أبو خضرة	إبراهيم أبو خضرة		2
جـ ـ أبو غانم	إبراهيم أبو غانم		1
د ـ علي العبيد(9)	مسلم العبيد		2
قبائل ملحقة			
1 ـ الحلف(10)	عاصي الضويمر		
أ ـ الضويمر(11)	عاصي الضويمر		5
ب ـ الدحيلات(12)	سليم أبو دحيلة		6

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
جـ ـ الكتيفي	موسى الكتيفي		6
د ـ أبو شلفة	حسان أبو شلفة	صيفاً: سقرية شتاء: وادي الصرار؛ جليا؛ ذنبة	4
هـ ـ الرواجفة(13)	سعيد بن عوّاد		14
و ـ الرزيقات	عيد أبو ربيع		12

و ـ سواركة(14)

شيخ المشايخ: حسين الدقس

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ المنابعة(15)			
أ ـ القرعان	سليمان الأقرع		3
ب ـ الشراتحة	موسى الشراتحة		15
جـ ـ الرتمات	سلمان أبو نار	وادي الدقس	20
2 ـ الروافعة(16)			
أ ـ الروافعة	سليمان بن سليمان		10
ب ـ الرغمات	غيث أبو مغيث		2
جـ ـ النميلات	محمد أبو نصر الله		6

ز ـ العمارين(17)

شيخ المشايخ: سليمان بن عجلان

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ الحليصات	سليمان بن عجلان		
أ ـ الحليصات	سليمان بن عجلان	بير ابن عجلان في الربيع بيت أولاً، أم برج	40
ب ـ المذاكير	خلف الدغداشي		8
2 ـ الرويكبية	سلمان الراعي		15
قبائل ملحقة			
1 ـ الفراجين(18)	سالم سلامة		8
2 ـ السماحين(19)	محمد بن راشد		4
3ـعيسى الجهلاني(20)	عيسى		2
4 ـ عيال الأمير	الأمير سلامة بن يونس	خربة الامارة	8

حـ ـ الثوابتة (القلازين)

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ الثوابتة	بركة بن ثابت	وادي الحسي؛ الحرشان	10
2 ـ القلازين	بركة بن ثابت		

طـ ـ الولايدة(21)

شيخ المشايخ : حماد أبو سلعة(22)

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ أبو سلعة		وادي الحسي ، الحشران	6
2 ـ أبو سعيفان			4
3 ـ أبو يحيى			4
4 ـ أبو الحسين			4

ك ـ العشيبات(23)

شيخ المشايخ : حسين الدقس

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ الأحرار (الحجيج)	محمد بن صقر الحجاج	مثل الدقس	5
2 ـ العبيد	محمد بن سليم العبيد		10

ل ـ الوحيدات

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
الوحيدات	حسين الوحيدي	وادي الندى؛ سكرير ؛ فطّاطة	30

م ـ السعادنة(24)

شيخ المشايخ: حسين الوحيدي

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ أبو جريبان	محمد أبو جريبان	وادي الحس	20
2 ـ النويري	محمد بن سعيد النويري(25)	وادي الحس	15

ن ـ العايد(26)

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ العايد	سالم العايدي		6

ملاحظات

1 ـ غارماني، ص 23 (300، أو 150 مسلحاً)؛ ياوسن، ص 412؛ عارف العارف، ص 30 وما يليها. عدد الخيام عند عارف أعلى منها هنا بعدة مئات (766). صيحة الحرب: مبركة الحصن، صبيان الجبارات! الوسم، ما لم يذكر شيء آخر: ┌┐ على الجهة اليمنى من الرقبة.

2 ـ مصريون.

3 ـ يزعمون أنهم من أحفاد الصحابي جعفر الطيار.

4 ـ بني عطية.

5 ـ الآن ابنه خليل.

6 ـ المطارقة والخلاويون ملتحقون بالدقس، على الرغم من أنهم في شجرة النسب يصنفون مثلهم في نفس المكانة. إضافة إلى ذلك تحكم عائلة شيوخ الدقس أيضاً السواركة (و)[1] والعشيبات (ك). ونتيجة لذلك هناك نوع من التعارض بين الدقس وقبائل الجبارات الأصلية الثلاث الأخرى (آ، ب، حـ).

7 ـ كانت عائلة الشيوخ تتولى في الأصل منصب القليد مع حق رفع العلم، أي إعلان الحرب والسلم.

8 ـ الوسم: /// على الصدغ الأيمن.

9 ـ عبيد لأبو غانم.

10 ـ ويسمون أيضاً "الأحلاف".

11 ـ يقال إنهم "مسيحيون من روم".

12 ـ جاؤوا من قرية صرفند (غرب الرملة) أو إنهم معازة (بني عطية).

13 ـ من وادي الرجف.

14 ـ روبنسون، الجزء الثاني، ص 656.

15 ـ الوسم ╥╥ على الرقبة.

16 ـ رفايعة؟ الوسم: خلف الأذن اليمنى، والشيء نفسه على الورك الأيمن وعلى الساق الأمامية اليمنى.

17 ـ روبنسون، الجزء الثاني، ص 656.

18 ـ عند ابن عجلان.

---

(1) قبل وقت قصير أصبح السواركة مستقلين (الشيخ سليمان)، وكذلك (د 2) بقيادة سلاّم أبو رواع.

19 ـ عند السواركة.

20 ـ عند الراعي؛ من ناحية الأصل: جهالين.

21 ـ عزازمة.

22 ـ الآن: ابنه سليمان.

23 ـ يتألفون من أحرار وعبيد ويعيشون تحت حماية الدقس.

24 ـ على خريطة آرمسترونغ، ويلسون، كوندر، مسجلون شرق أسدد.

25 ـ الآن: سليمان النويري.

26 ـ العايد الموجودون عند القصار (ترابين) يعدّون 15 خيمة بزعامة الشيخ سلمان أبو زيدان. الوسم: // على الجهة اليمنى من الرقبة و \ بين العين اليمنى والأذن. والعايد الموجودون عند الحقوق (تياها) يعدّون 3 خيام بزعامة الشيخ سالم أبو درويش.

الحناجرة

الحناجرة في منطقة مصب وادي غزة هم "سكان محليون نصف فلاحين"[1]. وتروى حول هذه القبيلة حكايات كثيرة مختلفة الأشكال تتسم واحدة منها، على الأقل، بطابع غير عربي حيث تقول إن جدهم جاء على ثور أبيض من وراء البحر. ويقال بأنه كان مسيحياً، ولكن لعل هذا الاعتقاد ناجم عن أن بعض فروع الحناجرة تستعمل الصليب وسماً لها. وتبدو أكثر أصالة القصة التي تروى عن العرابي جد قبيلة العرابين: كان العرابي معتقلاً عند قافلة الحج. وحدث بالمصادفة أن حُبس معه مجْوِل بن شيخ السواركة لأنه سرق جملاً. فطُلب من أبيه تعويضاً عن الجمل المسروق لكي يطلق سراح ابنه. ولكن عندما جاء بالجمل وأرادوا إطلاق سراح ابنه وجدوه ميتاً. فطلب عرابي من مجول استخدام الجمل لصالحه. وهذا ما حدث فعلاً. ومنذ ذلك الحين يحمل العرابين اسم "شروة مجْوِل السويركي"[2].

وممن لهم صلة وثيقة بالحناجرة النصيرات الذين جدهم الأول القديّم مدفون في مكان قريب من دير البلح[3].

(1) موزيل، البتراء العربية، الجزء الثالث، ص 28.

(2) يعتقد برغوثي أن القصة تتعلق بالعربيات، فرع من حرب في الحجاز.

(3) موزيل، الجزء الثالث، ص 29 وما بعدها.



فريح ابو مدين، شيخ شيوخ الحناجرة (1929م).

الحناجرة(1)

أ ـ العرابين

شيخ المشايخ: فريح أبو مدين(2)

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ العرابين(3)			100
أ ـ الملالحة	عبد ربه أبو عيادة		
ب ـ أبو عيادة			
جـ ـ العرابين	سلامة بن عربيان		
د ـ أبو حجير	عليان أبو حجير		140
2 ـ البدارين(4)	فريح أبو مدّين		
أ ـ النباهين الشراقة	سليمان أبو سالم	وادي غزة؛ تل جمّة	
ب ـ النباهين الغرابة	سليمان أبو سالم		
جـ ـ أبو خوصة	حماد أبو خوصة		
د ـ أبو سعيد	موسى أبو سعيد		
هـ ـ ابن عواد	سلامة بن عواد		
و ـ أبو مدّين	فريح أبو مدّين		
قبائل ملحقة			
ز ـ أبو فياض(5)		وادي غزة؛ تل جمّة	
3 ـ النعيمات(6)	نبهان العروقي		100
أ ـ خطاطبة	حماد أبو حلو	وادي ملحة؛ وادي حنانيس	
ب ـ العراقدة	الحاج نبهان العروقي		

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
جـ ـ الحسينات	هويشل أبو هويشل		
د ـ القطشان	رشيد أبو دحروج		
4 ـ النخالات(7)	محمد أبو زكرى	وادي ملحة؛ وادي حنانيس	40
أ ـ أبو مريحيل	عبد الله أبو مريحيل		
ب ـ أبو زكري	محمد أبو زكري		
جـ ـ الحسامين	محمد أبو زكري		

ب ـ حمدات(8)

شيخ المشايخ: سليم السميري

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ الحمدات	سليم السميري		120
أ ـ أبو حجاج	مبارك أبو حجاج		
ب ـ المناديل	سلامة أبو منديل		
جـ ـ أبو مهنا	الحاج عبد الله أبو مهنا		
2 ـ الظواهرة(9)	أحمد أبو ظاهر	خان يونس؛ دير البلح؛ الشيخ حمودة	60
أ ـ المساعدة	أبو مساعد		
قبائل ملحقة			
1 ـ أبو سليسل(10)			4
2 ـ أبو حليب(10)			6

جـ ـ نصيرات(11)

شيخ المشايخ: عايش المصدر

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ الكرشان	عايش المصدر		40
أ ـ المصدر	عايش المصدر		
ب ـ الزوايدة	زايد أبو زايد		
جـ ـ الغدايرة	موسى بن شلط		
2 ـ الفقيريين	سليمان أبو غرابة		60
أ ـ أبو غرابة	حسن أبو غرابة		
ب ـ ابن سعيد	سلامة بن سعيد		
جـ ـ أبو غليبة	سلامة أبو غليبة		
قبائل ملحقة			
1 ـ التلابنة(12)			10
2 ـ قوم الحاطي			4
3 ـ الطرهوني			4
4 ـ الهيلب			5

ملاحظات عن الحناجرة

1 ـ وصف مصر، الجزء 16، ص 112 وما بعدها؛ غارماني، ص 23؛ موزيل، الجزء الثالث، ص 28؛ ياوسن، ص 409؛ عارف العارف، ص 28 وما بعدها. كنسوس 1931م 3756 نسمة. صيحة الحرب: براقع الخيل، صبيان

الحناجرة! لكنها أصبحت منسية اليوم.

2 ـ قومي متحمس، أنطونيوس "يقظة العرب"، ص 225 وما بعدها.

3 ـ الوسم: □ (مربع) على الورك الأيمن وبين العين اليمنى والأذن.

4 ـ جد القبيلة: نبهان الأشيقر. الوسم: | بين العين اليسرى والأذن و + على الأذن اليسرى.

5 ـ سوالمة.

6 ـ ينتمي النعيمات إلى جماعة دينية تعالج الأوجاع العصبية. الوسم: □ على الورك الأيسر و | بين العين اليسرى والأذن.

7 ـ النخيلات؟ الوسم مثل النعيمات. يرد ذكرهم عند موزيل تحت اسم الزكاروة، أبو زكريا، انظر اسم شيخ المشايخ. وهم ينتمون من ناحية النسب إلى كعابنة الخليل.

8 ـ جد القبيلة: السميري من مواليد قرية الشيخ حمودة. الوسم: + على الورك الأيسر و | على الورك الأيمن، وهناك مصدر آخر يقول إن الوسم الأخير يوضع بين العين والأذن.

9 ـ تحسب الآن مجموعة مستقلة.

10 ـ بلي.

11 ـ انظر غارماني، ص 23. الوسم: | بين العين اليمنى والأنف، ونفس العلامة خلف الأذن اليمنى، وحسب مصدر آخر: | O على الرقبة.

12 ـ مصريون.

الملالحة

(عرب أبو سويرح)

تصنيف الملالحة غير واضح. موزيل يعتبرهم من الحناجرة، بينما يشير مكان إقامتهم، خربة سكرير بين يافا وغزة، إلى أنهم من الجبارات. الاسم[1] مشتق من أبو ملّوح لكن جد القبيلة هو الصحابي المشهور أبو هريرة المدفون في يبنا[2]. وتقول حكايات القبيلة إن الملالحة حصلوا في زمن الحروب الصليبية على خربة سكرير من معز بن صالح حاكم يبنا (= معز عز الدين أيبك السلطان المملوكي الأول؟). وفي ظل الحكم العثماني تمتعوا بامتيازات مختلفة. وهم في مرحلة وسطى بين القرويين والبدو. وهناك فئات منهم موجودة عند الترابين وعند القلنسوة (انظر ص 107 أعلاه).

الملالحة[3]

(عرب أبو سويرح)
الشيخ: سلامة بن أحمد أبو سويرح
عدد الخيام: 20

(1) مايوه، الجزء الأول، ص 77، فسّر الاسم بعبارة «باعة الملح».

(2) ياقوت، الجزء الرابع، ص 1007.

(3) غارماني، ص 23؛ موزيل، الجزء الثالث، ص 30. الوسم □ على الورك الأيمن.

الترابين

الترابين هم أقوى مجمع قبلي في منطقة الحدود المصرية الفلسطينية. يعيش الجزء الرئيسي منهم في الزاوية الجنوبية الغربية من فلسطين لكنهم يمتدون إلى وراء الحدود، إذ يعيش جزء صغير في شبه جزيرة سيناء شرقي السويس، وتعيش مجموعات صغيرة أخرى على خليج العقبة وأخيراً تخلى عدد كبير من الترابين عن حياة البداوة واستقروا في مصر.

يتألف الترابين الفلسطينيون، الذين سيقتصر حديثنا عليهم وحدهم في هذا المقال، من اتحاد لعدة قبائل. ومن بين هؤلاء ثلاث فصائل فقط ترابين أصليون وهم: الغوالية، والنجيمات، والنبعات. أمّا حكاياتهم عن نسبهم فهي غير موحدة. في مصدر من القرن السادس عشر، درر الفرائد، يوصفون بأنهم بنو عطية[1]. وإذا ما كانت هذه المعلومة صحيحة، يجب البحث عن أقدم مقر للترابين جنوب غرب العقبة حيث يوجد ضريح الشيخ عطية الذي يزوره الترابين الموجودون هناك في كل ربيع ويذبحون له الذبائح[2].

وتقول حكايات سكان سيناء إن الترابين حاولوا التقدم من خليج العقبة نحو الغرب باتجاه السويس لكنهم اصطدموا بمقاومة التياها الذين يسكنون في التيه،

---

(1) شقير، ص 117، وأيضاً بوركهاردت، رحلات إلى سورية، ص 560.

(2) شقير، ص 115 وما بعدها. ليس لدينا إثبات على أن هذا الشيخ هو الجد لقبيلة بني عطية.

الهضبة المركزية من سيناء. وبعد معركة قرب عين سدر (جنوب شرق السويس) عقدت اتفاقية (معاهدة النخل) حصل بموجبها الترابين على المثلث: جبل الراحة وجبل الحلال وجبل المغارة بين السويس والعريش[1]، بينما احتفظ التياها بهضبة التيه.

إلا أن المنطقة الجديدة لم يبق فيها على المدى الدائم سوى جزء من الترابين، أمّا المجموعة الرئيسية فقد امتدت نحو الشرق، متبعة "درب مصري" المؤدية من السويس إلى غزة، وأقامت مقرات صيفية لها قرب غزة. وشيئاً فشيئاً نقل هؤلاء الترابين إقامتهم الشتوية أيضاً إلى حدود فلسطين. فوجدوا هنا على الساحل قبائل الجبارات والحناجرة، وفي الداخل العزازمة وأيضاً، مرة أخرى، التياها. وقد توصلوا سلمياً إلى اتفاق مع الحناجرة والعزازمة لكنهم اختلفوا مع الجبارات ونشبت حرب بينهم. وتقول الروايات إن السبب المباشر للحرب قيام جباري بخطف فتاة من الترابين؛ وقد تحدثنا عن نتيجة هذه الحرب في الصفحة 128 أعلاه: طرد الجبارات إلى ما وراء طريق غزة ـ بئر السبع.

على الرغم من أن أكثرية الترابين هاجروا إلى فلسطين ظلت العلاقات قائمة في بادئ الأمر مع أبناء القبيلة الذي بقوا بين السويس والعريش. لكن هذا كلف صراعات طويلة مع قبائل ساحل العريش. وفي منتصف القرن الماضي حددت أخيراً الحدود بين قبائل الساحل والترابين على الشكل التالي: الدرب المصري من حجر السواركة (على مسافة قريبة غرب الحدود الفلسطينية) ـ البواطي ـ رجم القبلين (جنوب العريش) ـ ريسان عنيزة ـ رجوم العمرات غرب جبل المغارة. وبذلك لم يبق للترابين في شرقي سيناء سوى شريط ضيق بين التيه والسهل الساحلي. وبما أن الترابين قاموا في وقت لاحق ببيع هذه المنطقة للسواركة، ضعفت الروابط بين مجموعتي القبيلة.

---

(1) حسب الأسلوب الأدبي للبدو تميز الحكايات بين المنطقتين بأن تسمي الأولى "أرض الجلد" (أي القاسية الصخرية)، والثانية "أرض الدمث" (أي الرملية الرخوة).

كانت الحدود الغربية للترابين تسير من حجر السواركة نحو الشمال إلى رفح مباشرة. وكان جيرانهم هنا الرميلات الذين كانوا في الأصل يسكنون في القرارة شمال خان يونس لكن الترابين طردوهم من هناك. ولذلك كان الرميلات ينتظرون الفرصة المناسبة لكي يستعيدوا منطقتهم القديمة وعرفوا كيف يستميلون السواركة إلى جانبهم. وفي عام 1848م اندلعت الحرب وبدأت بغزوة ناجحة قام بها السواركة، ما يسمى "يوم الحناجرة". وفي عام 1855م شن الرميلات والسواركة حملة ثانية على الترابين الذين انضم إليهم هذه المرة شيخ من السواركة. سيطر الحلفاء مرة أخرى على الموقف وتمكنوا من محاصرة الترابين في خان يونس (يوم القرارة الثاني). ظل الأمر كذلك حتى صيف العام التالي حيث قرر الترابين، الذين كانوا يخوضون حرباً ضد التياها أيضاً، القيام بهجوم معاكس. فساروا على الطريق الساحلية حتى شيخ زويّد حيث قدموا الأضاحي للولي الصالح، بينما كان السواركة متمركزين غرباً في الخروبة. وبعد مفاوضات فاشلة بين الفريقين قسم عقيد[*] الترابين، أبو ستة، جيشه إلى ثلاث مجموعات وتقدم. وقبل الخروبة، عند القرية التي حصلت فيما بعد على اسم المكسر، اشتبك الترابين من العدو وحققوا نصراً كبيراً: اضطر السواركة إلى ترك قطعانهم والهرب إلى العريش.

بعد ذلك عقدت اتفاقية سلام بوساطة شيخ من الحناجرة احتفظ الترابين بموجبها بالقرارة. ثم تعزز هذا السلام في 25 ربيع الأول 1301هـ/ 1 يناير/ كانون الثاني 1886م بواسطة عودة بن سويلم بن جرمي، شيخ النبعات المقيمين في هذه المنطقة الحدودية. ومنذئذ تسود عموماً حالة من التفاهم بين الترابين وجيرانهم في الغرب؛ حدثت مناوشات صغيرة في عامي 1889م و1904م سوّيت ودياً بتدخل السلطات المصرية[1].

أمّا على حدودهم الشرقية فلم تحدث نزاعات تستحق الذكر. لا بل إن

(*) العقيد هو الذي يعقد الراية ويقوم بهذا العمل على الأغلب شيخ القبيلة. (ماجد شبَّر).

(1) يستند العرض إلى شقير، ص 581 وما يليها.

الترابين تحالفوا في بعض الأحيان مع العزازمة، ومع التياها الذين هاجروا مثلهم من سيناء إلى فلسطين لم تحدث أي مصادمات لأن منطقتي القبيلتين لم تكونا متجاورتين إلا في مسافة قصيرة. إلا أن الترابين تدخلوا عام 1856م في حرب أخوة بين التياها أنفسهم، وفي عام 1875م دخلوا في حرب مباشرة معهم انتصر فيها الترابين بقيادة حمد (حمّاد؟) الصوفي (ب 2). في الوقت الحاضر لم يعد الترابين يقومون بالغزو وهم يعيشون في سلام مع جميع القبائل المحيطة بهم.

تمتد منطقة القبيلة في الشمال الشرقي حتى طريق غزة ـ بئر السبع ولكن دون أن تمس أياً من المدينتين، وفي الجنوب حتى الوادي الأبيض. أمّا في الغرب فقد ظلت الحدود القديمة رفح ـ حجر السواركة قائمة.

أصبح الترابين منذ زمن طويل نصف مستقرين. فهم يستوطنون بكثافة عالية إلى حد ما في السهل الخصب المحاط بوادي غزة، الشلاّلة[1]، شناق[2] وبوادي سبع في قوس مفتوح نحو الشمال. ويسكن هذه المنطقة بصورة رئيسية ترابين غير أصليين إلى جانب الغوالية والنجمات، بينما تملك قبيلة الترابيين الأصلية الثالثة، النبعات، المنطقة الرملية الواقعة على الحدود.

أكثر شيوخ الترابين نفوذاً هو الشيخ حمّاد الصوفي.

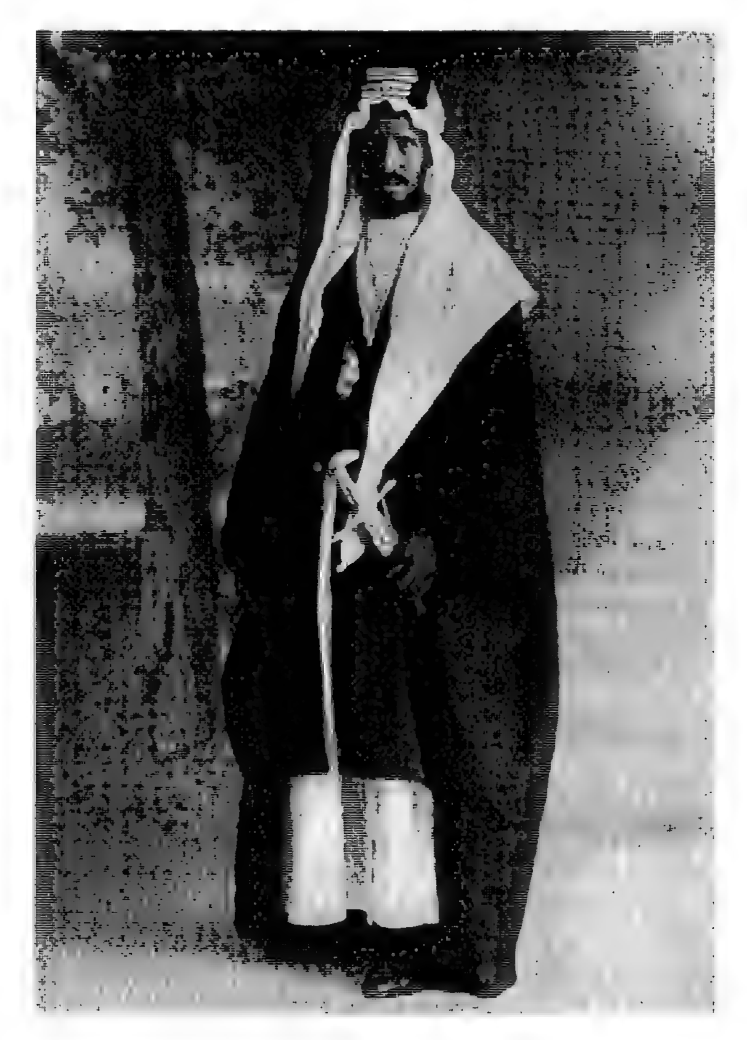
من بين القبائل التي لا تنتمي في الأصل إلى الترابين تنسب قبيلة القصاد (د) نفسها أيضاً إلى الشيخ عطية. أمّا فيما يخص النعيمات (هـ) فلعلهم ينحدرون من النعيميين الذين ورد ذكرهم في هذه المنطقة في العهد المملوكي[3]. وأمّا الجراوين (و) فهم أحفاد القبيلة الجذامية بني جرا التي كانت تسكن في القرن التاسع الميلادي

(1) منتصف وادي غزة.

(2) الجزء الأعلى من وادي غزة.

(3) غودفروي ـ ديمومبونس، ص 197 Gaudefroy-Demombynes.

على ساحل سيناء[1]. وهذا يعني أن هذه القبائل، باستثناء القصار، هي من سكان المنطقة القديمين الذين أخضعهم الترابين القادمين من الخارج. ويتخذ الأحيدات (ح)، الذين سنعالجهم في الفصل ما بعد القادم، مكاناً وسطاً.



حسين ابو ستة، شيخ الترابين (1929م).

(1) الهمداني، ص 129؛ ياقوت، الجزء الثالث، ص 383. بنو جرا ممثلون عند التياها أيضاً (آ ا ب).

نَسَبُ الترابين

إذا ما كان حديثنا السالف عن نشوء الترابين قد اقتصر على التلميح فقط فإن السبب في ذلك يعود إلى أن حكاياتهم عن نَسبهم متباينة جداً. فهناك رأي يقول بأن قبائل الترابين الأصلية الثلاث: الغوالية، والنجمات، والنبعات، هي أحفاد غالية، ونجمة، ونبعة، البنات الثلاث لصلدم الذي تشير صيحة الحرب: عيال صلدم! إلى أنه الجد الأول.

وهناك رأي آخر يقول بأن الترابين ينحدرون من نجم بن عطية[1]. ولكن بينما يبقى الآباء مهملين في حكاية النسب الأولى، تبقى أُمّا القبيلة، غاليّة وزارعة، في الظل في حكاية النسب الثانية. إذ إن هاتين الفتاتين حصل عليهما نجم كجزء من الدية التي دفعت له ثمناً لدم ابنه المقتول، والنساء اللواتي يتزوجن بهذه الطريقة تكون لهن مكانة أقل اعتباراً[2]. وفي هذه الحالة تكون غالية، كما في الحكاية الأولى، جدة الغوالية، وتكون زراعة (ظارعة) جدة عائلة الشيوخ صانع، شيوخ النجيمات؛ أمّا النبعات، القبيلة الترابينية الثالثة، فتبقى دون ذكر.

وهناك حكاية أخرى عن أصل الترابين، الذين بطلهم نجم بن عطية أيضاً،

(1) بشأن عطية انظر ص 148 أعلاه.

(2) بخصوص هذا الشكل من الزواج انظر: هيلما غرانكنيست، شروط الزواج في قرية فلسطينية، باسم.

تروي ما يلي: في أحد الأيام جاء نجم مع رجل اسمه الوحيدي، من نسل الحسن حفيد النبي محمد، إلى سيناء ونزلا عند شيخ بني واصل. وكان للشيخ ابنتان إحداهما جميلة والأخرى قبيحة(*). فأخذ نجم الذميم ولكنه الشجاع، البنت القبيحة زوجة له، وأخذ الوحيدي الجميل البنت الأخرى. ولذلك أصبح الوحيدات، أحفاد الوحيدي، جميلين وفخورين، وأصبح الترابين قبيحين ولكنهم شجعان[1].

وإذا ما كانت أحداث حكايات النسب هذه تدور في سيناء فهناك حكاية رابعة تشير إلى أن وطن الترابين هو في داخل شبه الجزيرة العربية. في هذه الحكاية يشتق اسم الترابين من بلدة تُرَبَة الواقعة على مسافة قريبة من الطائف. وهناك أغنية كان الجبارات ينشدونها خلال حربهم مع الترابين تقول: "ياترباني، يا من جئت من التربة. . . ". ومن الممكن أن يكون هذا النسب فيه فعلاً شيء من الصحة، لأن القبيلة الفرعية نجيمات الصانع تحمل أيضاً اسم بقمان. لكن هذا الاسم، أو بالأحرى بقوم، هم اسم قبيلة لم تزل حتى اليوم تخيم في منطقة التربة.

(*) هناك إرباك في النص الألماني لذا فالنص الأصلي يقول: وكان نجماً فارساً مقداماً ولكنه قبيح المنظر أسمر اللون وكان الوحيدي شاباً جميل الوجه أبيض اللون تزوج نجماً بنتهُ القبيحة الوجه وزوج الوحيدي بنتهُ الجميلة فكان نجم جدّ الترابين وهم مشهورون بالبسالة وقبح الصورة، والوحيدي جدّ الوُحيدات وهم مشهورون بالكياسة وحسن الصورة، شقير ص116. (ماجد شبّر).

(1) شقير، ص 116.

الوحيدات

ينتمي الوحيدات إلى مجمع الترابين منذ 100 سنة تقريباً. وقبل ذلك كانوا مستقلين، لا بل القبيلة السائدة في جنوب فلسطين. وطن الوحيدات هو شمال الحجاز. أمّا نسبهم فتدور حوله، كما عند الترابين الأصليين، روايات مختلفة. في الحكاية التي رويناها قبل قليل يوصفون بأنهم من نسل النبي، وهذه الرواية منتشرة أيضاً على نطاق واسع. أمّا هم أنفسهم فيزعمون أنهم من أقرباء عائلة الأمراء المشهورة عائلة فضل الفاعور[1]. لكن هذا الزعم بعيد الاحتمال ولا سند له سوى أن أحد أجداد الوحيدات كان اسمه فاعور. وهناك مصدر قديم[2] يقول بأن الوحيدات هم من بني عطية مثل الترابين.

تذكر الحكايات المتناقلة شفهياً الحجاز، واذروح في شرقي الأردن، وغزة، كمحطات على طريق هجرة الوحيدات. وهناك مصادر مكتوبة تؤيد صحة هذه المعلومات. أقدم هذه المصادر[3]، من عام 955هـ/ 1548م، تقول بأن الوحيدات وأخوتهم الرشيدات كانوا مكلفين بحماية طريق الحج عند نقب العقبة[4]. ومن هنا

(1) انظر الجزء الأول، ص 510 وما يليها.

(2) انظر الملاحظة التالية.

(3) درر الفرائد عند شقير، ص 108.

(4) الممر الذي يؤدي من الخليج إلى هضبة سيناء.

انتشروا في جنوب الأردن وكانوا عام 1634م، كما يتبين من تاريخ الأمير الدرزي فخر الدين، قد وصلوا إلى الكرك: كان فخر الدين ينظر منذ زمن طويل بعين الحسد إلى قلعة الكرك التي كانت آنذاك بيد ابن طرباي من بني حارثة. ولكي يحصل على المدينة دخل ابنه علي في مفاوضات مع شيخ الوحيدات كانت قد توفرت شروط مناسبة لها لأن ابنه (ابن شيخ الوحيدات) كان مسجوناً في نابلس. فوعد الشيخ ابن طرباي بتسليم الكرك في حال فك أسر ابنه. وتقدم الوحيدات نحو المدينة لكنهم اصطدموا هناك بمحض الصدفة مع قافلة كانت تنقل المؤن إلى الحامية. ونشبت معركة بين الطرفين قتل فيها قائد القافلة الأمير أحمد بن طرباي[1]. ولا يذكر هذا المصدر أي شيء عن مصير الكرك بعد ذلك[2]. ولكن حكاية قبيلة عمرو في الكرك تقول إن الوحيدات استولوا على المدينة في وقت لاحق. ففي هذه الحكاية يرد ذكر الشيخ الوحيدي معيّش، والحاكم التابع له طرفيش، في الكرك.

في النصف الثاني من القرن السابع عشر اضطر الوحيدات إلى التخلي عن منطقتهم في شرقي الأردن لصالح عمرو[3]. وكانوا في السابق أيضاً، كما كان الحال دوماً لدى قبائل جنوب شرقي الأردن، يقضون أحياناً فترة الصيف على الجانب الآخر من العربة، والآن نقلوا مقر إقامتهم كلياً إلى فلسطين. ويذكرهم جهان ـ نما (ص 554) بين قبائل غزة، بينما جاء في قائمة صرة تركية تعود لعام 1676 أنهم ما زالوا (وقتها) مقيمين جنوب الكرك[4].

في القرن الثامن عشر انتزع الوحيدات القيادة من قبائل غزة وبئر السبع. وحتى النصف الأول من القرن التاسع عشر كان الجبارات تحت قيادة عائلة الدايمي الوحيدية، بينما كان الحناجرة والترابين والتياها تابعين لعائلة الشيوخ الحالية ابن

---

(1) ليس الأمير الحاكم الذي يحمل الاسم نفسه؛ انظر عرب الأمير الحارثي.

(2) أخبار الأعيان، ص 330 وما بعدها.

(3) انظر مقال عمرو في فصل شرقي الأردن.

(4) أرشيف عثمان باشا، رقم 44.

عايش. وكانت عائلة الدايمي من المتحمسين لحزب القيسيين في الخليل، بينما كان بنو عايش من مؤيدي الحزب اليمني[1].

كانت القوة العسكرية الهامة، التي تمكن الوحيدات من حشدها تحت رايتهم، قد جعلتهم خصوصاً خطيرين بالنسبة لحاكم غزة. وقد قتل حسين باشا مكي زاده في معركة معهم (1765م)[2]. وفي الثمانينات انتقم آغا غزة لوفاة سلفه بأن أمر بقتل شيخ الوحيدات[3].

فقد الوحيدات هيمنتهم على قبائل جنوب فلسطين خلال فترة الاحتلال المصري. وبعد اشتراكهم في ثورة عام 1834م عوقبوا عقاباً مؤلماً وأجبروا، جزئياً، على التوطن[4]. ولم يتبق لهم من سلطتهم السابقة سوى ظل: في كل عام يستقبل شيخهم في عيد الأضحى تهاني زعماء الترابين[5].

---

(1) وصف مصر، الجزء 16، ص 112 ـ 115؛ Palestine Exploration Fund، عام 1906م، ص 33 وما بعدها.

(2) السجل العثماني، الجزء الثاني، ص 211، الذي يؤكد تاريخه نيبور في: وصف رحلة، الجزء الثالث، ص 87. مرادي، الجزء الثاني، ص 62، يكتب خطأ: 1197هـ/ 1783م.

(3) فولني، الجزء الثاني، ص 250؛ انظر الجزء الأول، ص 459.

(4) روبنسون، الجزء الثاني، ص 649.

(5) شقير، ص 116.

الترابين(1)

آ ـ الغوالية(2)

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ أبو ختلة	إسماعيل أبو ختلة	الشيخ نوران؛ الشلالة	20
2 ـ أبو عمرة(3)	سلامة أبو عمرة	النخرور	50
3 ـ أبو بكرة	جمعة أبو بكرة	وادي حنافيش	20
4 ـ أبو شلهوب(3)	سالم أبو شلهوب	وادي حنافيش	30
5 ـ أبو الحصين	عبد ربه أبو الحصين	غرب الشلالة	
أ ـ أبو الحصين	عبد ربه أبو الحصين		25
ب ـ أبو مغيصيب	حماد أبو مغيصيب(4)		14
جـ ـ أبو خمّاش	سالم أبو زبن		13
د ـ أبو عواد	مسلّم أبو عون		8
قبائل ملحقة			
أ ـ التعابين(5)	جندي التعابين		18
ب ـ أبو جاموس(6)	محمد أبو جدعان		10
6 ـ أبو ستة	حسين أبو ستة(7)	المعين؛ أبو ستة؛ المعلّقة	
أ ـ أبو ستة	حسين أبو ستة		30
ب ـ أبو تيلخ	فريح ولد سلمان		15
جـ ـ الصقور	حسين أبو ستة		15
د ـ الحسينات	حسن أبو حمّاد		10
و ـ العوايضة	عبد الرحمن بن غيث		10

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
قبائل ملحقة			
أ ـ الضباعين(8)	عبد العال		10
ب ـ عايلة أبو حسين(9)	عطية أبو حسين		10
جـ ـ النجايدة(9)	حماد أبو عرام		20
د ـ عيلة أبو داود(8)	داود أبو سالم		15
هـ ـ الطعيمات(10)	سليمان بن عودة		15
7 ـ الزريعي	عبد الكريم الزريعي(11)	النخرور؛ تل جمة	
أ ـ العمور	عميرة بن سالم بن عمرو		30
ب ـ العويليين	عبد الله العويليين(12)		30
جـ ـ الزريعي	عبد الكريم الزريعي		40
د ـ العدينيين	عبد الله بن حسن العديني		10
قبائل ملحقة			
أ ـ المريفات(13)	سليمان أبو مريفي		15
ب ـ الملالحة			50
1 ـ الزرقان	سليم الأزرق		
2 ـ ابن خميس			
3 ـ الرومي			

ب ـ النجمات(14)

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ نجمات الصانع(15)	حمد الصانع	وادي غزة؛ السويلمة	
أ ـ الصانع	حمد الصانع		50
ب ـ أبو شباب	محمد أبو شباب		20
جـ ـ أبو روّاع	عبد العزيز أبو روّاع		8
د ـ الدهيني			10
قبائل ملحقة			
هـ ـ المحافظة(16)	محفوظ أبو محفوظ		20
2 ـ نجمات الصوفي	جدوع الصوفي(17)	بير الصوفي؛ وادي غزة	
أ ـ الصوفي	جدوع الصوفي		40
ب ـ ابن عياش	حماد بن عياش		15
جـ ـ الدباري	منصور الدباري		12
د ـ السنايمة	سلمة السنيمي		12
قبائل ملحقة			
أ ـ الفوايدة؛ أبو خفاجة(18)	سالم أبو خفاجة		15
ب ـ نجادية(19)			4
جـ ـ رميلات(20)			3
د ـ سوطرية(21)			2
هـ ـ عبيد سود(22)			3

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
3 ـ نجمات أبو صوصين	محمد أبو صوصين	تل الفارعة؛ قاعة أبو صوصين	
أ ـ أبو صوصين	محمد أبو صوصين		20
ب ـ المصاطفة(23)	الحاج مصطفى		50
جـ ـ الخلفات(23)	ابن خلف الله		
4ـ نجمات أبو عاذرة	عودة أبو عاذرة	شناق	40
قبائل ملحقة			
أ ـ شيوخ العيد(24)			30
ب ـ نمور	أبو نمر		7
جـ ـ سعود			7
د ـ مصريون(23)			15

جـ ـ النبعات(25)

شيخ المشايخ: مصلح بن جرمي

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ عيال ابن جرمي	مصلح بن جرمي	البريصة العجرا؛ القرن	30
2 ـ الدلح	عودة الدلح		30
3 ـ ابن جهامة (الجهامات)(26)	مسلم القصيّر		30
4 ـ البحايصة			25
5 ـ ابن مبارك			18
6 ـ ابو عذيف			20

د ـ القصار(27)

شيخ المشايخ : عميرة العرجاني

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ عرجان	سلمان العرجان		20
2 ـ دراوشة	ضيف الله الدراوشة		6
3 ـ جرابعة	محمد بن سليمان	العجرا	20
4 ـ لوالحة	حسين اللولحي		10
5 ـ عناقوة(24)	أبو عنقا		10
6 ـ المطير			30
7 ـ النقيزات	سالم النقيز		30
8 ـ الخلاوية			10

هـ ـ النعيمات(28)

شيخ المشايخ : محمد أبو صهيبان

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ النعيمات			
أ ـ القاضي	حمدان القاضي		15
ب ـ السلاطين(29)	شريقي السلاطين	أبو صهيبان	10
جـ ـ الفريجات	عبيد أبو كليب		20

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
د ـ معاتقة	محمد المعاتقة	أبو صهيبان	8
2 ـ الضوابحة			
أ ـ أبو جليدان	صبح بن ضيف الله		25
ب ـ أبو صهيبان(30)	محمد أبو صهيبان		25
جـ ـ أبو محيزع	محمد أبو صهيبان		10
د ـ ابن حسن	محمد أبو صهيبان		10

و ـ الجراوين(31)

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1ـ جراوين أبو غليون	سلمان أبو غليون	أبو غليون	25
أ ـ أبو غليون			20
ب ـ أبو غنيم			18
جـ ـ أبو عويضة			18
د ـ أبو جويعد			16
2ـ جراوين أبو يحيى	فرحان أبو يحيى	أم عجوة؛ أبو يحيى	100
قبائل ملحقة			
أ ـ أبو سبيتان(32)			30
ب ـ أبو راضي(33)			18
3 ـ جراوين أبو صعيليك	منصور أبو صعيليك	قوز البصل	100

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
أ ـ أبو صعيليك			25
ب ـ أبو سرحان		قوز البصل	25
جـ ـ أبو عودة			10
قبائل ملحقة			
أ ـ ابن عودة(34)			20
ب ـ ابن صبح(35)			15
جـ ـ سطرية(36)			6
د ـ قلاعية(37)			4

ز ـ الحسنات

شيخ المشايخ: موسى أبو معيليق

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ الحسنات(38)	أبو صباح		6
2 ـ المعالقة(39)	موسى أبو معيليق		40
3 ـ العوامرة(40)	حسين أبو عويمر		6
قبائل ملحقة			
4 ـ عبيد سود			20

ح ـ الوحيدات(41)

شيخ المشايخ: نمر الوحيدي(42)
مكان السكن: البرجلية
عدد الخيام: 40

ملاحظات

1 ـ غارماني، ص 23 وما بعدها؛ موزيل، الجزء الثالث، ص 32 ـ 34؛ ياوسن، ص 411. عارف العارف (ص 8 ـ 15) تختلف مقدمته عما جاء في جدولنا أنه يضم النبعات (حـ) أيضاً إلى الخوالية، ويضم إلى النجيمات (ب) القصار (د) والنعيمات (هـ). عدد الخيام عند عارف العارف يساوي تقريباً ضعف العدد عندنا (1782م). كنسوس 1939م: 16,329 نسمة.

2 ـ صيحة الحرب: إخوان غالية! الوسم: O | على الجهة اليمنى من رقبة الجمال وعلى ذقن الغنم.

3 ـ صوالحة من مصر.

4 ـ في أوقات سابقة جاء العقيد أحياناً من العائلة.

5 ـ شراكسة.

6 ـ عبيد سود.

7 ـ يعتقد رأي شائع بأن أبو ستة جاؤوا من صقر؛ قارن ص 35 أعلاه. وهم يسمون أيضاً الفرجات. وبناء على ذلك تكون سلسلة النسب: حسين بن دهشان بن صقر بن دهشان بن صقر بن دهشان بن حمد أبو ستة بن حسين بن حماد بن صقر بن حسن بن حمد بن الملاّك. حصل حمد أبو ستة على اسمه "أبو ستة" من ستة عبيد كانوا يرافقونه دوماً. في عام 1290هـ/ 1873م اضطر أبو ستة إلى الاحتماء بالتياها لأن دهشان بن صقر بن دهشان بن حمد أبو ستة قتل الشيخ محمد بن

حمدان الصوفي (ب 2). وخلال وجودهم في المنفى برز صقر (بن دهشان) أبو ستة كقائد لغزوات مدروسة بعناية. كما أن ابنه دهشان، أبو شيخ المشايخ الحالي، كان أيضاً عقيداً مشهوراً.

8 ـ سوالمة من مصر.

9 ـ عايد من مصر.

10 ـ عبيد سود.

11 ـ توفي عام 1931م. خليفته: محمد أبو زريع الزريعي.

12 ـ وهذه أيضاً عائلة عقداء. قصار أبو عويلة برز في حرب الجبارات الأولى.

13 ـ حويطات.

14 ـ صيحة الحرب: إخوة زانه! الوسم: / خلف الأذن اليمنى (عند النجيمات الصانع: على الخد الأيمن) و ــــ على جانب الذقن الأيمن (عند النجيمات الصانع على الجانب الأيمن من الرقبة أيضاً).

15 ـ عائلة العقداء أبو شوشة غير موجودة بين فروعهم.

16 ـ من صالحية في مصر.

17 ـ الآن: أحمد الصوفي. الصوفي عائلة شيوخ هامة. أشهر واحد فيهم حمّاد الصوفي الذي برز في بداية الأمر في الحرب مع التياها (انظر ص 151 أعلاه). واشترك في حملة سيناء وتوفي بعد الحرب العالمية بعدة أعوام.

18 ـ بياضيين، قارن مقال قبائل قطيا في فصل سيناء.

19 ـ مصريون.

20 ـ ملحقون بالسنايمة.

21 ـ انظر الصفحة 104 أعلاه. ملحقون بابن عياش. «لا يوجد ابن عياش بل يوجد ابن عايش. م. شبّر»

22 ـ عبيد الصوفي.

23 ـ مصريون.

24 ـ ينتمون إلى فرقة دينية.

25 ـ الوسم: / خلف الأذن اليمنى.

26 ـ عائلة شيوخ قديمة، انظر بوركهاردت، رحلات في سورية، ص 462؛ شقير، ص 586.

27 ـ الوسم: — على الجانب الأيمن من الذقن و // خلف الأذن اليسرى.

28 ـ الوسم: / على الجانب الأيمن من الذقن و | على الأذن اليمنى.

29 ـ قام نابليون بتعيين جدهم «سلطان غزة» لأنه عمل دليلاً مع الجيش الفرنسي.

30 ـ حسب موزيل ينتمي إلى النجيمات.

31 ـ الوسم: ▽ على الجانب الأيمن من الرقبة.

32 ـ من العريش.

33 ـ من دير البلح.

34 ـ كعابنة.

35 ـ مسيحيون سابقون من بيت لحم.

36 ـ انظر الصفحة 104 أعلاه.

37 ـ يسمى سكان خان يونس قلاعية، انظر موزيل ص 31.

38 ـ يزعمون أنهم بني حسن من شرقي الأردن، الوسم: 〰 على الجانب الأيمن من الرقبة.

39 ـ لياثنة من وادي موسى (البترا «البتراء»)، انظر فصل شرقي الأردن. الوسم مثل المذكورين آنفاً (38).

40 ـ حويطات من القبيلة الفرعية السلالمة، انظر الجدول: حويطات سيناء. الوسم القديم: ٨ (راجح)؛ الوسم الجديد: مثل المذكورين آنفاً.

41 ـ يسمون أيضاً فواعير تكنياً بجدهم. الوسم: على الجانب الأيسر من الرقبة. موزيل، ص 38، يحسبهم مع مجمع التياها.

42 ـ الآن ابنه حسن بن نمر بن واكد بن عايش الوحيدي. يرد ذكر عايش في Palestine Exploration Fund، لعام 1906م، ص 33 وما بعدها. أحد أعضاء أسرة الشيوخ، جابر، درس في العهد التركي في مدرسة القبائل في القسطنطينية وأصبح بعد ذلك ضابطاً ويعيش الآن في غزة. وقد فتح عدة مدارس لقبائل بئر السبع، أشكنازي، ص 31.

التياها

جاء اسم القبيلة، التي يسمى هذا المجمع باسمها، من التيه، الهضبة الداخلية من صحراء سيناء، حيث لم تزل تعيش مجموعة منه. ويعيد التياها نسبهم إلى قبيلة بني هلال الشهيرة: عندما كانت قافلة بني هلال تعبر سيناء في طريقها من نجد إلى مصر خرج ثلاثة شبان وثلاث فتيات عن الطريق بحثاً عن الماء في وادي سدره وضاعوا (تاهوا) في الصحراء. ولم يتمكنوا بعد ذلك من اللحاق بالقافلة ولذا بقوا في سيناء[1].

بينما تنطلق هذه الحكاية من الاسم تياها، تنطلق حكاية أخرى عن أصل القبيلة من أسماء القبائل الفرعية وتقول[2]: جاء التياها من الشرق واستوطنوا في صحراء التيه. وكان زعيمهم اسمه ربّاب وكان له خمسة أبناء: عمري، جد عائلة عيال عمري (ح)، وحُقّ، جد الحقوق[3] (آ)، وعلم، جد العلامات (حـ)، ومصلح، جد البدينات (هـ)، وقدير، جد القديرات العثمان (د)[4].

من صحراء التيه انتقل التياها بقيادة عمري بن ربّاب إلى منطقة بئر السبع حيث

(1) والين، Journal of the Royal Geographical Society, London، 1854م، ص 117.

(2) موزيل، الجزء الثالث، ص 34 وما يليها.

(3) ولكن جدهم اسمه، حسب البرغوثي، سعيد.

(4) عند موزيل، ص 39، اسم جدهم هو: "عثمان بن ربّاب الذي يزورون قبره عند عسلوج".

كان يسكن آنذاك الحناجرة، والعزازمة، وبنوخاميس[1]. وعمري مدفون في الوادي الأبيض قرب العوجا حيث يصب وادي الحفير. وما زال هذا القبر حتى اليوم مسرحاً لطقوس غريبة عجيبة. إذ يقوم الناس برمي الحصى على كومة الحجارة وهم يشتمون الشيخ عمري. وهذه الطريقة في تكريم الأولياء الصالحين المنتشرة في العالم الإسلامي بصورة رئيسية في شمال إفريقيا[2] ترمي في الأصل إلى اتقاء القوى الخطيرة المنطلقة من الميت. لكن التياها يفسرونها بطريقة مختلفة تماماً حيث يقولون: في قديم الزمان كانت تقدم الضحايا على قبر عمري في احتفال كبير. وفي أحد هذه الاحتفالات، حيث كان مجتمعاً جزء كبير من القبيلة، هطل فجأة مطر غزير وامتلأ الوادي بالمياه. وجاء الطوفان بسرعة كبيرة بحيث إن التياها لم يتمكنوا من النجاة إلا بصعوبة. وفي الفوضى التي نشأت عند الهروب جرح كثير من الناس وجرفت السيول الأغنام والماعز. فحمّل التياها عمري المسؤولية عن هذه المصيبة لأنهم كانوا يعتقدون أنه لن يصيبهم أذى طالما هم في حمايته. ومنذ ذلك الحين صار التياها يشتمون جدهم.

كما أن مجيء التياها إلى منطقة بئر السبع لا يمكن تحديد تاريخها التقريبي. يشير البرغوثي بهذا الخصوص إلى ملاحظة عن التياها وجدها في كتاب "كشف النقاب"، وهو كتاب لم يطبع بعد عن تاريخ غزة للشيخ عثمان الطباخ، لكنه لم يذكر أي معلومات عن ذلك الكتاب ولا عن تاريخ تأليفه[3]. إلا أن البرغوثي يقول إن الطقوس المشار إليها أعلاه على قبر العمري مذكورة في الإنس الجليل" (المكتوب عام 1495م)[*]؛ لكننا لم نتمكن من إيجاد المكان الذي وردت فيه هذه

(1) لم تعد القبيلة موجودة اليوم، لكن الاسم ظل موجوداً وهو اسم وادي يقع شرق غزة.

(2) دوتبه، مراكش، ص 57 ـ 108.

(3) عارف العارف استعمله وذكر اسم المؤلف: أحمد بن شعبان بن سالم بن يوسف بن أحمد بسيسو.

(*) الإنس الجليل بتاريخ القدس والخليل تأليف قاضي قضاة أبو اليمن القاضي مجير الدين الحنبلي. ولد بالقدس عام 860هـ. (ماجد شبّر).

المعلومة، ولكن حتى لو كان الخبر صحيحاً فإن الاحتمال يبقى قائماً بأن الأمر يتعلق بطقوس محلية قديمة جداً تبناها التياها فيما بعد وصاروا يمارسونها.

في القرن الثامن عشر كان التياها أيضاً، كالحناجرة والترابين، منضمين إلى مجمع الوحيدات (انظر ص 100 أعلاه). وعندما انحل هذا المجمع في بداية القرن التاسع عشر تولت عائلة ابن عطية (العطاونة)[1] من النتوش (و) قيادة التياها. وفي خمسينات القرن الماضي كان الشيخ عودة بن سليم العطاونة، من أحفاد عيد بن عطية، أهم شيخ في منطقة بئر السبع. وقد حدثت عداوة بين عودة وأخيه عامر. فطلب عامر المساعدة من الترابين. واصطدم الطرفان مرتين قرب البطيح على نهر الشريعة (1856م). فقتل عامر في إحدى المعارك وقدّم، إثر ذلك، ابنه سليمان الولاء لعمّه. لكن الشيخ عودة توفي بلا أولاد ولم يتمكن أبناء أخيه من فرض أنفسهم وتولي الزعامة. ونتيجة لذلك انتقل الحكم من عائلة ابن عطية إلى عائلة الهزيّل (الحقوق). فأمر الشيخ سلمان بن علي الهزيّل، جد الشيخ الحاكم حالياً، بقتل معظم أفراد بيت عطية. على إثر ذلك تدخلت الحكومة التركية وألقي القبض على الشيخ سلمان ثم قطع رأسه في دمشق[2]. وبذلك تنقطع الأخبار التاريخية عن القبيلة؛ أمّا حرب الترابين عام 1875م فقد تحدثنا عنها في الصفحة 150 و151 أعلاه.

إلى جانب القبائل الخمس المذكورة في حكاية أصل القبيلة يحسب أيضاً إلى التياها الأصليين كلاً من النتوش والرواشدة. ومن بقية قبائل المجمع سبق وتعرفنا على القلاوزين عند الجبارات (ح)؛ والرماضين هم قبيلة شقيقة للرتيمات (جبارات هـ).

أمّا بني عقبة (م) فيحفظون اسم وتقاليد قبيلة ممثلة بقوة بين بدو فلسطين

---

(1) ذكره لأول مرة سيتزن، الجزء الثالث، ص 49؛ قارن الصفحة 7، 32، وذلك كفرع من بني عقبة (م). بوركهاردت (ص 312)، الذي يشتق التياها من بني عطية، خلط خطأ بين عائلة الشيوخ ابن عطية وبين قبيلة بني عطية.

(2) موزيل، الجزء الثالث، ص 36؛ شقير، ص 586. الحكايات عن هذه الحرب أخذت من "تاريخ بئر السبع"، ص 175 وما يليها.

وشرقي الأردن ولم تزل بقية منها تعيش في موطن القبيلة القديم على خليج العقبة. وأمّا مجموعة بني عقبة المنضمة إلى التياها فقد جاءت إلى فلسطين مع الوحيدات، أي في النصف الثاني من القرن السابع عشر.

تقع منطقة التياها في قوس شمال بئر السبع. وتصل في الغرب حتى أبو هريرة تقريباً، وفي الشرق حتى خربة الملح. وتبدأ في الشمال عند خويلفة وزانوتا. في الأزمنة السابقة كان التياها يتجمعون كل عام في الخريف عند بئر الملح. وكانوا يرسلون جمالهم في الشتاء إلى غور الصافي عند النهاية الجنوبية للبحر الميت، بينما كانوا هم أنفسهم يذهبون إلى نهر الشريعة لكي يبذروا البذور الشتوية[1]. ولربما تخلوا في وقت لاحق، بعد تنامي الزراعة، عن هذه الرحلات التي كانت تتكرر كل عام.

أمّا تحزب القبائل إلى قيسي أو يمني فيصل إلى بئر السبع، عند الحدود الجنوبية. ولم يدخل في هذا التحزب من التياها إلا الحقوق والعلامات، إذ تبنى الحقوق الحزب اليمني والعلامات الحزب القيسي.

(1) روبنسون، الجزء الثالث، ص 182.

التياها(1)

آ ـ الحقوق(2)

شيخ المشايخ : سلمان الهزيّل(3)

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1ـ حقوق الهزيّل(4)	سلمان الهزيّل		
أ ـ الهزيّل			20
ب ـ الجريات (بني جرى)			25
قبائل ملحقة			
أ ـ فراجات(5)			40
ب ـ قطاطوة(6)	الحاج حسن أبو عيدة		100
1 ـ أبو عيدة			
2 ـ أبو موسى		الشريعة؛ وادي فطيس	
3 ـ أبو شريعة			
4 ـ الغشاترة			
5 ـ الصبرة			
6 ـ الدعابسة			
7 ـ الكواشفة			
جـ ـ المسعوديين(7)	الحاج حسن الزيادة		50
1 ـ زيادنة			
2 ـ قواعية			

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
هـ ـ عبيد سود(8)	بركات العبد		40
2 ـ الحمامدة(9)	حسن الفرنجي		
أ ـ الطلالعة(10)	محمود الطلالعة		70
ب ـ عبيد سود	محمد العبيد		30
3 ـ العمارات(11)	سليمان الأسد؛ محمد أبو عبدون(12)	الشريعة؛ وادي فطيس	
أ ـ السمارة	سليم السمارة		20
ب ـ أبو عبدون	أبو عبدون(12)		20
جـ ـ أبو حامد	محمد أبو حامد		20
د ـ الأسد	سليمان الأسد		60
قبائل ملحقة			
أ ـ يسفة(13)	الحاج سلمان أبو سيف		40
ب ـ قلاعية(14)	صالح الملاحي		20
4 ـ الجلمان(15)	سليم البريقي(2)		
أ ـ البريقي	سليم البريقي(2)		50
ب ـ العتايقة	سليمان العتايقة		30
جـ ـ أبو ناجع	محمد أبو ناجع		10
د ـ عبيد سود	موسى العبيد		15

ب ـ بلي(16)

شيخ المشايخ : هليّل الصهابين

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ صهابين	هلّيل الصهابين	أم دبكل	30
2 ـ هروف	عبد الله الهرفة		30
3 ـ أبو ليمون (لوامين)	حسين أبو مضيات		15

جـ ـ علامات(17)

شيخ المشايخ: سلامة أبو شنار(18)

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ البواطلة			
أ ـ البواطلة	حسن بن محيسن البواطلة		30
ب ـ العبيدات	سلامة أبو شنار(18)		40
جـ ـ العصايبة	محمد العصيبي		10
قبائل ملحقة		الخويلفة، المليحة، البطيحة	
أ ـ الطورة (19)	حسن أبو جرار		10
1 ـ اخارسة			4
ب ـ القطاطوة	سلامة أبو أحمد		5
1 ـ قريناوية			4

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
2 ـ الجقيمات	عطا أبو جقيم		
أ ـ الجقيمات	عطا ابو جقيم		30
ب ـ الزوايدة	حسن أبو سكوت	الخويلفة؛ المليحة؛ البطيحة	40
3 ـ المزاغيل	سلامة أبو لبة		
أ ـ الشلوح	سلامة النقيز		50
ب ـ المزاغيل	سلامة أبو لبة		60

د ـ القديرات(20)

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ أبو كف	حسين أبو كف	وادي الخليل؛ خربة حورة	
أ ـ أبو كف			30
ب ـ أبو أطرش			15
جـ ـ الحمدي			5
قبائل ملحقة			
أ ـ أبو سبيلة			2
ب ـ البطون			18
2 ـ الصانع(21)	إبراهيم الصانع	خربة الليقة؛ الشريعة؛ أبو هريرة	
أ ـ الصانع			20

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
ب ـ النبّاري			20
جـ ـ الوكيلي			20
د ـ أبو سبيت			15
قبائل ملحقة			
هـ ـ الصبابرة			3
3 ـ أبو رقيّق	حرب أبو رقيّق	بير أبو رقيق؛ الشريعة	
أ ـ أبو رقيّق			20
ب ـ أبو صلب			20
جـ ـ أبو عصا			20
د ـ أبو نادي(22)			10
4 ـ الأعصم	سالم الأعصم(23)	وادي الخليل	
أ ـ الأعصم			50
ب ـ أبو هويشل			40
جـ ـ الحميدي			35
قبائل ملحقة			
أ ـ العلاقمة	صالح السعيد		4
ب ـ السعيديين(24)	صالح السعيد		

هـ ـ البدينات

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ البدينات	عطية بن خطَّاب	الشريعة؛ غزالة	40
قبائل ملحقة			
أ ـ مصريون			6
ب ـ قريناوية			4

و ـ النتوش(25)

شيخ المشايخ: حسن بن علي العطاونة(26)

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ ابن عطية	حسن العطاونة		
2 ـ أبو شارب			15
3 ـ الحمادين			10
4 ـ الطلالقة			10
قبائل ملحقة			
1 ـ مصريون			6
2 ـ قطاطوة			6
3 ـ قريناوية			5
4 ـ نعيمات			4
5 ـ أبو رضاف(27)			

ز ـ الرواشدة(28)

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
الرواشدة	سليمان أبو راشد	وادي الجمّامة؛ الحمام	25
قبائل ملحقة			
1 ـ قطاطوة			4
2 ـ مصريون			3
3 ـ قريناوية			2

حـ ـ عيال عمري (العرور)

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
عيال عمري	سليم العر	المحرّفة	30
قبائل ملحقة			
1 ـ قطاطوة			6
2 ـ مصريون			3
3 ـ قريناوية			1

طـ ـ القلازين

شيخ المشايخ: عبد الله أبو الغصين

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ الجعيثني		الجمّامة؛ وادي الشريعة	20
2 ـ أبو الغصين		الجمّامة؛ وادي الشريعة	20
قبائل ملحقة			
قطاطوة			6

ك ـ الرماضين

شيخ المشايخ: حسن بن إبراهيم المسامرة

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ المسامرة	حسن المسامرة	بير السقاطي؛ الخويلفة	40
2 ـ الشعور	سلامة الشعور	بير السقاطي؛ الخويلفة	40

ل ـ الشلالين(29)

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
الشلالين	محمد أبو غيث	تل المليحة؛ سعوة	60
قبائل ملحقة			
1 ـ سعادنة			10
2 ـ طورة			8
3 ـ قطاطوة			6
4 ـ مصريون			11

م ـ بني عقبة(30)

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
بني عقبة	الحاج محمد العقبي	أم البقر	20
قبائل ملحقة			
1 ـ قطاطوة			8
2 ـ طورة			6

ملاحظات

1 ـ غارماني، ص 23 موزيل، الجزء الثالث، ص 38 ـ 41؛ ياوسن، ص 410. عارف العارف، ص 20 وما يليها، قريب جداً من جدولنا. ذكرت لأول مرة عند بوركهاردت، ص 313. كنسوس 1931 : 14,193 نسمة.

2 ـ الكتابة تتأرجح بين «ق» و «ك».

3 ـ سلسلة النسب: سلمان بن علي بن سلمان بن علي بن عزام.

4 ـ صيحة الحرب: راعي البلها! الوسم: // بين الأذن اليمنى والعين و —// بين العين اليسرى والأذن.

5 ـ مصريون.

6 ـ القطاطوة، قوم من قطيا، ممثلون في كثير من قبائل التياها الفرعية. وقطاطوة الحقوق جاؤوا حديثاً إلى بئر السبع وحصلوا هناك على أراض؛ ولم يزل المالكون البدو السابقون مسؤولون عن دفع ضرائب هذه الأراضي.

7 ـ من البصيرة قرب الكرك.

8 ـ عبيد الهزيّل.

9 ـ الوسم وصيحة الحرب مثل حقوق الهزيّل.

10 ـ مصريون.

11 ـ صيحة الحرب: راعي المليحا! الوسم: / على الخد الأيمن و // بين العين اليسرى والأذن.

12 ـ الآن: عديسات أبو عبدون.

13 ـ قطاطوة.

14 ـ من العريش، ليس من خان يونس، كما في ص 163/ 168 أعلاه.

15 ـ صيحة الحرب: راعي البويضة!

16 ـ ينتمون من ناحية النسب للقبيلة المعروفة في الحجاز. تاريخ هجرتهم والشروط التي قبلتهم التياها على أساسها موجودة عند ياوسن، ص 119. سياسياً مرتبطون بالحقوق. الوسم: ⌈ على الجهة اليسرى من الرقبة.

17 ـ الوسم: ＼ على الخد الأيمن، عمود على الجهة اليمنى من الرقبة و // بين العين اليسرى والأذن.

18 ـ الآن: موسىٰ أبو شنّار ولكنه لم يعد يحكم سوى جـ1. عائلة الشيوخ ورد ذكرها عند سيتزن، الجزء الثالث، ص 37.

19 ـ الطورة اسم للقبائل الموجودة حول جبل الطور في سيناء.

20 ـ أقدم ذكر لهم عند سيتزن، الجزء الثالث، ص 43. إذا ما كنا قد نسبنا أعلاه القديرات إلى التياها الأصليين فإن صحة هذا النسب تبقى نسبية وضمن شروط؛ فالبرغوثي يستثني الصانع، بينما يعتبر موزيل القديرات العثمان فقط (أبو كف أو الأعصم) أصليين. وسم القديرات (باستثناء الصانع): + على الجهة اليمنى من الرقبة و // خلف الأذن.

21 ـ الوسم: ـــ على الذقن الأيمن و // خلف الأذن اليمنى. وبناء على ذلك تكون هناك قرابة بين القبيلة الفرعية والصانع الترابين.

22 ـ ينتمون من ناحية النسب إلى أبو كف.

23 ـ الآن: جدوع العصم.

24 ـ مصريون.

25 ـ الوسم: / على الخد الأيمن و // بين العين اليسرى والأذن. ويقال بأن عائلة النتشة في الخليل تنحدر من النتوش.

26 ـ سلسلة النسب: حسن بن علي بن سليمان بن سالم بن سليم بن عواد بن واقد بن عطية. وكان علي العطاونة قد وقف إلى جانب الإنجليز منذ ما قبل الحرب العالمية بتأثير لورنس وغرترود بّل. وكان ابنه فريد، الذي درس في مدرسة القبائل في القسطنطينية، يعمل عام 1917م لصالح الإنجليز ثم أصبح في وقت لاحق موظفاً في بئر السبع؛ ستيوارت إرسكاين، فلسطين العرب، 1935م، ص 203؛ أشكنازي، ص 31.

27 ـ حويطات من مصر.

28 ـ ينتمون من ناحية النسب إلى التتوش. الوسم: / على الخد الأيمن.

29 ـ يعتقد بأن الاسم مشتق من وادي الشلاّل.

30 ـ عارف العارف يقسمهم إلى: قريش وصبيحات. الوسم: |٧ على الورك الأيمن.

العزازمة

يسكن العزازمة جنوب وجنوب شرق بئر السبع. وإقامتهم في فلسطين أقدم من إقامة التياها والترابين. وهم ينتمون من ناحية النسب، كما تثبت صيحتهم للحرب "صبيان قضاعة!"، إلى قضاعة وهم قوم كانوا منذ ما قبل الإسلام يسكنون في شمال الحجاز والبادية السورية ثم نسبوا لاحقاً إلى العرب الجنوبيين (انظر مقال بلي في فصل الحجاز).

كان على التياها، الذين هم اليوم جيران العزازمة في الشمال، أن يعبروا منطقة العزازمة عند قدومهم من سيناء. وقد احتفظت حكاية أصلهم بذكرى عن معارك في ذلك الوقت. ومع الترابين، المجاورين لهم من جهة الغرب، دخل العزازمة في وقت مبكر في علاقات تحالفية وشاركوا في حملاتهم الحربية[1]، ولكن في عام 1887م حدث شقاق بين الفريقين بسبب خلاف على ملكية منطقة السرّ. أصيب العزازمة في الحرب مع الترابين بخسائر فادحة. ولذلك طلبوا من بطرك القدس اليوناني الوساطة، وتمكن البطرك بمساعدة الحكومة من تحقيق صلح بين الخصمين.

أصبح العزازمة اليوم أضعف قبيلة حول بئر السبع. ومنطقتهم عبارة عن هضبة

---

(1) شقير، ص 586 وما بعدها.

في الصحراء تنحدر بتضاريس حادة نحو الغرب والجنوب والشرق وتصعد باتجاه الجنوب. وهي تجاور من جهة الجنوب الغربي منطقة تياها سيناء عند بيرين وعين القديرات ووادي العسلي. وفي الغرب تجاور منطقة الترابين عند الخلصة والرحيبة. وفي الجنوب الشرقي يصل العزازمة حتى العربة حيث يتقاسمون مع السعيديين الينابيع: حصب، وعين الويبه، ميمليحة.

في الصيف تخيم القبيلة الفرعية المسعوديين بعيداً إلى الشمال وتصل حتى الرملة.

العزازمة بدو رُحل لا يمارسون الزراعة إلا قليلاً في الجزء الشمالي من منطقتهم. في الشتاء يستعملون مياه الأمطار التي تتجمع في الوديان الموجودة هناك وتبقى فترة من الزمن. وفي الصيف يستعملون الأحواض التي تعدّها كل عشيرة قرب مخيمها. أمّا في الخريف فيخيمون قرب الينابيع القليلة أو الآبار التي يعود بعضها إلى العهد البيزنطي[1].

---

(1) انظر كنعان، بدو العزازمة ومنطقتهم، في: مجلة الجمعية الألمانية ـ الفلسطينية، الجزء 51، ص 89 ـ 118.

العزازمة(1)

القبيلة	الشيخ	المنطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ الصبحيين	فريج بن حمد(2)	الرحيبة؛ الخلصة؛ وادي الأبيض؛ العوجا؛ بيرين	
قبائل ملحقة بهم			
أ ـ عرايشة			10
ب ـ قلاعية			10
2 ـ محمديين	سليمان بن جخيدم(3)	الخلصة؛ العوجاء	
أ ـ بو شيتة	درويش بن نصر الله		10
ب ـ عرون(4)	حمدان سلام		12
جـ ـ جخادمة	سليمان بن جخيدم		12
د ـ شياحين(5)	مسلم أبو شنيم		12
هـ ـ مصافير	رمضان المصافير		8
و ـ عويمرات	عبد الله العويمر		11
ز ـ عوايشة(6)	مسلم بن محسن		20
ح ـ معامير(7)	حسن المعمار		8
ط ـ ملاطعة	عبد الله الملاطعة		6
ي ـ عمرات	جمعة		10
ك ـ شماعلة	سلاّم		3
ل ـ قطاطوة	سليمان		8
م ـ رسوس	سلام أبو رسيس		3
س ـ زيلان	الحاج سالم زيدان		9

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
ع ـ مواضية	عبد الله المواضية		7
ف ـ دغيمات	عبد الله المواضية		
ص ـ قلاعية			20
3 ـ السواخنة(8)	عودة أبو الخيل(9)	المويلح؛ الشقيب؛ وادي المشاش؛ المديفي	
أ ـ العوضات	سالم بن عوض		12
ب ـ الزوايدة	سلمان بن زايد		8
جـ ـ الفقيّر	سلما الفقيّر		7
قبائل ملحقة			
أ ـ العمران(10)			4
ب ـ احيوات(11)			3
جـ ـ سهيلاوية(12)			5
د ـ بلي			7
هـ ـ قلاعية			6
4 ـ المسعوديين	سلامة بن سعيد	في الشتاء: وادي مرطبة في الصيف: الفالوجة؛ وادي الصرار؛ الرملة	
أ ـ الفضلات	سلامة بن سعيد		22
ب ـ المغون	سلمان المغون		11
جـ ـ العدسيين	عياد الشاعر		7
د ـ الحمامدة	حسين بن حماد		18

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
قبائل ملحقة			
أ ـ الرياطية(13)	عبد القادر حسن		15
ب ـ قلاعية(14)	محمد القلاعي		18
5 ـ المريعات	سلمان الحولي (15)	رميلة حامد؛ قاعة مقبولة	
أ ـ الحوالي	سلمان الحولي		12
ب ـ أبو رجيلة	مسلّم أبو رجيلة		10
قبائل ملحقة			
أ ـ قلاعية			10
ب ـ ملالحة			10
6 ـ الصبيحات	سالم أبو سمرة	الخلصة؛ قاعة مقبولة	20
أ ـ قلاعية			5
ب ـ ملالحة			5
7 ـ الزربة(16)	عيد بن ربيعة	بير السبع؛ بير تركيا؛ الشقيب	
أ ـ البتاترة (قوم بتّور)	عيد بن ربيعة		8
ب ـ العوايضة	عيد العوّيض		12
جـ ـ الشرايفة	سليمان أبو شريفة		12
د ـ عبيد سود			4
قبائل ملحقة			
أ ـ رميلات			6

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
ب ـ سواركة			8
جـ ـ قلاعية			16
د ـ ملالحة			6
8 ـ سراحين(17)	سليم بن سعد(18)	وادي الاجـــــرام؛ وادي الخراشة؛ وادي رمان؛ جبل النفخ	
أ ـ عيال سلمة	سليم بن سعد		25
ب ـ عيال سويلم	سالم الايتم		22
جـ ـ عويضات	سالم بن سليمان		20
د ـ الوريدات	عوده بن عيادة		20
هـ ـ الخواطوة	عودة بن ميزن		20
9 ـ الفراحين(19)	علي بن خضير(20)	عصلوج؛ بير السبع	
أ ـ الخضيرات	سليمان بن خضيرة		19
ب ـ الغرّان	عواد الطويل		15
جـ ـ النواصرة	عودة بن صبح		15
د ـ الجلقان(21)	سليمان بن غدّير		12
قبائل ملحقة			
أ ـ المعازة(22)	سليمان السعيداني		6
ب ـ القلاعية	سلمان المليطي		12
جـ ـ شيخ العيد	محمد شيخ العيد		2
10 ـ العصيات	سليمان النميلي أبو عصا(23)	وادي عـصـلـوج؛ رخـمـة؛ المديفي؛ عبدة؛ العين المرّة	

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
أ ـ الهبيرات	سليمان النميلي		8
ب ـ عيال سليمان	سليمان النميلي		4
جـ ـ السماحين	سويلم أبو عصا		7
د ـ الصبيحات	سويلم أبو عصا		6
هـ ـ الزيادين	سلام أبو حباك		18

ملاحظات

1 ـ سيتزن، الجزء الثالث، ص 45 وما يليها؛ بوركهاردت، ص 313؛ موزيل، الجزء الثالث، ص 42 وما بعدها؛ ياوسن، ص 412؛ مجلة الجمعية الألمانية الفلسطينية، الجزء 51، ص 113؛ عارف العارف، ص 16 وما بعدها. يقدر البرغوثي العدد الإجمالي بـ 7500 نسمة، عارف العارف يقدر العدد بـ 8600 نسمة. الوسم: على فخذ الرجل الخلفية اليمنى.

2 ـ ابن كريشان؟ تاريخ بئر السبع، ص 98: سلاّم بن عيد بن مسلّم بن كريشان.

3 ـ تاريخ بئر السبع، ص 98: ابنه عودة أبو جخيدم.

4 ـ وسم إضافي: على الرقبة وعلى الأذن اليمنى.

5 ـ الوسم: على الفخذ الأيسر.

6 ـ الوسم: على الفخذ الأيسر.

7 ـ الوسم: على الجهة اليمنى من الرقبة للذكور وتحت على الورك للإناث.

8 ـ الاسم مأخوذ من اسم جد القبيلة سلمان أبو ساخنة. وسم إضافي:

/ على الجهة اليمنى من الرقبة.

9 ـ يعود اسم العائلة إلى الوراء إلى نصر أبو الخيل "أفضل خيّالي العزازمة" (كنعان، نفس المصدر السابق، ص 114).

10 ـ ينتسبون إلى عمران شرقي الأردن (الجدول: حويطات جـ).

11 ـ من القبيلة التي تحمل نفس الاسم في سيناء.

12 ـ هكذا يسمى فلاحو قرية بني سهيلة قرب خان يونس. انظر موزيل، ص 30 وما بعدها.

13 ـ الوسم: V| على الجهة اليمنى من الرقبة. وهذا هو وسم النعيمات التابعين للترابين[1] والذين كان الرياطية يسكنون معهم سابقاً. أمّا الرياطية فكانوا في الأصل فلاحين.

14 ـ موزيل وعارف العارف يقولان: قلوع.

15 ـ تاريخ بئر السبع، ص 98: سالم بن سويلم بن سلامة بن صبح الأزرق.

16 ـ موزيل يحسبهم مع السراحين (انظر الملاحظة التالية). الوسم: ⊏| أو ┌┐ (باب وعمود) على الجهة الداخلية من الفخذ الأيمن.

17 ـ السراحين تربطهم علاقة قرابة وثيقة مع قبيلتي الفراحين والعصيات. وهم، حسب موزيل، لا ينتمون في الأصل إلى العزازمة. قبر جدهم سويلم موجود إلى الجنوب من العوجا وهو مزار يحظى بالتكريم.

وسم السراحين: ┌┐ (باب وشليق) على الورك الأيسر و // على الجهة اليسرى من الرقبة.

18 ـ سلسلة النسب: سليم بن عودة بن سعد بن سالم.

---

(1) هكذا يقول برغوثي في كلامه عن العزازمة. ومما يلفت الانتباه أنه يعطي النعيمات عند الترابين اسماً آخر.

19 ـ وسم إضافي : / على الجهة اليمنى من الرقبة.

20 ـ تاريخ بئر السبع : عيد بن مسلّم بن سلامة بن خضيرة.

21 ـ عارف العارف : جليقات.

22 ـ بخصوص تعبير "المعازة" انظر مقال بني عطية في فصل الحجاز.
الوسم : / على الورك الأيمن و ╫ على أسفل الساق الأمامية اليسرى.

23 ـ يلعب دوراً في حكايات العزازمة سويلم أبو عصا "أمير الصحراء الطيب" كنعان، نفس المصدر السابق، ص 114).

الظلّام

إلى الشرق من العزازمة يسكن الظلّام. وهم من الناحية السياسية على صلة وثيقة مع التياها، أمّا من ناحية النسب فهم قضاعة مثل العزازمة. وهم ينتمون إلى بلي، القبيلة المستوطنة في شمال الحجاز والتي هاجرت منها منذ الإسلام أجزاء كبيرة نحو الشمال.

جد الظلّام اسمه مهنا، وقبره في وادي الحفير يكرم في الخميس الرابع عشر[1] من كل عام بتقديم الأضحيات[2]. وتمتد منطقة تنقّل الظلّام من الكسيفة شمال وادي الملح نحو الجنوب حتى عبده وتل قيطوم حيث تتقاطع مع منطقة العزازمة. وفي السابق كان الظلاّم يقومون بغزوات يصلون فيها حتى جنوب سيناء[3].

(1) في أبريل/نيسان.

(2) موزيل، ص 44.

(3) شقير، ص 570.

الظلّام(1)

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ ظلام أبو ربيعة(2)	محمد قبوعة	صيفاً كسيفة شتاءً: كحلة؛ منطرة الهندي	
أ ـ الربيعات	سليمان أبو ربيعة		40
ب ـ القرعان	سلامة أبو عيادة		45
جـ ـ المحمديين	محمد قبوعة		35
2 ـ ظلام الكشخر(3)	الحاج سليمان الكشخر(4)	صيفاً: عبدة شتاءً: المطردة؛ المرّة	
أ ـ الكشاخرة	سليمان الكشخر		15
ب ـ الوجوج	معتق الوجّ		20
3 ـ أبو جويعد(5)	محيسن أبو جويعد	صيفاً: مطهر شتاءً: عرعرة	
أ ـ ابن رحال	محيسن بن رحال		25
ب ـ الصرايعة	الحاج عيد		25
جـ ـ خليل المعابدي	خليل الظالم		25
4 ـ أبو قرينات(6)	سلامة أبو قرينات	صيفاً: بير عرعرة شتاءً: أبو التلول؛ كرنب	
أ ـ الغناميين	صبيّح بن صباح		15
ب ـ عيال سليمان	سلامة بن صبيح		15
جـ ـ القرينات	سلامة أبو قرينات		15
د ـ الغولة	سلامة أبو قرينات		10

ملاحظات

1 ـ غارماني، ص 23؛ موزيل، ص 44. ياوسن، ص 410؛ عارف، ص 24، 27. ياوسن وعارف يذكرا أنهم مع التياها.

2 ـ الوسم:

3 ـ الوسم: يسمون أيضاً: الجنابيب.

4 ـ الآن: عودة الكشخر.

5 ـ الوسم: .

6 ـ الوسم: على الخد الأيمن مثل جميع القبائل المذكورة آنفاً.

السعيديين

السعيديين هم القبيلة الوحيدة في فلسطين التي تعيش حياة بدوية خالصة وكانت حتى قبل وقت قصير لما تزل تقوم بالغزو. ومنطقتهم على شكل شبه منحرف يمتد من وادي مرزبة وجبل النفخ في الشمال ماراً عبر العربة وحتى غرندل وخربة دلاغة. وقد أرغمت القبيلة على التراجع إلى هذه المنطقة الوعرة خلال القرن التاسع عشر. وهناك مقبرة قديمة عند عرعرة تدل على مقر سكنهم الأصلي[1]. ومنذ فصل فلسطين عن الأردن (سياسياً) انقسمت القبيلة إلى قسمين. ونحن نعالج هنا فقط القسم الأكبر الذي بقي في فلسطين، الغرابة، أمّا القسم الأصغر المخيّم قرب البتراء فسنعالجه في فصل شرق الأردن.

السعيديين هم من ناحية النسب حويطات. ويعيشون في عداوة مع بني عطية. وفي حالات الشدة يتلقون المساندة من العزازمة الذين أعطوهم حق المشاركة ببعض ينابيعهم.

(1) روبنسون، الجزء الثالث، ص 181.

السعيديين(1)

شيخ المشايخ(2): ابن حميطة

القبيلة	الشيخ	عدد الخيام
1 ـ الحمايطة(3)	سويلم بن حميطة	6
2 ـ الرمامنة(4)	سويلم بن رمان	12
3 ـ المذاكير(5)	علي بن ذكر	15
4 ـ السويات(5)	سليمان السويات	10
5 ـ النقوز(6)	علي نقيز	8
6 ـ الرويضات(6)	سالم بن رويضة	5
قبائل ملحقة		
1 ـ المطيري(7)		8
2 ـ ابن رشود(7)		3
3 ـ الدغافقة(8)		8
4 ـ الحربي(8)		5
5 ـ ابن طليحان(8)		5

ملاحظات

1 ـ أول ذكر لهم عند سيتزن، الجزء الثالث، ص 101. يوجد قوائم عند موزيل، ص 46؛ عارف العارف، ص 33 وما بعدها. صيحة الحرب: صبيان الحويطات.

2 ـ ريشتر: ابن رمّان وابن ذكر.

3 ـ الوسم: | على الفخذ الأيمن و ∧ (مشلوق).

4 ـ الوسم: | على الفخذ الأيمن، — على الجهة اليمنى من الأنف، ومطرق خلف الأذن ومطرق بين العين اليمنى والأذن.

5 ـ الوسم: | على الفخذ الأيمن، ∧ ومطرق خلف الأذن.

6 ـ الوسم: | على الفخذ الأيمن، و | على الجهة اليمنى من الأنف.

7 ـ الوسم: مطرق خلف الأذن، ومطرق على الخد. المطيري وابن رشود منضمون إلى الحمايطة.

8 ـ منضمون إلى الرمامنة.

الجزء الثاني

القسم الثاني: سيناء

مدخل

تنقسم شبه جزيرة سيناء إلى ثلاثة مناطق مختلفة: السهل الساحلي حول العريش، وهضبة التيه، ومرتفعات سيناء. يجاور الشريط الساحلي الرملي الصحراء المصرية السفلى ويتابع امتداده إلى فلسطين. ويواجهه في الجنوب جبل المغارة المعزول وفي الشرق جبل الحلال. وتشكّل الهضبة الداخلية في الغرب والجنوب حافة نصف دائرية شديدة الانحدار، جبال التيه، يفصلها عن الجبال العالية واد رملي عميق. وتحتل جبال التيه باستثناء سهل الطور كامل جنوب شبه جزيرة سيناء. وفي وسط التيه يبرز جبل عجمة القاحل والفقير بالمياه، ويسمى الامتداد الشمالي لجبال التيه مقابل السويس جبل الراحة.

تجري مياه التيه نحو البحر المتوسط عبر منظومة وادي العريش. وتنبع الوديان التي تنتهي في سهل خليج العقبة، وهي وادي سدر، ووادي وردان، ووادي غرندل، في السفح الغربي للهضبة. وفي الجبال العالية في سيناء فإن أهم وادي هو وادي فيران الذي يصب شمال الطور. ويصب في خليج العقبة وادي العنب (وادي وتير). وفي هذا الوادي يوجد قبر الشيخ عطية الذي يعتبر جدّاً لقبائل كثيرة. وعلى مقربة من الفروع الشمالية لمنابع الوادي يقع ظهر المرتفع الفاصل بين سفحين (خط تقسيم المياه)؛ الوادي الذي ينبع من الجهة الأخرى لهذا الخط، وادي الجرافي، يتجه إلى البحر الميت.

تقع على ساحل خليج العقبة واحات النخيل الصغيرة، نويبع، وذهب، ونبك، وعند أسفل سيناء الأعلى الواحة الكبيرة فيران. وفيما عدا ذلك لا يوجد سوى عدد قليل من المستوطنات الثابتة، في الجنوب مرفأ طور وفي الشمال العريش. وفي وسط شبه الجزيرة تقع النخل مع قلعة لحماية الطريق من السويس إلى العقبة. إذ كان الحجاج المصريون يستعملون هذه الطريق في العهد الإسلامي الأول ثم، بعد انقطاع، منذ عام 1268م[1] إلى أن تخلوا عنها عام 1885م واستعملوا الطريق البحري.

تمر عبر شمال سيناء أهم الطرق العسكرية في منطقة البحر المتوسط، وهي تؤدي من مصر إلى غزة عبر قطيا والعريش. وإلى الجنوب قليلاً نحو الداخل يمر "الدرب المصري" من الإسماعيلية أو السويس إلى غزة. وأخيراً نذكر الطرق القديمة التي كان الحجاج المسيحيون يستعملونها عندما كانوا يذهبون من الخليل أو غزة إلى دير القديسة كاترينا. يقع هذا الدير عند أسفل جبل موسى الذي هو، حسب الرواية الدينية، جبل التشريع الإلهي. وقد بناه حوالي عام 540م القيصر يوستينيان وظل زمناً طويلاً مركزاً للنشاط الديني. وكان له تأثير واضح على حياة البدو إذ أدت حركة الحجاج إلى التخفيف من قسوة العيش في تلك المنطقة القاحلة.

يتحدث الكُتّاب القدماء عن العديد من الأقوام العربية في سيناء ولكن هذه الروايات لا تقدم صورة عن علاقات النسب أو العلاقات التاريخية. وينطبق هذا أيضاً على السراسنة[2] الذين ظهروا هنا في القرن الثاني بعد الميلاد وأطلق اسمهم فيما بعد على جميع العرب.

أدى الفتح الإسلامي إلى مجيء لخم وجذام من شبه الجزيرة العربية إلى

(1) خلال فترة الانقطاع (منذ حوالي 1060م) كان الحجاج يذهبون إلى الحج عن طريق البحر من مرفأ عيذاب على البحر الأحمر.

(2) يرى ب. مورتيس أن قبيلة السواركة الحالية في العريش أخذت اسمها من اسمهم. لكن هذا يتناقض مع أن السواركة ليسوا قبيلة قديمة وليسوا من قبائل شبه جزيرة سيناء.

سيناء. ولم تزل بقايا من هاتين القبيلتين موجودة حتى اليوم بين قبائل قطيا. وفي العصور الوسطى جاءت قبيلتان جذاميتان أخريان هما: العايد الذين كانوا يسكنون المنطقة الممتدة من العقبة حتى الحدود المصرية، وبنو واصل الذين استطونوا في منطقة طور. وكلاهما هاجرتا في وقت لاحق إلى مصر. وفي آخر العهد المملوكي ظهر في شبه جزيرة سيناء مجمع بني عطية لكنه اختفى بعد ذلك بسرعة. ومن هذا المجمع خرج الترابين. وفي بداية العصر الحديث تشكل مجمع الطور الذي سيطر وحده على منطقة طور بعد انسحاب بني واصل وقبائل قديمة أخرى. وأحدث المهاجرين القادمين هم الأحيوات الذين جاؤوا في القرن الثامن عشر من مدين إلى التيه.

جاءت الهجرات من شبه الجزيرة العربية حصراً. ولم تكن سيناء الهدف النهائي للمهاجرين إلا نادراً، بل كانت غالباً مجرد معبر على الطريق إلى مصر أو فلسطين. وقد اختفت قبائل العصور الوسطى من هناك إما كلياً مثل العايد، أو جزئياً بأن خلفت عدداً قليلاً من الخيام فقط مثل بني واصل. ومن القبائل الجديدة انتقل الجزء الأكبر من التياها والترابين إلى فلسطين، بينما انتقلت أجزاء كبيرة من الطورة إلى مصر. في الجزء الشمالي من شبه جزيرة سيناء حدثت حركة معاكسة حيث انتقلت قبائل مصر السفلى شيئاً فشيئاً إلى غزة. وقد أشرنا إلى هذه الظاهرة في مدخل فصل فلسطين. وقد تولدت هذه الحركة مع انتعاش الاستيطان في فلسطين في عهد صلاح الدين ثم استمرت بفعل الجهود التي كانت الحكومة المصرية تبذلها بين حين وآخر لإبعاد البدو عن الدلتا. وفي منتصف القرن الماضي توقفت هذه الحركة بسبب إجبار بدو جنوب فلسطين على التراجع، ثم أعيقت نهائياً بسبب حفر قناة السويس. فلقد أقامت قناة السويس حدوداً في مكان كان الناس يتحركون فيه قبل ذلك دون إعاقة، وفصلت قبائل المنطقة المصرية الشرقية وقبائل قطيا التي كانت قبل ذلك تشكّل وحدة واحدة.

الطبقة المنبوذة من الهتيم ممثلة ببعض الجماعات الصغيرة في شمال سيناء، وينسب إليها أيضاً البدو الغريبون الذين يعملون في صيد السمك والذين يوجد

مقرهم الدائم في الجزر الواقعة أمام خليج العقبة. وهناك بعض السكان المعزولين كلياً، والذين يعتبرون من بقايا سكان المنطقة قبل الإسلام، نذكر منهم البدارة الذين وجدوا ملجأ لهم في هضبة عجمة الوعرة، وبعض المجموعات الفلاحية في فيران وواحات أخرى.

وبما أن تربية الماشية وزراعة الواحات لا تكفي لمعيشة القبائل الموجودة في سيناء، فإن هذه القبائل مضطرة للبحث عن مصادر أخرى للعيش. ومن هذه المصادر مرافقة ونقل الحجاج المسلمين إلى مكة والحجاج المسيحيين إلى سيناء. وكانت قبائل طور تعيش في شراكة مصلحية وثيقة مع دير كاترينا إذ لم يكونوا يتولون مهام النقل والتموين المتعلقة به وحسب، بل كانوا يتقاضون منه صدقات وتعويضات حماية أيضاً. وتستند هذه الحقوق إلى اتفاقيات قديمة تعود حسب سجلات الدير إلى عام 800م بعد الميلاد. وفي الواقع لم تكن هذه الاتفاقيات تستطيع دوماً حماية سكان الدير من هجمات البدو ولذلك كان الرهبان يضطرون في كثير من الأحيان إلى طلب الحماية من الحكومة. فقد أصدر السلطان المملوكي قايتباي (1469م ـ 1496م) وحده تسعة مراسيم لحماية الدير. الاتفاقيات الحديثة بين الدير والبدو موجودة في كتاب الأم الذي استعمله نعّوم شقير في كتابه تاريخ سيناء. وهو نسخة من كتاب قضاة طور الذي كان مستعملاً من عام 1001هـ/ 1592م حتى عام 1276هـ/ 1851م.

من الناحية السياسية كانت سيناء في العهد الإسلامي تابعة دوماً لمصر. لكن الحكومات المختلفة لم تكن تعير المنطقة أي اهتمام إلا عندما تجعل الظروف شبه جزيرة سيناء مهمة عسكرياً. كانت الطرق وحدها تلقى بعض العناية، وخاصة الطريق الساحلي وطريق الحج. وكانت العناية تقتصر على تحسين الآبار بين حين وآخر، وعلى تحسين حالة الممر الصعب فوق العقبة، وبناء قلعة نخل (في عهد السلطان قانصوه الغوري). وكانت حماية الطرق مسندة كالعادة للقبائل المجاورة لها، وهي: العايد في العصور الوسطى المتأخرة، وفي العصر الحديث: الطورة على المقطع الممتد من عجرود (غربي السويس) حتى جبيل حسن، والتياها حتى

نخل، والأحيوات حتى مرتفع ممر العقبة.

كانت الضرائب المفروضة على بدو سيناء، أو على الأقل على الطورة، تتحدد استناداً إلى كمية الفحم الخشبي التي كانت تعرضها هذه القبائل للبيع في القاهرة عندما كانت سيناء لما تزل غنية بالأشجار. ولذلك لم تكن المحافظة على النظام تسبب أي صعوبات لأن الحكومة كان في وسعها الاعتماد على أقرباء قبائل سيناء المقيمين في مصر. وكانت تعتمد بصورة خاصة على عائلة ابن شديد. وعائلة ابن شديد هي عائلة شيوخ الفرع المصري من الحويطات والتي كان لها، بفضل تضامن مجمع الحويطات المنتشر على مساحات واسعة، نفوذ على جميع قبائل سيناء.

عندما يعيش كثير من القبائل على مساحة ضيقة وعلى أرض غير خصبة يكون حفظ السلام حاجة لا غنى عنها. وكان السلام متحققاً بواسطة نظام متشابك من الأحلاف: بين الحويطات، والأحيوات، والترابين، والطورة، يوجد حلف قديم، وبين كل من هؤلاء الخصوم من جهة والتياها من جهة أخرى تسود حالة سلم بموجب معاهدة (قلد)، وقد تحولت حديثاً بين التياها والترابين إلى حلف، وهناك "قلد" بين الترابين والسواركة، وكذلك بين السواركة من جهة والتياها والأحيوات من جهة أخرى. وتعود هذه التركيبة، جزئياً، إلى تقسيم قديم لقبائل سيناء إلى سعد وحرام. وكانت سعد وحرام في الأصل تشكيلين قبليين ضعيفي التماسك أخذا اسميهما من قبيلتين من جذام. وفي العهد المملوكي تتطورا إلى مجموعات سياسية تفككت مرة أخرى في وقت لاحق لكنها ورثت أحفادها الاسم والتقاليد. ينتسب إلى حرام: الحويطات، والأحيوات، والترابين، والطورة، وينتسب إلى سعد: التياها، والسواركة، وغالبية قبائل قطيا.

أدى الوعي الحقوقي والقانوني، المتمثل في الاتفاقيات المبرمة مع الدير وفي الاتفاقيات المبرمة بين القبائل فيما بينها، إلى نشوء قضاء فريد من نوعه في عالم البدو، من ناحية تنوع مناصبه وأساليبه، وانتقل إلى المناطق المجاورة وخاصة إلى جنوب فلسطين. وكانت القضايا المختلفة تعرض على قضاة مختصين حسب كون القضية تتعلق بقضية طلاق، أو خلاف على الملكية، أو قضية قتل أو اعتداء، أو

إهانة تمسّ الشرف وهي مسألة كانت عقوبتها قاسية. وفي القضايا المعقدة كانت هناك محكمة دنيا مهمتها تحديد القاضي الذي من صلاحيته النظر فيها. وهناك وظيفة قديمة هي وظيفة "المبشّع" الذي يثبت الحقيقة بأن يضع على لسان المتهم قطعة حديد حامية ويتبيّن ما إذا كان لسانه يحترق أم لا؟ فإن احترق اعتبر المتهم مذنباً. وهناك مبشّع واحد في شبه جزيرة سيناء يورث منصبه لأبنائه من بعده. جميع المناصب الأخرى يمكن أن يشغلها أناس مختلفون، وإن كان هناك بعض العائلات أو القبائل التي تتمتع بحقوق امتيازية. ومن الوظائف العامة الأخرى نذكر أيضاً وظيفة "الحسيب" (القليد) الذي يعقد الأحلاف واتفاقيات السلام ويحافظ عليها، وهي وظيفة قابلة للجمع مع منصب الشيخ، لكنها غير مرتبطة به بالضرورة. ليس مستبعداً أن تكون هذه الأعراف القانونية تعود إلى عصور قديمة جداً. ما علينا إلا أن نتذكر الإصحاح الثاني 18، 13 ـ 27[*].

(*) الإصحاح الثاني 18، 13 ـ 27 ينص:

(13) ولمّا كان الغد جلس موسى ليقضي للشعب فوقف الشعب أمامه من الغداة إلى العشي.
(16) إذ كانت لهم دعوى يأتونني فأقضي بين الرجل وصاحبه وأعرّفهم فرائض الله وشرائعه.
(25) فاختار موسى أناساً أقوياء من جميع إسرائيل فجعلهم رؤساء عن الشعب رؤساء فئات بين ألفٍ ومئة وخمسين وعشرةٍ. (26) فكانوا يقضون للشعب في كل وقتٍ وكُلّ دعوى صعبةٍ يرفعونها إلى موسى وكل دعوى بسيره يحكمون هم فيها. . . (العهد العتيق/ طبعة اليسوعية/ 1882م). (ماجد شبّر).

قبائل قطيا

يسكن الجزء الغربي من منطقة العريش حول قطيا عدد كبير من القبائل الصغيرة. وهي دون استثناء تقريباً ممثلة أيضاً في المحافظتين المصريتين "الشرقية" و"القليوبية" ولكن بأعداد أكبر جداً هناك. وكان بدو قطيا قبل فتح قناة السويس تابعين إدارياً أيضاً لهاتين المحافظتين. وبعضهم ينتمي إلى موجات قديمة جداً من المهاجرين، ومنهم البيّاضيون والأخارسة[1]. ولخم وجذام ممثلون هنا بقوة: لخم ممثلون هنا بالقبيلتين المذكورتين آنفاً[2]، وجذام بقبيلتي السماعنة[3] والمساعيد. والدواغرة ينسبون إلى طبقة ملتحقة بالمطير. والبلي مهاجرون قادمون من الحجاز. والعيايدة أيضاً جاؤوا من الجنوب؛ وكانوا يسكنون سابقاً عند طور، وكان الشيخ سليمان بن غانم العيادي يملك حتى عام 1905م بستان نخيل في وادي فيران[4]. أما أولاد علي فقد جاؤوا من الغرب. وقبيلتهم الأم التي تحمل الاسم نفسه هي، كما هو معروف، أهم مجمع في المحافظات المصرية الغربية وفي

(1) همداني (توفي 334هـ/ 945م ـ 946م)، ص 129 وما بعدها: بياضة عند العريش؛ المقريزي، قبائل مصرية، ص 79. الأخارسة والبيّاضيين عند قطيا، انظر قلقشندي، ص 158.

(2) لكن البيّاضيين هم، حسب همداني، من جذام.

(3) فرع من بني مهدي، قلقشندي، ص 120.

(4) شقير، ص 109 وما بعدها. يرد ذكر القبيلة عند بوكوك (1739م)، وصف بلاد المشرق، إرلانغن 1754م ـ 1755م، الجزء الأول، ص 220.

الصحراء الليبية[5].

بين جميع هذه القبائل يتمتع فقط العيايدة والمساعيد ببعض الأهمية. ويرتبط العيايدة بحلف مع السواركة، بينما يرتبط البياضيون بحلف مع السماعنة. وكان الدواغرة في السابق ملزمين بدفع خوة لجيرانهم، لكنهم الآن يعيشون تحت حماية الحكومة.

عربان برّ قطيا(1)

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ الدواغرة	عيد سويلم؛ سالم مسبّح	الزقبة	300
2 ـ البياضيين(2)	إبراهيم سليمان مرزوق(3)	الزقبة	700
3 ـ السماعنة(4)	محمد خضير؛ حسين شبانة	الزقبة	150
4 ـ السعديين(5)	مقبول نصر		190
5 ـ الأخارسة(6)	إبراهيم عطيّة؛ عبد العال محمد	الزقبة ـ بير النصف ـ بير الدوادار	250
6 ـ القطاوية	سعيد أبو بطيحان	قطيا	
7 ـ أولاد علي	عمر أبو رايات	قطيا ـ بير النصف	120
8 ـ بلي البررة(7)	جدّوع شبلي(8)	قطيا ـ بير النصف	120
9 ـ العقايلة(9)	عطوان سعدان	قطيا ـ بير النصف	26
10 ـ العيايدة(10)	مسلم أبو السباع	القنطرة ـ إسماعيلية ـ جبل المغارة	260
11 ـ المساعيد(11)	عودة عطية	شمال المذكورين أعلاه	100

(1) ب. كاله: أولاد علي بدو الصحراء الليبية مجلة الإسلام، الجزء الرابع، ص 355 وما يليها.

ملاحظات

1 ـ حسب شقير، ص 120 وما بعدها. أسماء الشيوخ والأعداء استناداً إلى موري: أبناء إسماعيل، 1935م، ص 252، 244، 251، معدلة. أرقامه أعلى جداً بالنسبة للبياضيين (2)، وأدنى جداً بالنسبة لبلي (8) والعيايدة (10) والمساعيد (11)، من أرقام:

Recensement général de l'Égupte، القاهرة 1898م، الجزء الثالث، ص 8 وما يليها التي أخذنا منها معلوماتنا عن قوة أجزاء القبائل الموجودين في مصر.

2 ـ في الشرقية والقليوبية: 1312 نسمة.

3 ـ شقير: الحاج علي سالم الهرش..

4 ـ في الشرقية: 6106.

5 ـ في الشرقية: 6998.

6 ـ في الشرقية: 356.

7 ـ في الشرقية والقليوبية: 2714.

8 ـ تاريخ بئر السبع، ص 115: حسين بن طحيمر.

9 ـ في الشرقية: 791.

10 ـ سيتزن، الجزء الثالث، ص 102؛ بوركهاردت، ص 316، ياوسن، ص 416، وموري يذكرون 4 قبائل فرعية، يقدر ياوسن عدد جمالها بـ 600 جمل. في هذه القبيلة يوجد أحد منصبي المبشع الموجودَيْن في شمال شبه الجزيرة العربية؛ شقير، ص 399؛ أوستين كينث، القضاء البدوي، ص 111؛ عارف العارف، كتاب القضاء بين البدو، ص 95 وما بعدها؛ موري، ص 232 وما يليها.

11 ـ إلى هذه القبيلة ينتمي أشهر "منشد" في سيناء (المنشد هو القاضي الذي ينظر في قضايا التعدي على الشرف)، شقير، ص 398.

السواركة

تبدأ منطقة السواركة عند الحدود الفلسطينية وتصل في الغرب حتى بير العبد قبل قطيا وفي الجنوب حتى خط حجر السواركة ـ رجم القبلين ـ ريسان عنيزة ـ جبل المغارة. والسواركة هم، من الناحية العددية، أقوى قبيلة في شبه جزيرة سيناء لكنهم من الناحية السياسية فقدوا كثيراً من نفوذهم بسبب حروبهم مع الترابين التي تحدثنا عنها في الصفحة 150 أعلاه. وكانوا في الماضي يقومون بغزوات ضد قبائل التيه. وأشهر يوم عندهم يوم جبل ألبني (1846م) الذي انتصروا فيه على التياها[1].

لا نعرف شيئاً مؤكداً عن أصل السواركة ومنشأهم. والقبيلة نفسها تنسب نفسها إلى عكاشة أحد صحابة النبي[2]. كان لعكاشة ولدان، نصير ومنصور، هاجرا نحو الشمال ونزلا عند رجل من قبيلة بلي في وادي الليف[3]. فتزوج منصور من بنت ظروة أي "الشايبة" «التي خالط الشيب سواد شعرها». ويسمى أحفادها، الأفخاذ 2 ـ 5، أولاد الظروة، بينما يحمل أحفاد نصير اسم عردات وإليهم تنتسب عائلة الشيوخ[4].

---

(1) شقير، ص 580.

(2) يظهر عند المؤرخين عدة رجال بهذا الاسم.

(3) في حكاية أخرى للقبيلة يذكرها البرغوثي تعتبر ضانا الواقعة شمال شوبك موطن القبيلة.

(4) شقير، ص 121.

يحمل الشيخ عند السواركة اللقب المصري "عمدة" . وإلى جانب العمدة يقف الحسيب أو القليد، وهو الذي يعقد معاهدات السلام ويضمن المحافظة عليها. وهذا المنصب يتوارثه أبناء عائلة أبو عيطة: القليد سبيتان أبو عيطة قتل عام 1856م في معركة مكسر ضد الترابين (انظر الصفحة 150 أعلاه)، فقام بعد ذلك ابنه سالم البكر بعقد اتفاقية السلام. وعند وفاة سالم بعد عامين من ذلك التاريخ خرج المنصب من العائلة لكنه عاد إليها عام 1886م عندما عُهد إلى صبح، أخي سالم، بعقد اتفاقية سلام جديدة.

السواركة(1)

شيخ المشايخ: سلاّم عرادة(2)

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ العردات(*) 2 ـ الدهيّمات أ ـ الجربُرات 3 ـ المحافيظ 4 ـ الفلافلة 5 ـ الخناصرة		رفح ـ بير العبد	4000

ملاحظات

1 ـ الجدول حسب شقير، ص 121. موري، ص 253، يذكر بضعة أفخاذ أخرى. والبرغوثي يذكر القبيلتين الفرعيتين: العردات والزيادات، ويذكر من العردات الفرعين: العردات والمقاطعة. أما الزيادات فيقسمهم على الشكل التالي:

أ ـ الزيود.

ب ـ الزويديين.

جـ ـ الزيادات.

د ـ المنصوريين.

هـ ـ الظوارعة.

(*) عمدتها الشيخ سلاَّم عرادة من العردات (شقير ص 121). (ماجد شبَّر).

و ـ الدهيمات (مع 3، 4، 5، من الجدول كفروع).

قوائم غارماني، ص 24؛ وموزيل، البتراء العربية، الجزء الثالث، ص 32 وما بعدها؛ وتاريخ بئر السبع، ص 149، تختلف عن قوائم شقير وعن قوائم البرغوثي. بخصوص أجزاء القبيلة في فلسطين انظر مقال الجبارات ومقال قبائل صغيرة على الساحل. وسم العردات: /على الورك الأيمن، ووسم الزيادات "الزناد" ▽ في نفس المكان.

2 ـ أحد أسلافه كان عم أبيه سلامة عراده (حوالي عام 1850م).

الرميلات

الرميلات مرتبطون سياسياً بالسواركة. ومنذ أن طردهم الترابين من مقرهم الأصلي قرب خان يونس، سكنوا حول رفح. والرميلات والسواركة هما القبيلتان الوحيدتان في سيناء اللتان تربيان الخيول.

الرميلات

سليمان معيوف أبو صبيع

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ البسوم			
2 ـ الشرطيين			
3 ـ العوابدة		رفح	
4 ـ السننة			100
5 ـ العجالين			100

الترابين

يسكن الترابين في ذلك القطاع من سيناء الذي يصل بين منطقة العريش الغنية بالكثبان الرملية وهضبة التيه، ويمتد من جبل الراحة في الجنوب الغربي حتى البرث والجورة في الشمال الشرقي. وهنا يتصلون بالترابين الفلسطينيين. هذا الاتصال وسيطرتهم على طريق السويس غزة[1] يجعلانهم أهم قبيلة في سيناء. وبينما كانت الحدود الجنوبية لمنطقتهم محددة منذ زمن طويل بموجب اتفاقية مع التياها. فقد ظلت حدودهم الشمالية زمناً طويلاً موضع خلاف ولم تحدد إلا في منتصف القرن الماضي بعد معارك عنيفة مع العيايدة والسواركة[2].

ظل الترابين فترة طويلة غير خاضعين لسلطة الحكومة. وحتى في عام 1883م لم يتمكن الإنجليز من إلقاء القبض على أبناء القبيلة الذين شاركوا في قتل المستشرق المعروف بالمر. وقد قدّر هاينس(رجل يصيد في الصحراء) (Man-Hunting in the Desert) (ص 203) عام 1883م عدد المحاربين عند ترابين جبل الراحة ومنطقة قطيا بخمسمائة رجل، بينما حدد موري (ص 255) عددهم جميعاً بـ 565 نسمة فقط. وهناك مجموعة ثانية منهم تسكن في المنطقة الأصلية للقبيلة على خليج العقبة في النويبع وفي وادي الشيخ عطية؛ يبلغ عددها حوالي 140 نسمة.

---

(1) بوركهاردت، رحلة في سورية، ص 467.

(2) انظر مقال الترابين في فصل فلسطين.

الترابين(1)

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ الحررة	خضر الشنوب(2)	شرق وادي العريش	
2 ـ الحسابلة	سلامة بن جازي	غرب وادي العريش	565
3 ـ الشبيتات	عودة الباسلي	غرب وادي العريش	

ملاحظات

1 ـ فيما عدا قائمة شقير، ص 116، التي اعتمد جدولنا عليها، تؤخذ بعين الاعتبار فقط معلومات ياوسن (Coutumes des Arabes، ص 415) وموري، ص 254 وما بعدها. لكن ياوسن لم يسجل إلا الحسابلة. أما الحررة فيظهرون عنده بين الترابين الفلسطينيين كجزء من النبعات (جـ). ومن هؤلاء ينحدر حسب موري جميع ترابين سيناء. وفي مصر (محافظة الجيزة) يسكن ترابين يبلغ عددهم 3000 نسمة، Recensement، ص 13.

2 ـ من الواضح أنه هو نفسه الشيخ خضر الشنيبات الوارد ذكره عند شقير، ص 582. والآن وضع مكانه "شهدة الدلدول" الذي كان يتولى المنصب خلال فترة الاحتلال التركي في الحرب العالمية، موري.

التياها

تمتد منطقة تياها سيناء من الجنوب الغربي إلى الشمال الشرقي عبر هضبة التيه. وتبدأ عند جبيل حسن شرقي السويس. وتتبع الحدود أطراف التيه حتى ممر نقب الراكنة وتمتد من هناك نحو الشمال الشرقي حتى عريف (عرايف) الناقة. وبعد ذلك تسير على امتداد الحدود الفلسطينية حتى تنعكف بين بئر عين القصيّم والعمرو نحو الجنوب الغربي وتعود عبر جبل الحلال إلى نقطة الانطلاق.

وهكذا يتجاور التياها في الجنوب الغربي مع الطورة، وفي الجنوب الشرقي مع الأحيوات، وعلى امتداد الحدود مع العزازمة، وفي الشمال مع الترابين. والحدود مع الترابين محددة منذ زمن قديم بموجب اتفاقية النخل[1]. ومنذئذ لم تحدث سوى حرب واحدة بين هاتين القبيلتين (1875م). لا بل إنما قد أصبحا مؤخراً حليفين[2].

كانت هناك عداوة قديمة بينهم وبين الأحيوات لم تزل ذكراها حية في بعض الأغاني: قام تيهي اسمه لقلوق بخطف ابنة سليم قردود من الأحيوات (خناطلة). وعلى إثر ذلك قام الأحيوات بقتل شيخ التياها حمد بن عامر رمياً بالرصاص. فشن التياها حملة ثأر على الأحيوات في بير الثمد (في منتصف الطريق بين نخل والعقبة)

---

(1) انظر الصفحة 149 أعلاه.

(2) شقير، ص 405.

لكنها باءت بالفشل لأن الأحيوات كانوا قد لجأوا إلى الطورة في وادي فيران. عندئذ قام الأحيوات بغزوة على قطعان التياها التي كانت ترعى في هضبة عجمة، لكن ابن نصير شيخ الطورة، الذي كانوا في حمايته، أجبرهم على إعادة الغنائم التي أخذوها. بعد ذلك ذهب الأحيوات إلى السويس وطلبوا المساعدة من شيخ الحويطات فرج أبو طقيقة. ومن السويس شنوا غزوة جديدة ضد التياها فطاردهم هؤلاء على طريق العودة ولحقوا بهم عند وادي الراحة. لكن الأحيوات عرفوا كيف يتخلصون من مطارديهم وعادوا بغنيمتهم سعداء إلى مصر. وعندئذ طلب شيخا التياها المتضرران، ابن ناصر وابن كيله، بدورهما المساعدة من شيخ الحويطات. فقام شيخ الحويطات بإجبار الأحيوات على إعادة نصف الجمال المسروقة. وعلى إثر ذلك عقدت في خيمته معاهدة سلام بين الشيخين القياديين مسمح بن نجم[1] وحمد بن عامر[2].

تحاربت التياها مرة ثانية مع الأحيوات، وذلك عندما قدم هؤلاء عام 1875م المساندة للترابين[3].

يملك التياها قطعاناً كبيرة من الجمال والماعز، وهم يمارسون الأعمال الزراعية في الجزء الشمالي الشرقي من منطقتهم وفي وديان الصرام والصبحة والقصيّم وكذلك في وادي العريش. وكانوا في أوقات سابقة يحصلون على عائدات لقاء حماية طريق الحج في المقطع الممتد من جبيل حسن حتى نخل، وكانوا يقبضون رسماً على البضائع التي تُباع خلال موسم الحج في سوق نخل[4]. علاوة على ذلك ما زال شيخ الصقيرات[5] حتى اليوم يحتكر النقل على الطريق بين نخل

---

(1) انظر الملاحظة 2 في جدول الأحيوات. بناء عليها يجب أن تكون الأحداث قد وقعت بعد عام 1850م.

(2) هكذا يقول النص! بينما قيل أعلاه إنه قتل رمياً بالرصاص.

(3) شقير، ص 587.

(4) شقير، ص 264. المبلغ الدقيق للصرة مذكور عند إبراهيم رفعت، مرآة الحرمين، الجزء الثاني، ص 339، تحت "الشقيرات" (المقصود الصقيرات)، الشيخ مصلح بن أحمد.

(5) شقير، ص 330. انظر ريتر، الجزء 14، ص 869، 877، 964.

وغزة. فإذا لم يجد المسافرون، القادمون من السويس أو من دير سيناء إلى نخل يرفقه أدلاء من الطورة، خلال 24 ساعة أدلاء من التياها، عندئذ يحق للطورة الاستمرار في مرافقتهم ولكن لقاء دفع ما يسمى رسم التخريج للتياها ورسم الأرضية لشيخ المشايخ ابن عامر.

التياها(1)

شيخ المشايخ: حمد مصلح بن عامر(2)

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ الصقيرات(3)	حمد مصلح	العمر ـ نخل	
2 ـ البنّيات(4)	عيد حمد أبو خليفة	المويلح ـ جبل البني	
أ ـ أبو جرّة	عودة أبو جرة		30
ب ـ الدهيني	عيد السليمان		30
جـ ـ أبو خليفة	عيد حمد أبو خليفة		50
د ـ العنازين	عيد العنازين		85
3 ـ الشتيّات(5)		جبل الحلال	
4 ـ القديرات		وادي القديرات	
5 ـ البريكات(6)	مضعان العضيضي	الموبيح؛ ما بين	
قبائل ملحقة(7)			
العرينات(7)		جبل الحلال	

ملاحظات عن التياها

1 ـ قوائم القبيلة موجودة عند ياوسن، ص 414؛ شقير، ص 115؛ موري، ص 256. أما موزيل، الجزء الثالث، ص 40 وما بعدها، فقد ذكر تياها سيناء وتياها فلسطين معاً. وأقدم المواد عن القبيلة موجودة عند ريتر، الجزء الرابع عشر، ص 961 وما يليها. يستند الجدول إلى قائمة شقير، إلا أن معلومات البنيات (2) تعتمد على البرغوثي. كان عدد أفراد القبيلة عام 1911م، 900 رجل.

2 ـ يرد ذكر أبيه مصلح أبو قردود عند شقير، ص 582. تحمل عائلة الشيوخ اسم العوامرة. وقد ظهر مؤخراً منافس لحمد مصلح هو سالم العوامري الذي يتزعم التياها المقيمين في الشمال.

3 ـ يذكر موزيل ثمانية فروع يرد اسم اثنين منهم عند ياوسن أيضاً. . الوسم: // على الخد الأيسر و | على الخد الأيمن.

4 ـ فروع موزيل تختلف اختلافاً كلياً عن الفروع المذكورة عندنا. الوسم: 18 على الخد الأيسر و | على الخد الأيمن.

5 ـ الوسم: |•| على الخد الأيسر، / على الخد الأيمن.

6 ـ البريكات في الأصل ليسوا تياها. جدهم اسمه بريك وقبره موجود عند ماين وهو مزار يحظى بالتكريم، موزيل، نفس المصدر السابق. الوسم: // على الخد الأيسر، = على الخد الأيمن؛ وكذلك المذكورون آنفاً.

7 ـ ملحقون بالبنيّات. وهناك آخرون على الساحل يعملون في صيد السمك. ويعتبر العرينات، الذين تعرفنا على المجموعة منهم عند أريحا، من الهتيم.

الأحيوات (اللحيوات)[1]

يسكن الأحيوات في القطاع الجنوبي الشرقي من التيه وفي عربة، وهم أحدث قبائل سيناء. وتبدو العادات البدوية عندهم أقوى منها عند جيرانهم. فما زال شعورهم بعلاقات النسب قوياً وكانوا حتى ما قبل وقت قصير يقومون بغزوات يتوغلون فيها إلى عمق شبه الجزيرة العربية.

ينحدر الأحيوات من الساحل الشرقي لخليج العقبة. ولقد روينا في الصفحة 41 أعلاه حكاية القبيلة التي تعيد أصلهم إلى المساعيد من البدع. وكانوا في القرن السادس عشر منضمين إلى مجمع بني عطية[2]. ويُقال بأن اسمهم جاء من اسم نبتة الحوي التي عاشوا عليها في زمن المجاعة[3].

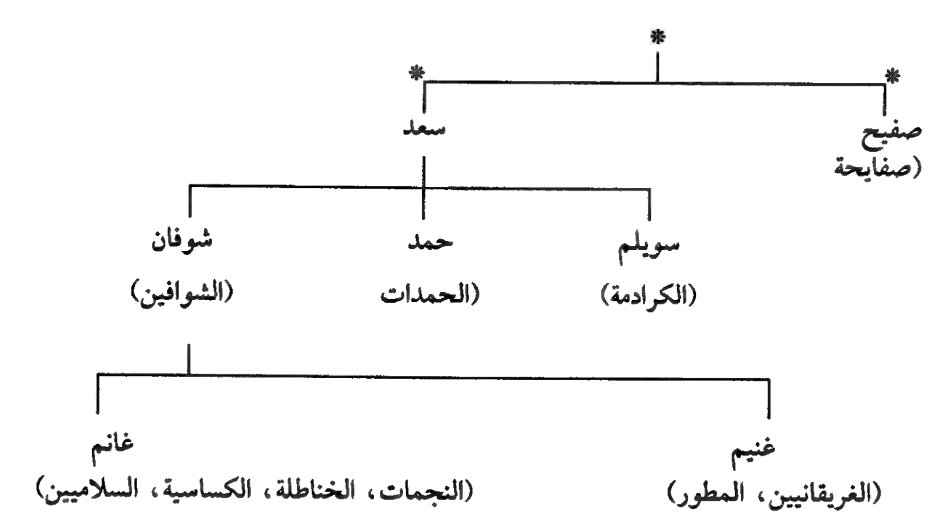
احتل الأحيوات في سيناء في بادئ الأمر وادي الجرافي الواقع غرب العربة. وكان زعيمهم سعد صادق الوعد. وإذا ما كانت المعلومات المعروفة عن نسبهم، والتي يظهر فيها سعد بصفة جد القبيلة، صحيحة إلى حد ما، فإنهم يجب أن يكون قد جاؤوا إلى المنطقة في القرن الثامن عشر.

---

(1) يسمون أيضاً "اللحيوات" و"الحيوات".

(2) درر الفرائد، عند شقير، ص 117.

(3) تاريخ الأحيوات حسب شقير، ص 117 وما بعدها.



تبدأ منطقة القبيلة شرقي التياها وتمتد من نخل حتى العربة ومن جبل الأحيقبة حتى العقبة. فقط الفخذ الصفايحة يسكن في وسط الترابيين في الشمال الغربي بين جبل البضيع وجبل المغارة. وتجيء أجزاء أخرى من القبيلة إلى هذه المنطقة في مواسم القحط[1].

يعيش الأحيوات بسلام مع جيرانهم في سيناء[2]. إلا أن علاقتهم مع المعّازة (بني عطية) على الجانب الآخر من العربة كانت سيئة دوماً. وتعود ذكريات المعارك معهم إلى بداية القرن التاسع عشر: في عام 1820م كان الأحيوات متجمعين عند بئر القريص (على طريق الحج بين نخل والعقبة) للاحتفال بمناسبة ختان[3]، فمر أمامهم رجال من المعازة العائدين من غزوة ومعهم بعض الجمال المسروقة والعائدة للتياها. فأجبرت الأحيوات اللصوص، حسب العرف السائد هناك، على إعادة

(1) موزيل، الجزء الثاني، 1، ص 237.

(2) حلف مع الحويطات، والترابين، والطورة؛ وعن معاهدة السلام بينهم وبين التياها انظر ص 219 + 220 أعلاه، ومع السواركة انظر شقير، ص 405، 579 وما بعدها.

(3) كان بين الصبيان المشتركين في الغزوة سليمان القصيّر الذي أصبح شيخاً فيما بعد وتنازل عن منصبه في نهاية القرن التاسع عشر عن عمر ناهز الثمانين عاماً. ويبدو أن شقير استنتج التاريخ من هذه المعلومة.

الجمال إلى أصحابها. ولكن تسليم الجمال لم يكن ممكناً دون قتال حيث قتل رجل من النجمات (1). وقد قررت النجمات أخذ الثأر، ولكن أحد شيوخهم، عيد بن حسين، خلص من طالبي الثأر بالحيلة المعازة الذين كانوا قد لجأوا إليه طلباً للحماية. وفي عام 1840م وقع حادث مشابه قتل فيه فريج أبو طيرين، زعيم معازة الكرك، في وادي أبو عجارم برصاصة أطلقها جمعة رضوان من السلاّميين. ثم دارت بين الطرفين في عام 1885م في وادي العقفي (بين العقبة والجرافي) معركة دامية هجم فيها 200 رجل من المعازة على 30 رجلاً من الأحيوات وقتلوا منهم 14 رجلاً. تلا ذلك عدّة حملات من جانب الأحيوات إلى أن عقدت أخيراً اتفاقية سلام بوساطة الشيخ محمد بن نجاد (جاد) من العلاوين (الحويطات).

كما أن الأحيوات قاموا أيضاً بغزوات ضد الشرارات في شمال شبه الجزيرة العربية، وفي وقت سابق ضد السواركة أيضاً. ويتحدث شقير (ص 576 وما بعدها) عن غزوتين ضد الشرارات وقعت الأولى في عام 1873م. وشارك في الغزوتين مئات من ركاب الجمال، ولكنهم لم يكونوا من الأحيوات وحدهم وإنما أيضاً من قبائل سينائية أخرى. وصلت الغزوة الأولى حتى وادي سرحان، أما الثانية فوصلت إلى منطقة طبيق فقط. في الذهاب سلك المهاجمون طريق الحج عند سورغ[1] بينما اتبعوا في الإياب طريقاً واقعة إلى الشمال. وتجدر الإشارة إلى أن الغزوتين باءتا بالفشل: في الغزوة الأولى استعاد الشرارات من اللصوص عند ودعات (شرقي معان) الغنائم التي أخذوها، وفي الغزوة الثانية لم يصل الأحيوات إطلاقاً إلى العدو، وفي طريق العودة مات جزء منهم عطشاً.

لم يزل الأحيوات يعيشون حياة بدوية. في الربيع ينصبون خيامهم في العقبة لكي لا يرهقوا أنفسهم دون لزوم خلال تبديل المرعى كل يوم تقريباً[2]. وتملك

(1) قديماً: سرغ، قلعة المداورة.

(2) تفعل الشيء نفسه قبائل سيناء الأخرى أيضاً، فالّين، في مجلة الجمعية الجغرافية الملكية، لندن، 1854م، ص 119.

عائلة شيوخهم بساتين نخيل في العقبة[1].

تكريم الأولياء والأجداد عادة متطورة عند الأحيوات وخاصة عند مجموعة الشوافين: يكرم النجمات قبر حمدان في وادي الردّادي في نقطة غير بعيدة عن نقطة تفرع (مفرق) الطريق المؤدية من العقبة نحو الغرب، ويقدس المطور قبرين في وادي الهاشة (الشيخ مسلّم والشيخ صبيح) الواقع إلى الشمال قليلاً، ويقدس السلاّميون "قبر الحج" في نخل وقبر أبو ديب في وادي ماين.

الأحيوات(1)

شيخ المشايخ: علي العليان القصير

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ النجمات(2)	علي العليان		
2 ـ الخناطلة			
3 ـ الكساسية			
4 ـ السلاّميين(3)			
5 ـ الفريقانيين(4)		الجنوب الشرقي من التيه	
6 ـ المطور			
7 ـ الكرادمة			
8 ـ الحمدات			
9 ـ الصفايحة	أبو صفيح	جبل المغارة	
10 ـ الخواطرة(5)			
11 ـ الخلايفة(6)	محمد الخليفي	العربة	

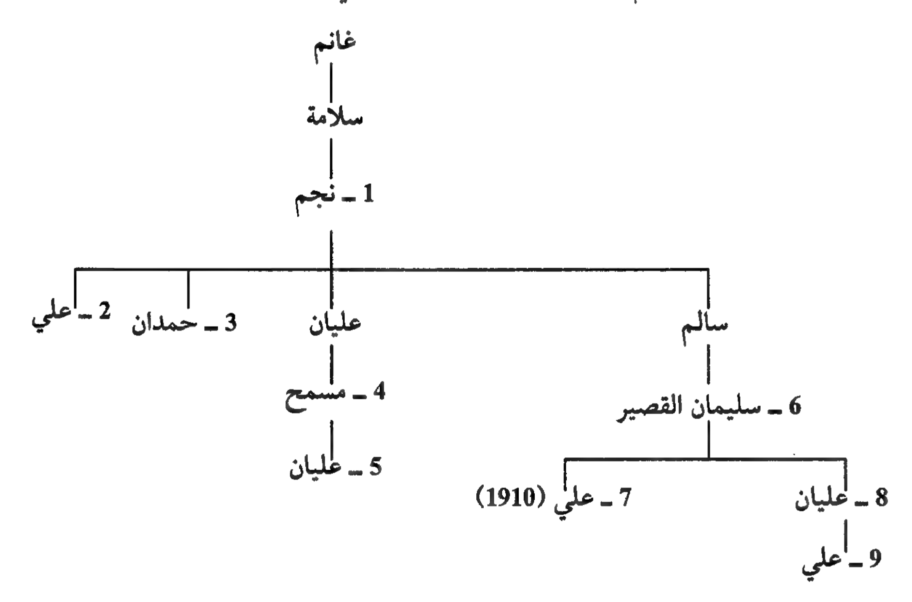
(1) موزيل، الجزء الثاني، 1، ص 259.

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
قبائل ملحقة			
البدارة(7)		العجمة	25

ملاحظات

1 ـ استناداً إلى قائمة شقير، ص 117، التي استُكملت استناداً إلى معلومات البرغوثي، قوائم جوسان، ص 414، وموزيل، ص 45 وما بعدها، تختلف عنها اختلافاً طفيفاً فقط يوجد لدى موزيل تقسيم أوسع للنسب إلى شوافين، وحمدات، وخلايفة. الوسم: / بين العين والأذن، الصفايحة يضيفون إلى ذلك X على الورك الأيسر، بقية الفروع — على الجهة اليسرى من الذقن. حدد عدد الأحيوات في "ريسنسمان" (الجزء الأول، ص 138) بـ 1682 رجلاً و2659 امرأة، ويقدر هاينس (ص 203) عدد المحاربين بـ 650 رجلاً.

2 ـ النجمات هم عائلة شيوخ القبيلة. شجرة نسبهم، التي ذكرنا في شجرة نسب القبيلة أعلاه. أقدم أعضائها على الشكل التالي:



كان نجم أول من حصل على الصرة لحماية طريق الحج[1]. علي قتل خلال زيارة للقاهرة نتيجة سوء تفاهم، وعلى إثر ذلك زادت الحكومة المصرية الصرة. برز في معارك القبيلة مع السواركة التي حدثت في بداية القرن التاسع عشر. الشيخ مسمح ساند الترابين في معركة مكسر ضد السواركة (1856م). توفي بعد حكم طويل عن عمر ناهز الثمانين. أما ابنه عليان فلم يعش سوى 50 عاماً. وتخلى الشيخ سليمان عن الحكم في الثمانين من عمره لصالح ابنه علي الذي يرد ذكر أخيه عليان عند شقير بصفة شيخ.

3 ـ يبدو أن منصب العقيد موجود في هذا الفرع، وبالتحديد في عائلة رضوان. وكان جمعة رضوان (حوالي 1840م)، وسليمان بن رضوان (حوالي 1873م)، وسلامة بن رضوان (توفي عام 1906م)، من قادة الغزو المشهورين، شقير، ص 575 وما بعدها.

4 ـ أبو غريقانة، شقير، ص 579.

5 ـ اسمهم باسم جدهم خاطر من قبيلة مزينة.

6 ـ من أصل غريب أيضاً.

7 ـ ينتمي البدارة إلى جماعة قديمة جداً، حسب شقير، ص 107، قبل الإسلام. يسكنون في هضبة العجمة وهم منضمون إلى الصفايحة. وكانوا في زمن سابق متحالفين مع التياها. ولهم أيضاً علاقات مع الطورة (عليقات). وقد ذكروا لأول مرة عند سيتزن ، الجزء الثالث، ص 101؛ انظر أيضاً ريتّر، الجزء 14، ص 945. ولقد عادوا الآن إلى حماتهم القدامى التياها، موري، ص 245.

---

(1) المبلغ مذكور في مرآة الحرمين، الجزء الثاني، ص 339. (الشيوخ: سليمان السالم النجم، قاسم المصلح الخليفي).

الحويطات

وأخيراً بقي أن نذكر بين قبائل التيه الحويطات الذين جاء جزء منهم من مصر وجزء آخر من شبه الجزيرة العربية. وهم ضعيفون من ناحية العدد إلا أنه لهم سند قوي من جهة عائلة شيوخ الحويطات المصرية. وتمتد منطقتهم من الإسماعيلية حتى وادي غرندل ومن السويس وباتجاه الداخل حتى جبيل حُسن. وجميع عائلات حويطات سيناء هم، باستثناء الشوامين (3)، أجزاء من قبائل فرعية تحمل نفس الاسم من الحويطات المصرية (1، 2، 5، 6، 7، 8) أو حويطات شبه الجزيرة العربية (2؟ 5؟ 6، 7). وأبو طقيقة هم خط فرعي من عائلة شيوخ الأخيرين تحمل نفس الاسم والتي ستتحدث عنها بتفصيل أوسع في الفصل القادم.

في قبيلة الحويطات يوجد منصب الضريبي، وهو الشخص الذي يحدد في حال الخلاف القاضي الذي تندرج الدعاوى ضمن صلاحياته[1].

(1) حسب شقير، ص 393. أمّا عارف العارف (ص 95 وما بعدها) فيقول إن الضريبي يتمتع بصلاحية النظر في الدعاوى المتعلقة بسرقة المواشي.

الحويطات(1)

شيخ المشايخ : سعد أبو نار(2)

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ السريعين 2 ـ الغنامیین 3 ـ الشوامين(3) 4 ـ الطقيقات 5 ـ السلالمة 6 ـ العبيات 7 ـ الجرافين 8 ـ الدبور(5)	سعد أبو نار عودة بن بنية أبو طقيقة(4)	جبل الراحة	255

ملاحظات

1 ـ حسب قائمة موري، ص 246، ولكن بدون "السلميين"، بينما يضيف إليهم جوسان، ص 415، القبائل الفرعية 3 و4.

الوسم: /// على الورك الأيسر.

2 ـ خلال الحرب العالمية الأولى وضع الأتراك مكانه "عيد الشلة". أما سعد نفسه فقد ظل معتقلاً عند الإنجليز إلى أن سلمهم رجلاً من قبيلته يعمل جاسوساً لصالح الأتراك.

3 ـ ورد ذكرهم عند سيتزن، الجزء الثالث، ص 101.

4 ـ حسيب القبيلة.

5 ـ ورد ذكرهم عند سيتزن. يبدو أنهم فرع من دبور شرقي الأردن؛ انظر الملاحظة 16 عند الحويطات في فصل شرقي الأردن.

الطورة[1]

الطورة اسم قديم لقبائل منطقة الطور التي لا تشكل وحدة متجانسة من ناحية النسب لكنها تشكل فعلاً وحدة سياسية وإدارية.

يتألف الطورة من ثلاث قبائل هي: الصوالحة، والعليقات، ومزينة. وهناك قبيلة رابعة، الجبالية، سنعالجها في مقال مستقل. وقد ذكر الرحالة الأوروبيون قبائل الطورة منذ بداية القرن الثامن عشر، وفي "كتاب الأم" يرد ذكرهم كثيراً في وثائق القرن السابع عشر، وهناك وثائق أخرى تشهد على وجودهم تعود إلى القرن الخامس عشر.

هناك صعوبة، كما هي الحال في أغلب الأحيان، في تحديد نسب هذه القبائل. الصوالحة هم، حسب وثيقة تعود إلى عام 1514م، أولاد علي، ولكن هذه المعلومة لا تساعد على معرفة أصل القبيلة[2]. والعليقات يسمون أنفسهم باسم عائلة ابن عليق التي ورد ذكرها في وثيقة تعود إلى عام 1491م. وهذه الوثيقة هي مرسوم صادر عن السلطان المملوكي قايتباي وتهدف إلى حماية دير سيناء من تعديات الشيخ عبد القادر بن عليق الذي كان يتولى، استناداً إلى حق مكتسب

---

(1) المفرد: طوري.

(2) شقير، ص 114، يعتبرهم حرب من الحجاز؛ أمّا بوركهاردت، رحلات في سورية، ص 263، فيقول إنهم جاؤوا من الشرقية.

قديم، الإشراف على الجامع الموجود هناك[1]. أما نسب ابن عليق، وبالتالي العليقات، فهو أيضاً غير معروف، وكذلك موطنهم الأصلي فلا توجد عنه سوى تكهنات غير مؤكدة[2]. وأما القبيلة الطورية الكبيرة الثالثة، المزينة، فهي تنحدر من قبيلة مزينة العربية القديمة التي تنسب اليوم إلى قبيلة حرب الحجازية.

يوجد لدى الطورة كم كبير من الحكايات والقصص التاريخية[3]. وهم يعتبرون الحماضة، الذين ما زالوا يعيشون بينهم بأعداد قليلة حتى اليوم، أقدم سكان منطقة طور. وبعد ذلك جاء بنو واصل، المنحدرون من بني عقبة، من الحجاز واستولوا على المنطقة حتى وادي فيران. ثم تبعهم بنو سليمان[4]. وكان الحماضة وبنو واصل يتقاسمون عائدات الحج إلى الدير لكنهم اختلفوا على الحصص ودخلوا في صراعات وحروب فيما بينهم أدت إلى إضعاف الطرفين. واستغل هذا الوضع مهاجرون جدد لكي ينتزعوا منهم حقوقهم، وكان هؤلاء المهاجرون الجدد الصوالحة والنفيعات. لكن النفيعات لم يبقوا طويلاً في سيناء بل تابع جزء منهم طريقه إلى مصر والجزء الآخر إلى فلسطين. وحلّ محلهم حلفاؤهم العليقات. وهكذا أصبح الصوالحة والعليقات حماة الدير. وكما حدث في الماضي بين الحماضة وبني واصل فقد نشب أيضاً بين الصوالحة والعليقات نزاع حول توزيع العائدات. وفي معركة وقعت في وادي الحمّام (قرب طور) هزم العليقات ولكن توازن القوى ما لبث أن تغيّر سريعاً لصالحهم نتيجة مجيء المزينة[5]. وكان المزينة قد طلبوا في بادئ الأمر من الصوالحة السماح لهم بالإقامة، لكن الصوالحة

(1) موريتس، مقالات عن تاريخ دير سيناء، ص 46 وما بعدها.

(2) شقير، ص 110، يقول إنهم من الحجاز. أمّا بوركهاردت، نفس المصدر السابق، ص 558، فيقول إنه الحدود المصرية، لكن مقرهم الأصلي هو البادية السورية. وحديثاً صار العليقات يزعمون أنهم من بني عقبة، موري، ص 263.

(3) موجودة عند شقير، ص 107 وما يليها.

(4) بوركهاردت، نفس المصدر السابق، ص 558 وما بعدها: أولاد سليمان. هاجروا إلى مصر في وقت لاحق.

(5) قارن اعتباراً من هنا بوركهاردت أيضاً، المصدر السابق، ص 559.

اشترطوا عليهم دفع خوة لقاء حمايتهم. على إثر ذلك توجه المزينة إلى العليقات الذين استقبلوهم بالترحاب. نتيجة انضمام المزينة لهم أصبح العليقات أقوى من الصوالحة وحصلوا بالتالي منهم على حقوقهم كاملة. من أجل تحديد تاريخ هذه الأحداث يقدم لنا عقدان بين الدير والطورة، مذكوران عند شقير، ص 514 وما بعدها، نقطة ارتكاز. العقد الأول، المبرم أمام قاضي القاهرة ويشهد عليه المُلاّ[*]، يعود إلى عام 1540م ويذكر الصوالحة فقط كطرف في العقد؛ وهذا يعني أنه أبرم قبل انتصار العليقات. أما العقد الثاني، الموقع من الشيخ منصور بن صيام من العايد بصفة كفيل يضمن حسن التنفيذ، فيرد فيه ذكر العليقات أيضاً. وهو مؤرخ في عام 1643م. وبهذه الأحداث ينتهي جوهرياً تاريخ الطورة. إذ كانت النتيجة اتحاد الصوالحة[1] والعليقات[1] والمزينة في مجمع تتولى قيادته عائلة شيوخ الصوالحة القبيلة الفرعية من القرارشة.

العصبية القبلية قوية جداً عند الطورة، والخلافات حول توزيع واردات الحج لم تتوقف، لكنها تسوى سلمياً باللجوء إلى التحكيم[2]. يعيش الطورة منذ زمن طويل بسلام مع القبائل المحيطة بهم. منطقتهم صعبة المسالك وهم لا يملكون قطعان جمال كبيرة يمكن أن تغري جيرانهم لغزوهم. في الماضي كانوا متخاصمين مع المعّازة المصريين لأنهم كانوا يقومون دوماً بأعمال نقل من السويس إلى القاهرة ويعتدون بذلك على حقوقهم. وقع آخر هجوم للمعّازة على الطورة في عام 1808م في وادي وردان، جنوب شرق السويس، تلته غزوتان للثأر شنها الطورة على المنطقة المصرية[3]. وتتحدث حكايات القبيلة أيضاً عن حرب بين الطورة

(*) وشهد عليهم محمد محمد الدميري. شقير ص155 (شبّر).

(1) يبدو أن البنية الهيكلية لهاتين القبيلتين كانت آنذاك متطابقة مع البنية الحديثة، وذلك كما يتبين من وثائق القرنين السادس عشر والسابع عشر. نضيف إلى ذلك الأمثلة المذكورة في الملاحظات المتعلقة بالجدول: أولاد مسلّم (أ 2 جـ) كأحفاد محمد بن أحمد بن مسلم (العقد، عام 1540م).

(2) روبنسون، الجزء الأول، ص 228 وما بعدها؛ شقير، ص 314 وما بعدها.

(3) بوركهاردت، المصدر السابق، ص 471؛ روبنسون، الجزء الأول، ص 229 وما بعدها؛ شقير، ص 572.

وجيرانهم الشماليين التياها في "زمن الشيخ نصير" . وانتهت الحرب بعقد حلف بين القبيلتين لا يزال نافذاً حتى اليوم(1) . ومع حويطات التهمة على الجانب الآخر من خليج العقبة كان الطورة يخوضون حرباً عام 1812م(2)، لكنهم عقدوا في وقت لاحق حلفاً مع هؤلاء أيضاً. إلا أن هذا الخلف لم يكن فعّالاً دائماً. فعندما نشبت عام 1904م حرب بين الحويطات وجيرانهم الجنوبيين، بلي، تخاذل الطورة وحصدوا لقاء ذلك قصيدة هجاء ساخرة(3) . وفي عام 1932م، عندما ثار الحويطات ضد آل سعود، أراد الطورة أداء التزاماتهم التحالفية ولكنهم لم يسمح لهم بعبور الحدود. فقط شيخ المزينة، سالم، شارك في المعارك(4) .

في العهد العثماني لم تعر السلطات الطورة أي اهتمام. إلاّ أن هذا الوضع تغيّر عندما أصبحت سيناء تشكّل مرحلة هامة في الحملات العسكرية لمحمد علي باشا. عندئذ كلف الطورة بحماية الطريق وحصلوا لقاء ذلك على مبلغ يومي ضئيل. وعندما انتهت الحرب توقف دفع المبلغ فقام الطورة بنهب قافلة كانت متوجهة من السويس إلى القاهرة. ولقد أجبرهم الجيش على إعادة البضائع المسروقة أو دفع تعويض عنها، لكنهم نجوا من العقاب بفضل لباقة شيخهم صالح(5) . وفي وقت لاحق أنقذ موسى، حفيد صالح، قومه من عواقب وخيمة في وضع صعب يشابه: عام 1882م، خلال الثورة المصرية، قرر الطورة قتل المسيحيين في طور(6)، لكن موسى ردهم عن ذلك معرّضاً حياته للخطر(7) . في الحرب العالمية نجح الأتراك

---

(1) شقير، ص 571، يناقض هنا ما قاله في الصفحة 405.

(2) بوركهاردت، المصدر السابق، ص 451.

(3) شقير، ص 572.

(4) موري، ص 259.

(5) روبل، رحلات في النوبة، كردفان والبتراء العربية، ص 192، Rüppel, Reisen in Nubien 204؛ روبنسون، الجزء الأول، ص 134 وما بعدها؛ شقير، ص 571 وما بعدها.

(6) في الجلسة الحاسمة قدم أحد الحاضرين اقتراحاً بالمحافظة على حياة أحد النبلاء لكي يشرح للطورة "الكتاب الأم".

(7) شقير، ص 551.

في كسب بعض شيوخ الطورة إلى جانبهم. ولكن هؤلاء لم يفعلوا شيئاً بعد إصابة الأتراك بخسائر فادحة في معركة قرب طور (فبراير/ شباط 1915م)[1].

تشمل منطقة الطورة الزاوية الجنوبية من سيناء. في الغرب لا تتجاوز كثيراً وادي غرندل، وفي الشرق تصل حتى حجر علوي القريبة من العقبة. وفي الشمال تمتد حتى الشريط الرملي الذي يفصل سيناء العليا عن هضبة التيه. يقع مركز منطقة العليقات في سرابيت الخادم، المنطقة الجبلية المشهورة بآثارها القديمة، وتبدأ منطقة المزينة جنوب الطور، ويسكن الصوالحة في الوسط.

باستثناء عدد قليل من واحات النخيل فإن منطقة الطورة جرداء وقاحلة عموماً ولذلك قطعانهم محدودة جداً. وكثير من رجال القبيلة لا يملكون جمالاً إطلاقاً، وحتى عند أغنى شيخين في القبيلة لم يجد بوركهاردت سوى ثمانية جمال لكل واحد[2]. وتبعاً لذلك تشكّل محاصيل الواحات، وأهمها الواحة الموجودة في وادي فيران، القاعدة الاقتصادية للقبيلة. ويملك الصوالحة الجزء الأكبر من هذه الواحة، لكن القبائل الأخرى لها أيضاً حصة فيها[3]. وهناك واحات أخرى صغيرة في عد النصب (يملكها النفيعات المصريون[4])، وفي نبك (يملكها المزينة)، وفي ذهب على خليج العقبة (يملكها المزينة والعليقات)، وفي عين حدرة[5] (ويملكها العليقات). وهناك مصدر آخر للدخل هو تصنيع الفحم الخشبي وبيعه في القاهرة، وتصنيع أحجار الرحى والطواحين التي كانت تصل في الماضي بواسطة الجيران الشماليين حتى الخليل[6]. ويمارس المزينة علاوة على ذلك صيد السمك.

(1) شقير، ص 750.

(2) شقير، نفس المصدر السابق، ص 561.

(3) بوركهاردت، المصدر السابق، ص 602؛ شقير، ص 54؛ فليندرس بتري، أبحاث في سيناء، ص 248.

(4) أي إن الحقوق القديمة ظلت قائمة رغم الهجرة (انظر ص 234 أعلاه).

(5) شقير، ص 228؛ بوركهاردت، المصدر السابق، ص 535، 524.

(6) بوركهاردت، المصدر السابق، ص 497؛ وصف مصر، الجزء 16، ص 185 وما بعدها.

في الماضي كان الطورة يحصلون على مبالغ كبيرة لقاء حراسة الدير (خفراء أو غفرا الدير). وبهذه الصفة كانوا ملزمين بحماية الدير وساكنيه والأراضي التابعة له وزواره. وكانوا الوحيدين الذين يحق لهم نقل الرهبان والحجاج والبضائع من القاهرة (السويس) وطور إلى الدير. حسب الاتفاقيات القديمة كان الصوالحة والعليقات يحتكرون هذه المهمة ويتقاسمون العائدات مناصفة، وكان المزينة محرومين منها. وفي داخل الصوالحة كان القرارشة يتقاضون 4/ 9 (أربعة أتساع)[1] وأولاد سعيد 3/ 9 والعوارمة 2/ 9. وكان العليقات والمزينة يملكون حق نقل المسافرين على الطريق الممتدة من شرم إلى الطور[2] والتي كانت تستعمل غالباً من حجاج مكة على طريق العودة[3]. وحتى بداية القرن التاسع عشر كان الطورة يحتكرون نقل البضائع التجارية (غالباً قهوة) من السويس إلى القاهرة. وكانوا يقدمون في هذا المقطع من الطريق 80 جملاً لقافلة مكة[4]. وفي القرن السابع عشر كان الصوالحة يتقاضون رسماً على البضائع التي تحمّل على السفن في طور[5]. وكانت السويس وطور تدفعان خوّة للطورة[6].

لم يزل الطورة يحتكرون النقل من الطور، ولكن حقوق القبائل المنفردة تغيّرت مراراً وتكراراً في عهد نظام الحكم الجديد في مصر ثم حددت أخيراً في اتفاقية تعود إلى كانون الثاني عام 1909م بطريقة معقدة جداً[7].

---

(1) حسب شقير، ص 313، خلافاً للمصادر الأقدم، التي نجدها عند ريتر، الجزء الرابع عشر، ص 624، 939.

(2) كان العليقات يمنحون المزينة هذا الحق أحياناً، استناداً إلى التحالف المذكور في الصفحة 234 إعلاه.

(3) بوركهاردت، المصدر السابق، ص 528. بخصوص رسوم أخرى انظر نفس المصدر، ص 491، ورحلات في شبه الجزيرة العربية، الجزء الثاني، ص 365.

(4) وصف مصر، الجزء 16، ص 186 وما بعدها؛ بوركهاردت، رحلات في سورية، ص 459.

(5) حسب وثيقة من عام 1645م مذكورة عند شقير، ص 145.

(6) بوركهاردت، المصدر السابق، ص 466 وما بعدها؛ ريتّر، الجزء الرابع عشر، ص 446.

(7) شقير، ص 316 وما يليها.

وأخيراً ينبغي أن نذكر أيضاً الصدقات التي كان الدير يوزعها قبل ظهر كل يوم وكان الطورة أيضاً يستفيدون منها عندما يكونون على مقربة من الدير. ولقد ورد ذكر هذه الصدقات في الاتفاقية المذكورة سابقاً والتي تعود لعام 1643م.

يختلف الطورة عن البدو الآخرين بطريقة الحياة وبالملابس أيضاً. فهم يلبسون العمامة ويصنعون أحذيتهم من جلد السمك. أهم أوليائهم الصالحين الشيخ صالح الذي يحتفلون سنوياً بذبح الأضاحي على قبره في وادي الشيخ.

الطورة(1)

شيخ المشايخ(2)

أ ـ الصوالحة(3)

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ العوارمة	مبارك بن سعيد(4)		59
أ ـ الفوانسة			
ب ـ الرديسات(5)			
جـ ـ النواصرة			
د ـ المحاسنة(6)		الطور	
2 ـ أولاد سعيد(7)	فتاح بن صالح		88
أ ـ العوامرة(8)	"فتيح" بن صالح		
ب ـ الزهيرات			
جـ ـ أولاد مسلّم			
د ـ أولاد سيف			

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
قبائل ملحقة			
الرزنة(9)			
3 ـ القرارشة(10)	الحاج حمدان أبو زيت(11)		95
أ ـ النصيرات		الطور	
ب ـ أولاد تيهي			
قبائل ملحقة			
بني سليمان(12)			
بني واصل(13)			11

ب ـ العليقات(14)

شيخ المشايخ: زيدان بن مدخّل

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ أولاد سلمي(15)	زيدان بن مدخّل		
2 ـ التليلات			
3 ـ الحمايدة(16)			
4 ـ الخريسات(17)		سرابيت الخادم	269
قبائل ملحقة			
1 ـ الحماضة(18)			
2 ـ السواعدة(19)			

جـ ـ مزينة

شيخ المشايخ(20) عويد بدر

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ العويصات 2 ـ العلاونة 3 ـ الشذاذنة 4 ـ أولاد علي **قبائل ملحقة** العزايزة(21)		ساحل خليج العقبة	600

ملاحظات عن الطورة

1 ـ توجد قوائم الطورة عند جميع رحالة سيناء. أقدمها موجود عند إنمان Reza i Orienten 1711م ـ 1712م، الجزء الثاني، ص 78، وإغموند وهايمان: Reyzen (1700م ـ 1723م) الجزء الأول، ص 161. أهم هذه القوائم تلك الموجودة عند بوركهاردت، رحلات في سورية، ص 557 وما بعدها، وروبنسون، فلسطين، الجزء الأول، ص 219 وما يليها. وجميع المواد القديمة مجموعة عند ريتر، الجزء الرابع عشر، ص 934 وما يليها. نحن أنفسنا نستعمل قوائم شقير، ص 112 وما بعدها، ص 128، ونحدد عدد الخيام وأسماء الشيوخ استناداً إلى موري، ص 259 وما بعدها. وحسب معلومات تعود لعام 1939م يبلغ عدد العوارمة 480 نسمة، وأولاد سعيد 500 نسمة، والقرارشة 200 نسمة، والعليقات 900 نسمة والمزينة 2500 نسمة.

2 ـ حتى الحرب العالمية كان شيخ المشايخ من عائلة الشيوخ ابن نصير

(النصيرات) من فخذ القرارشة في قبيلة الصوالحة. وجدهم الأول هو الشيخ نصير ابن سويعد بن مسعود القرارشة المذكور في اتفاقية عام 1540م (شقير، ص 514). وكان أهم أعضاء هذه الأسرة الشيخ صالح بن زهير الذي حكم في الثلث الأول من القرن التاسع عشر، والشيخ موسى بن نصير أبو شيخ المشايخ الأخير. وقد رسم هاينس، رجل يصيد في الصحراء، ص 95 وما بعدها، وارن، نفس المصدر، ص 297 وما بعدها وكذلك موري، ص 260 وما بعدها، صورة ظريفة لشخصية الشيخ موسى، الذي كان يتمتع بسلطة أخلاقية كبيرة في سيناء. وقد توفي عام 1912م عن عمر ناهز الثمانين بعد حكم استمر 37 عاماً. جاء بعده ابنه نصير الذي وقف خلال الحرب العالمية إلى جانب الحلف الألماني التركي، ولذلك عزل من منصبه. ومنذ ذلك الحين لم يشغل منصب شيخ المشايخ بل ظل شاغراً.

3 ـ إضافة إلى الأفخاذ المذكورة عندنا، يذكر بوركهاردت أيضاً "الرحمي". لكنهم كانوا قد اختفوا عام 1838م، روبنسون، الجزء الأول، ص 220. ويرد ذكر ابن رحمة، أحد أجداد الرحمي، في اتفاقية عام 1540م. وقد استوطن جزء من المصالحة في مصر السفلى، ريسنسمنت، ص 20.

4 ـ حارب سلفه سليمان بن غنيم في الحرب العالمية إلى جانب الحلف الألماني التركي. وقد توفي خلال الحرب في فلسطين.

5 ـ وصف مصر، الجزء 16، ص 193؛ سيتزن، الجزء الثالث، ص 101.

6 ـ عند بوركهاردت "بنو محسن". وهم يشغلون منصب العقيد عند الصوالحة وبالتالي الطورة.

7 ـ يرد ذكر شيخين من أولاد سعيد في وثيقة تعود لعام 1648م، شقير، ص 145. وكان أولاد سعيد يشغلون منصب شيخ المشايخ الثاني للطورة (بوركهاردت).

8 ـ هذه هي عائلة الشيوخ ابن عامر.

9 ـ سيتزن، الجزء الثالث، ص 101. يتولى الرزنة خدمة الجامع الصغير الموجود في الدير والمبني في العهد الفاطمي (تنظيف وإضاءة خلال شهر

رمضان). ويتقاضون لقاء ذلك من الرهبان أجوراً عينية بصيغة مواد غذائية؛ شقير، ص 214، 217. ويرد ذكر خدام الجامع، الذين يعدّ وجودهم نوعاً من الحماية للرهبان، في وثيقة تعود لعام 1491م. وقد عثر بوركهاردت (ص 543) على ملاحظة عن أصلهم. تفيد هذه الملاحظة بأن سكان الدير سمحوا في عام 783هـ/ 1381م لبعض حجاج مكة القادمين من مصر العليا بالبقاء في الدير شريطة القيام بخدمة الجامع.

10 ـ أقدم ذكر لهم يرد في وثيقة تعود لعام 1540م. يوجد في الكتاب الأم عقد زواج لشخص اسمه مضياف بن مطلق القراشي الصالحي يعود لعام 1640م.

11 ـ بما أنه متقدم في السن وضعيف جسدياً ينوب عنه ابنه مسعود.

12 ـ لم يبقَ من هذه القبيلة التي هاجرت إلى مصر سوى خيمة واحدة.

13 ـ بقي من هذه القبيلة القديمة في سيناء 20 خيمة، أما في مصر فيبلغ عددهم 4080 نسمة. وفي اتفاقية عام 1643م تمّ الاتفاق على أن الطورة لا يحق لهم منع بني واصل من بيع السمك للدير.

14 ـ استوطنت أجزاء من العليقات في مصر العليا، ويبلغ عددهم 11989 نسمة. وقد أصبحوا مؤخراً يسمون أنفسهم في كثير من الأحيان عقيلات.

15 ـ في وثيقة تعود لعام 1648م يرد ذكر أحد أجداد عائلة الشيوخ أولاد سلمي واسمه صبيح بن سلمي العليقي؛ شقير، ص 145. وكان أبو الشيخ الحالي، مدخِّل ابن سليمان قد تولى الحكم في الثمانينات بعد أن كشفت قبيلة الخريسات (4) تورط سلفه عودة الزميلي في اغتيال بالمر (1882م). وكان مدخِّل في بداية الحرب العالمية الشيخ الوحيد في سيناء الذي يقف إلى جانب الإنجليز؛ شقير، ص 549؛ موري، ص 261، 263.

16 ـ لجأوا إلى المزينة هرباً من عملية ثأر للدم.

17 ـ قام بتوقيع اتفاقية عام 1540م شخص اسمه سالم بن موسى بن خريش

(الصحيح: خريس ؟).

18 ـ الحماضة (40 خيمة) هم من أقدم سكان سيناء، وكانوا في الماضي يستغلون واحة فيران. أما اليوم فيتولى استثمارها قبيلة التبنة القديمة جداً أيضاً (انظر بوركهاردت، ص 602) التي تتقاضى لقاء عملها ثلث المحصول. ويقوم المواطرة، وهم من أقرباء التبنة (سيتزن، الجزء الثالث، ص 101)، بنفس الأعمال في حديقة الحمّام عند طور. وقد ورد ذكرهم باسم فلاحي الدير في اتفاقيتي عام 1592م وعام 1985م.

19 ـ هم بقية من النفيعات.

20 ـ قبل الحرب العالمية: خضر بن عامر فرحان، لاحقاً "جيلي بريك"، الذي وقف خلال الحرب إلى جانب الأتراك. وقد عزل عام 1928م لأنه تسبب في نشوب عداء مع عمران (حويطات)، موري، ص 265.

21 ـ صيادو سمك ومزارعو نخيل قرب النويبع.

الجبالية

يعمل الجبالية ("سكان الجبال")، الذين يسمون أيضاً "صبيان الدير"، في خدمة الدير وهم يسكنون إلى جانبه مباشرة أو في البساتين العائدة له. وهم حسب تاريخ دير سيناء[1]، الموثق لأول مرة عند بطرك الإسكندرية أو تيخيوس سعيد بن بطريق (نهاية القرن التاسع الميلادي)، أحفاد عبيد مصريين ويونانيين قدمهم الامبراطور يوستينيان (527م ـ 565م) هدية للدير[2]. ومن الممكن أن تكون هذه المعلومة صحيحة؛ إذ إن الظروف السكانية في جنوبي سيناء تشهد استقراراً عجيباً مما يجعل من الممكن المحافظة على بقايا أولئك المهاجرين القادمين حتى يومنا هذا. ويسجل أوتيخيوس، الذي يطلق على الجبالية اسم "بني صالح"[3]، اعتناقهم الدين الإسلامي[4]. وأقدم وثيقة تثبت وجودهم هي الاتفاقية المذكورة في المقال السابق والمبرمة بين الدير والطورة في عام 1643م. وهي تمنع الطورة من التدخل في الخلافات بين الرهبان والصبيان ومن مضايقة الصبيان عند مجيئهم من فيران إلى الدير لغرض التجارة.

---

(1) نصوص من تواريخ مختلفة للدير، لدى شقير، ص 493 وما يليها.

(2) انظر المواد الموجودة عند ريتر، الجزء الرابع عشر، ص 22 وما يليها.

(3) يضاف إلى ذلك الملاحظة: "ينتمي إليهم اللخميون".

(4) لكن بعضهم ظل معتنقاً الديانة المسيحية، وقد توفيت آخر مسيحية منهم عام 1750م، بوركهاردت، رحلات في سورية، ص 564.

في العقد الثاني من القرن التاسع عشر كانت تقوم علاقات وثيقة بين الجبالية والقرارشة[1]. وقبل ذلك كانوا يتمتعون بحماية فرع المحاسنة من قبيلة العوارمة، حسبما يتبيّن من وثيقة محفوظة في الدير[2]. وفي عام 1831م حاول شيخ الطورة صالح وضع الجبالية تحت سيطرته ولكن الدير اشتكى إلى محافظ السويس وتمكن من المحافظة على حقوقه[3].

يتقاضى الجبالية من الدير أجراً لقاء أعمالهم، ولهم، علاوة على ذلك، الحق في مرافقة الحجاج في المحيط المباشر للدير. ولقد حصلوا مؤخراً على حصة من نقل الحجاج[4] لا توجد علاقات زواج بينهم وبين بقية الطورة.

الجبالية(1)

شيخ المشايخ: عودة بن مسعود

القبيلة	العدد
1 ـ الحمايدة 2 ـ السلايمة 3 ـ الوهيبات 4 ـ أولاد جندي	420

(1) بوركهاردت، رحلات في سورية، ص 563.

(2) شقير، ص 495.

(3) روبنسون، الجزء الأول، ص 224 وما يليها.

(4) شقير، ص 314 وما يليها.

ملاحظات

1 ـ من الرحالة القدامى يرد ذكرهم عند: بيلون Observations de plusieurs Singulartez... Paris, 1588, S. 286?، إنمان، الجزء الثاني، ص 80، إغموند وهايمان، الجزء الأول، ص 161. انظر ريتر، الجزء الرابع عشر، ص 931 وما يليها. القائمة الموجودة في "وصف مصر"، الجزء السادس عشر، ص 194، تتطابق مع البيانات المستعملة هنا من قبل شقير، ص 114. شيخ المشايخ حسب موري، ص 266، السابق: عطية أبو غنيمان.

الجزء الثاني

القسم الثالث

الأردن

مدخل

يعتبر شرقي الأردن من الناحية الجغرافية جزءاً من سورية لكن له كثيراً من الخصائص المتميزة التي تجعل من الممكن معاملته كمنطقة خاصة حتى لو لم تكن قد نشأت فيه بعد الحرب إمارة شرقي الأردن.

يمتد شرقي الأردن من اليرموك، الذي يفصله عن الجولان، حتى العقبة الحجازية[1] حيث يشكل الانحدار الشديد للهضبة السورية ذات الصخور الكلسية حدوداً طبيعية مع السهول الصخرية الرملية لشمال شبه الجزيرة العربية. وتمتد حدود الإمارة[*] إلى مسافة أبعد: فهي تبدأ على خليج العقبة وتتقاطع مع طريق الحج، أو سكة حديد الحجاز على مسافة ميلين إنجليزيين جنوب محطة مدورة ثم تسير بخط مستقيم نحو الشرق إلى ما قبل نقطة تقاطع خط الطول 38 درجة شرقاً مع خط العرض 29,25 درجة شمالاً حيث تنعطف نحو الشمال. تنتهي الأراضي

---

(1) يجب عدم الخلط بينها وبين ميناء العقبة ـ العقبة الشامية.

(*) لقد حصلت إمارة شرق الأردن على الاستقلال وأصبحت المملكة الأردنية الهاشمية في 25/ مارس 1946. حصلت على استقلالها من بريطانيا في ضوء الاتفاق بين إمارة شرق الأردن والمملكة المتحدة والذي تمّ التوقيع عليه في لندن بتاريخ 22 آذار 1946 من قبل رئيس الوزراء الأردني إبراهيم هاشم والسير أرنست بيفن وزير الخارجية البريطاني والمستر أرثر كويتش جونز الوكيل البرلماني لوزير المستعمرات ـ وبموجب عقده معاهدة صداقة وتحالف بدلاً من الانتداب وقد ألغيت المعاهدة عام 1957 في عهد الملك حسين. (تاريخ الأردن في القرن العشرين/ منيب الماضي وسليمان موسى طبعة 1959م. (ماجد شبَّر).

الطبيعية لشرقي الأردن عند وادي سرحان، بينما تمتد حدودها السياسية في الشمال الشرقي إلى أبعد من ذلك؛ فهي تشكل ممراً إلى (المملكة) العراقية يشمل الجزء الأكبر من حرّة الراجل ومن الشريط الصحراوي الرويشدات. كما أن الحدود الشمالية للإمارة مرسومة، قبل أن تصب في وادي اليرموك، بصورة اعتباطية.

يتألف شرقي الأردن من هضبة عالية ترتفع قليلاً على شكل قبة في الغرب ثم تنحدر بشدة إلى غور الأردن والبحر الميت والعربة. تروى هذه الهضبة بواسطة وديان عميقة تقسمها إلى أربع مناطق مختلفة، العجلون بين اليرموك ويبّوك (نهر الزرقاء)، والبلقاء بين الزرقاء وزرقاء ماعين مع منطقة الجبال المجاورة لها جنوباً والكورة، ومنطقة الكرك بين أرنن (موجب) ووادي الحسا (سيل القراحي)، وأخيراً المنطقة الجنوبية التي تتألف من منطقة الجبال ومنطقة الشراة. في الجبال والشراة يصل ارتفاع الجبال إلى أكثر من 1600 متر، والمناخ في الشتاء قارس، كثيراً ما تسقط الثلوج. وهناك بعض المواقع التي تغطيها الغابات ومنها، على سبيل المثال، الهيشة. وكلا المنطقتين غنيتان بالمياه إلى حد ما، ولكن الوديان عميقة جداً في أغلب الأحيان إلى درجة أنه لا يمكن الاستفادة منها للري. إضافة إلى ذلك فإن الأراضي الصالحة للزراعة غير واسعة ولا تزرع اليوم إلا الأراضي المجاورة للمستوطنات الثابتة القليلة (طفيلة، وبصيرة، وشوبك). أمّا سهول حسما الرملية، الواقعة في الجنوب الغربي أمام جبال الشراة، وكذلك الجبال الغربية الواقعة أمامها، فهي قاحلة تماماً. وفي الشرق أيضاً تدخل الجبال مباشرة في الصحراء التي تشكل فيها معان، عاصمة المنطقة الجنوبية، واحة. وفي موقع أبعد نحو الشمال تتراجع الصحراء بعض الشيء؛ ولذلك تزداد رقعة المساحات الزراعية ولكنها تبقى محدودة بسبب الطبيعة الصخرية للأرض. وتقع جميع المدن الثابتة تقريباً إلى الجنوب من مدينة الكرك التي أعطت المناطق المجاورة لها اسمها. وفي هضاب البلقاء ـ العاصمة وحتى قبل بضعة عقود المكان الوحيد المسكون بصورة دائمة: الصلت[1] ـ توجد مراعي خضراء وحديثاً، كما في العصر القديم، حقول قمح

(1) في السابق كانت تكتب "السلط" أيضاً.

غنية. وفي عجلون تصعد الجبال مرة أخرى إلى ارتفاعات أعلى. في الغرب حيث يوجد كثير من الوديان تتوفر فيها إمكانات جيدة للزراعة، وفي الشرق تتوفر إمكانات جيدة لتربية المواشي.

ليس للمناطق الخلفية الأردنية سمات شديدة التمايز. في الشمال توجد عتبة أرضية تشكل مفرق الماء بين وادي الأردن وبحر الميت من جهة ووادي السرحان من جهة أخرى. وفي الجنوب الغربي تنخفض الأرض إلى منخفض الجفر الذي تصب فيه وديان الصحراء والجبال المجاورة. وبالقرب من حدود المملكة العربية السعودية ترتفع جبال الطبيق ذات الطبيعة الجرداء الموحشة التي تشبه سطح القمر، ألواح وبروزات من الصخور الرملية التي تغطيها اللافا (الطفح البركاني). والمناطق الواقعة شرقاً صحراوية أيضاً تغطيها أحياناً الحجارة الصوانية (أرض الصوان)، وتبقى صحراوية حتى قرب الحدود السورية حيث تتخذ طابع البادية الغنية بالأعشاب.

ولذلك لم تمارس الزراعة بصورة متواصلة وعلى نطاق واسع إلا في عجلون وفي البلقاء. أمّا الجنوب فقد كان يعيش بصورة رئيسية من التجارة وحركة الحجاج. وعلى الرغم من ذلك فقد نشأت هنا بالذات الدولة الوحيدة التي كانت ذات أهمية تاريخية وثقافية على الأرض الأردنية ألا وهي الدولة النبطية. أمّا المناطق الزراعية في الشمال فلم تنشأ فيها سوى دويلات غير ذات شأن. لم يصبح سكان الأردن معروفين إلا في نهاية الألف الثانية قبل الميلاد. وكانوا آنذاك من الكنعانيين[1]. حول ربات أمّون، عمان الحالية، كان يسكن الأمونيون، وفي البلقاء الواقعة في الجنوب وحول الكرك كان يسكن الموآبيون، وكانا كلاهما مختلطين مع الإسرائيليين وتابعين لهم في بعض الأحيان. وعلى الجانب الآخر من وادي الحسا كان يبدأ الإدوميون الذين كانوا يصلون عبر العربة إلى جنوب فلسطين. أمّا المناطق الخلفية فكان يسكنها العرب. ومن بين الأقوام العربية التي ورد ذكرها في التقارير

(1) العموريون الذين جاؤوا في زمن سابق من وسط سورية إلى أمون هم أيضاً من الكنعانيين.

الحربية الآشورية العائدة للقرنين الثامن والسابع وفي العهد القديم، نود أن نضع ثلاثة أقوام في شرق الأردن وهم: الكدري (كور)، والنبابتة (نبايوت) والتيور (الإتيوريون) راجع الجزء الأول، ص 411.

أدى احتلال الآشوريين والبابليين للغرب إلى اختفاء السكان الكنعانيين في شرقي الأردن[1]. فبعد سقوط ممالكهم ـ إدوم، وموآب، وبيت أمون ـ امتصهم في الشمال الآراميون وفي الجنوب العرب (الأنباط). وكان الآراميون العنصر الحامل للثقافة بينما كان العرب العنصر المشكّل للدول. فقد أصبحت اللغة الآرامية لغة الكتابة في المملكة النبطية التي امتدت في أوج ازدهارها (في النصف الأول من القرن الأخير قبل الميلاد) من الحجاز حتى دمشق ومن الصحراء الشرقية حتى جنوبي فلسطين. وكان النبطيون جاؤوا إلى البلاد بصفة بدو رحل لكن أقدم رواية عنهم متوفرة لدينا (نهاية القرن الرابع ق.م) تفيد بأنهم كانوا يعملون، بالإضافة إلى تربية الجمال والغنم، في التجارة؛ كانوا آنذاك يبيعون الإسفلت المستخرج من البحر الميت إلى مصر. كان موقع منطقة الأنباط عند نهاية طرق التجارة العربية القادمة من الجنوب والشرق يوفر لهم إمكانات كبيرة، وقد استغلوا هذه الإمكانات فعلاً بحيث أصبحوا قبيل بدء التاريخ الميلادي أكبر شعب تجاري في الشرق الأوسط. وتشير دولة الأنباط وحضارتهم، كما تظهر في القطع المعدنية النقدية وفي الكتابات الأثرية والأنقاض الباقية وخاصة في عاصمتهم البتراء، إلى وجود آثار عميقة للتأثير الهيليني (الإغريقي). لكن هذا التأثير يمس الأسماء والأشكال أكثر مما يمس الأشياء والمضامين؛ تحت الطلاء الهيليني يبرز في كل مكان الجوهر السامي.

في شمال شرقي الأردن كان تأثير الهيلينية، التي كانت في القرن الثالث قبل الميلاد تحت الحكم البطوليمي وفي القرن الثاني تحت الحكم السلوكيدي، أعمق وأطول: فقد تأسست آنذاك مدن جديدة واتخذت مدن سامية قديمة مثل ربات أمون

(1) يجب ألاّ ننخدع عن هذه الحقيقة باستمرار الأسماء القديمة، الأمونيون، وغيرها.

وجراسا (جرش) أسماء إغريقية ـ فيلادلفيا، أنتيوخيا ـ وبدأت تتخذ شيئاً فشيئاً مظهراً إغريقياً. هذه المنطقة، التي توحدت مع ديكابوليس (عصبة المدن العشر)، أصبحت في عام 63 قبل الميلاد رومانية، بينما ظلت المملكة النبطية مستقلة إلى حد ما إلى أن احتلتها روما في عام 106 بعد الميلاد. في القرن الثاني بعد الميلاد حققت مدن شرقي الأردن ـ المحمية من هجمات البدو بواسطة حصون على حدودها الغربية، والمرتبطة مع بعضها ومع البلدان المجاورة بواسطة طرق جيدة أهمها الطريق المنطلقة من البصرة (انظر الجزء الأول، ص 412). عبر فيلادلفيا/ عمان والبتراء إلى آيلا/ العقبة ـ نمواً مدهشاً لكنها ما لبثت أن تدهورت في القرن الثالث بسرعة كبيرة. وفي عهد يوسنينيان (527م ـ 565م) ازدهرت هذه المدن، وكذلك البتراء، مرة أخرى ولفترة قصيرة.

في تلك الأثناء تبدل سكان البلاد من جديد. فقد أصبح الأنباط آراميين (كان التحول كبيراً إلى درجة أن العرب صاروا في وقت لاحق يسمون جميع فلاحي الشرق الأدنى الناطقين بالآرامية أنباطاً)، ولكن موجة جديدة من المهاجرين العرب كانت قد انضمت إليهم. وكانت هذه الموجة تتألف، كما ذكرنا في مقدمة الفصل المتعلق بفلسطين، من القبائل الثلاث المعروفة: لخم، وجذام، وعاملة. ويبدو أن الهجرة حدثت في القرن الثالث الذي تراجعت فيه السلطة الرومانية في منطقتنا تراجعاً كبيراً. لا نعرف بالضبط كيف توزعت هذه القبائل في البلاد، ولكن يبدو أن العاملة سكنوا في الشمال، وجذام في الجنوب، بينما سكن لخم على امتداد وادي عربة. وفي وقت لاحق انضم إلى هذه القبائل الثلاث، التي تربطها صلة القربى، بعض فروع قضاعة التي كان موطنها يقع شمال المدينة (المنورة). وكان القين (بلقين) يتنقلون من الطبيق عبر بطن السر (= وادي سرحان) إلى الحرة، وكذلك في وقت لاحق البهرا (انظر الجزء الأول، ص 412) وبلي. ولعل بلي لم يأتوا إلى شرقي الأردن إلاّ لفترة مؤقتة، الأمر الذي لم يزل يحدث حتى الآن لدى هذه القبيلة التي حافظت جزئياً على مقراتها القديمة في الحجاز.

هذه القبائل التي هاجرت بعد الميلاد ظلت عربية. ولم تتعامل مع الحكم

الروماني ثم البيزنطي بصورة مباشرة وإنما بواسطة "أمرائها" . ولقد ثارت في نهاية القرن الخامس ضد هؤلاء الأمراء عائلة جفنة من قبيلة غسان (انظر الجزء الأول، ص 412) التي كانت، حسب قول شاعر معاصر (حسان بن ثابت)، تحكم جميع القبائل "من الحرمون حتى خليج آيلا" . ولقد انتهى حكم هذه الأسرة على يد الفرس الذين احتلوا دمشق عام 613م والقدس عام 614م. وما إذا كانت بيزنطة أعادتها إلى الحكم فهذا أمر مشكوك فيه. إذ إننا لا نعرف ما إذا كان الأمير الغساني، الذي قاد عام 635م العرب السوريين والأردنيين في خدمة القيصر ضد المسلمين، أميراً حاكماً أم لا.

وما أن انتهى الاحتلال الفارسي (629م) حتى تعرض شرقي الأردن لهجمات من شبه الجزيرة العربية: ففي صيف ذلك العام أرسل النبي محمد غزوة قوية من المدينة نحو الشمال وصلت بسرعة كبيرة إلى منطقة الكرك بعد توقف لمدة يومين في معان. وهناك واجه الغزوة جيش متفوق كان ممثل القيصر قد جمعه من حراس الحصون، بالإضافة إلى قوة عربية قوية مساندة تتألف من: لخم وجذام وقين وبهرا وبلي. ونتيجة هذا التفوق تراجع المسلمون لكنهم حوصروا عند مؤتة(*) وهزموا. في الصيف التالي قاد النبي محمد نفسه حملة إلى الشمال. وعلى الرغم من أنها أوقفت في تبوك فقد كان لها نتائج سياسية هامة: إذ خضعت المدن الواقعة خارج خط التحصين البيزنطي القائم آنذاك وهي: مقنا، وآيلا (العقبة) وأذرح. رغم ذلك ظلت فكرة الثأر لمعركة مؤتة تشغل بال النبي، وقد أمر قبيل وفاته بإرسال حملة جديدة إلى الشمال. وقام الخليفة أبو بكر (632م ـ 634م) بتنفيذ رغبة النبي رغم الخطر الذي كان يتهدد المدينة آنذاك بسبب ارتداد كثير من القبائل. إلا أن الروايات الإسلامية عن هدف هذه الحملة ونتائجها متباينة.

(*) هي غزوة مؤتة التي بعث بها الرسول ﷺ سنة ٨هـ واستعمل عليها زيد بن حارثة وقال إذ أصيب زيد فجعفر بن أبي طالب فإن أصيب جعفر فعبد الله بن رواحة وقد استشهد القادة الثلاثة. لقد كان عدد المسلمين ٣٠٠٠ فيما بلغ عدد البيزنطين وحلفائهم أكثر من ١٠٠,٠٠٠ ألف. الطبري. (ماجد شبّر).

بعد ذلك بوقت قصير (634م) زحفت الجيوش الإسلامية على سورية. حشد البيزنطيون قواتهم في فلسطين حيث دارت المعارك الحاسمة الأولى، أمّا شرقي الأردن فكان ساحة حرب ثانوية. وللأسف لا توجد لدينا معلومات كافية عن المعارك التي دارت في شرقي الأردن ولا عن علاقتها بالتحركات الدائرة في فلسطين والتي انتقلت عبر نهر الأردن بمعركة الفحل (انظر الصفحة 24 و25 أعلاه). ويبدو أن المسلمين قد تقدموا مباشرة إلى حوران؛ إذ إن حصون شرقي الأردن، عمان، وجرش، وأرنداله/ غرندل (قرب بصيرة)، لم يستول عليها إلا بعد سقوط بصُرىٰ.

كما أنه لا تتوفر لدينا معلومات دقيقة عن اعتناق هذه القبائل الدين الإسلامي. ويقال بأن أحد شيوخ جذام، فروة بن عمر، اعتنق الإسلام في حياة النبي وقتل شهيداً على يد البيزنطيين. على أي حال فإن قبائل شرقي الأردن لم تكن واثقة من انتصار المسلمين على رغم الانتصارات التي حققوها عام 634م و635م. فعندما زحف البيزنطيون في العام التالي على الجولان كان بين صفوفهم مقاتلون من لخم وجذام وقبائل أخرى. أمّا العدد القليل الذي التحق من القبائل بجيش المسلمين فقد ولى الأدبار عندما حميت المعركة. ولكن بعد معركة اليرموك (636م) صار الناس يتسابقون إلى اعتناق الإسلام.

لم يتأثر شرقي الأردن بالحروب الأهلية. فالأمويون الذين كانوا يحبون الإقامة خارج دمشق، كانوا يقضون كثيراً من الوقت في شرقي الأردن. كانوا يحبون المنطقة الواقعة شرقي البلقا وقد بنوا هناك، كما في فلسطين القريبة وفي البادية السورية، حمامات وقصوراً على طارز الحصون الدفاعية الرومانية والبيزنطية[1]. كما أن الأسرة النبيلة العربية الأخرى، العباسيين، التي قضت في وقت لاحق على الأمويين، اختارت شرقي الأردن، إذا ما فهمناه بحدوده الحالية، مكاناً لإقامتها. فقد نزلوا في الحميمة (بين معان والعقبة) على مقربة من الطرق الكبيرة التي كان

(1) أشهر هذه المباني قصر "المشتى" الموجودة واجهته في متحف في برلين.

دعاتهم يتنقلون فيها من أجل الدعوة لإسقاط الأمويين، ولكن مع ذلك في مكان بعيد عن مراكز الإسلام آنذاك بحيث لا تثير مطامحهم أي شبهة.

تركت إقامة هاتين الأسرتين في شرقي الأردن آثارها الواضحة على السكان. فقد كان أتباع الأمويين والعباسيين يبقون على الدوام في البلاد، أتباع الأمويين في معان، وأتباع العباسيين في أذرح، المدينة الرئيسية آنذاك في الشراة.

فيما عدا ذلك كانت البلاد قد أصبحت خالية من السكان خلال حروب الفتح. فقد رحلت عاملة وجذام ولخم إلى فلسطين وسيناء ومصر، واستقرت بلقين وغسان في جِبَال. وفي عمان كان يسكن في القرن التاسع الميلادي قيسيون هم بالتأكيد أحفاد الحامية الإسلامية الأولى، بينما كان سكان بقية المدن القليلة الأخرى (فحل وجرش في عجلون وكذلك مآب) خليط من عناصر مختلفة. في بادئ الأمر لم تؤثر حركة القبائل، التي حدثت في شبه الجزيرة العربية نتيجة حروب الفتح، على قبائل شرقي الأردن؛ لأنها حدثت على الطريق المؤدية من تيما عبر ثجر (= فجر) و وبير (= باير)، أو عبر وادي سرحان، إلى حوران. ولم يصبح شرقي الأردن بلداً بدوياً مرة أخرى إلا في عهد القرامطة (القرن العاشر الميلادي): كانت التحركات إلى شبه الجزيرة العربية يغلب عليها بنو كلاب القادمون من قلب نجد، وإلى الشراة عائلة ابن الجراح المنحدرة من طي والتي تحدثنا عنها في الجزء الأول، ص 159 وما بعدها، وص 504. وظل خلفهم، بنو ربيعة، في شرق الأردن حتى النصف الثاني من القرن الثاني عشر.

في هذه الأثناء كان شرقي الأردن قد انتقل من تحت الحكم العباسي إلى تحت الحكم الفاطمي. وكلا الحكمين أهملا شرقي الأردن لأنه لم تكن له بالنسبة لبغداد ولا بالنسبة للقاهرة الأهمية التي كانت له بالنسبة لدمشق عندما كان الأمويون يحكمون الدولة العربية من هناك. ولكن هذه الظروف تغيرت فجأة في عهد الحروب الصليبية ففي اللحظة التي احتل فيها الفرنجة فلسطين اكتسب شرقي الأردن أهمية كبرى لا مثيل لها قبل ذلك ولا بعده؛ فمنذئذ لم يعد يوجد اتصال بين دمشق والقاهرة إلاّ من وراء نهر الأردن.

ومن أجل حماية البلاد من الهجمات القادمة من القدس شيّد المسلمون قلعة الصلت ولكن القلعة سقطت في الحملة الثانية التي وجهها الصليبيون ضد شرقي الأردن (عام 1107م، الحملة الأولى عام 1100م). وقد رأى "طغتكين"، أمير دمشق عام (1103م ـ 1128م) مضطراً لأن يشتري السلام بإعطاء بالدوين ملك القدس جزءاً كبيراً من ضرائب البلاد[1] (1110م). ولكي يضمن بالدوين حقوقه بنى حصناً على اليرموك ولكن هذا الحصن انتزع منه بعد عامين. ولكن في عام 1115م شمخت في جنوب البلاد قلعة ضخمة، قلعة مونتريال، وتسمى بالعربية قلعة الشوبك، مكنت الصليبيين من السيطرة على إدوم القديمة. كما أن بناء الكرك (اكتملت عام 1142م) جعل موآب أيضاً تقع تحت سيطرتهم؛ ويبدو أن العجلون التي دمر الصليبيون عام 1121م قلعتها جرش[2] كانت تعتبر آنذاك غير تابعة لأي من الطرفين. وقد شهد جنوب شرقي الأردن تحت الحكم المسيحي عدة عقود من الازدهار. كان يزرع هناك آنذاك قصب السكر وحشيشة النيلة للصباغة والتمور والعنب.

أدى سقوط الفاطميين وتأسيس مملكة إسلامية تضم سورية ومصر على يد صلاح الدين إلى انتهاء تلك الفترة الطويلة من الهدوء: كان سقوط العقبة (1170م) مقدمة لإعادة احتلال البلاد الذي اكتمل بالاستيلاء على الكرك (1188م) والشوبك (1189م).

حُكم شرقي الأردن بعد ذلك أكثر من 70 عاماً من الأمراء الأيوبيين، خلفاء صلاح الدين. وقد فعلوا الكثير للبلاد وخاصة في الجنوب الذي كان الصليبيون قد طوروه؛ يقال بأن شوبك أصبحت في عهد الملك معظم عيسى (1218م ـ 1227م) تضاهي دمشق. ولكن زحف المغول (1266م)، الذين وصلوا في شرقي الأردن

(1) وهذا يعني البلقا وعجلون التي كانت تسمى آنذاك جبل (بلاد) بني عوف؛ ويبدو أن الجنوب لم يكن آنذاك قد بقي لديه أي عائدات ضريبية.

(2) لكن المدينة سكنت في وقت لاحق ثانية، وذلك حسبما تثبت نتائج التنقيبات وحسبما جاء في تقرير كتبه عام 1300م العالم الجغرافي الدمشقي.

حتى الصلت، أنهى حكم الأسرة الأيوبية في الشمال الذي أصبح تابعاً لمماليك مصر بعد انتصارهم في معركة عين جالوت التي وقعت في نفس العام؛ وبعد أعوام قليلة استولى المماليك على الكرك أيضاً، آخر ملك للأيوبيين في شرقي الأردن.

على الرغم من أن شرقي الأردن فقد كثيراً من أهميته بعد إنهيار حكم الفرنجة في فلسطين فقد حظي بعناية كبيرة في عهد السلاطين المملوكيين الأوائل. انطلق الحكم الجديد من الوضع الذي كان سائداً في عهد أواخر الأيوبيين: أصبحت كرك عاصمة لمنطقة خاصة تابعة لها، بينما بقيت العجلون (في وقت لاحق البلقا أيضاً) تابعة لدمشق. وقام السلطان بيبرس بإعادة بناء القلاع التي دمرها المغول وهي: قلعة ربض[1]، وقلعة عجلون التي بنيت في عهد صلاح الدين، وقلعة الصلت؛ كما أن جسر المجامع على نهر الأردن هو من إنجازاته. كانت هذه الأعمال موجهة ضد الخطر المغولي القادم من العراق. وعندما زال هذا الخطر تُرك شرقي الأردن شيئاً فشيئاً للبدو. وبقي للكرك وحدها بعض الأهمية بفضل قلعتها القوية التي استخدمت عدة مرات مكان إقامة طوعية أو إجبارية لأولياء العهد.

كانت أقوى قبيلة بدوية في الجنوب آنذاك قبيلة بني عقبة. وهي قبيلة من جذام من شمال الحجاز، المصدر القديم لسكان شرقي الأردن. وصل بنو عقبة خلال القرنين الثالث عشر والرابع عشر الميلادي في الشمال حتى الكرك، بينما نزلوا في الجنوب حتى ساحل البحر الميت. أمّا البلقا والسهول المجاورة لها فقد استولى عليها بنو مهدي ـ وهم أيضاً من جذام. وأمّا الشمال فقد كان خاضعاً لمرا، وهم قبيلة منحدرة من ربيعة كان مقرها الحقيقي في سهل حوران (انظر الجزء الأول، ص 507 وما يليها).

لا تتوفر لدينا معلومات كافية عن وضع شرقي الأردن في نهاية العهد المملوكي. كانت تحكم في العجلون آنذاك عائلة ابن ساعد، نصف البدوية، التي

---

(1) تسمى اليوم "قلعة ما قبل المدنية"، أي عجلون؛ كانت آنذاك تحمل اسم "عجلون" الذي أطلق في وقت لاحق على المدينة ثم على سلسلة الجبال وأخيراً على المنطقة.

عرفت في وقت لاحق باسم أمراء الغزاوي.

بعد احتلال سورية (1516م) ومصر (1517م) سقط شرقي الأردن في يد العثمانيين تلقائياً. لم يكن هناك حسب معرفتنا سوى إجراء واحد لفرض هيبة السلطة الجديدة ألاّ وهو الحملة التي انطلقت عام 1516م من دمشق إلى بلاد ابن ساعد، أي إلى عجلون. ولم يهتم الحكام الجدد بشرقي الأردن إلا نظراً لكونه معبراً على طريق الحج، أمّا البلد كبلد فقد ظل بالنسبة لهم عديم الأهمية. كانت المنطقة بكاملها تابعة إسمياً لباشا دمشق، أمّا في الواقع فكانت عجلون فقط تخضع لإدارة منتظمة ضعيفة، أحياناً على يد موظفين عثمانيين، وفي أغلب الأحيان على يد زعماء محليين كانوا في البداية أمراء الغزاوي. وأمّا الكرك فكانت في الأصل سنجقاً، لكنها ما لبثت أن سقطت في يد العرب. وفي عام 1677م أعيدت لها مرتبة السنجق وأجّرت لسيد من نابلس مدى حياته. وأرسلت إلى قلعتها حامية تضم بين عناصرها عدداً من الجنود الإنكشاريين الدمشقيين وكلفت أيضاً بحماية محطة قطرانة الواقعة على طريق الحج. لكن هذه الحامية سلمت القلعة للعرب. وفي العام التالي (1679م) أعاد عثمان باشا، حاكم دمشق، الكرك إلى السلطة التركية. لكن هذه السلطة كانت هذه المرة أيضاً غير فعالة على الصعيد العملي. فالجنود الإنكشاريون، الذي ظلوا فترة من الزمن يرسلون كل عام من دمشق إلى القلعة، كانوا أسرى أكثر منهم حراساً. لا بل إن بعضهم بقوا هناك واختلطوا مع السكان المحليين.

على عكس ذلك فقد فعل العثمانيون الكثير لتوفير الأمان على طريق الحج. ولقد كانت هذه المسألة ملحة جداً لأن الحج من سورية إلى الديار المقدسة كان مهدداً في كثير من الأحيان في أواخر العهد المملوكي، وقد توقف نهائياً أربعة أعوام (912 ـ 915 هجرية). وفي عهد السلطان سليمان بنيت قلعتا القطرانة ومعان؛ ولم تنته أعمال البناء على طريق الحج حتى أواخر القرن الثامن عشر. وبعد ذلك شهدت معان، التي كانت تقام فيها منذ القديم سوق للحجاج[1]، ازدهاراً هائلاً،

(1) كانت المدينة قد هجرت فترة من الزمن بعد طرد الصليبيين.

بينما تراجعت المدن الأخرى في البلاد.

خلال هذه الفترة طرأت تبدلات كثيرة على السكان البدو. في الشمال حل في البداية المفارجة محل المرا. لكن المفارجة دحروا في النصف الأول من القرن السابع عشر على يد قبيلة السردية التي وصل نفوذها في بداية القرن الثامن عشر جنوباً إلى ما بعد البلقا (انظر الجزء الأول، ص 535 وما يليها). وأصبح بنو مهدي، الذين كانوا في يوم من الأيام القبيلة السائدة في شرق وجنوب البلاد، مقتصرين على البقا وحدها. وتفرق تجمعهم القبلي بينما ظل لعائلة أمرائهم، التي حصلت على لقبها في العهد المملوكي، بعض الامتيازات إلى أن انتزعها منهم العدوان في القرن الثامن عشر. وفي القرن نفسه ظهر على الطرف الشرقي للبلقا بنو صخر (صخور)، الذين كانوا قد جاؤوا في القرن السابع عشر من الحجاز إلى جنوب المنطقة الخلفية من شرقي الأردن. فقضوا على نفوذ السردية في السهل ودحروا العدوان في البلقا. إلا أن التبدل كان على أشده في المنطقة الجنوبية: محل بني عقبة تشكل عند العقبة مجمع بني عطية الذي كان في فترة الاحتلال العثماني يهيمن على جنوب فلسطين وسيناء. وفي القرن السادس عشر انحل هذا المجمع. وهاجرت إحدى قبائله، الأحيدات، نحو الشمال ووصلت في بداية القرن السابع عشر إلى الكرك التي خضعت لها بعد وقت قصير. وتبع الأحيدات بنو عمر وهم من ناحية النسب ينحدرون من بني عقبة من ساحل البحر الأحمر. واختاروا في تنقلهم على امتداد طريق الحج منطقة شمال القطارنة لتكون منطقة ترحالهم. وفي نهاية القرن السابع عشر اضطر الأحيدات إلى الهرب منهم إلى جنوب فلسطين. عندئذٍ تقاسمت عمر في الجنوب والسردية في الشمال السلطة في البلاد. وفي هذه الأثناء جاءت من العقبة إلى الشراة والصحراء المجاورة لها قبيلة جديدة كانت في الماضي منضمة إلى مجمع بني عطية هي قبيلة الحويطات التي وصلت في القرن الثامن عشر إلى وادي الحسا وضايقت عمر بالتعاون مع سكان الكرك.

كانت العجلون المنطقة الوحيدة التي سلمت إلى حدٍ ما من زحف البدو.

وكانت هذه المنطقة تتألف آنذاك من سبع نواحٍ[1] تمثل عدداً مماثلاً من الجماعات السياسية. وكانت أقوى القبائل في العجلون في نهاية القرن الثامن عشر الميلادي الفريحات والشريدة، وما زالا كلاهما مزدهرين حتى اليوم. إلا أن حالة مدن وقرى الجنوب تعكس بشكل أقوى من الشمال أشكال المجتمع البدوي. ففي الصلت والكرك والطفيلة وشوبك ومعان كان السكان يتألفون من قبائل وكانوا يعيشون أحياناً في خيم في الأرياف. وكانت العلاقات بين المدن والبدو عويصة ومعقدة، علاقات خوة وعلاقات صداقة وعداوة حسب الحال. في بعض الأحيان كانت تتشكل جمهوريات صغيرة، ولكن في بعض الأحيان كانت إحدى العائلات تستأثر بالسلطة كما هو الحال مع المجالي في الكرك الذين ما زالوا أقوياء حتى اليوم.

لم يكن السكان يشعرون بوجود الإدارة التركية. وحسبما يقول سيتزن (1806م) وبوركهاردت (1812م) كان حق باشا دمشق في جباية الضرائب ينتهي عند موجب، إلا أن الصلت كانت معفية من الضرائب. وكانت الضرائب تجبى مرة كل عام من قبل الجنود. في العجلون فقط كانت الحكومة توكل جباية الضرائب إلى الزعماء المحليين الذين كانوا يحملون لقب شيخ مشايخ عجلون. في أواخر القرن الثامن عشر كانت عشيرة فريحات المذكورة أعلاه تتولى هذا المنصب؛ وفيما عدا ذلك كان السكان متروكين وشأنهم. وفي حال نشوب نزاعات بين العشائر أو

(1) عدد هذه النواحي اليوم ثمان: الكفارات، السرو، الوسطية مع عاصمتها الطيّبة، ويسميان معاً بني كنانة، بنو جهما مع إربد، الكورة مع تبنة، بنو عبيد مع الحصن، جبل عجلون مع عجلون وكفرنجة، المعراض مع سوف. وكما نرى فإن أسماء بعض هذه النواحي هي في الوقت نفسه أسماء عشائر ولكن يبدو أن الروايات المتناقلة الحالية لا تعرف شيئاً عن حملة الاسماء. هناك شيخ معروف من عهد فخر الدين هو الشيخ أحمد الكناني الذي كان في هذه المنطقة. العشائر الرئيسية في هذه النواحي هي اليوم (مذكورة بنفس التسلسل الذي ذكرت فيه النواحي):

العبيدات، الروسان، العزام، البطاينة، الشريدة، الخصاونة والنصيرات ـ هذان الاثنان في بني عبيد، الفريحات. وفي المعراض تتصارع عدة عائلات على الزعامة. وتجدر الإشارة إلى أن ناحية الرمثا تابعة أيضاً لمحافظة عجلون والعشيرة السائدة فيها هي عشيرة الزعبية.

القبائل كانت ترسل بين وقت وآخر بناء على طلب أحد الطرفين المتنازعين قوات إلى العجلون أو البلقا. ولكن هذه الحملات لم تكن تسفر عن شيء دائم. فقط أحمد الجزار، الذي كان بين عام 1784م وعام 1804م أربع مرات باشا دمشق وكان يحكم غرب شرقي الأردن بصفته باشا عكا، كان يقمع هنا أيضاً العناصر المشاغبة.

استمر هذا الغياب المريح للسلطة حتى مرحلة متقدمة من القرن التاسع عشر؛ فالوهابيون، الذين كانت طريق جيشهم إلى سورية تمر في وادي سرحان، أي خارج شرقي الأردن، لم يتدخلوا في ظروف البلاد بل اكتفوا بتعيين شيخ الكرك أميراً للبدو بين دمشق والبحر الأحمر. ولكن هذا الشيخ لم يأخذ واجباته الدينية على محمل الجد، حسبما يتبين من استمرار المعتقدات البدائية والطقوس التي يرفضها الوهابيون لدى بدو شرقي الأردن.

أبدى المصريون اهتماماً أكبر بشرقي الأردن على الرغم من أن احتلالهم له لم يحدث بصورة مخططة مسبقاً وإنما بمحض الصدفة. خلال الثورة الفلسطينية عام 1834م هرب جزء من الثوار من الخليل إلى الكرك. فتبعهم إبراهيم باشا إلى هناك. فاستسلمت الكرك بعد الهجمة الأولى وسقطت الصلت دون قتال. وعلى الطريق حوصر بنو صخر، الذين كانوا قد هاجموا الجيش المصري، وأجبروا على الاستسلام. وخلال الحكم المصري (1834 ـ 1840م) اتخذ عدد من الإجراءات لحماية الزراعة. وقد تمّ آنذاك إعمار العديد من قرى البلقا انطلاقاً من الصلت. ودخل إبراهيم باشا البلاد مرة أخرى على طريق انسحابه من سورية (بداية عام 1841م). وكان مضطراً إلى المرور في شرقي الأردن لأن فلسطين كانت بمعظمها محتلة من الأتراك. وقد تمكن سليمان باشا ("كولونيل" سيف Sève)، الذي أرسله إبراهيم باشا أمامه إلى سيناء، من نقل المدفعية بسلام، عبر ممر العقبة الشديد الانحدار، إلى مصر؛ وتمكن جزء آخر من قواته (قوات إبراهيم باشا) من التحرك بسلام من الكرك إلى غزة وذلك بسيره في بادئ الأمر إلى الغرب من نهر الأردن ثم بالانعطاف في مناورة خادعة نحو القدس. ولكن إبراهيم باشا نفسه أصيب في سيره على هذه الطريق بخسائر فادحة بسبب الإعياء والجوع والعطش وغارات البدو؛ إذ

إن الدليل الذي أخذوه معهم من الكرك قاد الجيش على طريق خاطئة!

بعد انسحاب المصريين عادت البلاد إلى حالتها السابقة. فقد فشلت محاولة الأتراك ترسيخ أقدامهم في معان التي كانت تنعم بنوع من الرخاء الاقتصادي نتيجة تجارتها مع البدو. في الستينات بدأ الأتراك يحققون نجاحاً في تقدمهم الحذر نحو البلقا معتمدين في ذلك على مساندة قبيلة بني حسن المقيمة في شرقي العجلون. وفي عام 1867م استولوا على الصلت وأذلوا آل عدوان. وبتأسيس مستوطنات شركسية[1] في عمان وجرش (1878م) بدأت عملية إعادة التوطين في البلقا التي استمرت بعد ذلك دون توقف. وبالاستيلاء على كرك (1893م) واحتلال المناطق الجنوبية (1894م) انتهت مرحلة غياب السلطة في شرقي الأردن التي استمرت أكثر من خمسمائة سنة.

في القرن التاسع عشر لم تحدث تقلبات كبيرة بين القبائل. بسبب دخول الأتراك اضطر بنو صخر (صخور) إلى الخروج من عجلون التي كانوا في السابق يزورونها كل عام. وفي البلقا وسعوا منطقتهم على حساب العدوان، بينما في الشمال لم يتمكنوا إلا بصعوبة من الوقوف أمام العنزة. ومنذ نهاية القرن تحوّل بنو صخر جزئياً إلى الحياة شبه البدوية بينما استوطنت العدوان بصورة متزايدة.

أدى بناء خط سكة حديد الحجاز[2] الذي وصل إلى معان عام 1902م، إلى شعور القبائل بالقلق لأنهم خشوا أن يخسروا الأرباح المرتبطة بقوافل الحج. إلا أن المبالغ السنوية التي تقرر دفعها لبني صخر والحويطات لقاء حماية الخط الحديدي هدّأت من قلقهم. وقد تمّ قمع الثورتين اللتين قامتا في شوبك (1905م) والكرك (1910م) دون صعوباتٍ كبيرة.

---

(1) سنتحدث بتفصيل أوسع في الجزء الرابع عن الشركس وعن الجماعات التركمانية في شرقي الأردن. ومن العناصر الغريبة نذكر مجموعة سنوسية من شمال إفريقيا استوطنت قبيل الحرب في الطفيلة. أمّا الأرمن الذين نقلوا إلى هناك أثناء الحرب فلم يعودوا موجودين الآن.

(2) منذ وقت قصير أصبحت عمان متصلة مع بغداد بطريق سيارات.

لعبت قبائل شرقي الأردن دوراً مهماً في الحرب العالمية. فالنجاحات التي حققها الحلفاء هناك لم تكن ممكنة أبداً لولا المساعدة التي قدمها لهم شيخ الحويطات عودة أبو تايه. بدأت الحرب[1] بالنسبة لشرقي الأردن في ربيع عام 1917م عندما اشترك أبو تايه مع الشريف ناصر ولورنس في تلك الحملة الشهيرة التي تحركت من وجه على ساحل البحر الأحمر عبر وادي سرحان إلى العقبة. فقد أصبح ميناء العقبة في أغسطس/آب من ذلك العام القاعدة العسكرية للجيش الشريفي الذي يقوده فيصل ولمساعديه البريطانيين والفرنسيين، بينما حشد الأتراك قواتهم على الخط الحديدي حول معان. لكي يتمّ صرف نظر العدو عن العقبة قامت قوات عربية بقيادة مولود مخلص[2] باحتلال وادي موسى (البتراء) وأرسلت اللياثنة المقيمين هناك للاستيلاء على النقليات التركية الصغيرة التي تمر من هناك. فرد الأتراك على ذلك بمهاجهة الموقع العربي واحتلوه، لكنهم انسحبوا منه في نفس الليلة (أكتوبر/تشرين الأول 1917م). وبينما كانت القوة العربية الرئيسية تقترب من معان وتحاول عزلها عن طريق تفجير الخط الحديدي، تقدم الشريف ناصر، على الرغم من شدة البرد القارس، في الشراة واستولى في يناير/كانون الثاني على الطفيلة. قام الأتراك بهجوم معاكس انطلاقاً من الكرك ولكن الهجوم فشل. غير أنهم تمكنوا في مارس/آذار من طرد العرب.

في نفس الشهر أصبحت البلقا ساحة حرب حيث أن الإنجليز عبروا نهر الأردن وهاجموا عمان (معركة الصلت الأولى)، ولكن عبثاً. كما أن معركة الصلت الثانية (أبريل/نيسان ـ مايو/أيار 1918م) انتهت بانسحاب الإنجليز إلى وراء النهر؛ وقد تبين أن الأمل الذي علقوه على مشاركة بني صخر مشاركة فعالة هو أمل خادع؛ صحيح أن بني صخر شاركوا في معارك صغيرة في الصحراء لكنهم لم

(1) بخصوص الحملة التي سبقت ذلك في الحجاز انظر مقدمة الفصل الخاص بالحجاز.

(2) ضابط الخيالة التركي آنذاك، وهو من تكريت، والذي أسر في الشعيبة (انظر الجزء الأول، ص 229)، هو منذ أعوام طويلة رئيس البرلمان العراقي.

يكونوا مستعدين إطلاقاً لتعريض عائلاتهم وقطعانهم للخطر بالمشاركة في ثورة مكشوفة.

في هذه الأثناء كانت قوات خفيفة من الجيش العربي قد اتخذت من خط الجفر ـ باير ـ أزرق إلى الشرق من الخط الحديدي قاعدة لعملياتها؛ كانت الحويطات والصخور والسراحين (قبيلة منطقة الأزرق) يحمون هذا الخط ضد أي مفاجآت، بينما بدأت في الوقت نفسه قبائل صغيرة غربي الخط الحديدي بالتحرك. في سبتمبر/ أيلول قُسمت الكتلة الرئيسية للجيش العربي المحتشد أمام معان إلى قسمين. تابع جعفر العسكري[1] محاصرة المدينة بينما توجه نوري السعيد[2] إلى الأزرق. وكانت هذه الحملة مقدمة الهجوم الإنجليزي في فلسطين الذي بدأ في التاسع عشر من هذا الشهر. بعد ذلك خلق هذا الجناح الشمالي للعرب لعملياته في منطقة درعا ارتباكاً مخيفاً في ظهر الجبهة التركية وحوّل الانسحاب التركي، بالتعاون مع الإنجليز المتقدمين عبر نهر الأردن، إلى كارثة حقيقية.

منذ نهاية سبتمبر/ أيلول 1918م أصبح شرقي الأردن يُعدُّ جزءاً من «المملكة العربية» المقبلة وكان من المقرر أن يدار من قبل حكومة فيصل التي شكلت في دمشق. أمّا في الحقيقة فقد عادت البلاد، التي خرجت منها القوات الإنجليزية في نهاية عام 1919م، إلى حالة من الفوضى وغياب السلطة. وعندما سقط العرش السوري لفيصل في نهاية يوليو/ تموز 1920م اتخذت حالة الفوضى هذه أشكالاً مزرية: في العجلون وحدها تشكلت أربع حكومات!

هكذا كان الوضع عندما وصل عبد الله أخو فيصل في بداية مارس/ آذار

---

(1) ضابط تركي سابق من العراق حارب في شمال إفريقيا مع السنوسيين ضد الإنجليز ووقع في الأسر. تولى منذ عام 1920م عدة مناصب وزارية في العراق وأصبح رئيساً للوزراء. اغتيل عام 1936م.

(2) ضابط تركي سابق من بغداد، أسر أمام البصرة. منذ عام 1920م وزير ورئيس للوزراء عدة مرات.

1921م، على رأس قوة صغيرة، إلى عمان قادماً من الحجاز بهدف محاربة الفرنسيين. وبعد بضعة أسابيع وصل إلى دمشق وزير الخارجية الإنجليزي آنذاك تشرشل وعيّن عبد الله مسؤولاً عن إدارة شرقي الأردن على شرط أن يتخلى عن الدخول إلى سورية. وبذلك تأسست إمارة شرقي الأردن (وعاصمتها عمان) فعلياً؛ ولا نريد التطرق هنا إلى الجانب القانوني من المسألة.

على الرغم من أن شرقي الأردن كان دولة تحت الحماية البريطانية، بصفته جزءاً من منطقة الانتداب فلسطين، فقد مرّ وقت طويل إلى أن تمكن الإنجليز من فرض نفوذهم هناك. وقد سَّهل هذه العملية أمران: الأول هو الضائقة المالية التي كانت تشهدها البلاد بسبب الفجوة الكبيرة بين وارداتها المالية المتواضعة من جهة ومتطلبات الإدارة العصرية للدولة من جهة أخرى، والثاني هو الضغط الذي كان إخوان آل سعود يمارسونه على شرقي الأردن. ففي عام 1922م وصلت غزوة من الإخوان إلى الطنيب (على بعد 16 كيلو متراً جنوبي عمان)، وفي عام 1924م وصلت غزوة ثانية إلى نقطة لا تبعد سوى 11 كيلو متراً عن عمان. ولم يتوقف الخطر القادم من شبه الجزيرة العربية إلاّ في نهاية عام 1925م بعقد اتفاقية الحدّة التي حددت الحدود الشرقية لشرقي الأردن؛ أمّا واحة كاف الواقعة في وادي سرحان والتي كان الأردن قد استولى عليها عام 1922م بعد غزوة طنيب فقد كانت من نصيب آل سعود. وظلت قضية الحدود الجنوبية، أي تابعية العقبة ومعان (الشراة)، مفتوحة. كانت العقبة على الدوام، والشراة منذ سقوط فيصل، "تدار" من الحجاز. عندما استولى آل سعود عام 1924/ 1925م على الحجاز احتل الإنجليز العقبة ومعان كجزء مزعوم من منطقة الانتداب البريطاني في شرقي الأردن على الرغم من أنهما أعلنا حيادهما في الحرب بين الشريف حسين وآل سعود. وما زال آل سعود حتى اليوم يطالبون بهذه المنطقة. ومنذ أن اعترفت الحكومتان، حكومة شرقي الأردن وحكومة السعودية، كل منهما بالأخرى (1933م) ساد الهدوء على الحدود. ولكن حتى ذلك الحين كانت الغزوات وغارات السلب والنهب لا تتوقف، كما أن الأمير عبد الله وأقرباءه قدموا الدعم للثورة التي اندلعت في الحجاز

عام 1932م. وليس معروفاً مدى تأثر قبائل شرقي الأردن بالدعاية الدينية الوهابية.

لم يلق تشكيل حكومة في شرقي الأردن أي ترحيب لدى القبائل وحتى في ذلك الوقت حيث كان النفوذ الإنجليزي غير ذي شأن. فقد حدثت عام 1921م في العجلون (الكورة) وفي الكرك والطفيلة اضطرابات استمرت عاماً كاملاً حيث قمعها بعد ذلك الجيش الأردني الصغير. أمّا ثورة العدوان عام 1923م فقد خنقت في مهدها بتدخل الطائرات البريطانية. وبعد ضم المنطقة الجنوبية تمرد اللياثنة في وادي موسى. ولكن هذا التمرد أيضاً أخمد بدون جهد كبير.

في الأعوام الخمسة عشر الأخيرة وقع شرقي الأردن أيضاً تحت تأثير الحركة السياسية الناهضة في جميع أرجاء العالم العربي. وتدور هذه الحركة، من الناحية الأولى، حول الصهيونية التي تحاول إيجاد موطئ قدم لها على الجانب الآخر من نهر الأردن، ومن الناحية الثانية، حول القضية العربية أي حول حلها بالمفهوم القومي أم بالمفهوم الإنجليزي. وبينما قرر الأمير عبد الله السير في ركب الإنجليز كان الشباب المتعلمون يريدون الحل القومي. كان عدد هؤلاء الشباب قليلاً جداً ولكنهم أخذوا يكسبون شيئاً فشيئاً تأييد جزء من السكان الحضر، وخاصة في العجلون، وتأييد البدو أيضاً. وفيما يتعلق بالبدو فإن الموقف السياسي يتأثر جزئياً بالعداوات القديمة بين القبائل. فعندما يكون العدوان مؤيدين للحكومة يكون الغنيمات، الذين يتنافسون معهم منذ القدم على الزعامة في البلقا، مؤيدين للخط القومي. في الكرك يقف آل المجالي إلى جانب الحكومة بينما يقف خصومهم الطراونة ضدها. أمّا شيوخ البدو الكبار فيبتعدون قدر الإمكان عن السياسة، لكن مثقال باشا من بني صخر يعدّ صديقاً لمفتي القدس، وحمد الجازي من الحويطات يؤيد الأمير عبد الله.

وعلى الرغم من أن العداوات بين القبائل ظلت مستمرة فقد فَقَدَ تكتل قبائل شرقي الأردن القديم في ثلاث مجموعات: أهل الشمال وأهل البلقا وأهل القبلي، كثيراً من وزنه. وقد كان هذا التكتل، كما يتضح من اسمه، ذا طبيعة جغرافية أكثر منها سياسية. ويعني تعبير أهل الشمال قبائل منطقة حوران الذين ينسب إليهم بنو

صخر أيضاً لأنهم كانوا في السابق يأتون إلى سهول حوران بصورة منتظمة. ويقابلهم أهل البلقا بقيادة العدوان، وأهل الجنوب وعلى رأسهم الحويطات.

إذا ما ألقينا مرة أخرى نظرة على ظروف وأحوال البدو في شرقي الأردن تتبين لنا الحقائق التالية:

تشكل سهول شرقي الأردن مثلثاً يشكل قاعدته خط العقبة ـ الطبيق ويشكل ضلعيه أطراف المرتفعات في الغرب ووادي سرحان. وتكفي هذه السهول لتوفير سبل العيش لقبيلتين كبيرتين تجد إحداها المراعي الصيفية في الشراة والأخرى في البلقا أو في سهول حوران. وحسب تركيبة الأرض ينبغي على القبيلة المتمركزة في البلقا أن ترحل في الخريف نحو الجنوب، والأخرى نحو الشرق لكي تجد المراعي اللازمة. هاتان القبيلتان هما اليوم بنو صخر والحويطات. وكانا قبل ذلك السردية وعمر، وفي العصور الوسطى بنو مهدي وبنو عقبة.

أمّا أطراف المرتفعات ذاتها فهي في الجنوب ضيقة جداً بحيث أنها لا توفر أي مأوى لقبائل أخرى فيما عدا البدو الرُحل الذين يبحثون هنا عن المرعى في الصيف. أمّا في الجبال، في الكرك وخاصة في البلقا، فهناك مكان وافر لقبائل صغيرة. وهم بدو يربون الأغنام ويحرثون الأرض ويستقرون فيها عندما توجد يد قوية تحمي الزراعة. وتجد القبائل الصغيرة والجماعات المتفرقة ملجأ لها في الغور أو في العربة، كما أن الحرة إلى الشرق من الأزرق هي منطقة نموذجية للانسحاب والاختباء.

بينما يشكل نهر الأردن حاجزاً بالنسبة لرحيل القبائل فإن مثل هذه الحدود غير موجودة في الشمال ولا في الجنوب. فالسردية والسرحان ـ وهما اليوم منبوذتان في الحرة القاحلة ـ وقبلهما المفارجة والمرا، كانوا يخيمون في حوران وفي سهول شرقي الأردن على حد سواء، وكان لبدو الجنوب على الدوام أقرباء يسكنون في شمال الحجاز. وهذه الحقيقة تشير إلى حدوث هجرة معاكسة للهجرة التي انطلقت عموماً من شبه الجزيرة العربية باتجاه الشمال. ويتعلق الأمر هنا ببني عطية الذين

أعيد جزء منهم إلى شبه الجزيرة العربية. فيما عدا ذلك فإن القبائل ترحل إلى هذه الجهة أو تلك حسب حاجتها إلى المراعي المتبدلة بين الصيف والشتاء. وينطبق هذا على شرقي الأردن أيضاً. فقد جاء بنو مهدي إلى البلقا وانحدروا هناك إلى بدو نصف رُحل وفلاحين. ويواجه بنو صخر مصيراً مماثلاً؛ لأن نهر الأردن يشكل عائقاً لا تستطيع اجتيازه ذهاباً وإياباً إلى فلسطين ومنها إلا مجموعات صغيرة. أمّا وادي عربة فإن بدو الشراة يعبرونه عندما يضيق بهم المكان نتيجة مجيء قبائل أخرى ويرحلون إلى مراعي غزة المباركة التي توفر لقطعانهم الكلأ في أعوام الجفاف والقحط: وقد مرّ على هذه الطريق في الماضي الأحيداث وبنو عطية وبنو عقبة ولخم. وكانت هجرات قبلية مشابهة قد حدثت في الماضي عند امتداد الدولة النبطية والدولة الإدومية إلى جنوب فلسطين.

نسبة البدو إلى مجموع السكان هي في شرقي الأردن أعلى كثيراً منها في سورية أو العراق، ناهيك عن فلسطين. يبلغ عدد سكان شرقي الأردن حالياً نحو 320,000 نسمة، منهم 30,000 نسمة بدو رُحل و100,000 بدو نصف رُحل و190,000 حضر إقامتهم ثابتة. إلاّ أن هؤلاء الحضر يعتبرون بمعنى ما بدواً أيضاً؛ إذ إن سكان المدن والفلاحين جنوب العجلون يشاركون البدو لغتهم وعاداتهم وشؤونهم القبلية[1]؛ علماً بأنهم ليسوا جميعاً من أصل قبلي بل إن جزءاً كبيراً منهم كان في الأصل من الحضر الذين انتقلوا شيئاً فشيئاً إلى حياة البداوة. وهذه ظاهرة لا مثيل لها بهذا الحجم في أي بلد من البلدان التي عالجناها حتى الآن. ومما يلفت الانتباه أن هذه العملية شملت المسيحيين أيضاً. ففي الصلت ومأدبا والكرك ينتظمون في قبائل ولا تقل قدراتهم القتالية عن قدرات جيرانهم المسلمين. وهذه الحقيقة يجب على المرء أخذها بعين الاعتبار إذا ما أراد معرفة أهمية البداوة بالنسبة لشرقي الأردن.

ومن ناحية أخرى كان لاحتكاك البدو مع الحضر ـ هناك تزاوج بين

(1) يستثنى من ذلك طبعاً المدن الجديدة مثل عمان.

المستوطنين والرُحل ـ تأثيره الواضح على البدو. ونذكر من أشكال هذا التأثير الإيمان بالمزارات والأشجار والقبور، وهو اعتقاد منتشر في شرقي الأردن بين البدو كانتشاره بين الفلاحين. ويجود أيضاً لدى قبائل شرقي الأردن تشكيلات لا يجدها المرء لدى القبائل الأخرى، نذكر منها، على سبيل المثال، أن عبّاد البلقا وبني صخر والحويطات ينقسمون في حالة الحرب إلى عدة أعلام على رأس كل منها عليم[1] بالوراثة.

يوجد لدى شرقي الأردن منذ عام 1930م وحدة عسكرية بدوية، خفر الصحراء، بقيادة الميجر غلوب باشا الذي يسميه العرب بسبب جرح في ذقنه "أبو حنيك". كان عدد أفراد هذه الوحدة عام 1937م نحو 800 رجل. وهي تتولى إضافة إلى المهام العسكرية والشرطية، شؤون القضاء وجباية الضرائب والشؤون المدرسية في الصحراء.

سنبدأ هذا الفصل بقبائل منطقة حوران مع الإشارة إلى أن السردية قد سبق وعالجناهم في فصل سورية. وبعد ذلك سننتقل حسب التسلسل الجغرافي إلى عجلون، والبلقا، والجبال، من الشمال إلى الجنوب.

---

(1) لسنا متأكدين من معنى الكلمتين العربيتين "علم" و"عليم"؛ إذ إن "علم" تعني حسب الزركلي، "عامان في عمّان"، ص 24، «النسق الحربي» ("الصف في المعركة") وتُقرأ عِلْم وليس عَلَم.

العيسى[1](*)

تقتصر اليوم منطقة إقامة العيسى على الحرّة في جنوب شرق جبل الدروز، وكانوا في الماضي يصلون في الشمال إلى خط القوافل دمشق ـ بغداد ـ البصرة وفي الجنوب إلى منطقة الشرارات[2].

كان العيسى يحسبون في الماضي مع أهل الشمال أي مع بدو منطقة حوران. وكانت هذه المجموعة تشمل في الأصل بالإضافة إلى العيسى كلاً من السرحان والسردية والفحيلي. وبعد أن قام السرحان بإبعاد السردية من سهول حوران حلّ محلهم بنو صخر[3]. ولقد فقد تعبير أهل الشمال في المائة عام الأخيرة أهميته لأن

(1) يسمون أيضاً: أهل عيسى.

(*) العيسىٰ بطن من الفضل من عرب الشام من آل ربيعة من طي وكما يذكرها مؤلف كتاب تاريخ شرق الأردن وقبائلها. فردريك ح بيكه. عن القلقشندي وبلوغ الأرب والسويدي سبائك الذهب فهل هم نفس العيسىٰ؟ وما يذكره المؤلف أوبنهايم عن البرغوثي عن وثيقة قديمة أنهم من طي أيضاً. ويذكر فردريك بيكه بأنهم تكوين من أربعة بطون هي: 1. السويلم. 2 ـ العلي. 3 ـ الحويطة. 4 ـ الحريز. (ماجد شبّر).

(2) بوركهاردت، ص 20؛ ياوسن، ص 228 وما بعدها؛ انظر أيضاً: أوتينغ، الجزء الأول، ص 37، و107.

(3) وردت المجموعة بهذا التركيب عند روبنسون (1838م)، الجزء الثالث، ص 915. لا يمكن التحدث عن حلف أهل الشمال كما يقول بيكه ص 234 وما يليها، على الرغم من أن القبائل كان لها بطبيعة الحال مصالح مشتركة. وتجدر الإشارة إلى أن بوركهاردت يفهم تحت اسم «أهل الشمال» البدو السوريين عموماً.

الفحيلي اختفوا، والسردية أصبحوا عديمي الأهمية، وبني صخر أصبحوا مقتصرين على شرقي الأردن. إلاّ أن العيسى ما زالت تربطهم علاقات وثيقة مع بني صخر.

العيسى(1)

شيخ المشايخ: صقر بن ماضي(2)

القبيلة	الشيخ	عدد الخيام
1 ـ الماضي(3)	صقر بن ماضي(2)	130
2 ـ العلي(4)	جلاد بن هدبان	80

ملاحظات حول الجدول

1 ـ يذكرهم شبرنغر تحت رقم 153 مع 800 خيال و1500 راجل، وهناك قائمة تفصيلية موجودة عند بيكه، ص 238.

2 ـ تيريه: بدر ابن ماضي وعواد ابن ماضي، موزيل، الجزيرة العربية، ص 413: عناد ابن ماضي. ويذكر سيتزن (الجزء الأول، ص 405) من شيوخ العيسىٰ القدامى الشاعر محمود ابن ماضي، ويذكر باوسن، ص 407:

رتعان بن ماضي. وتعتقد العائلة النبيلة ابن ماضي الموجودة في ناحية حيفا أن لها صلة قرابة مع رتعان بن ماضي. ولكن وثيقة قديمة موجودة عند البرغوثي تشير إلى أن عائلة ابن ماضي حيفا جاءت من غزة وهي تنحدر من بني هرماس (طي) الموجودين هناك.

3 ـ الوسم: ☰ بين العين والذقن و / على الذقن الأيسر.

4 ـ الوسم: CCC تحت العين و \ على الذقن الأيمن.

سرحان[1]

سرحان هي أقوى قبيلة في جنوبي حوران بعد بني صخر. ويعتقد بأنهم أخذوا اسمهم من وادي سرحان الذي ما زالوا حتى الآن يذهبون إليه في الشتاء والذي يتألف سكانه المقيمون في كاف وإثرا من بني سرحان.

لا توجد أي معلومات مؤكدة عن أصلهم. وليس لهم علاقة بفرع السرحان من قضاعة الذي يظهر في الأنساب العربية القديمة بين سليح وتنوخ أي أنه يعود إلى العصر القديم، وإنما ربما بسراحين القلقشندي (ص 96). ويقول بوركهاردت (ص 20) أنهم جاءوا من بلاد ما بين النهرين، لا بل إن أحد مصادرنا يعتقد أنهم جاؤوا من دبّي (على ساحل القراصنة قرب عُمان). إلا أننا في الوقت الحاضر وحتى إشعار آخر مضطرون إلى اعتبار وادي سرحان موطنهم الأصلي.

تدل الحكايات التي يتناقلها السرحان على أن القبيلة حاولت دوماً الخروج من هذه المنطقة القاحلة بالتوجه تارة نحو الشمال الغربي وتارة أخرى نحو الجنوب الشرقي: وفي بداية القرن السابع عشر[2] نجح السرحان في احتلال مركز قيادي في

---

(1) الجمع: سراحين، سراحنة.

(2) حكاية القبيلة المعروضة بالتفصيل عند بيكه، ص 234 وما يليها، موجودة عند بوركهاردت، ص 19، بالخطوط العريضة. فيما يتعلق بالتاريخ انظر المصدر نفسه: «قبل 200 عام».

حوران[1]. ولكنهم بعد وقت قصير طردوا من هناك على يد السردية. فعادوا على أعقابهم ووصلوا إلى الجوف حيث استولوا على هذه الواحة[2] التي لم يزل يوجد بين سكانها جماعات من السرحان حتى اليوم[3]. إلا أنهم بعد عقدين من الزمن طردوا نحو الشمال على يد العِنزة الذين كانوا آنذاك في طريقهم إلى سورية.

في القرن الثامن عشر شكل السرحان مجموعة تابعة للسردية، وفي القرن التاسع عشر لبني صخر الذين كانوا قد تلقوا دعماً منهم خلال قتالهم مع العِنزة.

يضم مجمع السرحان بعض الأجزاء الغريبة، من شمر والغازية، وهؤلاء الأخيرون (الغازية) هم بقايا قبيلة تعيش اليوم في العراق بينما كانت في العصور الوسطى تعيش في النفود وجبل شمر.

كان السرحان حتى وقت يعيشون رحّلاً. إلا أنهم كانوا قبل الحرب العالمية (الأولى) يقطنون في ثلاث قرى بين درعا والمفرق. ومنذ عام 1925م، حيث فقدوا الجزء الأكبر من قطعانهم في حملة سلب ونهب شنها عليهم الوهابيون، ما عادوا يرحلون سوى ثلاثة أشهر خلال فصل الشتاء إلى أرض الشامة وهي ظهر المرتفع المحاذي لوادي سرحان الأعلى من جهة الشمال الشرقي (موقع الماء الرئيسي: عين البيضا).

يبدو أن عائلة شيوخ السرحان، عائلة ابن رملة، التي يعتبر جدها عذية بن رملة[4] جدَّ القبيلة أيضاً (انظر أيضاً صيحات الحرب في الملاحظة 1)، قد انقرضت. أمّا عائلة الشيوخ الحالية، ابن كعيبر، فهي عائلة حديثة؛ إذ إن الرجل

(1) هذه المعلومة لا تتطابق مع المعطيات التاريخية التي لا تذكر قبل السردية سوى المفارجة كقبيلة سائدة في حوران؛ انظر الجزء الأول، ص 419، 420.

(2) هذه القصة تؤكدها حكايات عمرو في الكرك؛ انظر موزيل، الجزء الثالث، ص 74 وما بعدها.

(3) فالين، مجلة الجمعية الجغرافية، لندن، 1854، ص 141؛ موزيل، ص 126.

(4) انظر موزيل، الجزء الثالث، ص 75.

الذي أخذت العائلة اسمه، كعيبر ابن "منكد"، تولى الحكم بعد عام 1870م[1].

السرحان(1)

شيخ المشايخ: شبيب بن كعيبر

القبيلة	الشيخ	عدد الخيام
1 ـ الراشد(2)	ذوقان بن ختمان	160
أ ـ النوافلة(3)		
ب ـ الحمدان	شافي بن معيوف	
جـ ـ البعيج(4)	ضامن بن رافع	
د ـ الغنّام	حامد الجذمة	
هـ ـ المجاشعة(3)	يحيى بن مسروك	
2 ـ الهجل(5)	شبيب بن كعيبر	70
3 ـ الحباب(6)	هجوج بن بالي	130
أ ـ المسافر	مبادر بن بالي	
ب ـ بني سالم	سحم الحدب	
جـ ـ الدليم	محمد الدليم	
4 ـ العصم(7)	عقلان بن عنيزان	30

(1) إزابيل بورتن، الحياة الداخلية في سوريا The Inner Life of Syria، الجزء الأول، ص 69. يذكر لورنس.، ص 411، مطير بصفة شيخ المشايخ، ومفلح ابن «بني» (= بالي) بصفة العقيد.

ملاحظات

1 ـ الفروع 1 ـ 4 موجودة عند غارماني، ص 141. بوركهاردت، ص 19، يسمي فروع ابن رملة (انظر النص)، ابن رافع، وابن البالي (1 حـ، 3) وكذلك «الهبيلي». صيحة الحرب(*): راعي البويضة، ولد العذي! وحسب معلومات أخرى: بيضا عذيوي!

2 ـ الوسم: /// على الجهة اليمنى من الرقبة.

3 ـ شمر.

4 ـ بيكه: البعايجة. زعماً غضاورة (عنزة)، بما أن الإسم لا يرد حسب علمي في مكان آخر، لذا أضافهم مع السرحان. «لمزيد من التفصيل مراجعة ص503 ج3». .

5 ـ الوسم: T على الجهة اليمنى من الذقن أو على الجهة اليمنى من الرقبة.

6 ـ الوسم: ┌┬┐ بين السالف الأيمن والعين.

7 ـ الوسم: ᵒᴼᴼ على الجهة اليمنى من الذقن أو على أعلى الرقبة.

(*) تستعمل كلمة نخوة بمعنى صيحة الحرب وكما هو الحال في العراق تستعمل النخوة في الحرب وكذلك عندما تكليف شخص بمهمة أو طلب عون وتقول له أنا أنخيك أي من النخوة ويقول العزاوي، أن أصل الكلمة هو (انا أخوة) ومنه اشتقت (النخوة). (ماجد شبَّر).

بني خالد

يرجع بني خالد شرقي الأردن أصلهم إلى قبيلة بني خالد الموجودة قرب حمص. وقد غادروا موطنهم الحمصي في القرن التاسع عشر بسبب نزاعات مع النعيم، وتوجهوا إلى الجولان حيث أقاموا فترة من الزمن تحت حماية الفضل، ومن هناك إلى منطقتهم الحالية شرقي العجلون[1]. ومما يؤكد هذه الرواية أن القبيلتين الفرعيتين الجبور (1) والنهود (3) ـ الأولى عام 1917م ـ عادتا إلى حمص[2].

وتجدر الإشارة إلى أن قبيلة بالاسم نفسه كانت تعيش في العجلون في العصور الوسطى. وقد هاجمها الصليبيون في عام 513هـ/ 1119م. وينسبها ابن الأثير (المجلد العاشر، ص 390) إلى طي[3]. أمّا المؤرخون اللاحقون فيعرفون بني خالد كفرع من بني مهدي في البلقا[4].

---

(1) حسب بيكه، ص 213.

(2) انظر الملاحظة 9 المتعلقة بجدول بني خالد، الجزء الأول، ص472 وما بعدها.

(3) انظر قلقشندي، ص 204: "بنو خالد فرع من الغازية" (طي)؛ انظر أيضاً جهان نيما، ص 553.

(4) حمداني في صبح، الجزء الرابع، ص 213. حسب مصادر أخرى ينتمي هؤلاء لبني خالد إلى بني عقبة. وليس معروفاً كيف ينظرون إلى بني خالد الحجاز (صبح، الجزء الرابع، ص 205، 284).

تمتد منطقة بني خالد من درعا حتى سيل الأزرق ومن الغور حتى الفدين. وتمارس القبيلة الفرعية هديان الأعمال الزراعية في خربة حوشة (أربع ساعات جنوب درعا)، بينما يعيش بقية القبيلة حياة البدو الرُحل ويرافقون بين حين وآخر الروله إلى الصحراء. ويربي بني خالد الإبل لأغراض النقل الخاص بهم ولتجارة الملح التي تشكل مصدراً مالياً هاماً لبني خالد وبني صخر والسرحان. ويقوم البدو المشتركون في تجارة الملح برحلتين كل شهر إلى قرى الملح في وادي سرحان (ومنها قرية بليدات التي لا تسمى كما هو مألوف قريات الملح) تستغرق كل رحلة (ملحة) ستة أيام سيراً على الأقدام، ويتقاضون فيها مجيدياً واحداً لقاء حمولة الجمل الواحد (10 مدّ، 9 أرطال). ويباع الملح في قرى حوران وعند البدو وحتى في دمشق.

سوق بني خالد هي إربد. ويخيم شيخ القبيلة منصور بن فارس غالباً في منطقة الزمل جنوب درعا. وهو يتمتع بسمعة رفيعة كحكم لحل الخلافات ويحمل لذلك لقب "البتّور"، أي الرجل ذو القرار القطعي.

يعتبر بني خالد(*) في شرقي الأردن أنفسهم كأبناء عمومتهم في حمص من أحفاد خالد ابن الوليد (انظر الجزء الأول، ص 465). لا بل إنهم يقدمون له الأضحيات: يقوم صاحب كل قطيع بذبح خروف واحد تكريماً لخالد بن الوليد ويوزع لحمه على الفقراء. ويصل عدد هذه الأضحيات إلى 500 أضحية كل عام.

(*) بني خالد ينتمون إلى عقيل وكما هو حال أبناء عمومتهم بني خالد في الجزيرة العربية، وليس لهم علاقة نسب بخالد بن الوليد. راجع ص197 الجزء الثالث من هذا الكتاب (ماجد شبّر).

بني خالد(1)

شيخ المشايخ: منصور بن فارس القاضي

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ الجبور			150
أ ـ الحديان والقضاة	منصور القاضي		
ب ـ الدعّاس(2)	ذياب الدعّاس		
جـ ـ السليم	عقيل السليم		
د ـ المبيّض	ذياب إسماعيل؛ سليمان الكنج		
هـ ـ السعيد	باير السعيد		
و ـ الطرشان		الجولان	
ك ـ النبيط	سليمان الظاهر		
2 ـ الصبيحات			140
أ ـ العطين(3)	بخيت العطين		
ب ـ النميّم	رشراش النميّم		
جـ ـ الغبية	ذياب الغبية		
3 ـ النهود			130
أ ـ الحسين	حوران الحسين		
ب ـ الرملى	ذياب الرملى		
4 ـ النعير(4)	أحمد بن صالح بن نعير	الغوطة	

ملاحظات

1 ـ إضافة إلى ما جاء عند البرغوثي هناك معلومات من عام 1925م. ويذكر بيكه، ص 213 وما بعدها، عدداً من الفروع الأخرى. صيحة الحرب: راعي البويضة! الوسم: ؟ تعلّم الأغنام، كما هو الحال لدى نعيم الجولان، بجروح أو ما شابه، ولكن على الأذن اليسرى (عند نعيم على الأذن اليمنى). أمّا أهم العلامات فهي التالية: ثقب بسيخ حام (فتخة)، جرح في الزاوية الحادة (جاز)، جرح على طول الأذن شقة)، قصّ نهاية الأذن (قطشة). إضافة إلى ذلك هناك علامتان تشبهان الوسم: // (مطاريق) و H (داغ).

2 ـ انظر جدول بني خالد في فصل سورية.

3 ـ بيكه: العطنة.

4 ـ هاجروا في نهاية القرن الماضي بقيادة صالح بن نعير إلى الغوطة.

صخور الغور

لقد عالجنا في الفصل السابق قبائل الغور الأعلى من نقطة خروج نهر الأردن من بحيرة طبرية حتى خط العرض بيسان، وذلك لأن الضفة الشرقية للنهر تابعة أيضاً على هذا المقطع لفلسطين (سياسياً). ولكننا لم نتطرق إلى صخور الغور لأنهم، جزئياً على الأقل، يعيشون على أراضي شرقي الأردن.

يعدّ صخور الغور اليوم فرعاً منفصلاً عن بني صخر صخور[1]. ولكن هناك شهادات[2] تثبت وجودهم في العجلون في عام 905هـ/ 1499م، بينما لم يأت أبناء عمومتهم في البلقا إلى شرقي الأردن إلا بعد قرنين من ذلك التاريخ. وما وصلنا من أخبار لاحقة عن صخور الغور يعود إلى نهاية القرن الثامن عشر[3]. في عام 1850م كانوا من أتباع عقيلة آغا[4].

القرى الرئيسية للقبيلة هي الشونة والعدسية (القرية الشتوية) الواقعة إلى

(1) انظر، على سبيل المثال، بيكه، ص 311، الذي يضعهم مع الخرشان (ب 2) والغيالين (ب 1 ـ ب).

(2) ابن طولون، 47، 58. عمري يعرف بني صخر بين حلفاء مرا الذين يخيمون في حوران.

(3) مايو، الجزء الأول، ص 108؛ وصف مصر، الجزء 16، ص 124؛ انظر سيتزن، الجزء الأول، ص 346؛ بوركهاردت، ص 21؛ تريسترام، بلاد إسرائيل، ص 491.

(4) انظر ص 55 وما يليها أعلاه.

الشمال منها، وفي زمن سابق كانوا يسكنون أيضاً في الدلهمية على نهر الأردن[1].

صخور الغور(1)

القبيلة	الشيخ	عدد الخيام
1 ـ اللبون(2)	مشوّح ابو اللبن	45
2 ـ الطهيرات(3)	سالم العبدالله	25
3 ـ الوذيان(4)	محمد الجبر	5
4 ـ المراونة(4)	مطر عبد الوالي	20
5 ـ القضاة(4)	فليّح العلى	10
6 ـ القيّام(4)	خليل الحامد	12
7 ـ العدسية(5)	توفيق فياد الشمدين	38

ملاحظات

1 ـ صيحة الحرب: البواسل! عدد المواشي: 7000 شاة.

2 ـ الوسم: على الخد الأيمن.

3 ـ الوسم: على الخد الأيمن.

4 ـ الوسم القديم: على الورك الأيمن. الوسم الجديد: جروح مختلفة.

5 ـ الوسم: /// على الجهة اليمنى من الرقبة.

(1) شتويرناغل ـ شوماخر، العجلون، ص 226 وما يليها.

الغزاوية[1]

يحمل الغزاوية اسم عائلة شيوخهم الذين يحملون منذ القدم لقب أمير. وحسب روايتهم المتناقلة جيلاً بعد جيل جاءت العائلة من غزة ـ ومن هنا جاء الاسم حسب زعمهم ـ قبل عدة قرون إلى صخرة في العجلون ثم انتقلت من هناك إلى الغور قبل حوالي 250 عاماً. وتتألف سلسلة نسب الأمير الحالي من الحلقات التالية: بشير بن حسن بن ظاهر بن عبد الله بن يعقوب بن محمد بن يعقوب بن نعيم بن حمد بن قانصوه ابن الأمير الغزاوي[2]. ويقال بأن جد العائلة حصل على لقب أمير من السلطان سليم. ولكن هذا اللقب يعود في الحقيقة إلى ما قبل العهد العثماني، حسبما جاء في تاريخ ابن طولون. كما أن الغزاوية ليس لهم أي علاقة بغزة، إذ إن ابن طولون[3] يحدد صراحة كتابة اسمهم بحرف (ز). ومن تاريخه ومن المصادر المتعلقة بتاريخ الزعيم الدرزي فخر الدين نحصل على الصورة التالية للأمراء الغزاويين منذ أواخر القرن الخامس عشر وحتى بداية القرن السابع عشر:

كان الغزاوي في القرن الخامس عشر معروفين تحت اسم العائلة: ابن ساعد.

---

(1) غزاوي هي النسبة من غازية، اسم قبيلة مرّ معنا من الصفحة 284 وما بعدها.

(2) تعرف شَجرة نسب أمراء الغزاوي المذكورة عند بيكه، ص 312، نفس سلسلة النسب، لكنها تنتهي عند حمد.

(3) الحلقة 41.

وكانوا يحكمون العجلون والمناطق المحيطة بها. في عام 1498 حاول حاكم دمشق كسر نفوذهم ببناء حصن في صخرة. ولكن نتيجة هذا الإجراء لم تلب التوقعات: فقد خرجت من دمشق عدة حملات إلى بلاد ابن ساعد، وهي التسمية التي كانت تطلق على العجلون آنذاك، ولكن دون جدوى. وأخيراً عقد صلح (1511م) بين الحكومة وناصر الدين محمد ابن الأمير أبو سيف. . . ابن ساعد الغزاوي. وكان لناصر الدين علاقات جيدة مع كبار رجال الدين في دمشق. فقد كان يعدّ رجلاً تقياً ومحباً لفعل الخير، واشتهر بصورة خاصة برعايته للحجاج.

عندما احتل العثمانيون دمشق عام 1516م أرسلوا قوات إلى بلاد ابن ساعد[1]. وتشير حكاية القبيلة، التي تقول بأن السلطان سليم منح جدها لقب أمير، إلى أن الغزاوي رضخوا للظروف الجديدة دون معارضة. وعلى أي حال فقد احتفظوا بسلطتهم في العجلون: في بداية القرن السابع عشر كان يحكم هناك الأمير حمدان بن قانصوه[2] بن ساعد الغزاوي. وكانت له علاقات وثيقة مع الأمير الدرزي فخر الدين. وعندما قرر حافظ أحمد باشا حاكم دمشق في عام 1612م مهاجمة فخر الدين كان أول فعل قام به هو عزل الأمير حمدان. فحاول فخر الدين مساعدته على استعادة سلطته ولكنه تعرض هو نفسه في عام 1613م لضغط شديد من الأتراك اضطر على أثره إلى مغادرة موطنه. وليس معروفاً ما حدث مع حمدان بعد ذلك. وعندما عاد فخر الدين في عام 1618م قدم له ابن حمدان، أحمد ـ المسمى في سلسلة النسب أعلاه حمد بن قانصوه ـ الولاء وطلب منه مساعدته على استعادة منصبه، الأمر الذي توصل إليه فخر الدين فعلاً. وعلى الرغم من أن فخر الدين عيّن لبعض الوقت ابنه حاكماً لسنجق عجلون فإن علاقته الجيدة مع الأمير أحمد لم تتعكر. وقد قاتل الأمير أحمد وفخر الدين معاً ضد رجل ثالث يطالب بأحقيته في

---

(1) ابن طولون: 45، 68، 74، 71، 41، 76.

(2) بناء على ذلك يجب قراءة محبي، الجزء الرابع، ص 478، بدلاً من فارس «قانصوه»، أمير الحج فترة طويلة من الزمن، وأمير عجلون والمناطق المجاورة للكرك، نفس المصدر، الجزء الأول، ص 188، هو أبوه.



امير بشير الحسن، شيخ مشايخ الغزاوية (الى اليسار)، امير حسن الظاهر، (الى اليمين) شيخ الغزاوية، في الوسط احد العبيد (١٩١٩م).

الحكم هو الأمير بشير قانصوه، أحد أعمام أحمد، الذي تمكن عن طريق علاقته مع الحكومة من تثبيته عدة مرات حاكماً على عجلون (1621م ـ 1623م). وأخيراً تمّ التوصل إلى صلح بين الطرفين على شرط أن يعمل الأمير بشير نائباً لفخر الدين في العجلون. ومنذئذ لم يعد يرد ذكر الأمير أحمد[1].

لا تتوفر عن تاريخ العائلة بعد ذلك سوى بعض الملاحظات غير المترابطة. كان مقرهم الرئيسي في قلعة صخرة التي يوجد قربها اليوم مقبرة للقبيلة. وعلى القمة العليا لجبل عجلون، راس هرقلا، توجد كومة من الحجارة، تسمى رجم عبد العزيز، تذكر باغتيال أحد أفراد العائلة[2]. وكما ذكرنا أعلاه غادر الغزاوية الجبل قبل 250 عاماً ونزلوا إلى وادي الأردن. وحسب حكاية يرويها بيكه[3] حدث هذا تحت ضغط حلف كان يقف على رأسه ابن سعيفان شيخ المشالخة.

في الوقت الحاضر يسكن بعض الغزاوية في غور الأربعين بين وادي الطيّبة ووادي اليابس، ويسكن بعضهم الآخر على الضفة المقابلة. ويذكرهم في وادي الأردن لأول مرة بوركهاردت (ص 21).

حدثت قبل بعض الوقت نزاعات بين غزاوية غربي الأردن والصهاينة إلا أن الخلافات سويت فيما بعد.

صيحة حرب القبيلة: صبيان المرافيل[4]. يوجد لديهم نحو 2500 شاة و200 رأس من الإبل و70 رأساً من الخيول.

---

(1) أخبار الأعيان، ص 255 وما يليها، 279، 285، 294 ـ 298، 300 ـ 305، 318، 324 وما يليها ـ تولى إدارة العجلون في وقت لاحق باشا عثماني، جهان ـ نوما، ص 570.

(2) شتويرناغل ـ شوماخر، العجلون، ص 177، 255.

(3) يسمي بيكه الشيخ الذي هاجر الغزاوية بقيادته إلى الغور جبل بن أسدم (في شجرة العائلة "جبل" فقط، انظر ص 284 أعلاه، الملاحظة). ويبدو أن "جبل" خطأ مطبعي بدلاً من حمد، وأسدم ربما هو قانسوح، أو قانصوح.

(4) قد يكون هذا الاسم اسم أب ناصر الذي كان ناقصاً في الصفحة 284 أعلاه، وهو غير مقروء عند ابن طولون.

الغزاويّة(1)

شيخ المشايخ: الأمير بشير الحسن الغزاوي(2)

منطقة السكن: غور الأربعين، غوربيسان

القبيلة	الشيخ	عدد الخيام
1 ـ اليعقوب(3)		
أ ـ ناصر	الأمير نصار الشامخ	10
ب ـ كنعان	الأمير عبد الله الكنعان	8
جـ ـ ظاهر		12
2 ـ البدر	الأمير بشير الحسن	6
3 ـ الكليب		8
4 ـ الدبيس(4)	أحمد الشهاب	5
5 ـ الرباحنة(5)	محمد السليمان	30
6 ـ الكفارنة(6)	هزاع بن رحيّل	15
7 ـ العباسية(7)	ذياب أبو عطية	20
8 ـ قويسم (الراسية)	موسى الخشان	20
9 ـ الطويسات(8)	سليمان الحمود	15
10 ـ الحراوية	صالح بن حسن العواد	20
11 ـ الزينات	عبد الكريم أبو زينة	
قبائل ملحقة		
1 ـ الوهاب(9)	محمد الزناتي	15
2 ـ الجواهرة	عبيد الهنادي	30
3 ـ البواتي(10)	أحمد بن محمد السويركي	

القبيلة	الشيخ	عدد الخيام
4 ـ الهديبات(11)	سليمان الخليل	7
5 ـ العودات	معقاد بن عبد الله	5
6 ـ الشوبات(12)	محمد بن الزين	8

عبيد(13)

القبيلة	الشيخ	عدد الخيام
1 ـ المشاعلة	سليمان أبو طوخ	20
2 ـ الطوخة	سليمان أبو طوخ	

ملاحظات

1 ـ دي برتو (1839م) عند ريتر، الجزء الخامس عشر، ص 439: الأمير بشير "الكساوح"، أي "قانصوه"؛ لونتش (1848م)، ص 99: الأمير ناصر عرار الغزاوي، انظر الصورة على الصفحة 146؛ روبنسون، أبحاث توراتية جديدة في فلسطين (1852)، ص 400: 310 خيالة وعدد مماثل من الراجلين. ياوسن، ص 403: 100 خيمة، الشيخ محمد.

2 ـ حل محله في هذه الأثناء الأمير محمد الصالح، أمّا غزاوية غربي الأردن فيقودهم محمد الزناتي (القبائل الملحقة 1). أشكنازي، ص 214.

3 ـ هذه هي عائلة الأمراء التي تتألف من فرع ظاهر (بن عبد الله بن يعقوب بن محمد بن يعقوب بن نعيم والخ...)، وفرع كنعان بن يعقوب بن نعيم، وفرع ناصر. وقد يتبعهم أيضاً بدر (2) وكليب (3). صيحة الحرب: راعي البلها، ولد الأمير! الوسم: على الخد الأيمن.

4 ـ القبائل 4 ـ 7 من الغوارنة، صيحة الحرب: راعي البلها، صبي الأمير! وسم الدبيس: | (عمود) على الورك الأيسر.

5 ـ بيكه: من ريحا (أريحا). الوسم: ᛘ على الورك الأيمن.

6 ـ بيكه: من غور الكفرين. الوسم: ╥ على الجهة اليمنى من الرقبة.

7 ـ بيكه: العبيسيّة، من قرية عبسي على الحولة. الوسم: | على الفخذ الأيسر.

8 ـ علامة o على الرقبة وعلى الكتف.

9 ـ هم نفس الوهايب المذكورين عند مايو، الجزء الأول، ص 96، ووصف مصر، الجزء 16، ص 122؟ ينحدر الوهاب، الذين يسميهم بيكه أولاد الزناتي، من النعيم أو من الحسن في حوران. صيحة الحرب عند الوهاب والجواهرة (2): راعي البويضة! وقد أخذت القبيلتان وسم الأمراء.

10 ـ مقيمون في الغور قبل الغزاوية. يرد ذكرهم عن بوركهاردت، ص 21، كقبيلة مستقلة. الوسم: / على الفخذ الأيسر.

11 ـ ينحدرون من السرحان، صيحة الحرب عندهم وعند العودات: البويضة!

12 ـ ينحدرون من فرع الجبور في قبيلة بني صخر.

13 ـ أحفاد عبدين اسمهما أبو مشعل وأبو طوخ أهداهما السلطان سليم للأمير الغزاوي الأول.

المشالخة

كان المشالخة، الذين أجبروا على التراجع اليوم إلى الزاوية الواقعة بين نهر الأردن والزرقا، يسيطرون في الماضي على مساحات واسعة من العجلون. وكان أحد شيوخهم، سعيفان[1]، يتمتع بحق جباية الضرائب في هذه المنطقة. وكان يملك قلعة الربض، وهي قلعة ضخمة بناها صلاح الدين ثم وسعها خلفاؤه من بعده، إلى أن انتزعها منه الفريحات[2] والخطاطبة[3].

ينتمي المشالخة، كما يتبين من صيحتهم للحرب "بني عقبة!"، إلى قبيلة من جذام بنفس الاسم. وهم يقولون أنهم هاجروا إلى المنطقة في فترة الفتح الإسلامي وينتسبون إلى جدهم الأول المنشلخ. وتزعم عائلة شيوخهم الفاعور أن لها صلة

(1) هل ابن سعيفان المذكور في الصفحة 286 أعلاه هو ابنه؟ وما هي علاقتهما، كليهما، بعائلة الشيوخ عمرو التي تحمل الاسم نفسه والتي جاءت إلى الغور في نهاية القرن السابع عشر؟ انظر الصفحة 368 أدناه. وتجدر الإشارة إلى أن السعيفات يرد ذكرهم في قائمة بيكه كقبيلة فرعية من الشالخة.

(2) بيكه، ص 297 وما بعدها: من بريح، جد هذه العائلة. أصبح الفريحات منذ النصف الثاني من القرن الثامن عشر يحملون لقب شيخ مشايخ العجلون ويملكون قلعة الصخرة (سيتزن الجزء الأول، ص 387). وما زالوا حتى اليوم أهم عائلة في جبل عجلون.

(3) الخطاطبة، في السابق في خربة الوحادنة واليوم في كفرنجة، كانوا قبل الفريحات العائلة السائدة في جبل عجلون، بيكه، ص 294.

قرابة مع فاعور الجولان (فضل) المشهورين.

المشالخة(1)

شيخ المشايخ: محمد سعيد الفاعور

المنطقة: غور الدامية

القبيلة	الشيخ	عدد الخيام
1 ـ الفاعور(2)	محمد سعيد	10
2 ـ الضميدات	عبد الله الذيّاب	10
3 ـ الربيع(3)	بندر الربيع(4)	
أ ـ عيلة صقر	بندر الربيع	8
ب ـ القبلان	هزاع النمر	4
قبائل ملحقة		
1 ـ الديات(5)		
أ ـ الشحادات	محمد سليمان	10
ب ـ الرميضات	صالح السكر	15
جـ ـ الديّات	أحمد محمد النعيم	18
2 ـ الشطى(6)	عيسى السالم	20
3 ـ النجاروة(7)		
أ ـ المشاهرة	قاسم أبو نجرة	15
ب ـ المحسن	على المحسن	10
4 ـ العلاقمة(7)		
أ ـ العلاقمة	على الناصر	6

القبيلة	الشيخ	عدد الخيام
ب ـ العودات	حسن العلى	6
5 ـ الفراغير(8)	أحمد السلمان	
أ ـ الفراغير	أحمد السلمان	10
ب ـ الدروب	على الخلف	5
6 ـ العوازم(9)	غايظ العوازم	10
7 ـ الجحيشات(10)	عودة الجحيشات	5

ملاحظات

1 ـ مايو، الجزء الأول، ص 94؛ شتويرناغل ـ شوماخر، العجلون، ص 227؛ بيكه، ص 270.

2 ـ صيحة الحرب: راعي الصبحة!

3 ـ صيحة الحرب: راعي العميشة!

4 ـ يعد منافساً قوياً لشيخ المشايخ.

5 ـ الوسم: على الورك الأيمن. وهم أقرباء الحوارات الموجودين قرب عبّاد. جاء اسمهم من جدهم «أبو ديّة» الذي قطع له أخوه يده لأنه أراد الزواج من فتاة من العلاقمة المحتقرين كونهم من الغوارنة.

6 ـ كانوا يسكنون جنوباً في غور عدوان ولذلك يسمون غوارنة.

7 ـ الوسم: على الخد الأيمن.

8 ـ الوسم: على الورك الأيمن.

9 ـ يعملون لدى الفاعور.

10 عبيد سود للضميدات.

البلاونة

إلى الشمال من أبو عبيدة، حيث يوجد قبر القائد العسكري العربي القديم أبو عبيدة ابن الجراح، يحمل منخفض وادي الأردن اسم غور البلاونة نسبة إلى قبيلة ينتمي أجدادها إلى قبيلة بلي المقيمة في الحجاز. وقبل أن يستوطنوا في منطقتهم الحالية كانوا يسكنون أبعد شرقاً في قريتي المجدل والجزازة، وقبل ذلك في غور غرين عند العدوان. ولذلك لم تزل لهم علاقات مع قبائل البلقا الذين كثيراً ما يذكرون معهم[1]. البلاونة قبيلة مستقرة؛ لديهم 9000 رأس من الغنم، و80 رأساً من الإبل، و60 رأساً من الخيول، و2190 رأساً من الثيران والحمير. صيحتهم للحرب: صبيان بلي!

(1) بوركهاردت، ص 21؛ سلمان، عند ترييز، ص 219.

البلاونة

شيخ المشايخ: موسى السلمان

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ المخالدة(1)	موسى السلمان	شفا الغور	50
أ ـ العمارات			
ب ـ الزنيمات			
2 ـ الخناطلة(2)	محمد الذوقان	عمّتا؛ راجب؛ كفرنجة	50
3 ـ الفقرا(3)	محمد الفقير	عمّتا؛ راجب؛ كفرنجة	50
4 ـ الرياحنة	فلاح الخلف	عمّتا؛ راجب؛ كفرنجة	20
5 ـ العلاونة(4)	أحمد الرويعي		20
قبائل ملحقة			
1 ـ النعيم(5)			5
2 ـ القريشات(6)			6
3 ـ العوشة(7)			8
4 ـ الموايحة(8)			

ملاحظات

1 ـ بيكه، ص 294: المخادلة. الوسم: C على الخد الأيمن.

2 ـ الوسم: O/ (مطرق وفتخة) على الفخذ الأيسر، الغنم على الأذن اليسرى.

3 ـ كانوا في السابق من الدراويش وكانوا بالتالي يتمتعون بشيء من القداسة.
الوسم: // على الجهة اليمنى من الأنف.

4 ـ عبيد سود للفقرا انضم إليهم عدد من عبيد الفايز، عائلة شيوخ بني صخر.

5 ـ من القبيلة المعروفة في الجولان.

6 ـ عناجرة.

7 ـ من العائلة النبيلة المعروفة دار أبو غوش في قرية العنب قرب القدس.

8 ـ من فرع الشوابكة في البلقا الذي يحمل الاسم نفسه. كانوا في السابق من أتباع ابن فريح؛ انظر المقدمة الخاصة بالمشالخة.

بني حسن

يشغل بني حسن المنطقة الواقعة جنوبي العجلون. وهم أكبر مربّي الأغنام في شرقي الأردن، لكنهم يعملون في الزراعة أيضاً. ويقدر عدد مواشيهم بـ 100,000 شاة و2000 رأس إبل و600 رأس من الخيول. وكانت القبيلة تخيم في السابق على الجانب الآخر أيضاً لنهر الزرقا؛ وقد التقى بها باكينغهام (عام 1816م) في وسط البلقا[1]. كما أن مزارهم الرئيسي "الولي حضرة الشمعوني" يقع جنوبي الزرقا[2].

بني حسن خليط غير متجانس من مختلف العائلات ذات المنشأ القروي والتي تنحدر غالباً من جنوبي البلاد. يقال بأن الحراحشة (آ 1) جاؤوا من قرية طفيلة. وتزعم القبيلة الفرعية الخوالدة (من عيمة) أنها تنتسب إلى جعفر الطيار الذي قتل في العام الثامن للهجرة في معركة مؤتة ضد البيزنطيين؛ ومن الممكن أن يكون لصيحة الحرب عند بني حسن: "جعافرة!" علاقة بهذا النسب. وتزعم قبيلتان فرعيتان آخريان، وهما العموش والمشاقبة، أنهما تنتسبان إلى شاعر النبي حسان ابن ثابت. وقد، جاء أجدادهم من نفس القرية التي جاء منها الحراحشة. سياسياً يبدو أن بني حسن مؤيدين للروله[3].

(1) باكينغهام، رحلة ما بين القبائل العربية، Travels among the Arab Tribes، ص 86.

(2) شتويرناغل ـ شوماخر، العجلون، ص 231.

(3) بهذا الشكل يمكن تفسير أقوال شوماخر التي فهمها شتويرناغل خطأ (نفس المصدر، ص 231 وما يليها).

تنقسم القبيلة إلى مجموعتين هما: الهليل والثبتة. الوسم عند الهليل: الهلال ◡. وعند الثبتة: ╲ .

بنى حسن(1)

آ ـ الهليل

شيخ المشايخ: محمد العيطان الحرحشي

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ الحراحشة(2)	محمد العيطان	قفقفا؛ جبا؛ رحاب؛ قصير الحلابات	
أ ـ الحراحشة(3)	منصور الحرحشي		180
ب ـ الفقرا (البلاليط)(4)	باير الفقير		70
جـ ـ الدلابيح	فواش العبد		60
د ـ الزبون	طحان السليم		140
هـ ـ العكاليك(5)	منصور المطر		70
2 ـ الخزاعلة(6)	محمد الكايد أخو رشيدة	الدجينية؛ المصطبة	
أ ـ الشوحة	توفان اخو شيحة		180
ب ـ القرعان	طلاع الاقرع		100
جـ ـ رشيدات	محمد الكايد		80
د ـ العراقبة	سلامة العلى		80
3 ـ الخوالدة(7)	عليان بن حسين العلى		80
أ ـ الخوالدة	سالم الصالح		150

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ الفيفلى			
2 ـ الحرازنة			
3 ـ الخليل			
4 ـ الغصون			
5 ـ الضيافلة			
6 ـ الرديسات			
ب ـ الزواهرة	مسعود العلي		160
1 ـ الجوامسة			
2 ـ الأحمد			
3 ـ القوادرة			
جـ ـ الخلايلة(8)	مكيد الشرقى		240
1 ـ المعمّر			
2 ـ الربابعة			
3 ـ الفلاح			
4 ـ القطيفات			
قبائل ملحقة			
العناجرة			

ب ـ الثبتة

شيخ المشايخ: مرزوق بن قلاب

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ العموش(9)	مرزوق القلاب	المدور؛ البويضة؛ العالوك	
أ ـ القلاب	مرزوق بن قلاب		90
ب ـ الموسى	سليم الداود		
جـ ـ العويسات	موسى المقبل		
د ـ الحسبان	خليل الساري		40
2 ـ المشاقبة(10)	شهوان الدغمي	بلعمة: البويضة قصير الحلابات	400
أ ـ عيال سمير	مغير الطالب		
ب ـ السلوق	مطلب السلقي		
جـ ـ السويلم	سويلم الشريد		
د ـ العليمات	راشد الحسين		
هـ ـ الثوابتة	راشد الحسين		
و ـ العمارين			
1 ـ القوعان	علي بصوص		
2 ـ البصايصة	علي بصوص		
3 ـ الجرايدة	علي بصوص		
4 ـ الفليحات	علي بصوص		
5 ـ السمامقة	علي بصوص		

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
6 ـ الحوامدة	سالم الأحمد		
3 ـ الزبود(11)		بلعمة؛ البويضة؛ الازرق	
أ ـ النواصرة(12)	سعود الحمدان		180
ب ـ الغويريين(13)	ذيب الخلف		160
جـ ـ الصغيّريين	عواد الصالح		
د ـ الجنادي(14)	قبلان الحمد		
هـ ـ المعلى(15)	سلمان المجبّل		
و ـ الشديقات	الياس أبو شديق		150
1 ـ الحماد			
2 ـ العبدالله			
3 ـ الدعاس			
قبيلة ملحقة			
نوابلسي			

ملاحظات

1 ـ يرد ذكر القبيلة في "وصف مصر"، الجزء 16، ص 126. وهناك قوائم موجودة عند شتويرناغل ـ شوماخر، العجلون، ص 238 وما بعدها. ياوسن، ص 402؛ تريير، ص 217؛ بيكه، ص 333 وما بعدها.

2 ـ صيحة الحرب: خيال الصفر 1!

3 ـ الوسم: / على الخد الأيسر و O على الأذن اليسرى.

4 ـ بيكه: بلّوط الفقير، المنحدر من كثربّة.

5 ـ بيكه: أبو عكليك، المنحدر من موته.

6 ـ وسم إضافي: O على الأذن اليسرى. صيحة الحرب: راعي العليا!

7 ـ صيحة الحرب: الصعبة!

8 ـ من جبل الخليل، أي من جبال مدينة الخليل.

9 ـ صيحة الحرب: راعي المليحة! جد القبيلة: عمشي (بيكه: عمش).

10 ـ صيحة الحرب كالسابقين. جد القبيلة: مشاقب (بيكه: مشقب)، أخو عمشي.

11 ـ يزعمون أنهم من بني زيد الذين تسمى المنطقة الواقعة شمال القدس باسمهم. صيحة الحرب: راعي الدعمة! وتروى عن ذلك القصة التالية: كان جد القبيلة يركب في معركة الانتصار على العدوان فرساً دغماء، أي فرساً رأسها بلون أغمق من بقية الجسم.

12 ـ بيكه: من قرية في حوران. الوسم، وأيضاً للفرعين حـ، د: ن على الجبهة.

13 ـ بيكه: من غور الصافي. الوسم: ♀ على الأذن اليمنى.

14 ـ بيكه: الحناده.

15 ـ الوسم: / على الجبهة اليمنى من الأنف وعلى الأذن اليمنى.

العدوان

يتزعم العدوان قبائل البلقا، وهم مجمع حديث التشكل. وقد نشأ هذا المجمع من عائلة شيوخ بنفس الاسم استوطنت في القرن السابع عشر في البلقا ثم تولت في القرن الثامن عشر حكم هذه المنطقة.

أصل هذه العائلة غامض. قد يميل المرء إلى نسبها إلى قبيلة بنفس الاسم كانت تسكن في العصور الوسطى في شمال الحجاز[1] وهي اليوم منضمة إلى ضفير التي تتنقل اليوم على حدود نجد والعراق (انظر المقال الخاص بذلك في الجزء الثالث). وبالفعل فإن الخبراء المحليين في شؤون البدو كالبرغوثي، وأحد مصادر بيكه. يتبنون هذه الفرضية. ولكنها رغم ذلك فرضية مرفوضة لأنها تتناقض مع روايات العدوان أنفسهم ومع المراجع القديمة[2]. ويروي العدوان عن أصلهم ما يلي[3]:

(1) حمداني عند القلقشندي، ص 289؛ صبح، الجزء الرابع، ص 209؛ راجع هنا الجزء الأول، ص 505.

(2) كما أن قبيلتنا هنا لا علاقة لها بالعدوان الذين عالجناهم في فصل بلاد ما بين النهرين، الجزء الأول، ص 356 ـ 349.

(3) بيكه، ص 166 وما يليها؛ وبالتفصيل مع بعض الاختلافات عند كوندر (1881/1882م)، Health and moab، ص 318 وما بعدها؛ وبعض الأفكار المنفردة عند البرغوثي الذي يتجاهل القضية الرئيسية لأنها تتناقض مع فرضيته المذكورة أعلاه، بينما يعرضها بيكه في القسم الإحصائي من كتابه (ص 268 وما بعدها) دون أن يتعرض إلى تناقضها مع رواية القبيلة.

عندما كان المهداوي يحكم البلقا هاجر إلى هذه المنطقة أخوان، فايز وفوزان[1]، وسكنا قرب السامك (شرقي حسبان) بين قبيلة القرضة[2]. أحد الأخوين توفي باكراً، أمّا الآخر[3] فقد تزوج ابنة شيخ القرضة ورزق منها ابناً سماه عدوان[4]. تزوج عدوان فتاة من عائلة المهداوي[5]. فولدت له ولدين: حمدان وصبح. دخل حمدان في حاشية الأمير جودة المهداوي وشارك في حملاته الحربية. وقد برز في خدمته إلى درجة أنه أصبح له بعد وقت قصير حاشية خاصة به تتألف من رجال سئموا حكم الأمير[6]. ولم يمض وقت طويل حتى نضجت في ذهنه فكرة إسقاط سيده.

ولفهم الحكاية يجب أن نتحدث قليلاً عن عائلة الأمراء تلك: جاء اسمها، المهداوي، من بني مهدي وهم قبيلة من جذام كانت في العصور الوسطى تتنقل من

(1) كوندر يذكر بدلاً من الأخين: "فوزان بن السويت" من قبيلة ضفير في نجد. ومن الممكن أن يكون هذا الاسم ("سويت") قد اشتقه خبراء النسب البدو من صيحة الحرب القديمة للعدوان: صويتات! وهذا يبدو شرق أردني. إذ إن صويت هو اسم قديم (ذكره الدمشقي عام 1300م) للبادية المحاذية للعجلون من جهة الشرق، وما زال سكان هذه المنطقة حتى اليوم يستعملونه كصيحة حرب (بيكه، ص 301: الصويت، صيحة الحرب عند أهالي الرمثا. وإنه لأمر طبيعي أن يكون النسابون البدو قد ألصقوا اسم "السويت" بالضفير، لأنهم بذلك ينسبون العدوان إلى عائلة شيوخ الضفير المشهورة التي تحمل هذا الاسم: السويط.

(2) بيكه: "كنده" (!). تحوير اعتباطي، انظر هذه الصفحة (303)، الملاحظة 6.

(3) بيكه: فايز؛ كوندور طبعاً: فوزران.

(4) كوندر: ولدان، صالح وجديد. أي أن اسم عدوان غير موجود.

(5) هذه القرابة مختلقة أيضاً؛ إذ إن كوندر يقول (نفس المصدر السابق) أن أجداد شيخ العدوان نمر بن قبلان (توفي 1822/ 1823م) لم يتزوجوا إلا من القرضة وأن نمر كان أول من تزوج فتاة من بني صخر، أي من خارج القبيلة. وراجع أيضاً سيتزن، الجزء الثاني، ص 304: انظر ص78 أعلاه، يتصاهرون مع "العدوان"، والمثال المذكور هناك، وكذلك وصف مصر، الجزء السادس عشر، ص 124: . . . أو العدوان)!

(6) بيكه: "هؤلاء هم القرضة". وبما أن هؤلاء قد أضيفوا الآن إلى الرواية، فقد استعيض عنهم أعلاه (الملاحظة 2، ص 303) بـ "كنده".

البلقا حتى باير[1]، والصوان، والطبيق. ويجب أن يكون اتحادهم قد ضعف في وقت مبكر، إذ إن الإمارة وزعت فيما بين الشيوخ الأربعة في النصف الأول من القرن الرابع عشر[2]. في العهد العثماني كانت منطقة بني مهدي تقتصر على البلقا[3]. وفي القرن السابع عشر، الذي تدور فيه أحداث قصتنا، لم يبق للقبيلة أي وجود، ولكن الذي بقي هو عائلة الشيوخ، أو بالأحرى عائلة الأمراء. سمت العائلة نفسها المهداوي[4] (المهادوة) وحكمت قبائل البلقا التي كان بينها بعض القبائل التي كانت تنتمي في الماضي لمجمع بني مهدي، ومنها العجارمة.

يظهر جودة المهداوي في الحكاية كحاكم ظالم: في أحد الأعوام طلب من رعيته كالعادة أن يحرثوا له أرضه. فجاء الرجال ومع كل منهم زوج من الثيران، لكن رجلاً واحداً كان معه ثور واحد فقط. فغضب الأمير غضباً شديداً وأمر بربط الرجل محل الثور. وتروى نهاية الطاغية على الشكل التالي: كان جودة يريد الزواج من ابنة القس المسيحي فحيص[5]. فتردد الأب في بادئ الأمر. وأخيراً ذهب إلى العدواني[6] وطلب منه النصيحة. فاقترح العدواني على القس أن يتظاهر بتلبية رغبة الأمير ويطلب منه طلب يد الفتاة رسمياً حسب العرف والعادة. وعندئذٍ سيتم قتله. قبل القس الاقتراح. فجاء جودة مع رجاله بصفة خاطب إلى الجماعة (الاجتماع

(1) صبح، الجزء الرابع، ص 213: باس.

(2) صبح، نفس المصدر السابق: علم: أعفر. التطابق مع طبيق يستخلص من ياقوت، ثجر، بسيطة، وقعبة العلم.

(3) جهان ـ نما، ص 553، ولكنهم هنا خلطوا مع الطرابية (بني حارثة). لاحظ أيضاً الاسم "جبل بني مهدي"، الدمشقي، ص 292.

(4) في قصر خرّانه توجد كتابة منقوشة من شخص اسمه عمر بن حامد المهداوي؛ وللأسف التاريخ غير مقروء. ياوسن وسافينياك، بعثة أثرية في البلاد العربية، الجزء الثالث، ص 104.

(5) "هنا توجد بقايا بناية ضخمة كان المسيحيون في بعض الأحيان يصلون فيها"، بوركهاردت، رحلات في سورية، ص 356.

(6) بيكه، الذي يذكر نفس القصة مع بعض الاختلافات الطفيفة، يذكر لهذا الغرض عدوان بن حمدان. لكن هذه العلاقة ليست أصلية.

الذي كان يجب عليه أن يقدم نفسه فيه للعدواني) وقتل أشنع قتلة قبل أن يلامس الطعام.

استمرت الحرب بين العدوان والمهداوي حسب حكايات القبيلة[1]، ثلاثة أجيال. قاتل حمدان ضد جودة وسقط في المعركة. لكن انضمام العجارمة إلى العدوان رجح الكفة لصالحهم، وطرد المهداوية ـ بقيادة ضمان بن جودة ـ إلى الغور الأدنى. وأخيراً اضطروا إلى اللجوء إلى البلاونة. وعندما هزم العدوان البلاونة غادر المهداوية شرقي الأردن[2].

يبدو أن آخر أحداث هذه الحرب قد دارت في النصف الثاني من القرن الثامن عشر؛ صحيح أن القائمة الموجودة في كتاب حملة نابليون (وصف مصر، الجزء 16، ص 126) تضع عرب المهداوي في البلقا، لكن رواية القبيلة تحدد طردهم في عهد الشيخ دياب الذي قتل أخوه الأصغر صالح، وهو أقدم رئيس للعدوان مثبت في المراجع الأدبية، في عام 1780م.

في هذه الأثناء كان قد ظهر على الساحة خصم جديد: بنو صخر. في بادئ الأمر كانوا يدفعون للعدوان رسوم رعي عندما كانوا يخيمون في الصيف في البلقا، ولكنهم بعد وقت قصير شعروا بأنهم أقوياء بما فيه الكفاية للامتناع عن الدفع[3]. ومنذ تلك اللحظة بدأت خلافات بين القبيلتين بلغت في عام 1810م درجة من الشدة والعنف جعلت باشا دمشق يرسل قوات إلى البلقا لتهدئة الوضع. تحت ضغط هذه

---

(1) تستمد هذه الحكايات مادتها من أسماء الأماكن. فتطلق اسم "شجرة المهداوي" على المكان الذي قتل فيه جودة، و"ضرسة مشهور" على المكان الذي توفي فيه مشهور بن ضمان، و "تل السعدية" على المكان الذي خيم فيه ضمان تحت حماية شيخ البلاونة، و"مخاضة كنعان" على معبر في الزرقا حيث قتل رجلان من عدوان، والخ. . . .

(2) يسكن بقايا بني مهدي قرب طولكرم، وكذلك عند سقر والبشاتوة في وادي الأردن، وأيضاً في العجلون.

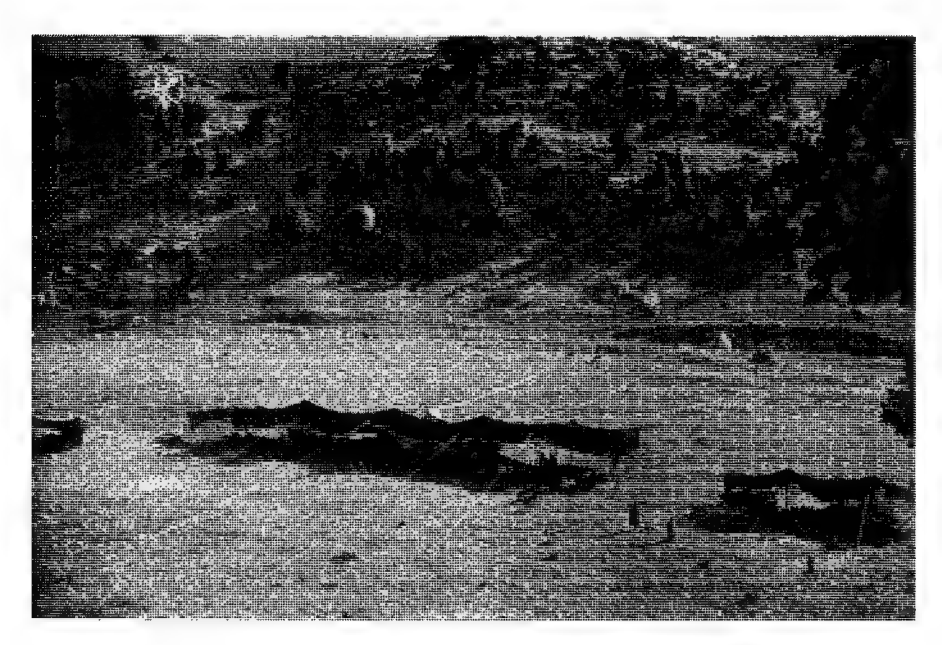
(3) ليس معروفاً كيف توصل بيكه إلى تاريخ هذا الحدث وحدده بعام 1730م. بوركهاردت، رحلات في سورية، ص 368، يحدد تاريخ الحدث بعد ذلك بفترة طويلة.

القوات عقد صلح بين العدوان وبني صخر. ولكن بينما كانت القبيلتان تخيمان قرب عمّان أقنع الشيخ حمود الصالح الحاكم التركي والرولة المخيمين في الجوار بشن هجوم مشترك على بني صخر. إلا أن بني صخر صدوا الهجوم ولم يتكبدوا سوى خسائر طفيفة. وقد كلفت هذه الخيانة العدوان مركزهم: فقد تكاتفت غالبية قبائل البلقا مع بني صخر، وحتى الشيخ الثاني للعدوان، نمر، الذي كان قد تزوج فتاة من بني صخر، وقف أيضاً مع هؤلاء. وفي عام 1812م طرد العدوان عن طريق الزرقا إلى العجلون؛ وبدا آنذاك وكأنهم قد طردوا إلى الأبد من موطنهم[1]. لكن التبدل السريع، الذي تتميز به الظروف السياسية في البادية، أعطى هنا أيضاً مفعوله: قامت قبيلة عبّاد، المتحالفة مع بلدة الصلت، والتي مارست الحكم في البلقا في الأعوام التالية، بشن حملة للسلب والنهب ضد قرى حوران. فطلب المتضررون المساعدة من العدوان. فنصحهم شيخ العدوان آنذاك، دياب بن حمود، بأن يطلبوا من أهالي الصلت التوسط لهم عند العبّاد. قبل أهالي الصلت القيام بالوساطة. وعندما رفض العباد رغم ذلك إعادة القطعان المسروقة إلى أصحابها استغل دياب الاستياء الذي نتج عن ذلك في الصلت ضد حلفائه لكي ينفصل عنهم ويلتحق بالحلف الذي عقده مع بني حسن. عندئذٍ اضطر العباد إلى مغادرة البلقا، وعاد العدوان إليها. ولكن بعد وقت قصير تغيرت الظروف مرة أخرى بحيث أرغم العدوان على اللجوء إلى أعدائهم التاريخيين بني صخر. ووقفوا إلى جانبهم خلال الاحتلال المصري أيضاً[2]. رغم ذلك ظل هذا الحلف مجرد مرحلة عابرة في العلاقات بين القبيلتين.

---

(1) بوركهاردت، نفس المصدر السابق، ص 368.

(2) بيكه، ص 182.



مخيم عدوان عند نمرين

في عام 1867م قرر الأتراك تولي إدارة البلقا، معتمدين في ذلك على بني حسن. فدخلت قوات تركية إلى المنطقة، وفي نفس الوقت عبر بني حسن الزرقا. احتل الأتراك الصلت وأصلحوا القلعة الموجودة هناك وبنوا في نمرين وحسبان بيوتاً من الخشب لكي يسكن فيها بني حسن. ولكن ما ان غادرت القوات المنطقة، باستثناء حامية صغيرة في الصلت، حتى هاجم العدوان بني حسن. فتدخل الأتراك مرة أخرى واعتقل دياب شيخ العدوان[1]. ومنذئذ لم تتهدد سلطة الأتراك في البلقا مع أن الحرب بين القبائل ظلت مستمرة.

في بداية الثمانينيات انجر العدوان إلى حرب بين الأخوة دارت داخل قبيلة بني صخر. وبما أن شيخاً من بين صخر، سطم، قتل على يد رجل من العدوان، فقد

(1) منظمة اكتشاف فلسطين، لندن (الجزء الأول)، 1869م ـ 1870م، ص 299؛ في نفس المرجع، تقارير بقلم تشارلز وارن، ص 35 وما يليها، 67. نفس الكاتب في نفس المرجع، ملاحظات عن رحلة حتى نهر الأردن (1868م) ص 6.

ظل الارتياب القديم بين القبيلتين قائماً. وبعد الحرب العالمية تلقى وقوداً جديداً: قام الأمير عبد الله بدفع مبلغ كبير لمثقال باشا، شيخ مشايخ بني صخر، كتعويض عن الخسائر التي تكبدها عند صد الوهابيين عام 1922م. وقد أثار هذا الأمر حساسية زعماء القبائل الآخرين وخاصة سلطان باشا العدوان. فالتف حوله عدد كبير من العناصر غير الراضية عن النظام الجديد وحرضوه على الثورة. وبالفعل اندلعت الثورة في سبتمبر/ أيلول 1923م ولكنها أخمدت على الفور بمساعدة الإنجليز[1].

انحصرت منطقة العدوان بين الأردن الأدنى في الغرب والزرقا في الشمال. وفي الشرق أصبحت محددة بخط يمتد من قلعة الزرقا عبر الكهف واليادودة والسامك حتى ماعين، ولكن المناطق المحاذية للحدود الشرقية كان بنو صخر أيضاً يطالبون بها. في الشتاء يرحل العدوان إلى الغور وفي الصيف يتجمعون حول الصويلح وحسبان.

يمارس العدوان الأعمال الزراعية أيضاً منذ قديم الزمان وخاصة في البقيعة[2]، وهي منطقة خصبة تقع شمال الصويلح. وهم اليوم في صدد الانتقال كلياً من الحياة نصف البدوية إلى الحياة الفلاحية المستقرة. وتشكل قطعان الأغنام الجزء الرئيسي من ملكياتهم[3].

في السابق كانت الصلت تدفع خوة للعدوان[4]، وكانوا يتقاضون أيضاً رسوماً عن السوق التي تقام في الخريف عند مزار النبي يوشع حيث كان تاجر من نابلس يشتري كربونات الكالسيوم التي يستخرجها البدو من رماد الخشب[5].

---

(1) الشرق الحديث، الجزء الثالث، ص 291 وما يليها.

(2) بوركهاردت، نفس المصدر السابق، ص 362، 396.

(3) استناداً إلى حجم ضريبة الماشية، سيتزن، الجزء الثاني، ص 330؛ بوركهاردت، نفس المصدر السابق، ص 369.

(4) تريسترام أرض إسرائيل، لندن 1866، ص 560.

(5) كان التاجر يدفع لشيخ العدوان خمسة قروش عن كل حمولة جمل، وقرشين لكاتبه وقرشين لعبده. بوركهاردت، نفس المصدر السابق، ص 354 وما بعدها.

لقد تراجعت قوة العدوان تراجعاً كبيراً حسبما يتبين من مقارنة بين عدد الخيام الحالي (310، بدون القبائل الملحقة 222) والأرقام التي يذكرها سيتزن (الجزء الثاني، ص 329 وما بعدها): 90 خيالاً من حملة الرماح، و1400 راجل.

عندما زرت العدوان عام 1897 برفقة دوق مقاطعة سكسونيا ـ كوبورغ وغوتا آنذاك، كانوا ما زالوا أقوياء[1]؛ وهم ما زالوا أغنياء حتى اليوم.

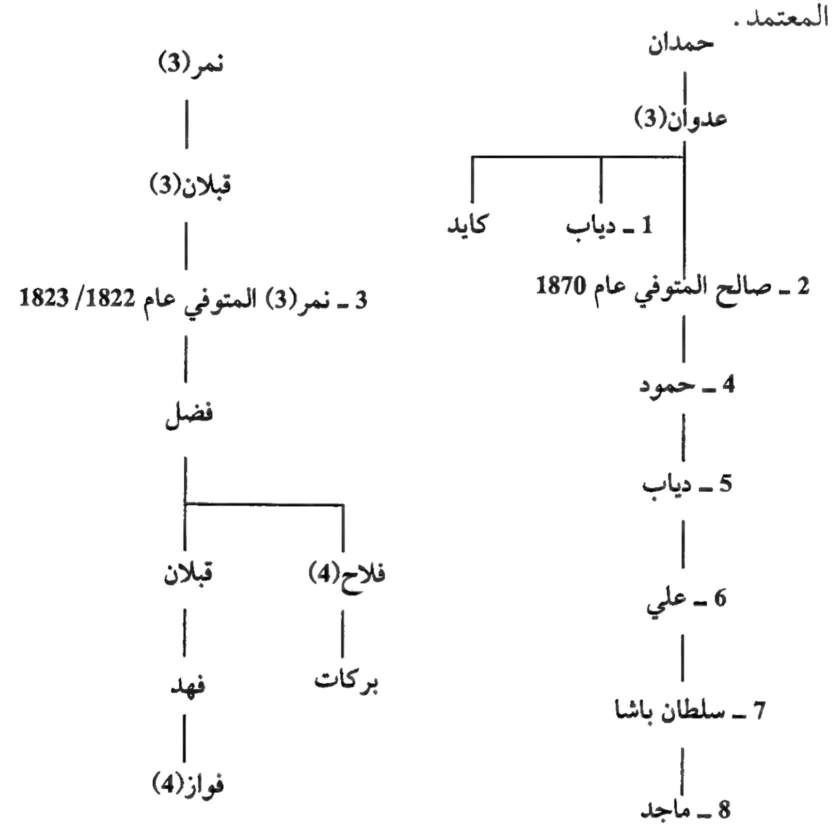


المعظم، احدى محطات الحج، القلعة ومورد الماء.

(1) انظر ماكس فرايهر فون أوبنهايم، من البحر المتوسط الى الخليج الفارسي «العربي»، الجزء الثاني، ص 69.

مشجرة عائلة شيوخ العدوان[1]

تتألف عائلة شيوخ العدوان من خطين هما الصالح والنمر، إلا أن الخط الثاني فقد أهميته منذ نصف قرن. ونحن نضع في السلسلتين التاليتين الشخصيات التي سلسلة نسبها مؤكدة، وذلك بأن نعطي كل شيخ رقماً حسب تسلسل الزعامة المعتمد.



(1) حكايات العدوان عن نسبهم فيما يتعلق بالأجيال الأقدم متناقضة جداً إلى درجة تجعلنا نضطر إلى الاستغناء عنها. لا يوجد تطابق في الأقوال حتى ولا عن العلاقة بين الخطين الرئيسيين. فهما يلتقيان في شجرة بيكه عند حمدان؛ أمّا عند كوندر إحصاء شرق فلسطين Survey of Eastern Palestine، ص 392، فلا يلتقيان إلا عند الجد الأول فوزان، انظر ص 303 أعلاه، الملاحظة 1.

يظهر حمدان في حكايات القبيلة بصفة المؤسس. أمّا ابنه عدوان فلا يذكر عنه أي شيء ملموس. وصالح العدوان هو الجد الذي أخذ منه الخط القديم اسمه، ودياب العدوان تؤكد وجوده قصة حرب الأخوة التي سنتحدث عنها فيما بعد والتي لا يمكن أن تكون مختلفة. أمّا كايد، الجد الذي أخذت منه القبيلة الفرعية الكايد[1] اسمها، فمن المشكوك فيه أن يكون ترتيبه هنا حسبما جاء عند بيكه؛ من الممكن جداً أن يكون منتمياً إلى جيل أقدم[2].

في عهد دياب احتل الصلت رجل من أتباع ظاهر العمر (انظر الصفحة 28 أعلاه) كان الفريق الأضعف بين الفريقين اللذين تتألف منهما هذه المدينة قد أتاح له الدخول إليها. واضطر دياب، الذي حاول عبثاً مقاومة الزيادنة ـ هذا هو اسم جماعة ظاهر العمر نسبة إلى اسم عائلة شيوخهم ـ إلى الانسحاب إلى الجنوب. إلا أن أخاه صالح كان أوفر حظاً في مقاومته للمهاجمين الغرباء. لا بل إنه نجح بعد انسحابهم في أن يصبح سيد الصلت. لكن هذه النجاحات أثارت غيرة أخيه دياب. وعند هزيمته أمام صالح في ساحة المعركة ذهب إلى دمشق وعاد مع قوات تركية. ظلت الصلت محاصرة إلى أن أرسل سكانها إلى القائد العسكري التركي رأس صالح العدوان[3]. وبعد وقت قصير قتل دياب في ساحة المعركة.

عندئذ انتقل منصب الشيخ إلى الخط الأحدث[4]؛ في عام 1807م، عندما قام

---

(1) عند كوندر، نفس المصدر السابق، هذه الأسماء محوّرة ـ على الأرجح في الطباعة.

(2) كوندر، Heth and Moab، ص 319، 334؛ غراي هيل، ص 249.

(3) على هذا الشكل تبتدى الأحداث عند مقارنة حكايات القبيلة (بيكه، ص 169) مع مرادي، سلك الدرر، الجزء الرابع، ص 101، وبوركهاردت، رحلات في سورية، ص 349، سيتزن، الجزء الأول، ص 399. سيتزن (1806) يضع تاريخ وفاة صالح "قبل حوالي 20 عاماً"، ويضعه مرادي في عهد محمد باشا والي دمشق (الولاية الثالثة 1187هـ/ 1773م ـ 1197هـ/ 1783م).

(4) بيكه، ص 169: "وهرب رجاله (رجال دياب) إلى جبل الدروز. وبعد ستة أشهر عادوا بقيادة نمر بن "حمدان". وحكم نمر البلد 20 عاماً إلى أن تخلى عن منصبِ الشيخ لحمود الصالح". لكن هذا غير ممكن إطلاقاً؛ لأنه بما إن نمر ابن قبلان ولد عام 1760م فلا يمكن

سيتزن برحلته الثانية إلى شرقي الأردن، كان أبو فارس نمر بن قبلان يتولى المنصب. وبعد بضعة أعوام طرده، كما يبدو، حمود بن صالح الذي، كما رأينا في الصفحة 306 أعلاه، كان عام 1810م يتزعم العدوان.

كان نمر العدوان، وهذه هي الكنية التي تطلق عادة على جميع أفراد العائلة؛ محارباً قوياً ولكنه لم يكتسب شهرته في هذا الحقل وإنما في حقل آخر: فهو أهم شاعر بدوي في القرن التاسع عشر. ولم تزل قصائده مشهورة حتى الآن. يجب أن يكون قد ولد عام 1760م وتوفي عام 1238هـ/ 1822م ـ 1823م. قبره موجود قرب ياجوز ولم تزل تنحر عنده الأضحيات حتى اليوم تكريماً له[1].

في هذه الأثناء تولى دياب العدوان، ابن حمود، القيادة. وخلال فترة الاحتلال المصري أمضى عدة أعوام في السجن في حمص[2]. وبمناسبة الاحتلال التركي للبلقا (1867م) اعتقل مجدداً، كما رأينا أعلاه. ومنذئذ صار يقف إلى جانب الأتراك. لكنه لم يكافأ على هذا الموقف. فعند تلبيته مع أبنائه لدعوة من هولو باشا (انظر الصفحة 56 أعلاه) أمر هولو باعتقاله (1880م) في نابلس. في عام 1888م كان دياب لا يزال حياً لكنه كان قد تخلى منذ زمن طويل عن منصبه لابنه علي[3].

قبلان، الرجل المعاصر لدياب وآخر زعيم مهم للخط الحديث من العدوان،

أن يكون جده نمر قد حكم حتى القرن التاسع عشر، ولا يمكن أيضاً أن يكون قبلان بن نمر قد عاصر أبناء عدوان، كما يقول بيكه (ص 168).

(1) سيتزن (1807م)، الجزء الثاني، ص 327 وما بعدها (يقدره بـ 40 ـ 50 سنة)؛ بوركهاردت، رحلات في سورية، ص 368؛ فراوبرغر، من عمان إلى جرش، غلوبوس، الجزء 63 (1893م) ص 11. مسبور، مجلة جمعية الاستشراق الأميركية، بوسطن، المجلد 1، 1843م، مجموعة قصائد له نشرت من قبل والين في مجلة جمعية المستشرقين الألمان، المجلد 6. وكذلك نشرت له من قبل سبور في ديوان سوسين من أواسط آسيا بمشاركة إلياس نصر الله حداد قصائد في مجلة المستشرقين الألمان، المجلد 66، انظر أيضاً مجلة الساميات والمناطق المجاورة، المجلد 7 و9.

(2) بيكه، ص 170.

(3) كوندر، ص 117 وما بعدها، 332؛ بيكه، ص 171.

كان قائد الفريق المعادي للأتراك في البلقا. وكان محارباً لا يهاب الموت وعدواً لدوداً لبني صخر، لكنه قدم لكثير من الرحالة الأوروبيين خدمات الدلالة[1].

يعتقد أن سلطان العدوان، ابن علي، قد تولى الحكم عام 1900م. وبعد ثورة عام 1923م هرب إلى جبل الدروز لكن الشريف حسين، الذي قضى عام 1924م بضعة أسابيع في شرقي الأردن، عفا عنه. توفي في بداية عام 1935م عن عمر يناهز الخامسة والسبعين. فخلفه ابنه ماجد الذي يعد من الموالين الأوفياء للأمير عبد الله، إلاَّ أن أحد أخوته يقف في صف القوميين.

العدوان(1)

شيخ المشايخ: ماجد العدوان

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ الصالح(2)	ماجد العدوان	في الصيف حسبان في الشتاء شونة نمرين	80
أ ـ العباس			
ب ـ المنديل			
جـ ـ الحمود			
د ـ اليعقوب			
هـ ـ الكايد			
2 ـ النمر(3)	بركات الفلاح	في الصيف: حسبان/ في الشتاء: غور الكفرين	70
أ ـ الفاضل			
ب ـ الشبيب			

(1) كوندر، ص 214 وما بعدها، 217 وما بعدها؛ غراي هيل، مع البدو، ص 292 وما يليها.

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
جـ ـ الحمايل			
د ـ الفندي			
هـ ـ الحبيب			
3 ـ الكايد(4)	عايد المعارك	في الصيف: ياجوز	
	عبد الله الدرداح	في الشتاء: غور الرامة	
أ ـ السعيد			
ب ـ الذيابات			
جـ ـ الايوب			
د ـ الكايد			
4 ـ العساف(5)	عبد ربه الكايد		25
5 ـ السكر(5)	سالم العلى		20
6 ـ الوريكات(6)	عواد الفاضل		25
قبائل ملحقة(7)			
1 ـ اللوزيين(8)	عبد الرحمن اللوزي		40
2 ـ الحجاج(9)	باجس الحمد		20
3 ـ الثوابية(10)	عيد الحسين		30
4 ـ السلامات(11)	نهار بن سالم السعد		15
5 ـ المسالمة(12)	بادى المسلم		8
6 ـ الغوارنة(13)	نزال أبو جعارة		40
7 ـ الجعارات(13)	نزال المنيزل		30
8 ـ الغويلات(14)	سالم أبو غويلة		15
9 ـ عنيزات(15)	رضوان أبو عنيزة		30

ملاحظات تتعلق بالعدوان

1 ـ قوائم العدوان موجودة عند موزيل، الجزء الثالث، ص 111 وما بعدها؛ ياوسن، ص 401؛ ترير (حسب سليمان)، ص 218؛ بيكه، ص 269. صيحة حرب قديمة: صويتات! صيحة الحرب الجديدة: راعي الضبطا! والضبطا هو اسم ناقة أصيلة كان عدوان قد غنمها في إحدى الغزوات (بيكه، ص 166: حمدان).

2 ـ الوسم: / على الخد الأيمن، صيحة الحرب: أخو شيخا!

3 ـ الوسم: ♀ على الخد الأيمن، صيحة الحرب: مهرة!

4 ـ الوسم: / على الخدين الأيمن والأيسر، صيحة الحرب: أخو صبحا!

5 ـ ينتمون من ناحية النسب إلى النمر (بيكه يخالف ذلك في شجرة نسب القبيلة)، وينتمون سياسياً، حسب موزيل، إلى الكايد، انظر عند العسّاف اسم الشيخ: عبد ربّه الكايد.

6 ـ ينتمون من ناحية النسب إلى الصالح، سياسياً، حسب موزيل، إلى الكايد.

7 ـ القبائل التالية، باستثناء 3، تحمل اسم القرضة، انظر الصفحة 208 أعلاه.

8 ـ من عيمة بين الكرك وشوبك. الوسم: O على الأذن اليسرى و / على الأنف.

9 ـ من الطفيلة.

10 ـ من الكرك، ولكن حسب بيكه بعضهم من عيمة، والبعض الآخر من الطفيلة. الوسم: ٥ (باب العين) على الأنف، صيحة الحرب: جعافرة!

11 ـ لهم أقرباء في الكرك. الوسم: ب (فجل) على الجهة اليسرى من الرقبة، صيحة الحرب: راعي الملحا!

12 ـ من أصل مسيحي.

13 ـ من غور الصافية. الوسم: جرح على الأذن. الاسمان يعبران عن نفس الشيخ.

14 ـ من برما. الوسم: جرح على الأذن.

15 ـ سنوسيون. من شمال إفريقيا من منطقة السلّوم.

قبائل صغيرة في البلقا

يعيش في منطقة العدوان عدد من القبائل التي تصنف تحت اسم البلقاوية. من ناحية النسب ينتمي بعضهم إلى سكان البلد القدامى من جذام، وبعضهم يذكرهم الكتّاب المملوكيون في مناطقهم الحالية. وقد انضم إلى هذه الجماعات الأساسية في وقت لاحق كثير من العناصر الأخرى، وخاصة من الهتيم[1] الذين وجودهم هنا مثبت في أواخر العصور الوسطى. ولذلك يقول بوركهاردت (ص 25) أن عرب البلقا ينحدرون من الهتيم. وبطبيعة الحال يحاول البلقاوية إخفاء كل علاقة لهم بهذه القبيلة المنبوذة. من الناحية السياسية تتبع جميع هذه القبائل العدوان وقد شاركت بالتالي تحت قيادتهم في الثورة التي هزت عام 1923م الدولة الأردنية الفتية.

ومن القبائل الأكبر نسبياً الدعجة عند عمان، والعجارمة حول حسبان، والغنيمات عند مأدبا. والدعجة هم نفسهم الدعجيون الذين كانوا في مطلع العهد المملوكي يشكلون فرعاً من بني صخر الكرك؛ أي أنهم من جذام[2]. وينطبق الشيء نفسه على العجارمة الذين كانوا في الماضي ينتمون إلى مجمع بني مهدي[3]

---

(1) سيعالجون في الجزء الرابع.

(2) حمداني عند القلقشندي، ص 257.

(3) صبح، الجزء الرابع، ص 213: "ينتمي إلى بني مهدي العجارمة من بني طريف (جذام)"، وهذا يعني أن العجارمة لم يكونوا ينتمون إلى بني مهدي وإنما كانوا ملتحقين بهم فقط. وهذا يتفق مع الحكاية الحالية التي تقول بأن العجارمة جاؤوا إلى البلقا قبل بني مهدي.

(انظر الصفحة 303 أعلاه).

أمّا الغنيمات فتفيد حكاياتهم بأنهم جاؤوا إلى البلقا قبل حوالى 500 عام. وقد نافسوا العدوان في بعض الأوقات على حكم البلقا وخاضوا حروباً ناجحة ضد بني صخر. وكان شيخهم عبد المحسن عام 1810م أقوى رجل في منطقة البلقا[1]. ولم يزل العدوان حتى اليوم لا يستطيعون دعوة القبائل الصغيرة إلى الحرب إلا بواسطة الغنيمات لأن أولئك متحالفون مع هؤلاء. يعمل عرب البلقا في تربية الأغنام، لكنهم يمارسون الزراعة أيضاً، وفي الشتاء ينزلون مع قطعانهم إلى الغور.

البلقاوية (عرب البلقا)(1)

آ ـ الدعجة(2)

شيخ المشايخ: مخيمر أبو جاموس

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ الرشايدة(3)		شمال عمان	100
أ ـ الجواميس	مخيمر أبو جاموس		
ب ـ الهبايلة(4)	مطلق المجلد		
قبائل ملحقة			
أ ـ عيال عيسى(5)	مخيمر أبو جاموس		
ب ـ العبوس(6)	علي العبوس		
جـ ـ العايد(7)	إبراهيم العايد		
د ـ صليلات(8)			

(1) بوركهاردت، رحلات في سورية، ص 368.

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
2 ـ الشبيكات(9)	جظعان الهبارنة	شمال شرق عمان	160
أ ـ الهبارنة	جظعان الهبارنة		
ب ـ الشواربة	علي أبو شوراب		
جـ ـ البشر	عايش البشر		
د ـ البنيّان	نويران البنيّان		
هـ النصر	هلال النصر		
3 ـ الخصيلات(10)	عبطان الغرير	في الصيف: أمّ قصير/ في الشتاء: العليا؛ الحقو	38
أ ـ الملَيفي	مغير الهملان		
ب ـ الغرير(11)	عبطان الغرير		

ب ـ اللديّات(12)

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ الحديد(13)	شاهر بن حديد	العليا؛ أبو علندة	
أ ـ الجراونة (الحنيطيين)	إبراهيم بن راشد		40
ب ـ الحديد (المبرزين)	شاهر بن حديد		30
جـ ـ الزبرة(14)	خلف العبكل		6
2 ـ الرقاد(15)	عواد الرقاد		

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
أ ـ الرقاد(16)	عواد الرقاد		25
ب ـ المراشدة(17)	هلال اليتيم		15
3 ـ الدبابية(18)	مرجى الدبابية	العليا	40
4 ـ الشوابكة(19)	عبد الله دعيبس	في الصيف: رجم الجازي/ في الشتاء: سويمة	
أ ـ المصالحة	سلمان الحسين		40
ب ـ المرايحة	فهد بن محمد		40
جـ ـ المطايبة	عبد الله دعيبس		60
د ـ الخواة(20)	عبد الله دعيبس		
5 ـ المراشدة (السيوف)(21)	عطوان أبو سيف	في الصيف: شمال ماديا/ في الشتاء: الغور	25
أ ـ البطنان	عطوان أبو سيف		
ب ـ العبيد			

جـ ـ العجارمة(22)

شيخ المشايخ فضيل الشهوان(23)

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ المطيريين(24)	عبد الهدي المطر/ عقيل العقيل	المشقّر	50
2 ـ العقيل	عبد المهدي المطر/ عقيل العقيل		
3 ـ الشريقيين	كريّم البراري	حسبان	60
4 ـ الحرافيش والمناعسة	غيث حسين المناعسة	القنافذ؛ العال	80
5 ـ الشهوان (الأسفة)(25)	فضيل الشهوان	أم الخنافيس	70
6 ـ السواعير(26)	أحمد البركات	السكر	30
7 ـ العفيشات	فهد بن عبد العزيز	3 ساعات جنوب عمان	
8 ـ المرعى	سليم أبو ودن		35

د ـ الغنيمات(27)

شيخ المشايخ: سالم أبو الغنم(28)

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ العلى	محمد المغاور(29)	في الصيف: الكفيرات/ في الشتاء: الغور	7
2 ـ العبد الله	مطلق السالم	في الصيف: الكفيرات/ في الشتاء: الغور	12
3 ـ الحمد	سالم أبو الغنم	في الصيف: الكفيرات/ في الشتاء: الغور	5
قبائل ملحقة			
1 ـ المساندة(30)	السماعيل الصالح		30
2 ـ الوخيان(31)	سليمان العودة		20
3 ـ القعاقعة(32)	محمد		3

هـ ـ الشواكرة(33)

شيخ المشايخ: على الشخاترة

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ الشخاترة(34)	على الشخاترة	صيفاً: الكفيرات/ شتاء: سويمة	40
2 ـ الغليلات	سعيد أبو غليلة	صيفاً: الكفيرات/ شتاء: سويمة	
3 ـ السعيدات	عقلة الجديع	صيفاً: الكفيرات/ شتاء: سويمة	40
4 ـ العساف		صيفاً: الكفيرات/ شتاء: سويمة	25
5 ـ العبيد(35)	غافل البشير	صيفاً: الكفيرات/ شتاء: سويمة	

و ـ العوازم(36)

شيخ المشايخ: أبو ستة بن وندي(37)

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ الونديين	أبو ستة	صيفاً ماعين/ شتاء: سويمة	15
2 ـ الحميمات	أحمد الحميمات	صيفاً ماعين/ شتاء: سويمة	20
3 ـ السليم	عيد السليم	صيفاً ماعين/ شتاء: سويمة	15
4 ـ الجفيرات	على الجفيرات	صيفاً ماعين/ شتاء: سويمة	20

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
5 ـ النجادة	عبد الكريم بن سالم	صيفاً ماعين/ شتاء: سويمة	15
6 ـ السنيّان	سلامه السنيّان	صيفاً ماعين/ شتاء: سويمة	
7 ـ الحلاقيين		صيفاً ماعين/ شتاء: سويمة	

حـ ـ الازايدة(38)

شيخ المشايخ: حماد السليمان

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ الشروقية	حماد السلمان		60
أ ـ حلايبة		صيفاً ماعين/ شتاء: سويمة	
ب ـ طرمان		صيفاً ماعين/ شتاء: سويمة	
جـ ـ الفساطلة(39)		صيفاً ماعين/ شتاء: سويمة	
د ـ المعاعية(40)		صيفاً ماعين/ شتاء: سويمة	
2 ـ القرينيين	إبراهيم الخواطرة	صيفاً ماعين/ شتاء: سويمة	
أ ـ خواطرة		صيفاً ماعين/ شتاء: سويمة	60
ب ـ عبابسة		صيفاً ماعين/ شتاء: سويمة	
جـ ـ الحبابسة(41)		صيفاً ماعين/ شتاء: سويمة	

ط ـ الزففة(42)

شيخ المشايخ: راشد العميان

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ العميان	راشد العميان	صيفاً: جادا/ شتاء: المشتى	20
2 ـ العراقبة(43)	هنداوي الحجيري	صيفاً: جادا/ شتاء: المشتى	40

ملاحظات

1 ـ هناك قوائم موجودة عند بوركهاردت، ص 20 وما بعدها، موزيل، ص 108 وما يليها؛ ياوسن، ص 398 وما يليها؛ تريير (حسب سلمان) ص 218 وما بعدها؛ بيكه، ص 250 وما يليها، 257 وما يليها، 265 وما يليها.

2 ـ بوركهاردت: موزيل، تريير، بيكه، ص 257 وما بعدها. ياوسن، ص 402 لا يذكر إلاً بعض القبائل الفرعية والفروع، بينما التعبير نفسه غير موجود عنده. الوسم: ∧ (كعام) (موزيل: ناتح) على الأنف و / (سحلة) على الأذن اليمنى. صيحة الحرب: المونيات! صيحة الفرح: الغواه!

3 ـ صيحة الحرب: راعي المليحة!

4 ـ موزيل: هباهبة.

5 ـ أهل عيسىٰ.

6 ـ شمّر؟

7 ـ راجع الصفحة 130 أعلاه.

8 ـ باريا.

9 ـ الوسم: / (سحله) على الأذن اليسرى. صيحة الحرب: راعي العليا!

10 ـ الوسم: (باكور) على الخد الأيمن. صيحة الحرب: راعي البويضة!

11 ـ شمّر؟

12 ـ (الأديات) بوركهاردت: "بديات". عند ياوسن، وترير، وبيكه، التعبير غير موجود. عند موزيل يشمل القبيلتين الفرعيتين 2 و5 فقط. صيحة الحرب: راعي الحرد 1! إضافة إلى ذلك يستعمل اللديات، وكذلك القبائل الصغيرة الأخرى بصفتها حليفة للغنيمات، صيحة حرب خاصة: حطبية! وهي كلمة تظهر عند سيتزن (الجزء الأول، ص 409) وبوركهاردت كإسم قبيلة ومما يعبر عن وضعهم بشكل واضح أنه لا يوجد لديهم وسم مشترك؛ فاللديات ليسوا قبيلة موحدة.

13 ـ اسمهم عند موزيل حنيطيين (آ)، وهم يضمون عند بيكه (ص 257) أيضاً القبيلتين الفرعيتين 2 و3 والزففة (ح)؛ ياوسن يذكر الفرعين (آ) و (ب) تحت عرب عمّان. الوسم: \ على الخد الأيمن. وهما يعيدون أصلهم إلى الشيخ رسلان، وهو درويش من دمشق، مدفون في حي الشاغور[1]. وكان له ابنان: فيد وفياد لم يزل ضريحاهما ـ إلى الغرب من الرصيفة ـ يزاران حتى اليوم. وأولاد فياد، حديد، وحمود، وجرو، هم أجداد الفروع الثلاثة: حديد، وزيرة، وجراونة.

14 ـ موزيل: "الزيارة".

15 ـ يزعمون أنهم من شمر، ولكن في الحقيقة هم (شرارات؟).

16 ـ الوسم: // على الخد الأيمن.

---

(1) هي في دمشق.

17 ـ الوسم: > (صريمة) على الخد و / (سحلة) على الأذن اليمنى.

18 ـ بيكه: من دبين في العجلون. الوسم: ⊓ على الورك الأيمن و على الأنف. صيحة الحرب: راعي العليا! (حسب اسم المكان).

19 ـ عند موزيل وياوسن وبيكه قبيلة قائمة بذاتها، ولكن بيكه يذكر علاوة على ذلك أيضاً شوابكة عند الحديد (1). من شوبك. جاؤوا في النصف الأول من القرن التاسع عشر. تملك القبيلة قرية قبر عبد الله. عدد الماشية: 3054 شاة. الوسم: ∩ على الجهة اليمنى من الأنف، صيحة الحرب: صبيان قيس! (انظر الصفحة 256 أعلاه).

20 ـ موزيل: ضوات.

21 ـ عند ياوسن قبيلة قائمة بذاتها. هم (شرارات؟). الوسم: // على الفخذ الأيسر.

22 ـ بوركهاردت، ياوسن، تريير، بيكه. في التصنيف الحربي يقف الإسفة (5) مع فروعهم الشهوان والفقرا والفليح والحلاحلة مقابل الحرافيش والشريقيين والمطيريين والسواعير والعفيشات ومرعي. 4000 شاة. صيحة الحرب: صبيان (عيال) الصباح!

23 ـ سلفه: نايف بن شهوان، ياوسن، ص 399. شارك أحد أبناء الأسرة، قبلان، في المؤتمر القومي في بلودان واعتقل عند عودته، الشرق الحديث، 1937م، ص 523.

24 ـ هم، كما يتبين من تطبيق الحكاية المذكورة في الصفحة 69 أعلاه عليهم (بيكه، ص 265). الوسم: > (صريمة) من الأنف نحو الأعلى، وكذلك علامة 3 و4.

25 ـ الوسم: على الأنف والخد الأيسر.

26 ـ عجارمة أصليون، اسمهم مشتق من اسم قرية رجم الساعور (بيكه). الوسم: على الخدين الأيمن والأيسر؛ وكذلك علامة 7.

27 ـ أيضاً غنمات، أبو الغنم. بوركهاردت، ياوسن، موزيل، بيكه. عدد الماشية: 2700 شاة، 20 رأساً من الخيول. يملكون القرى: الكفيرات، والمخيّط، ورجم الجازي. الوسم: ، الغنم على الأذن اليمنى، الإبل والبقر على الورك. إضافة إلى ذلك: (مطرق) على الورك الأيسر. صيحة الحرب: إخوة دلعب!

28 ـ شارك سالم في ثورة عام 1923م. وقضى بعد ذلك ستة أشهر في السجن حيث تعلم القراءة والكتابة. ثم شارك عام 1937م في مؤتمر بلودان وحكم عليه بعد عودته بالإقامة الجبرية ستة أشهر في العقبة. فيما عداه يبدو أن مطلق أبو الغنم يلعب دوراً مهماً، الشرق الحديث، 1933م، ص 311، 467؛ 1937م، ص 523.

29 ـ مغاور كان عقيداً في زمن شيخ العدوان دياب.

30 ـ من فلسطين.

31 ـ لبابدة.

32 ـ يزعم أنه من فرع الرولة المشهور.

33 ـ موزيل؛ ياوسن. بيكه لا يذكر إلاّ الشخاترة (1).

34 ـ الوسم: على الأذن اليسرى.

35 ـ صيحة الحرب: عبيد صبحة!. عبيد سود للغنيمات.

36 ـ بوركهاردت، موزيل (مقسمين إلى عوازم ومداينة)، بيكه. وهم يملكون قرية ماعين. عدد الماشية: 2937 شاة. الوسم: (فتخة) على الأذن اليمنى ومطرق. صيحة الحرب: صبيان (أولاد) سالم! صيحة حرب قديمة: ريدان!

37 ـ ياوسن: علي أبو وندي.

38 ـ ياوسن، موزيل، بيكه. الوسم: ▬ على الأذن اليسرى؛ موزيل يختلف عنهم، صيحة الحرب: صبيان قيس!

39 ـ دراويش من الحجاز.

40 ـ على أرجح الظن مسيحيون سابقون من مادبا.

41 ـ غوارنة.

42 ـ بوركهاردت، تريير ("زفقة"). يماكون قرية خريبة السوق. الوسم: /ᑐ على الخد الأيمن و ╲ فوق العين. صيحة الحرب: راعي الحردا!

43 ـ عبيد سود.

عبّاد

يتقاسم العباد أيضاً مع العدوان منطقة التنقل والرعي، إلا أنهم لا ينتسبون إلى حزب قبائل البلقا ولا إلى خصومهم أهل الشمال، وإنما متحالفون مع صقر والتياها البعيدين جداً، وكذلك مع الكعابنة (بني صخر). تنحدر الكتلة الأساسية منهم من جذام[1] وبالتحديد من فرع طريف، حسبما تثبت صيحتهم للحرب: الطرايفة! يضاف إلى هذه الكتلة الأساسية جميع العناصر الأخرى الممكنة، كما يتبين من الملاحظات العائدة للجدول. تنقسم القبيلة إلى "رايتين" تحمل الأولى اسم الجبورية وتشمل البقور (2) والفقها (15) والزيادات (13) والرحامنة (11) والزيود (12) والجيرة (10). عليمهم (عليم)[2] هو أبو بقر وكفيله (نائبه؟) أبو مهير. أمّا "الراية" الثانية فتتألف من القديرية[3] ويتزعمها ابن ختلان أو أبو نعيم. وينتمي إليها الختالين (1) والنعيمات (4) والمناصير (14) والرماضين (3) والغنانيم (6) والحجاحجة (7) والمعادات (8) واليازجيين (9) والحوارات (5).

المركزان الرئيسيان للعباد هما ماحص وعراق الأمير، ويذهبون نحو الشمال

---

(1) مسالك الأبصار، الجزء الثاني، ص 24 وما بعدها (برغوثي). حسب هذا المصدر كانوا يسكنون عند الكرك.

(2) انظر الصفحة 270 هامش 1 أعلاه.

(3) بيكه، ص 260: الجرومية.

حتى العرضة ونحو الغرب حتى الغور، وفي الجنوب يتبع لهم وادي السير.

يملكون 20,000 شاة. وسم القبيلة: /// (مطارق) على الورك الأيمن، وفي بعض الأحيان على الخد الأيمن أيضاً.

عبّاد(1)

شيوخ المشايخ: أحمد العبد ابن ختلان ـ محمد باشا الكايد أبو بقر

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ الختالين(2)	فلاح أبو حسين	عراق الأمير	45
2 ـ البقور(3)	محمد الكايد	ماحص	40
قبائل ملحقة			
أ ـ الشنيكات			
ب ـ صلاحيين			
3 ـ الرماضين(4)	هديري أبو داهوك	العرضة	
4 ـ النعيمات(5)	يعقوب الموسى(6)	العرضة	10
5 ـ الحوارات(7)	سليمان الفزاع	العرضة	6
6 ـ الغنانيم(8)	فياض القويدر	العرضة	14
7 ـ الحجاحجة(9)	رضوان أبو خريس	العرضة	30
8 ـ المعادات	محيجين الأسود (10)	العرضة	30
9 ـ اليازجيين	شهاب الحمد	العرضة	25
10 ـ الجيرة(11)	حسين الفارس		40
11 ـ الرحامنة(12)		عيرا؛ برقا	15
أ ـ العبيد	علي الموسى		

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
ب ـ الدبوش	فياض العباس		
12 ـ الزبود		وادي السير	
أ ـ الدويكات(13)	سالم المجلى		8
ب ـ الشراب(14)	سلامة أُلمّاس		60
13 ـ الزيادات	نمر باشا لعريق	عيرا؛ برقا	
أ ـ العلوان(15)			10
ب ـ العوامرة(16)			5
حـ ـ العلاوين(17)			10
د ـ الخراربة(18)			30
هـ ـ الطواهية(19)			5
14 ـ المناصير(20)			110
أ ـ المناجلة	عواد العرايفة		
ب ـ الضميدات	عواد العرايفة		
جـ ـ مناصير العرضة	سعد الخلف		
د ـ النصاصرة (المسالمة)	عواد الناصر		
قبائل ملحقة			
العونة(21)	كريم النهار		25
15 ـ الفقها(22)		وادي السير	
أ ـ السكارنة	عبد الله السعد		
ب ـ السليحات	محمد السليمان		

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
قبائل ملحقة			
أ ـ الحسامية(23)	فلاح الذيب		
ب ـ المحاميد(24)	باير		
جـ ـالمهيرات	طلب الصالح		
1 ـ نعيرات			
2 ـ حررة			
ب ـ شرايعة(25)	فلاح الصباح		

ملاحظات

1 ـ مايو، الجزء الأول، ص 97. وصف مصر، الجزء 16، ص 124. يوجد قوائم عند موزيل، ص 110 وما بعدها؛ ياوسن، ص 401 وما بعدها؛ ترير (حسب سلمان) ص 217؛ بيكه، ص 260 وما يليها، مجلة جمعية الاستشراق الفلسطينية، القدس، الجزء السادس عشر، 1936، ص 22 كنعان.

2 ـ جرامنة. صيحة الحرب: راعي الغزالة!

3 ـ هكذا تسمى نسبة إلى عائلة أبو بقر. وتعيد هذه العائلة شجرة نسبها إلى محمد الباقر، الإمام الخامس عند الشيعة: فلاح بن صالح بن كايد بن قبلان بن محسن بن مصلح بن عبيد. ويقال بأن عبيد جاء إلى البلقا من مصر. وقد كانت هناك فعلاً عائلة شيوخ مصرية اسمها أبو (ابن) بقر، وكانت تتولى قيادة البدو في منطقة الشرقية في بداية الحكم التركي، وكانت قبيلتها تسمى بنو عبيد؛ قلقشندي، ص 282 وما بعدها؛ ابن إياس، الجزء الثالث، ص 128، 137، 155، 177 وما بعدها، 244، 258، 260، 298. ولذلك من الممكن جداً أن يكون أبو بقر منحدرين من البقور وأن تكون الرواية المتعلقة بالأصل المصري صحيحة. أمّا الانتساب إلى

محمد الباقر فلا أساس له؛ إذ إن العبيد المصريين كانوا من جذام. وسم البقور: V على الأنف والخد الأيمن. صيحة الحرب: راعي البويضة!

4 ـ بيكه: الرماضنة. جهالين. الوسم: O على الفخذ الأيمن.

5 ـ نعيم من الجولان.

6 ـ كنعان: موسى عبد الرحمن اليعقوبي.

7 ـ أحفاد الأمير الحواري.

8 ـ جد القبيلة: أبو غنّوم. أتباع طريقة دينية.

9 ـ الوسم: O على الأذن اليسرى.

10 ـ كنعان: ابنه موسى.

11 ـ كنعان: "جبرا". عرب الضيغم، انظر مقال الجرامنة في فصل فلسطين. صيحة الحرب: الضيغم!

12 ـ بني رحمان من شمال إفريقيا. الوسم: ♀ على الأذن اليمنى والفخذ الأيمن.

13 ـ من بيتا شرقي نابلس. الوسم: ⊓ على الأذن والفخذ الأيمن.

14 ـ من خان يونس. الوسم: Λ على الأنف.

15 ـ من طيبة ابن علوان في ناحية الوسطية (عجلون).

16 ـ طراونة. الوسم: / على الأذن اليمنى.

17 ـ من قبيلة حويطات التي تحمل نفس الاسم. الوسم: / على الخد الأيمن.

18 ـ من خربة فاعور، بيكه له رأي آخر.

19 ـ نفيعات، ولكن حسب بيكه عمرو من الكرك.

20 ـ الوسم: ⊥ على الأنف. صيحة الحرب: راعي العوجا!

21 ـ بلاونة.

22 ـ الوسم: V على الورك الأيمن وعلى الفخذ الأيمن.

23 ـ بني مهدي، بيكه له رأي مختلف.

24 ـ عمرو من الكرك، بيكه له رأي مختلف.

25 ـ من جبل الدروز.

بني صخر (الصخور)

بني صخر هم القبيلة البدوية السائدة في المنطقة الخلفية من شمال شرقي الأردن. وهم حسب أسلوب الحياة يقفون على الحدود بين البدو وانصاف البدو. ولا يمكن تحديد نسبهم بشكل قاطع ودقيق. يعتقد بأن لهم صلة بقبيلة قديمة كانت تحمل نفس الاسم وتنسب إلى طي، ولكن الشعور بهذه الصلة فُقد. ويعود السبب في ذلك إلى أن أهم مجموعة في القبيلة، الطوقة، هي ذات منشأ غريب.

في مطلع العصور الوسطى كان بني صخر يسكنون في شمال الحجاز بين العلا ومدائن صالح وتيما[1]. وكانوا لا يزالون هناك حتى العهد المملوكي[2]. وكان يجاورهم آنذاك بنو لام في الشمال وعنزة في الجنوب. وقد أرسلوا مع هؤلاء (مع عنزة) في عام 666هـ/ 1267م وفداً إلى القاهرة حاملاً عرضاً إلى الحكومة بأن يدفعوا لها ضرائب (انظر الجزء الأول، ص 126، الملاحظة 1).

(1) همداني، ص 131؛ ياقوت، الجزء الثالث، ص 738؛ انظر موزيل، شمال نجد، ص 129، الملاحظة. بنو صخر الذين يذكرهم ياقوت، الجزء الأول، ص 736، غير مشمولين هنا.

(2) المراجع المعاصرة لذلك الزمن تفصلهم بحق عن قبيلة جذام التي تحمل نفس الاسم عند الكرك؛ ابن سعيد عند ابن خلدون، البربر، الجزء الأول، ص 14 (بعد ذلك قلقشندي، ص 257، وسويدي، ص 60)؛ حمداني عند قلقشندي، ص 257؛ صبح، الجزء الأول، ص 334.

وأن يكون بنو صخر هؤلاء أجدادَ القبيلة الموجودة الآن في شرقي الأردن فهذا ما يتضح من حكايات البدو؛ إذ إن بني صخر يروون في قصصهم أنهم جاؤوا من "مصر" قرب العلا[1] فهل هذه "المصر" التي لم تفسر حتى الآن بشكل مرضٍ هي اسم ناحية مأخوذة من المستوطنة المينية (مصر) في الحلا: ديدان (حوالى 300 ـ 150)؟، وأن المواهيب والفقرا، وهما قبيلتان من عنزة قرب مدائن صالح، يتذكرون أن هذه المنطقة كانت تابعة قبلهم لبني صخر. ولم يزل سكان تبوك حتى اليوم ينتسبون إلى الكعابنة (بني صخر). وقد كان لبني صخر هنا وفي العلا وحتى القرن التاسع عشر حق استيفاء خوّة[2].

بصرف النظر عن بعض التغيرات الطفيفة، ومنها انتقال ملكية واحتي العلا ومدائن صالح إلى عنزة، يبدو أن الظروف القبلية في هذه المنطقة ظلت دون تغيير حتى انسحاب بني لام (منتصف القرن السادس عشر). فقد فتح هذا الانسحاب لبني صخر وعنزة الطريق نحو الشمال. إذ تقدما كلاهما إلى الأمام بين طريق الحج والنفود، بنو صخر في الغرب، وعنزة في الشرق[3]. في عام 1700م كان بنو صخر قد وصلوا إلى المناطق الواقعة خلف معان، كما يتبين من التقارير التركية عن الهجمات على طريق الحج والتي سنتحدث عنها فيما بعد. ويبدو أن مقرهم الرئيسي كان آنذاك في الطبيق التي ظلت زمناً طويلاً مقرهم الشتوي. أمّا في الصيف فكانوا يرحلون عبر العربة إلى جنوب فلسطين[4] أو إلى السهوب الأردنية. وبين حين وآخر كان رعاتهم يصلون حتى حوران التي يعودون منها في الخريف محملين

---

(1) موزيل، الجزء الثالث، ص 113. ليس معروفاً ما الذي تعنيه هذه الـ "مصر"، ولكنها بالتأكيد لا تعني الدولة مصر؛ وهذا ما يفترضه ياوسن، ص 314، والبرغوثي ومحمد شفيق مصطفى، "في قلب نجد والحجاز"، القاهرة 1927م، ص 47. قد يكون للاسم علاقة مع دفع بني صخر ضرائب للقاهرة.

(2) دوتي، الجزء الأول، ص 126، 287، 147 وما بعدها، 529.

(3) قائمة الصرة التركية لعام 1087هـ/ 1676م، في أرشيف عثمان باشا رقم 44، تذكر بني صخر على هذا الجانب من بئر الأخضر.

(4) تفيد الحكايات المتناقلة بأن بني صخر (بقيادة محمد الخريشة) كانوا يخيمون في غزة عندما طلب منهم السرحان المساعدة ضد عنزة (ولد علي)؛ انظر الصفحة 274 أعلاه.

بالحبوب. لا بل إنهم وصلوا في سنة الجوع 1152هـ/ 1739م مع السرحان إلى حدود العراق[1].

في النصف الثاني من القرن الثامن عشر استقر بنو صخر في شرقي الأردن[2]. كانوا في الربيع يتفرقون إلى مجموعات صغيرة تنتشر في أرجاء البلاد من البلقا حتى العجلون وحوران، وكانوا في كثير من الأحيان يجتازون نهر الأردن ليخيموا في سهل يسريل (مرج ابن عامر). وفي الصيف يتجمعون في البلقا، بينما يعودون في الشتاء إلى الطبيق.

عندما جاء بني صخر إلى شرقي الأردن وجدوا هناك السردية (انظر الجزء الأول، ص 535 وما بعدها) يسيطرون على السهوب هناك. ولذلك توجب عليهم دفع خوة لهم. وهناك بعض الحكايات التي تتحدث عن كيفية تخلص الصخور من هذا العبء وعن المعارك التي خاضوها مع السردية وزعيمهم "الأمير" محفوظ[3].

من الممكن اعتبار غارتي بني صخر على قافلة الحج جزءاً من هذه الحرب، لأن السردية كانوا في القرن الثامن عشر يتولون حماية القافلة في شرقي الأردن. وقد حدثت هاتان الغارتان في عامي 1112هـ/ 1700م و1115هـ/ 1703م، الأولى على أرض الجزيرة العربية[4] والثانية عند المغارة، على مسافة ساعة ونصف قبل معان[5]. وقد شارك في الغارتين، إضافة إلى قبيلة عنزة أيضاً. إلا أن مسبّبي

(1) رسول حاوي أفندي، دوحة الوزراء، ص 49 أدناه.

(2) حسب قول بوركهاردت، رحلات في سورية، ص 368، بأن بني صخر لم يصلوا إلى البلقا إلا تحت الضغط الوهابي، غير صحيح؛ إذ إن الخريطة الموجودة عند فولني (حوالي عام 1785م) تضعهم في الشمال حتى حوران.

(3) الحكاية التي يذكرها بيكه، ص 218، والتي بطلها سليمان بن حنيف الخريشة، تبدو أكثر بدوية من حكاية الطويق المذكورة أدناه في الملاحظة 2 المتعلقة بشجرة نسب الطوقة.

(4) انظر الجزء الأول، 126، الملاحظة 3.

(5) هـ. س. برلين، رقم 216، 231 وما بعدها؛ انظر GOR، الجزء السابع، ص 67؛ راشد، الجزء الأول، 276. فشل الهجوم لأن البدو وضعوا بين فكي كماشة، بين القوة المرافقة للجردة من جهة والحجاج من جهة أخرى.

الكارثة التي أحلت بالحجاج في عام 1757م كانوا بني صخر وحدهم: في 20 ذي الحجة 1170هـ هوجمت في بادئ الأمر الجردة (القافلة التبادلية) قبل معان ونهبت، وقد مات الجردجي موسى باشا المعراوي على طريق الهرب إلى درعا[1]. وفي صفر من العام التالي حاصر البدو القافلة الرئيسية نفسها لمدة 22 يوماً في تبوك، وعندما تابعت سيرها هاجموها في ذات سنة الحج ونهبوا كل ما فيها[2]. وبصعوبة بالغة تمكن أمير الحج حسين بن مكي (مكيزاده)، باشا دمشق، من الهرب إلى تبوك، أثارت هذه الأحداث غضب القسطنطينية التي حمّلت باشا دمشق السابق، أسعد باشا العظم، (انظر الجزء الأول، ص 418) المسؤولية عنها. وقررت الرد عليها بمنتهى العنف، وتمكنت فعلاً جردة العام التالي المعززة بقوة إضافية من صد هجوم للصخور، عند قلعة الحسا، بقيادة الشيخ قعدان الفايز الذي كان انتصار العام الماضي قد شجعه على الهجوم مرة أخرى. وبعد وقت قصير أرسلت حملة تأديبية قضت على كل رغبة في شن هجمات أخرى[3] لدى بني صخر وشركائهم في الهجوم، عنزة ونبهان.

أدت هذه الغارات إلى جعل الأتراك يفقدون الثقة فعلاً بالسردية (انظر الجزء الأول، ص 537). وقد ظل السردية والصخور أعداء إلى أن وحدهم مرة أخرى في نهاية القرن الثامن عشر عداؤهم المشترك لعنزة. وكانت المناوشات بين بني صخر عنزة (ولد علي) قد بدأت عندما هاجرت القبيلتان من الحجاز نحو الشمال. وقد عقد بنو صخر حلفاً مع السرجان الذين كانوا يملكون آنذاك الجوف. وبما أن ولد علي كانوا يعتبرون هذا الواحة حقاً لهم، نشبت حرب بين الطرفين كان الحلفاء،

---

(1) ميخائيل بريك في نقولا الصباغ، تاريخ الشيخ ظاهر العمر، ص 76 وما يليها؛ واصف، تاريخ، الجزء الأول، ص 99 وما يليها؛ مرادي، الجزء الثاني، ص 61 وما بعدها.

(2) المحمل، وهو صندوق مربع الشكل، أعلاه على شكل هرم، ملفوف بالبروكار، وهو رمز قافلة الحج، فُقد أيضاً في الغارة. وقد باعه البدو في وقت لاحق في دمشق بسبعمائة قطعة ذهبية.

(3) واصف، الجزء الأول، ص 134.

بني صخر والسرحان، الطرف الخاسر فيها. ويقال سليمان الخريشة، زعيم الصخور، قد حطم يومها العطفة بسبب استيائه الشديد من مقتل عدد كبير من المحاربين دفاعاً عن هذه العلامة التي تميز بين المتحاربين في ساحة المعركة[1].

وعندما استقر ولد علي في النصف الثاني من القرن الثامن عشر في سهول حوران وحصلوا على حق مرافقة قافلة الحج (انظر الجزء الأول، ص 167 ـ 168) انفجر الصراع مجدداً بين القبيلتين. وبدأت بينهما حرب على شكل غارات سلب ونهب متبادلة كان الحظ فيها مرة حليف هذا الطرف وأخرى حليف الطرف الآخر. وكان بنو صخر يتلقون المساعدة من السردية وبقية أهل الشمال: السرحان والعيسى. ظل الأمر كذلك إلى أن حصلت الرولة في منتصف القرن التاسع عشر على حق الرعي في حوران مما جعل التوازن يختل لصالح عنزة[2].

لقد استعرضنا في الصفحة 305، 306 وما بعدها أعلاه معارك بني صخر مع العدوان. وقد تحاربوا أيضاً مع قبائل أخرى في البلقا ولم يكن النصر دوماً حليفهم. إلى الشرق من سامك ما زالوا حتى اليوم يؤشرون إلى موقع معقر العطف حيث دمر الغنيمات عطفتي الزبن وابن زهير (آ 2، ب 1 أ).

لم يحدث في القرن الثامن عشر احتكاك يستحق الذكر بين بني صخر والأتراك، إلا في إطار قافلة الحج. وكان جباة الضرائب الوهابيون يقصدونهم بين حين وآخر منذ حوالي عام 1800م[3]. وعندما كان إبراهيم باشا عام 1834م في طريقه من الكرك إلى الصلت هاجمه الصخور. فردهم على أعقابهم ولاحقهم وحاصرهم في زيزا حيث اضطروا إلى الاستسلام بسبب نقص الماء[4].

---

(1) إذا ما حطمت العطفة أو استولى عليها العدو، فلا يجوز صنع عطفة جديدة.

(2) تتحدث حكايات القبيلة أيضاً عن معارك بين بني صخر والضفير، سنستعرضها في تاريخ هذه القبيلة في الجزء الثالث.

(3) سيتزن، الجزء الثاني، ص 323.

(4) بيكه، ص 180. حول هذه الحادثة تدور حكاية الفتاة البطلة عالية، انظر، مثلاً، موزيل، الصحراء العربية، ص 8.

بعد أن دخل الأتراك إلى البلقا حاولوا في البداية الضغط على البدو وتخويفهم: فقد اعتقلوا فندي الفايز، شيخ مشايخ بين صخر، وقتلوا واحداً من أبنائه (1877م)[1]. وبعد ذلك لجأوا إلى الوسيلة المجرّبة وهي بث التفرقة بين القبائل. وبالفعل حققوا غرضهم: فقد تحالف قسم من بني صخر مع العدوان وقسم آخر مع الرولة، واشتبك الفريقان عام 1881م في معركة تكبدا فيها خسائر كبيرة[2]. أي أن بني صخر، نتيجة إضعافهم، لم يسببوا للأتراك خلال العقدين التاليين أي مصاعب وخاصة بعدما حاولوا كسب تأييد الشيخ بمنحهم الألقاب والدعم المالي.

أثار بناء خط سكة حديد الحجاز بعض المخاوف لدى بني صخر، وقد تبين فيما بعد أن هذه المخاوف لها ما يبررها. ففي عام 1906م توقف الدعم الحكومي لشيخ المشايخ طلال باشا. إضافة إلى ذلك أعلنت المناطق الواقعة غربي الخط الحديدي مناطق حكومية. على إثر ذلك اضطربت القبيلة إلى درجة جعلت الحكومة تضطر إلى دفع دعم مالي جديد لها مقابل قيام بني صخر بحماية المقطع الواقع بين زيزا وقطرانة[3].

خلال الحرب العالمية قدم الصخور دعماً فعالاً للجيش العربي ومستشاريه من الإنجليز. فقد قام "رفا" الخريشة بتقديم خدمات الدلالة، وشارك الأخوان فهد وعذب الزبن مع رجالهما في تفجير الخط الحديدي. لكن فهداً أوقع الجيش البريطاني في فلسطين في ورطة وخيمة بأن وعده بدعمه بقوة قوامها 20,000 رجل من الصخور. وقد انطلت الكذبة على قيادة الجيش البريطاني ـ مع العلم بأن الزبن لا يستطيعون تجنيد 400 رجل ـ وشنت الهجوم الثاني على الصلت الذي انتهى إلى

(1) بيكه، ص 132.

(2) انظر كوندر، هيث ومواب، ص 118؛ 317 وما بعدها.

(3) ياوسن، ص 123؛ موزيل، تدمر، ص 18؛ هاندبوك، الجزء الأول، ص 56. بخصوص العلاقات الضريبية انظر ياوسن، ص 121.

فشل ذريع لأن بني صخر ظلوا قابعين في خيامهم، باستثناء من كان منهم مشتركاً مع الجيش العربي في الجنوب[1] .

بعد الحرب العالمية قدمت القبيلة، التي كانت أكثر المتضررين من غزوات الإخوان الوهابيين في خريف 1922م و1924م، للأمير عبد الله خدمة جليلة في حماية الحدود ضد الوهابيين[2] . وفي الداخل أيضاً قدم بنو صخر الدعم للأمير ضد العناصر الساخطة التي كان يقودها أعداؤهم القدامى، العدوان (انظر الصفحة 308 أعلاه). إلا أن أحداث فلسطين أدت إلى حدوث فتور في هذه العلاقة.

خلال الخمسين عاماً الأخيرة تقلصت منطقة تنقل بني صخر تقلصاً كبيراً في جهة الغرب. ولم يبق للقبيلة سوى علاماتها القديمة التي تذكّر بإقامتها في العجلون الذي كانت تزوره بانتظام حتى عام 1890م[3] . كما أنهم اختفوا أيضاً منذ زمن طويل من ضفاف نهر الأردن الأسفل وشواطئ البحر الميت. تسير حدودهم الغربية اليوم على طرف العجلون من عين رحوب إلى الدهما والخناصرة. ومن هنا تتقاطع مع منطقة بني حسن باتجاه عمّان. وفي البلقا وإلى أبعد نحو الجنوب تتبع خطاً يسير من يادوده شمال شرق حسبان بخط مستقيم إلى الدعجانية شمال معان. وهنا تنحني نحو الجنوب الشرقي ثم تنعطف إلى وادي سرحان وتعود من هنا إلى نقطة الإنطلاق[4] .

---

(1) لورنس، ص 409، 417، 432 وما بعدها، 436، 513، 525.

(2) فيلبي، الجزيرة العربية، ص 289، 308.

(3) سيتزن، الجزء الأول، ص 363؛ تريسترام (1863م)، بلاد إسرائيل، ص 491 وما بعدها؛ شتويرناغل ـ شوماخر، العجلون، ص 179، 240. ليس معروفاً ما إذا كان صخور العلا (80 خيمة = 300 نسمة) المذكورين في نفس المصدر (ص 226، 228) لعام 1885م قرب كفر أسد يمثلون بقية من قبيلتنا أم إنهم ينتمون إلى صخور الغور.

(4) العجلون، ص 240، 353؛ موزيل، الجزء الثالث، ص 112؛ انظر الخريطة عند رسوان: مناطق القبائل، مراجع الجغرافية، Raswan, Tribal Areas, The Geographical Review, 8d. XX، الجزء العشرون، ص 501. لكن الخريطة لا تشمل سوى منطقة الطوقة.

داخل هذه المنطقة يتنقل الكعابنة (ب) في الجزء الشمالي حتى قرب عمان، والطوقة (آ) في الجزء الجنوبي. الاتجاه الرئيسي لحركة، الطوقة على الأقل، هو شمال جنوب؛ في الشتاء يرحلون إلى منطقة الصوان، حيث يجدون الماء في منخفض الجفر وعند بئر باير، وفي الصيف يرحلون إلى البلقا شرقي مادبا. في الشرق كان بنو صخر يجتازون أحياناً وادي سرحان، كما حدث في شتاء 1914/ 1915م عندما أرادوا إنقاذ إبلهم من تدخل الحكومة[1]. وفي الشمال أصبحت الحدود الدولية الآن تعيق حركتهم، بينما كانوا في السابق يتوجهون في أحيان كثيرة إلى حوران. يعيش الخضير (آ 4) حياة نصف بدوية قرب عمان وكذلك الجبور (ب 1).

منذ نهاية التسعينيات تملكت عائلة شيوخ بني صخر مساحات واسعة من الأراضي في شرقي البلقا يقوم بحراثتها فلاحون فلسطينيون[2]. وبعد بناء خط سكة حديد الحجاز ارتفعت قيمة هذه الأراضي ارتفاعاً كبيراً وأصبحت تعطي عوائد كبيرة. إلا أن مصادر أخرى للدخل انعدمت بسبب التطور المتواصل ومن بينها الصرة لقاء مرافقة الحجاج من مزيريب إلى معان والتي يقول ياوسن (ص 123) أنها كانت تبلغ 500 مجيدي بالإضافة إلى بعض الأشياء العينية. كما أن الخوة التي كان بنو صخر يتقاضونها في السابق من بعض المدن والقرى كالصلت والكرك[3] فقد توقفت طبعاً. ولم يكن يدفع لهم خوة قبل الحرب وكانت هذه الخوة تجبى بدورة تناوبية مدتها أربع سنوات حيث يتقاضاها مرة الزبن، ومرة بن قاعود، ثم الزبن والهقيش معاً، وأخيراً السحيم[4] (انظر الملاحظة 4 المتعلقة بشجرة نسب الطوقة). أمّا تحضير كربونات الكاليوم (من رماد الخشب) ونقل

(1) هاندبوك، الجزء الأول، ص 57؛ انظر الصفحة 341 أعلاه.

(2) ياوسن، ص 241 وما يليها، 136 وما بعدها؛ موزيل، الجزء الثالث، ص 117.

(3) بوركهاردت، رحلات في سورية، ص 352؛ بيكه، ص 173. بخصوص القرى الأخرى الملزمة بدفع الخوة انظر موزيل، الجزء الثالث، ص 117.

(4) ياوسن، ص 163: كل خيمة مجيدي واحد.

الملح من كاف (انظر الصفحة 287 والصفحة 308 أعلاه) فقد أصبحا جزءاً من الماضي.

علاقات الصخور متوترة مع جميع جيرانهم. وقد أدى خلافهم مع العدوان إلى حدوث اضطرابات استمرت إلى ما بعد الحرب ولم تسوّ إلاَّ في عام 1924م[1]. ومع الرولة الذين تدخل منطقتهم عند قلعة الزرقا إلى عمق مراعيهم، ظل الصخور يعيشون في عداوة دائمة حتى الحرب العالمية. ومن الأحداث المشهورة بشكل خاص الحرب التي اندلعت، حسب حكاية القبيلة، بسبب وقوع طراد بن الزبن في غرام الفتاة الجميلة كستنا، أخت متعب شيخ السردية. وقد وصف بالتفصيل مراحل هذه الحرب كل من شوماخر (مصادمات عند النعيم وجرش في صيف 1897م) وموزيل (حرب مواقع عند ليين جنوبي عمان 1902م)[2]. إلا أن العلاقة بين القبيلتين تحسنت في وقت لاحق نتيجة عدائهما المشترك للوهابيين. وينطبق الشيء نفسه على علاقة الصخور مع جيرانهم الجنوبيين الحويطات. مع هذه القبيلة أيضاً كانت تقوم عداوات منذ زمن طويل. وتذكر حكايات القبيلة "معارك" القريقرة[3]، وأبو الظهور (؟)، وباير، التي تكبد فيها بنو صخر خسائر فادحة (في بادية القرن الحالي)؛ ويتحدث بوركهاردت وياوسن عن عداوات أقدم (1812م، 1885م)، بينما يتحدث موزيل عن عداوات أحدث (1909م)[4]. وفي الشمال كان الصخور متعادين مع الدروز وعرب الجبل. والعلاقات مع الكرك كانت متبدلة، ولكن منذ بعض الوقت تقوم علاقة صداقة مع المجالي، عائلة شيوخ المدينة[5]. وكانت

---

(1) الشرق الحديث، الجزء الثالث، ص 230، 292؛ الجزء الرابع، ص 498.

(2) العجلون، ص 242؛ موزيل الرولة، ص 603 ـ 618.

(3) برغوثي، الفريفرة. وهذه قرية قرب الحسا. ولكن وبما أنها يجب أن تكون قرية واقعة بين الحسا والقطرانة، فإن الفريفرة هي خطأ كتابي، والمقصود هو القريقرة. انظر خريطة موزيل، شمال الحجاز.

(4) بوركهاردت، رحلات في سورية، ص 398. ياوسن. ص 41؛ موزيل، شمال الحجاز، ص 36.

(5) ياوسن، ص 152؛ بيكه، ص 175 وما يليها.

غزوات الصخور تصل قبل الحرب إلى ديرة الشنبل في الشمال (1905م) ومدائن صالح في الجنوب[1]. وبعد الحرب أصبحت هذه الغزوات موجهة ضد الوهابيين.

ينقسم بنو صخر إلى مجموعتين هما: الطوقة والكعابنة[2]. تضم المجموعة الأولى ثلاثة زعماء هم رؤساء العائلات الثلاث: الفايز، والنوفل، والمور، وتضم الثانية زعيمين هما ابن زهير والخريشة، أي شيخ القبائل الفرعية: الغبين والزبن والهقيش من جهة، وشيخ الجبور والخرشان من جهة أخرى.

---

(1) دوتي، الجزء الأول، ص 350.

(2) لا علاقة لهم بقبيلة الكعابنة نصف الفلاحية الموجودة على الطرف الجنوبي للبلقا. انظر روبنسون، الجزء الثالث، ص 104. غارماني، ص 17 وما يليها، 136؛ موزيل، الجزء الثالث، ص 120؛ بوركهاردت، رحلات في سورية، ص 158.

عائلات شيوخ بني صخر

يقود المجموعتين اللتين يتألف منهما بنو صخر، وهما الطوقة والكعابنة، عائلتا شيوخ هما: الفايز والخريشة. والخريشة أقدم من الفايز، وقد ذكرنا اثنين من أعضاء هذه الأسرة من النصف الأول من القرن الثامن عشر، وهما محمد وسليمان، في الصفحة 337 أعلاه. وهناك سليمان ثان ـ كان عام 1807م شيخ مشايخ بني صخر[1] ـ يعتقد أنه من الخريشة أيضاً.

إلا أن الفايز أصبحوا منذ وقت طويل أقوى من الخريشة وهم يدعون اليوم لنفسهم الحق في قيادة القبيلة كلها. وأقدم عضو من الأسرة، مثبت بأدلة خارج حكايات القبيلة، هو قعدان، ابن فايز الجد الأول للعائلة (انظر الصفحة 338 أعلاه، وكذلك شجرة نسب الطوقة والملاحظات العائدة لها). وتذكر حكاية القبيلة نفسها دبيس الموح[2]، أخا قعدان؛ الذي يرد ذكر ابنه، ولد الموح ابن فايز، في قصيدة سجلها البرغوثي عند العدوان.

الشيخ المعروف التالي، فندي[3]، يأتي بعد أربعة أجيال. وقد كان يحكم في

(1) سيتزن، الجزء الثاني، ص 320.

(2) انظر أيضاً بيكه، ص 216.

(3) غورماني، ص 141، والصفحة 343 أعلاه؛ بلونت Blunt, A Pilgrimage، الجزء الأول، ص 41 (1879م).

ستينات وسبعينات القرن التاسع عشر. بعد وفاة فندي انشق أبناؤه إلى فريقين، فريق بقيادة سطم تحالف مع العنزة (رولة)، والآخر تحالف مع العدوان. وعندما قتل سطم في مايو/ أيار 1881م في المعركة، تصالح الأخوة واعترفوا بسطّام زعيماً لهم (بصفة شيخ المشايخ). تقرب سطّام من الأتراك[1] واتبع أخوه وخليفته طلال (1890 ـ 1909م) نفس السياسة. وحصل لقاء ذلك على لقب باشا وعلى دعم مالي سنوي. كان طلال حاكماً حذراً ولبقاً[2]. ولم يزل القرار الذي اتخذه في خلاف بين ابن عمه وصهره رميح، وعائلة أبي جابر المسيحية الغنية، والذي جاء ضد ابن عمه، مشهوراً حتى اليوم[3].

أصبح خليفة طلال، فواز السطام (1909 ـ 1917م) قائمقام الجيزة (= الزيزا، الزيزية) وبالتالي موظفاً عثمانياً، لكنه كانت له علاقات مع القوميين العرب. لم يدعم خططهم بصورة فعالة ومباشرة ولكنه حاول خيانة لورنس والعمل ضده مع الأتراك. وقد "توفي" بعد ذلك مباشرة[4]. ومنذئذ يقود القبيلة ابن أخيه مثقال باشا الفايز[5].

التقيت مع مثقال باشا في مايو/ أيار 1939م في دمشق. وكان آنذاك في طريقه

---

(1) كوندر، ص 317 وما بعدها، 118. توفي سطام عام 1890م، غراي هيل، ص 249.

(2) غراي هيل، ص 251، 259؛ ياوسن، ص 123، 135 وما بعدها. موزيل، تدمر، ص 18؛ شمال الحجاز، ص 36؛ صورٌ له لدى موزيل، الجزء الثالث، ص 115، 129.

(3) صالح أبو جابر، مسيحي من الناصرة، جاء إلى البلقا في السبعينات بصفة تاجر، وسكن في قرية يادودة التي حصلت على اسم أبو جابر نسبة له، وتعاون مع سطام. تعيش العائلة اليوم في الصلت؛ حصل سعيد، حفيد صالح من الأمير عبد الله على لقب باشا. وقد تكررت بعد الحرب الخلافات مع شيوخ بني صخر. معلومة من الأمير شكيب أرسلان، يراجع بشأنها ياوسن، ص 244، الشرق الحديث، الجزء الأول، ص 659، وبيكه، ص 249.

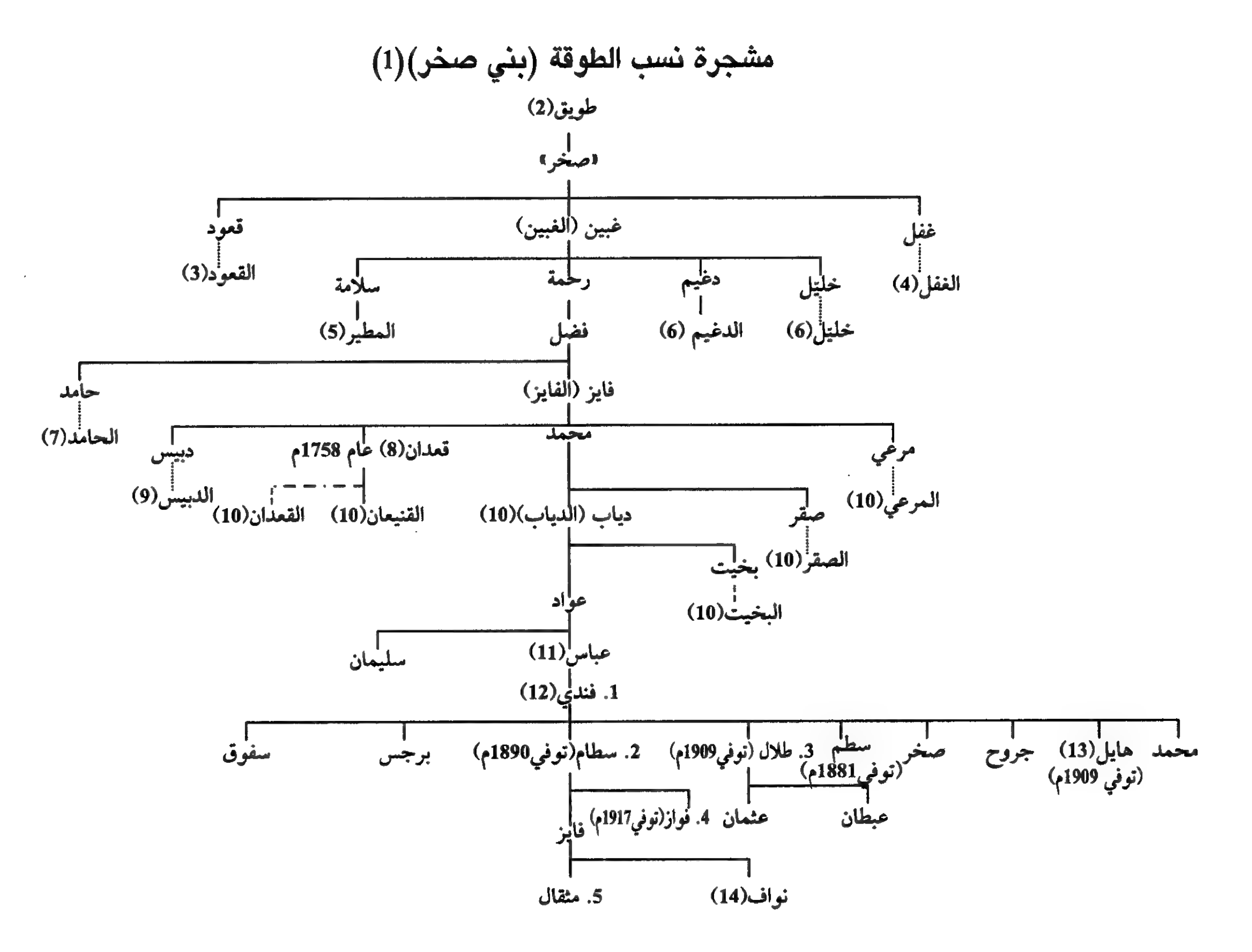
(4) لورنس، ص 532.

(5) لقد روى عن حياته العائلية أحاديث رائعة ل. ف. كلاوس في كتابه "بدوي بين البدو" (باللغة الألمانية) وفي الطبعة الموسعة للكتاب «ساميو الصحراء فيما بينهم». ونلفت الانتباه بشكل خاص إلى الصور الرائعة وتفسيرها.

إلى بغداد للمشاركة في حفل تأبين (ذكرى أربعين) الملك غازي. وللأسف لم أتمكن من تلبية دعوته لي لزيارته بعد عودته.



مثقال باشا الفايز، شيخ مشايخ بني صخر (1939م).



مشجرة نسب الطوقة (بني صخر)(1)
طويق(2)
«صخر»
غفل
الغفل(4)
غبين (الغبين)
قعود
القعود(3)
خليل
خليل(6)
دغيم
الدغيم (6)
رحمة
سلامة
المطير(5)
فضل
فايز (الفايز)
حامد
الحامد(7)
محمد
مرعي
المرعي(10)
قعدان(8) عام 1758م
القنيعان(10)
القعدان(10)
دبيس
الدبيس(9)
صقر
الصقر(10)
دياب (الدياب)(10)
بخيت
البخيت(10)
عواد
عباس(11)
سليمان
1. فندي(12)
محمد
هايل(13) (توفي 1909م)
جروح
صخر
سطم (توفي 1881م)
3. طلال (توفي 1909م)
2. سطام(توفي 1890م)
برجس
سفوق
عبطان
عثمان
4. فواز(توفي 1917م)
فايز
نواف(14)
5. مثقال

ملاحظات عن مشجرة نسب الطوقة

1 ـ وضعت شجرة النسب حتى فندي استناداً إلى معلومات موزيل، الجزء الثالث، ص 116. بشأن خلفاء فندي اعتمدنا على كوندر، وغراي هيل، وكذلك: ياوسن، ص 128، 148؛ موزيل، قصير عمرة، الجزء الأول، ص 78.

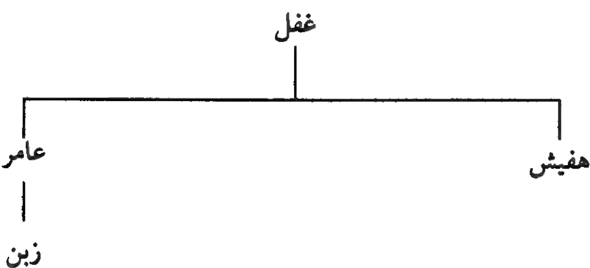
2 ـ حكاية الطويق حسب ياوسن، ص 107: بدوي اسمه دهمش وجد في الصحراء طفلاً متروكاً. فأخذ إلى منزله واحتفظ به. أطلق على الطفل اسم "لقطة دهمش"، إلا أنه استعيض عن هذا الاسم في وقت لاحق باسم "طويق" (سلسلة عنق صغيرة) نسبة إلى الطويق الذي كان يحمله حول عنقه. بعد عدة أعوام زوج دهمش طويق من ابنته. فرزق الزوجان أربعة أبناء يعتبرون أجداد أسر الصخور الأربع: غفل، سحيم، غبين، قعود.

حكاية الطويق حسب موزيل، الجزء الثالث، ص 113: في أحد الأعوام رافق أحد الباشاوات قافلة الحج وبات ليلة في خيمة شيخ الدهامشة. وفي الليل سرق ابنته وهرب معها. فتبعهما أخوها وظل يلاحقهما إلى أن اتيحت له في أحد الليالي الفرصة لقتل الباشا وتحرير شقيته المخطوفة. لكن الفتاة كانت حاملاً وولدت طفلاً أراد أخوها طمره في الرمل. إلا أن الأم لم تسمح بذلك وظل الصبي على قيد الحياة. فسماه الأخ "طويق" وأهداه الجنين الموجود في بطن ناقته التي ولدت أنثى. وعندما أصبح عمره 3 سنوات جاء السردية وطلبوا من الدهامشة دفع الخوة. فأعطاهم الدهامشة عدة أشياء من بينها ناقة طويق، لكن السردية رفضوا أخذ الناقة. عندئذ تسلل طويق إلى جمال السردية وقص قطعة من شفتها السفلى ورسم عليها وسم قبيلته. عندما اكتشف السردية في الصباح هذا الاعتداء ظنوا أن الدهامشة قد ثاروا عليهم، هرعوا إلى ظهور جمالهم لكي يهربوا. ولكن ما أن تحركت الجمال حتى سقط الخيالة إلى الأرض لأن طويق كان قد حل أحزمة السروج. وهكذا اندلعت الحرب بين القبيلتين، وعندما كبر طويق قاد عملية الدفاع.

ومنذ ذلك اليوم لم يعد الدهامشة يدفعون خوة.

في وقت لاحق تزوج طويق فتاة من الدهامشة ورزق منها صبياً سماه صخر. رزق صخر ثلاثة أبناء: قعود، وغبين، وغفل، وهم أجداد الأسر الثلاث التي تحمل هذه الأسماء.

كلا الحكايتين تثبتان أن الطوقة من أصل غير معروف، وأن نسب المجموعة، والذي أصبح مرغوباً مؤخراً، إلى الأحامدة ـ حرب (بيكه، ص 214) مختلف لا أساس له. ومن ناحية أخرى يتبين من الحكايتين أن الدهامشة (آ 1 هـ) أقدم من الطوقة الحقيقيين وهم على أرجح الظن بني صخر أصليين. ولذلك لا يظهرون في شجرة النسب التي وضعناها، شأنهم شأن الجحاوشة (آ 1 د) والخضير (آ ع) الذين هم، حسبما ذكرنا في الملاحظة العائدة لذلك في الجدول، من أصل غريب. وكذلك الزبن (آ 2) والهقيش (آ 3)، غير الموجودين أيضاً، ينسبون عند ياوسن، ص 108 (انظر تصنيف بيكه، ص 220) إلى غفل، "ابن" طويق على الشكل التالي:



ولكن هذا النسب هو حسب موزيل، الجزء الثالث، ص 119، ليس النسب الأساسي الأول، وأن كلا القبيلتين أقدم من الطوقة الحقيقيين. ولذلك لا تحتوي شجرة القبيلة إلاّ الفرع آ، ب، حـ من الغبين (آ 1) وعدداً، غير مذكور في الجدول، من عشائر هذه القبيلة الفرعية أو بالأحرى فرعها فايز (في شجرة القبيلة موضوعة بين قوسين أو موصولة مع الجد بخط منقط).

يجب الانتباه إلى أن الجد الذي ينتسب إليه بني صخر قد وضع في شجرة القبيلة باعتباره ابن طويق، عند موزيل على الأقل، ولكن ليس عند ياوسن (ولذلك وضع ضمن علامتي اقتباس)!

3 ـ أسرة من الغبين. الوسم: ⊓ (باب) على صفحة الكتف.

4 ـ أسرة من الغبين. الوسم: ┌ محجان على القدم الأمامية. عند ياوسن، ص 108، يوجد أيضاً أسرة أخ رابع، أو بالأحرى أخ رابع، سحيم.

5 ـ آ 1 حـ.

6 ـ أسرتان من غبين. الوسم: ∧ (شاهد) على الرقبة، أو على الأنف.

7 ـ آ 1 ب.

8 ـ انظر الصفحة 339 أعلاه. ضريحه قرب باير يزار ويحظى بالتكريم؛ موزيل، الجزر الثالث، ص 116.

9 ـ يبدو أن هذه الأسرة من الفايز تسمي نفسها اليوم النمر، انظر ياوسن، ص 156 وما بعدها، موزيل، الجزء الثالث، ص 118، وبيكه، ص 220.

10 ـ أسرة من الفايز، انظر موزيل، الجزء الثالث، ص 118؛ ياوسن، ص 405، بيكه، ص 220.

11 ـ مع اللقب أبو جنيب.

12 ـ قبره في الغور يزار أيضاً؛ ياوسن، ص239، 315 وما بعدها. يقدر ياوسن (1907م) خلف فندي الذكور بسبعين شخصاً.

13 ـ قتل في شعيب حدرج ضد الحويطات، موزيل، شمال الحجاز، ص36.

14 ـ لورنس، ص 531 وما بعدها.

في إطار شجرة نسب الطوقة ثم شرح سؤالين آخرين. كالطواقة يدعي حديثاً الكعابنة (ب) أيضاً بأنهم من أقرباء حرب؛ بيكه، ص 214 وما بعدها. وعن هذا الموضوع لا يمكن قول الكثير بعد أن تمّ أعلاه تقديم البرهان على الصلة التاريخية مع بني صخر العصور الوسطى. ولكن هذا لا ينفي بطبيعة الحال أن يكون حرب قد انضموا إلى مجمع بني صخر عندما كانوا لا يزالون يسكنون في الحجاز.

هناك مسألة أخرى أكثر أهمية: حسب موزيل، ص 116، جاء الخرشان (ب 2)، الذي يسمّون بني محمد أيضاً، من دير الشعر على الفرات؛ وهذه هي حسب نفس المؤلف، الفرات الأوسط، ص 1، دير الزور. هذه المعلومة الغريبة والتي، من الناحية التاريخية، عديمة القيمة طبعاً، تجد كما يبدو سنداً لها في أنه يوجد في دير الزور عشيرة اسمها الخرشان. وقد قال لي خلّوف الصبّاغ، زعيم هذه العشيرة، الذي نزلت عنده عام 1929م في دير الزور، أن عائلته تربطها صلة قربى مع خرشان بني صخر (ب 2)؛ وكلاهما ينحدر من «صخر بن حرب بن قريش»!

بني صخر(1)

شيخ المشايخ: مثقال باشا الفايز

أ ـ الطوقة(2)

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ الغبين(3)	مثقال باشا الفايز	صيفاً: الجيزة شتاء: وادي سرحان؛ الصوان	
أ ـ الفايز(4)			
ب ـ الحامد(5)			
جـ ـ المطيرات(6)			
د ـ الجحاوشة(7)			
هـ ـ الدهامشة(8)			
2 ـ الزبن(9)	سلامة النوفل(10)	صيفاً: الجيزة شتاء: وادي سرحان؛ الصوان	
أ ـ النوفل			
ب ـ العبد القادر			
جـ ـ المحارب			
د ـ الشموط			
هـ ـ العثمان			
و ـ النعام			
3 ـ الهقيش(11)	خلف المور(12)	صيفاً: أم الرصاص؛ الثمد شتاء: الصوان؛ وادي سرحان	

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
أ ـ المهنا			
ب ـ البشير			
جـ ـ الزبدان(13)			
د ـ السالم			
4 ـ خضير(14)	مثقال باشا الفايز	عمان؛ قرية سالم؛ قصر الخرانة	
أ ـ البراذعة	ابن عقل		
ب ـ المزاهيف			
جـ ـ الفضول			
د ـ(15)			
هـ ـ الحبة(16)	ابن الحبة		
و ـ الحصامنة(17)			
ز ـ الهليل			

ب ـ الكعابنة(18)

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ الجبور(19)	ذوقان بن زهير(20)	عمان	
أ ـ الزهير(21)	ذوقان بن زهير		
ب ـ الغيالين(22)	بشير بن ذبلان		50
جـ ـ الفريجات	مزوادة بن زهير		

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
د ـ العكمة(23)	جويعد بن فضل		60
هـ ـ الدهام	النوري		
و ـ الخضر			
ز ـ الجهينة(24)	طاهر قشيش		40
ح ـ الديكة	عواد الفرحان		
2 ـ الخرشان(25)	حديثة الخريشة(26)	صيفاً: عمان شتاء: وادي الراجل	
أ ـ الحنيف	حديثة الخريشة		
ب ـ القضاة			
جـ ـ الحماد	مجلى الكليب(27)		
د ـ الحمد	عارف الحمد		
هـ ـ الثمد	عافت الثمد		
و ـ العيط(28)	شاهر العيط		
ز ـ الصالح	فدعوس الصالح		
ح ـ الغدرة(29)	عيطان الغدور		
ط ـ السليمان	طراد السليمان		
قبائل ملحقة			
1 ـ السلايطة			20
2 ـ السعيدات(30)			
3 ـ النجادات(30)			
4 ـ السعادنة(31)			

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
5 ـ العوازم(32)			100
6 ـ السبيلة			25
7 ـ الشرعة(33)			50
8 ـ القطيفات(34)			15

ملاحظات

1 ـ قوائم القبيلة موجودة عند بوركهاردت، ص 19؛ غارماني، ص 141؛ مجلة الجمعية الألمانية ـ الفلسطينية، لايبزغ، الجزء 24، ص 28 وما بعدها (ليتمان)؛ ياوسن، ص 400 وما بعدها (404 وما بعدها تصحيحات لقائمة ليتمان)؛ موزيل، الجزء الثالث، ص 117 وما يليها؛ هاندبوك، الجزء الأول، ص 58؛ تريير، ص 216 وما بعدها، حسب سلمان؛ بيكه، ص 220 وما بعدها.

عدد الخيام: 1200 ـ 1500. عدد الماشية: 12,000 ـ 15,000 رأس من الإبل، 500 رأس من الخيول.

2 ـ طوقة؟ في شجرة النسب يذكر عدد من عشائر الطوقة غير المذكورة هنا.
الوسم: (طويجي) على الظهر. صيحة الحرب: البواسل رعاة العرفا!

3 ـ صيحة الحرب: أخو بلها! قصة انضمام الغبين إلى الصخر، ليتمان، حكايات بدوية عربية، رقم 4، ليس لها سند تاريخي.

4 ـ الوسم: صيحة الحرب: بلها الفنا!

5 ـ صيحة الحرب: عشما! قبل حوالي خمسين عاماً حاول الشيخ قطفان ابن حامد تشكيل قبيلة خاصة به، ولكن أتباعه، الذين كانوا يتألفون من الصخور والشرارات والحمايدة، تفرقوا بعد وفاته؛ ياوسن، ص 115.

6 ـ صيحة الحرب: عليا!

7 ـ ياوسن، ص 113؛ ينتمون إلى الأزايدة وقد هربوا إلى عند الفايز قبل 80 عاماً تقريباً بسبب قضية ثأر. وما زالوا لا يتزاوجون مع بني صخر. بوركهاردت، ص 20، يذكرهم بين قبائل البلقا.

8 ـ صيحة الحرب: عليا!

9 ـ مذكورون عند بوركهاردت. الوسم: . صيحة الحرب: أخو وضحا! الزبن يقدسون قبر أسعد عند باير؛ ياوسن، ص 267، 314، 318؛ موزيل، الجزء الثالث، ص 116؛ لورنس، ص 407.

10 ـ 1925م كان محمد المفلح، أثناء الحرب العالمية وأبوه مفلح (من فرع شلاش النوفل؟) كان شيخ مشايخ الزبن، وقبله فالح بن شلاش. وينتمي إلى فروع أخرى من العائلة مناور بن فهّار (بداية التسعينيات) ودريبي بن زبن (آخر السبعينيات) (لورنس، ص 403؛ ياوسن، ص 400، 172؛ موزيل، ص 117؛ بلونت، الحج، الجزء الأول، ص 72). الأكثر شهرة هو طراد بن قمعان بن عودة بن مفاور بن هديرس بن نوفل بن فرج بن زبن، الذي كان في حرب الرولة في نهاية القرن عقيد بني صخر. توفي عام 1902م (موزيل، ص 119؛ ياوسن، ص 167)، وورث ابناه فهد وعذب منصب أبيهما، انظر الصفحة 342 أعلاه.

11 ـ مذكورون عند بوركهاردت. الوسم: مثل وسم الزبن.

12 ـ ياوسن، موزيل: ضيف الله المور.

13 ـ مذكورون عند بوركهاردت.

14 ـ قبل حوالي 150 سنة ضمهم الطوقة بصفة طنيب (جيران الخيام) إلى صفوفهم. ثم تزوج زعيمهم فتاة من الغبين؛ موزيل، ص 120. الوسم: على الفخذين.

15 ـ برغوثي: الفقرة؛ موزيل: "القنوع"؛ بيكه: القنوة.

16 ـ بيكه: اللحية.

17 ـ بيكه: الحصاينة.

18 ـ هاندبوك: 500 خيمة.

19 ـ الوسم: T على الورك الأيمن. صيحة الحرب: خيال العرفا يا سلمى [يا سلمي؟] (أولاد باسل)!

20 ـ ياوسن: سالم بن زهير.

21 ـ مذكورون عند بوركهاردت.

22 ـ يقال بأنهم من شمر.

23 ـ يزعمون أنهم حرب من خيبر.

24 ـ من القبيلة المشهورة في الحجاز.

25 ـ الوسم: ⊡ (صندوق). صيحة الحرب: أخو فلوى!

26 ـ سلسلة النسب: حديثه بن علي بن عبد الله بن الحميدي بن خلف بن سالم بن سليم بن محمد. السابق: علي الـ (خريشة)، 1870م، إزابيل بورتون، الحياة الداخلية لسورية وفلسطين والأراضي المقدسة، لندن 1875م، الجزء الأول، ص 69؛ عبد الله الخريشة، 1864م، غارماني، ص 141.

27 ـ حسب موزيل، ص 121، الكليب منضمون إلى الخرشان.

28 ـ بيكه: العطية.

29 ـ بيكه: القدور.

30 ـ من غزة.

31 ـ جبارات.

32 ـ أوتينغ (الجزء الأول، ص 82) التقى بهم في كاف.

33 ـ ينتمون إلى زبيد حوران، انظر الجزء الأول، ص 492، 495.

34 ـ بني حسن.

السلايطة

يسكن السلايطة على الطرف الشرقي للبلقا من وادي الثمد حتى اللجّون. في الماضي كانوا يقيمون في منطقة أبعد إلى الجنوب عند شوبك[1]. وقد انتقلوا حديثاً إلى الزراعة ولهم أراض زراعية في المشيرفة واللهون. وهم مرتبطون باتحاد مع بني صخر.

السلايطة(1)

شيخ المشايخ: معزّى الغثيان

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ الرجيلات	نوفل أبو رجيلة	شتاء: قصور بشير/ صيفاً أم الرصاص؛ الثمد	58
2 ـ الغيثان	معزّى الغثيان	شتاء: قصور بشير/ صيفاً أم الرصاص؛ الثمد	42
3 ـ الشبيكات	ضفدع الشبكي	شتاء: قصور بشير/ صيفاً أم الرصاص؛ الثمد	

(1) موزيل، ص 106.

ملاحظات

1 ـ بوركهاردت، ص 22. يوجد قوائم عند ياوسن، ص 396، وموزيل، ص 106. صيحة الحرب: بني مسلط! الوسم: ——— (شارب) على الخد الأيسر، وسومات أخرى عند موزيل.

الحمايدة

تقع منطقة الحمايدة على الجانب الشرقي للبحر الميت وتمتد من الزرقا ماعين في الشمال حتى وادي بني حمّاد في الجنوب، أي أنها تشمل منطقة الجبال والكورة وجزءاً من منطقة الكرك. ينتمي الحمايدة إلى جماعة قديمة من السكان الفلاحين يطلق عليهم اسم بني حميدة وكانوا ينتشرون حتى البترا[1] ولا يزالوا ممثلين حتى اليوم في المناطق الواقعة جنوب وادي الحسا.

تاريخ الحمايدة متشابك مع تاريخ الكرك. فقد كانت لهم هناك ملكيات عقارية، لكن العمرو طردوهم من هذه المنطقة في النصف الأول من القرن الثامن عشر (انظر المقال المقبل). وعندما عادوا بموافقة أهالي الكرك تمكّنوا من استعادة جزء من أملاكهم. إلا أن الشيخ يوسف، شيخ الكرك، حرض ضدهم العمرو ثم انقض عليهم بعد إضعافهم نتيجة صراعهم مع العمرو وطردهم إلى وراء وادي بني حماد. وقد حاولوا عبثاً استعادة أراضيهم عند الكرك وكانت آخر محاولاتهم الفاشلة التماس قدموه عام 1929 للأمير عبد اللّه[2].

---

(1) موزيل، شمال الحجاز، ص 321 (حسب سيتزن) يعتقد أنهم موجودون في تبوك أيضاً، لكن الحميدات (عند بوركهات، رحلات في سورية، ص 659: "حميّدة") الموجودة هناك هم حسب فالّين، مجلة الجمعية الجغرافية الملكية، لندن، 1851م، ص 313، من كعب، أي كعابنة (بني صخر).

(2) انظر موزيل، الجزء الثالث، ص 84؛ سيتزن، الجزء الأول، ص 415، بيكه، ص 173 ـ 176.

وفي الشمال أيضاً كان الحمايدة يعملون منذ القدم في الزراعة، وخاصة في سهل الكورة[1]. وتحظى القبيلة بسمعة سيئة جداً عند الرحالة الأوروبيين الذين جاؤوا إلى المنطقة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر. لكن الأتراك أخضعوها تماماً في التسعينات وصارت منذئذ تدفع 3000 ضرائب[*] كل عام) كان الشيوخ الصغار مسؤولين عن جمعها.

ولعل هذا الوضع الضريبي هو الذي جعل أعضاء المجمع يتشرذمون إلى حد كبير، كما يتبيّن من الملاحظات العائدة للجدول. وعلى أي حال فإن العنصر المتبقي تشكله عائلات الشيوخ الثلاث: ابن طريف، وأبو بريز (1)، وأبو ربيحة(2)، ويتمتع شيخ المشايخ ابن طريف بنفوذ واسع عند حمايدة الكرك فقط، أما في الجبال والكورة فلا يطيعه إلاّ الجماعين والضرابعة والرواحنة (3 آ، ب، هـ).

الحمايدة(1)

شيخ المشايخ: سليمان بن طريف(2)

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ الفواضلة(2)	شهوان أبو بريز(3)		180
أ ـ الهواوشة(4)	حسن الهواوشة	الكورة	
ب ـ الحمادين(5)	حسن الهواوشة	الكرك	
جـ ـ القبيلات(6)	رفيعة بن صالح	الجبال	
د ـ الشقور(5)	رفيعة بن صالح	الكرك	
هـ ـ العجالين	خلف العجالين/ فياض الطوالبة	الجبال	

(1) سيتزن، الجزء الثاني، ص 335.

(*) 3000 ليرة تركي أو عملة أخرى لم نتأكد من معرفتها (ماجد شبَّر).

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
و ـ الطوالبة(7)	خلف العجالين/ فياض الطوالبة	الجبال	
ل ـ المواضية(5)			50
1 ـ الخمايسة			
2 ـ المطارقة			
ك ـ البريزات(8)	شهوان أبو بريز		
2 ـ اللبادنة(9)	ساري أبو ربيحة	الكورة	
أ ـ الحواتمة (الزعيرات)(10)	سليم بن عيد		
ب ـ اللوانسة(11)	محمد أبو خروب		
جـ ـ الشراونة(12)	حسن الشراونة		
د ـ القواسمة	نجيب الرواشدة		
هـ ـ الربيحات	هديبان الربيحات		
3 ـ النهضا(13)			300
أ ـ الجماعين(14)	عبد الله بن مبارك	الجبال	
ب ـ الضرابعة(15)	تايه بن مصطفى	الكرك؛ الجبال	
جـ ـ الحيصة(16)	فالح بن عودة	الجبال	
د ـ الديارنة(17)	عبد الله الديارنة		
هـ ـ الرواحنة	داوود الرياحنة	الكورة	
و ـ الكواملة	يوسف الكواملة		
ز ـ الشخانبة(17)	عيد بن عليان	الجبال	

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
4 ـ التوايهة(18)		الجبال	200
أ ـ الهروط	خلف الهروط		
ب ـ الربطة	نبيه بن مسلم		
جـ ـ الشورة	مفلح بن سليم		
د ـ القعايدة	نورى البشير		
هـ ـ الفقها	مصلح العبد ربه		

ملاحظات

1 ـ يتطابق الجدول إلى حد كبير مع بيكة، ص 253 وما يليها. موزيل، الجزء الثالث، ص 103 وما يليها، وياوسن، ص 397 وما بعدها، يقسمان الحمايدة إلى ثلاث قبائل فرعية: الطرفا (ابن طريف)، والشراونة (أبو ربيحة)، والفواضلة (أبو بريز). ويبدو أن القبيلة الأولى قد تفككت في هذه الأثناء[1]، تظهر فروعها عندنا تحت: الفواضلة (1) والنهضا (3): أما القبيلة الفرعية الثانية (الشراونة) فهي تتطابق مع اللبادنة (2) عندنا.

2 ـ **صيحة الحرب: العمور!**

3 ـ **الشرق الحديث، 1933م**، ص 362، يذكر عبد العزيز أبو إبريز = بريز.

4 ـ يوجد هواوشة **أيضاً** بين الشراونة. الوسم: // على الخد الأيمن.

5 ـ موزيل وياوسن عن الطرفا، انظر بيكه، ص 358. وسم الحمادين والشقور: ∩ على الخد الأيمن.

---

(1) بعض أجزائها متحدون عند بيكه في جدول ثان (بني حميدة الكرك، انظر الملاحظة 5).

6 ـ الوسم: (ناطح؟، أقرب إلى الشعبة، موزيل). صيحة الحرب: أخوات فتنة!

7 ـ الوسم: على الخد الأيمن.

8 ـ الوسم: على الخد الأيمن. صيحة الحرب: ابن برزة!

9 ـ عند موزيل، كما ذكرنا أعلاه، شراونة، ولكنه يطلق على وسمهم (على الخد الأيمن) اسم «اللبدي»؛ إضافة إلى ذلك يوجد لديه فرع اللبدة الذي يشمل الرواشدة (الذين هم هنا اسم عائلة شيوخ القواسمة د)، وهم مذكورون عند بيكه أيضاً.

10 ـ صيحة الحرب: أخو حربه!

11 ـ موزيل: "إوانسة"؛ ياوسن: "ونسة". صيحة الحرب: أخوات سلمى!

12 ـ صيحة الحرب: راعي المليحة، شروي!

13 ـ التعبير يرد عند البرغوثي فقط. بيكه يذكر بدلاً منه: المطارفة. عنده وعند موزيل يشكل آ، و، ز الفرع د (الديارنة). الذي يضعه مويزل، بالإضافة إلى الفرعين ب، هـ، مع الطرفا، على الرغم من أنه يخيم مع التوايهة (4).

14 ـ الوسم: O على الأذن اليمنى.

15 ـ الوسم: على الأنف.

16 ـ موزيل يضعهم تحت الديارنة (3 هـ)، ياوسن مع الطرفا مباشرة، وبيكه مع الشراونة ـ اللبادنة! الوسم: O يساراً.

17 ـ الوسم على الصدغ الأيمن.

18 ـ موزيل وياوسن يضعاهما مع الفواضلة. صيحة الحرب: أولاد تايه!

العمرو

لقد جمع حكايات العمرو عن العصر الذهبي للقبيلة كل من ب. ديسّار[1] وموزيل[2] (ويتضح من النص أنهما اعتمدا على المصدر نفسه). سنحاول فيما يلي رسم صورة لتاريخ القبيلة مشيرين إلى أن التسلسل الزمني يسبب كالعادة بعض المصاعب.

العمرو هم بنو عقبة، أي جذام. وبعد خلاف مع القبيلة الشقيقة المسالمة[3] تركوا موطنهم قرب مويلح على البحر الأحمر وهاجروا نحو الشمال تابعين مجموعات أخرى من عقبة. وتذكرهم قائمة الصرة التركية لعام 1676م[4] على هذا الجانب من الكرك، وتذكر حكاية القبيلة أن منخفض الجفر كان إحدى قواعدهم. وكانوا ينطلقون من هنا بقيادة شيخيهم هزاعل نصيري وأبو عرينة لشن غزوات سلب ونهب ضد الأحيدات في الغرب، الذين كانوا آنذاك يمتدون من الكرك حتى الشراه، وضد السرحان في الشرق الذين كانت واحدة الجوف في حوزتهم[5]. وفي

(1) ريفو بيبليك، 1905م، ص 410 ـ 425 (مسجلة عام 1898م).

(2) الجزء الثالث، ص 70 وما يليها..

(3) فالين، مجلة الجمعية الجغرافية الملكية، لندن، 1851م، ص 300.

(4) أرشيف عثمان باشا، رقم 44. راشد، الجزء الأول، 255، يقرأها خطأ "المعمور".

(5) موزيل يضيف هنا مقطعين يظهر فيهما العمرو سادة الجوف.

نهاية القرن السابع عشر اضطر الأحيدات إلى الرحيل إلى غزة هرباً من العمرو. وعندئذ أحتل العمرو بقيادة الشيخ ابن قيصومة (ديسّار: ابن قيصوم)، وبموافقة القبيلتين المحليتين الحمايدة والحجايا، منطقتي الكرك والطفيلة (جبال)، بينما احتفظ العمرو التابعين لابن ثبيت بمنطقة القبيلة القديمة على امتداد طريق الحج من الخمّان (قرب عمّان) حتى القطرانة. وقامت مجموعات منفردة من العمرو، ومنها المزيّك وابن سعيفان[1]، بالدخول إلى البلقا ذاتها وإلى وادي الأردن.

وبذلك كان العمرو في بداية القرن الثامن عشر[2] ثاني أهم قبيلة، بعد السردية، في شرقي الأردن. وكانت منطقتا نفوذ القبيلتين تتقاطع في بعض المواقع: كان العمرو يتقاضون خوة من قرى في جنوبي حوران، وكان السردية يتقاضون خوة من الحمايدة قرب الكرك. ولذلك لم يكن بدّ من حدوث خلافات فيما بينهم. وقد أدت النزاعات التي وقعت بين عمرو الكرك والحمايدة[3] إلى جعل ابن قيصومة يطلب النجدة من ابن قبيلته ابن بثيت. وتدخل السردية لصالح الحمايدة الموجودين تحت حمايتهم ولكن تدخلهم جاء متأخراً. فقبل أن يتمكن مبعوث شيخ السردية المحفوظ من تقديم اعتراضه كان ابن ثبيت قد دخل عبر لجّون إلى منطقة الحمايدة وهزمهم عند شيحان. فهرب الحمايدة مع نسائهم وأطفالهم عبر الموجب إلى وادي الأردن. وفي وقت لاحق حاول السردية عبثاً إعادة الحمايدة إلى ديارهم: فقد تجمعت القبيلتان في لجّون بينما تجمع العمرو وحلفاؤهم عند القصر، ونشبت معركة هزم فيها العمرو. ولكن عندما هجم المنتصرون على

---

(1) بشأن المزيك قارن الملاحظة 6 الخاصة بصقر في قسم فلسطين ص67، وبشأن ابن سعيفان مقال المشالخة.

(2) الشيخ ظاهر الذي تقول حكاية القبيلة أنه كان في هذا الوقت زعيم النقرة، يمكن أن يكون هو نفس شيخ الصقر الذي يحمل الاسم نفسه (انظر ص 61 ـ 62 أعلاه).

(3) حسب حكاية القبيلة وقعت هذه الأحداث والأحداث اللاحقة في عهد خليل المجالي، أي في النصف الثاني من القرن الثامن عشر. وهذا التاريخ يتطابع أيضاً مع أقوال بوركهاردت، رحلات في سورية، ص 381.

معسكر المهزومين عند مدّين للاستيلاء على الغنائم انقلب الوضع رأساً على عقب وتحوّل المطارِدون إلى مطارَدين.

بعد هذا النصر يبدو أن العمرو من جماعة ابن ثبيت أيضاً استوطنوا في منطقة الكرك. فاستولوا مع مجموعات ابن لصيم وأبو عرينة على الأراضي الواقعة جنوب المدينة، بينما استولى على المدينة نفسها وعلى منطقة الشمال حتى وادي بني حمدان ابن قيصومة وابن عون وابن ياسر. وبعد ذلك بوقت قصير اختفت مجموعة الشمال: فقد انهزم ابن قيصومة في نزاع حول المراعي الشتوية في غور المزرعة أمام ابن ثبيت.

وهكذا كانت القبيلة قد ضعفت عندما ظهر لها بين سكان الكرك خصم جديد في نهاية القرن الثامن عشر: عندما دخل العمرو إلى منطقة الكرك (في بداية القرن الثامن عشر) كانت الكرك نفسها في يد الإمامية، أحفاد جنود أتراك، وكانت الأراضي الزراعية في يد الحمايدة. وقد طلب هؤلاء من ابن قيصومة طرد سكان الكرك منها. وعندما اندلعت الحرب بين العمرو والحمايدة أمل أهالي الكرك في العودة إلى ديارهم. ولم يحقق لهم ابن قيصومة أمنيتهم لكن ابن ثبيت أخذ على عاتقه حماية "الفلاحين الفقراء" ومكّنهم من العودة. ولكنه وقع بذلك في خطأ جسيم. فخلال وقت قصير أصبح "الفلاحون الفقراء" بقيادة عائلة شيوخهم الجديدة، عائلة المجالي، جيراناً خطيرين لعمرو[1]. فقد تحالفوا مع الحويطات، الذين كانوا في هذه الأثناء قد تقدّموا إلى وادي الحسا، وطردوا العمرو إلى البلقا (حوالي عام 1775م). نزل العمرو في بادئ الأمر عند العدوان، وفي وقت لاحق على الجانب الغربي من البحر الميت[2]. وبما أنهم لم يتمكنوا من إيجاد مقر دائم

(1) حكايات القبيلة تصل إلى هنا فقط، من الآن فصاعداً سنعتمد على بوركهاردت، رحلات في سورية، ص 381. حكايات أهالي الكرك تضع بني صخر مع الحمايدة والحجايا محل الحويطات (انظر أدناه)، راجع بيكه، ص 172، وكذلك ديسار، المصدر السابق نفسه.

(2) من ذلك الزمن يأتي العمرو الموجودون اليوم في قبائل العبّاد والتعامرة والكعابنة.

لهم في أي مكان، فقد اضطروا عام 1805م العودة إلى ديارهم بالقوة. وعند مسيرهم حول الزاوية الجنوبية للبحر الميت تكبدوا خسائر فادحة على يد الترابين، لكن الشيخ يوسف، شيخ الكرك، سمح لهم بالبقاء في منطقته. وكانوا في هذه الأثناء قد تراجعوا من 1000 خيمة إلى 200 خيمة. وفي الوقت الحاضر لا يزيد عددهم على 80 خيمة. وهم يسكنون اليوم شمال الكرك قرب دفعة وقرب البالوع جنوب الموجب. وقد تخلوا عن حياة البداوة.

العمرو(1)

شيخ المشايخ: غافل أبو ثبيت

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ الزواملة	سالم بن هادي	البالوع	30
2 ـ الفوايدة (الردوس)(2)	وادي الفوايدة	البالوع	8
3 ـ الغشاشمة	رشيد الغشاشمة	البالوع	4
4 ـ اللصايمة	رشيد اللصايمة	البالوع	5
5 ـ الشلالحة(3)	حسين الشلالخة	شمال وادي بني حماد	15
6 ـ الجرادات(3)	حسين الشلالخة	شمال وادي بني حماد	
7 ـ اللحاوية	فلاح الحاوي		5
8 ـ الثبيتات	غافل أبو ثبيت		5
9 ـ العرينات	سالم بن هادي		8

ملاحظات

1 ـ من القبائل الفرعية التي ذكرت في وقت سابق يظهر هنا الثبيتات (ابن ثبيت) واللصايمة (ابن لصيم) والعرينات (أبو عرينة). يقسم موزيل، الجزء الثالث، ص 84، القبيلة إلى: ثبيتات (من 1 حتى 8) وعرينات (9). صيحة الحرب: بني عقبة، عيال زندع! الوسم على الخد الأيمن.

2 ـ انظر مقال بني عقبة، الملاحظة قبل الأخيرة في الفصل القادم.

3 ـ ينحدرون من القشعم، الذين يسكنون اليوم في العراق، ولكنهم كانوا سابقاً في الجزء الجنوبي من البادية السورية.

الكرك

إن الظاهرة المتميّزة لوجود حياة البداوة والحضر جنباً إلى جنب في عدد قليل من التجمعات السكنية جنوب الزرقا، هي في الكرك متجلية بأوضح صورها. "يقوم سكان الكرك بزراعة السهول في الجبال المجاورة، وترعى ماشيتهم في الأماكن غير المزروعة. ويخيم ثلث السكان طيلة العام على بعد ساعتين أو ثلاث من المدينة لكي يحرسوا قطعانهم. أما البقية فلا يخيمون هنا إلا في أوقات الحصاد. . . . وعندما يكونون هنا يعيشون كالبدو تماماً، في الملبس والمأكل واللهجة"[1]. وقد نشأت هذه الظروف المتميّزة لأن المدينة وما حولها تركت وشأنها على مدى عدّة قرون. في العهد المملوكي كانت الكرك عاصمة المنطقة، وقد أهملها الأتراك مما جعلها تقع بعد وقت قصير تحت سيطرة حكام محليين. ففي النصف الأول من القرن السابع عشر كانت المدينة في يد أمراء الطرباي، وفي وقت لاحق في يد قبيلة الأحيدات. صحيح أن عثمان باشا حاكم دمشق احتل المدينة عام 1090هـ/ 1679م ولكنها لم تبقَ سوى فترة قصيرة تحت الإدارة التركية[2]. ومع احتلال سورية من قبل المصريين (1831م) بدأ بالنسبة للكرك أيضاً

---

(1) بوركهاردت، رحلات في سورية، 387 وما بعدها.

(2) انظر الشرح المفصل ص 261 ـ 262 أعلاه. المصادر: جيهان نُما، ص 570؛ أرشيف عثمان باشا رقم 46؛ 33، 36 وما بعدها. إن ادعاء ابن جمعة، المصدر السابق، نفسه، ص 10، بأنه حتى الآن، أي حتى 1156هـ/ 1734م، كانت تأتي من دمشق كل عام مجموعة من الجنود

عصر جديد: فقد أمر إبراهيم باشا باحتلال المدينة. صحيح أن السكان تمكّنوا من التغلب على الحامية المصرية ولكن عندما ظهر إبراهيم باشا شخصياً عام 1834م أمام المدينة استسلمت المدينة بعد معركة قصيرة. وفي عام 1841م انسحب المصريون، ولكن بعد ذلك بوقت قصير بدأت حملات جباية الضرائب التركية تزور المدينة التي احتلتها بعدئذ القوات الحكومية عام 1893م[1].

تعود الروايات التاريخية التي يتناقلها أهالي الكرك إلى القرن الثامن عشر، إلى الفترة التي تمكن فيها، الكركيون بقيادة عائلة الشيوخ المجالي من انتزاع استقلال المدينة من القبيلتين البدويتين العمرو والحمايدة. في بادئ الأمر كان الكركيون في وضع سيئ. فمع طردهم إلى جبال الخليل بدا أنهم قد فقدوا موطنهم نهائياً (منتصف القرن الثامن عشر). إلا أن المعارك التي دارت بين العمرو والحمايدة مكنتهم من العودة، وبعد عودتهم مباشرة بدأ نهوض المدينة المفاجئ. وفي السبعينات أجبر العمرو على مغادرة البلاد، وفي القرن التاسع عشر واجه الحمايدة المصير نفسه. وبالطرق السليمة أيضاً وسّع الكركيون أملاكهم: كانوا في الأصل يستأجرون الأراضي، وشيئاً فشيئاً أصبحوا مالكين لها حيث اضطر البدو المثقلون بالديون إلى التخلي عما لهم من أراض هناك[2]. وفي بداية القرن الحالي وصلت

الإنكشاريين لتبديل حامية الكرك، هو ادعاء صحيح، ولكن هذه الحامية كانت تعيش تحت رحمة الكركيين. وعلى أي حال، فإن الحكايات المحلية (عند بيكه، ص 163)، التي لم تزل تحتفظ ببعض الذكريات عن الأوضاع السائدة بين عام 1677 ـ 1679م، لا تذكر شيئاً عن حكم عثماني بعد ذلك الوقت.

(1) موزيل، الجزء الثالث، ص 90؛ بيكه، ص 176، 1892م.

(2) تجدر الإشارة إلى أن نظام الملكية العقارية غير الموزعة على الأفراد ظل سائداً في الكرك زمناً طويلاً. كانت الأراضي تقسم كل عام إلى ثلاثة أقسام حسب المجموعات السكانية الثلاث: الشراقة والغرابة والمسيحيين. وكان هؤلاء يوزعون بعدئذ الأراضي على القبائل والعائلات بالقرعة. لم يكن يوجد حق شخصي إلا في الأراضي التي تستصلح جديداً؛ كان يسمح لمن يستصلحها بزراعتها ثلاث مرات قبل ضمها إلى الملكيات العامة (أي ملكية القبيلة) وفي الوقت الحاضر يتسع نطاق الملكيات الخاصة.

أملاكهم في الشمال إلى الموجب، وفي الجنوب إلى العينة، وفي الغرب إلى بثينة، وفي الشرق إلى لجّون.

ينقسم سكان الكرك إلى ثلاث مجموعات: الشراقة، والغرابة، والمسيحيون. حصلت المجموعتان الأوليان على اسميهما من موقع الحي الذي تسكنه كل منهما "شرقي" و"غربي". وليس لهذا التقسيم أي معنى نَسَبي (من ناحية النسب) ولكن له أهمية سياسية واقتصادية (انظر الملاحظة 2 ص374 أعلاه). ومن مرحلة قديمة تنحدر مجموعة الإمامية الموزعة اليوم بين الشراقة والغرابة. وقد كانت تحكم الكرك قبل العمرو[1]، وهي حسب الحكايات المتناقلة محلياً من أصل تركي، وهذا افتراض تؤكده أسماء بعض قبائل الإمامية، ومنها على سبيل المثال، قبيلة الأغوات. فهم أحفاد جنود إنكشاريين انقطعت صلاتهم مع مراكزهم وبقوا هنا، وهذا ما حدث أيضاً في وقت لاحق مع جنود إبراهيم باشا الذين استوطنوا في منطقة الكرك. كما أن بقية السكان جاؤوا إلى المدينة في وقت حديث نسبياً، وقد جاء معظمهم من فلسطين (الخليل ونابلس)، وجاء جزء صغير منهم حوران ومن الجنوب (الجبال، الشراه). وينطبق هذا أيضاً على غالبية القبائل المسيحية، بينما هناك قبائل أخرى، ومنها العزيزات مثلاً، قد تعود إلى ما قبل العصر الإسلامي[2].

القبائل المسيحية هي ظاهرة خاصة بالكرك. وهي متساوية من الناحية القانونية مع القبائل الإسلامية ولا تقل عنها كفاءة من ناحية المقدرة القتالية. ولكن بينما يذكر بوركهاردت 150 عائلة مسيحية مقابل 400 عائلة مسلمة، فقد تغيّرت هذه النسبة حديثاً لصالح المسيحيين بسبب هجرة ثلاث قبائل إلى مادبا الأمر الذي أزعج المجاليين الذين كانوا يعتبرونهم أفضل سند لهم. ينتمي المسيحيون، فيما عدا بعض الاستثناءات القليلة، إلى الغرابة.

---

(1) بصفتهم مالكين سابقين للأراضي لا تقبل شهادتهم رمام المحاكم في القضايا المتعلقة بالملكيات العقارية، لأن القرار سيكون عندئذ دائماً لصالحهم.

(2) انظر د. هارتمان، في الإسلام، الجزء الثاني، ص 137.

تمتد الكرك منذ زمن طويل مع شوبك ومعان الشامية وبني عطية ضد جبال (طفيلة) التي تتحالف بدورها مع الحويطات[1]. وقد أدى التناقض بين هاتين القوتين في أحيان كثيرة إلى نشوب صراعات دامية، نذكر منها معركتي زوبر ووادي موسى 1873 و1876م اللتين ما زالتا حيتين في الذاكرة حتى اليوم. كان الكركيون في كثير من الأحيان خصوصاً أنداء للبدو، ومع ذلك كانت بعض قبائل الكرك ترى أنه من الأفضل ضمان سلامة المدينة ضد بني صخر والحجايا والحويطات عن طريق دفع خوة.

(1) انظر أيضاً بيكه، ص 176.

المجالي (المجالية) عائلة شيوخ الكرك

جاء المجالي من الخليل. وهم يرجعون نسبهم إلى عائلة تميم الداري المقيمة هناك منذ فجر الإسلام. أما اسم المجالي[1] الذي يعني "المهاجرين" فيقال أنهم حصلوا عليه أثناء الاضطرابات التي حدثت في الخليل في عام 1473م[2] وأدت إلى معاقبة أو نفي نبلاء المدينة. وفي عام 1700م جاء إلى الكرك رجل من المجالي كان يجمع صدقات لمزار الخليل، فتزوج هناك وأقام عند الداوودية (صرايرة)[3]. وخَلَفَهُ خليل هو الرجل الذي يعود له الفضل في حصول المجالية على مركزهم[4]. فقد برز بداية خلال عيش الكركيين في المنفى في جبال الخليل حيث تزوج ابنة رجل نبيل هناك. وبعد العودة قاد السياسة التي أدت في النهاية إلى تحرير المدينة من نير السلطة البدوية. وتابع هذه السياسة من بعده خليفته يوسف الذي كان متفوقاً على مواطنيه بقدراته الجسدية والذهنية (بوركهاردت). توفي يوسف عام 1832م[5]

(1) انظر بيكه، ص 173.

(2) البرغوثي لا يضع تاريخاً، ولكن انظر (الإنس الجليل»، الجزء الثاني، ص 632.

(3) موزيل، المصدر السابق نفسه، ص 76.

(4) رواية بيكه (ص 173) التي تعيد الفضل في إخضاع العمرو إلى أخوي خليل، حمد وسالم (انظر الملاحظة 1 العائدة لشجرة نسب المجالي)، تتناقض مع حكايات العمرو.

(5) دوك دي لوين à l'epoque de la Prise de Saint-Jeam L'Acre par Ibrahim-pacha، الجزء الثاني، ص 121.

فخلفه ولداه إسماعيل وعبد القادر؛ الأول (إسماعيل) أخذه إبراهيم باشا أسيراً وأعدمه في القدس (مع ابن أخيه صالح بن عبد القادر). وكان محمد بن عبد القادر، الذي حكم من عام 1856م حتى عام 1888م، شخصية بالغة الأهمية. تقارير الرحالة تجعل منه رجلاً مخيفاً؛ ولكن المسؤولية عن الخلاف مع الأوروبيين لا يتحمل مسؤوليته محمد نفسه وإنما المترجمون، حسبما أثبت آبيه ديسّار (Abbé Dissard)[1]. أما ابنه صالح فقد كان من النوع الذي لا يستطيع الوقوف في وجه أقربائه، وقد أصبحت الكرك في عهده تركية.

وفي عام 1910م ثار عبد القادر، ابن صالح، ضد الأتراك لأنه أراد تفادي المخططات التركية لنزع سلاح القبائل وفرض التجنيد الإلزامي. إلا أن الثورة فشلت لأن الحامية تلقت دعماً من سامي باشا الذي كان آنذاك موجوداً في جبل الدروز (انظر الجزء الأول، ص 185). تمكن عبد القادر من الفرار وأعفي عنه فيما بعد لكنه استدعي إثر ذلك إلى دمشق وتوفي هناك ـ يقال بأنه مات مسموماً[2].

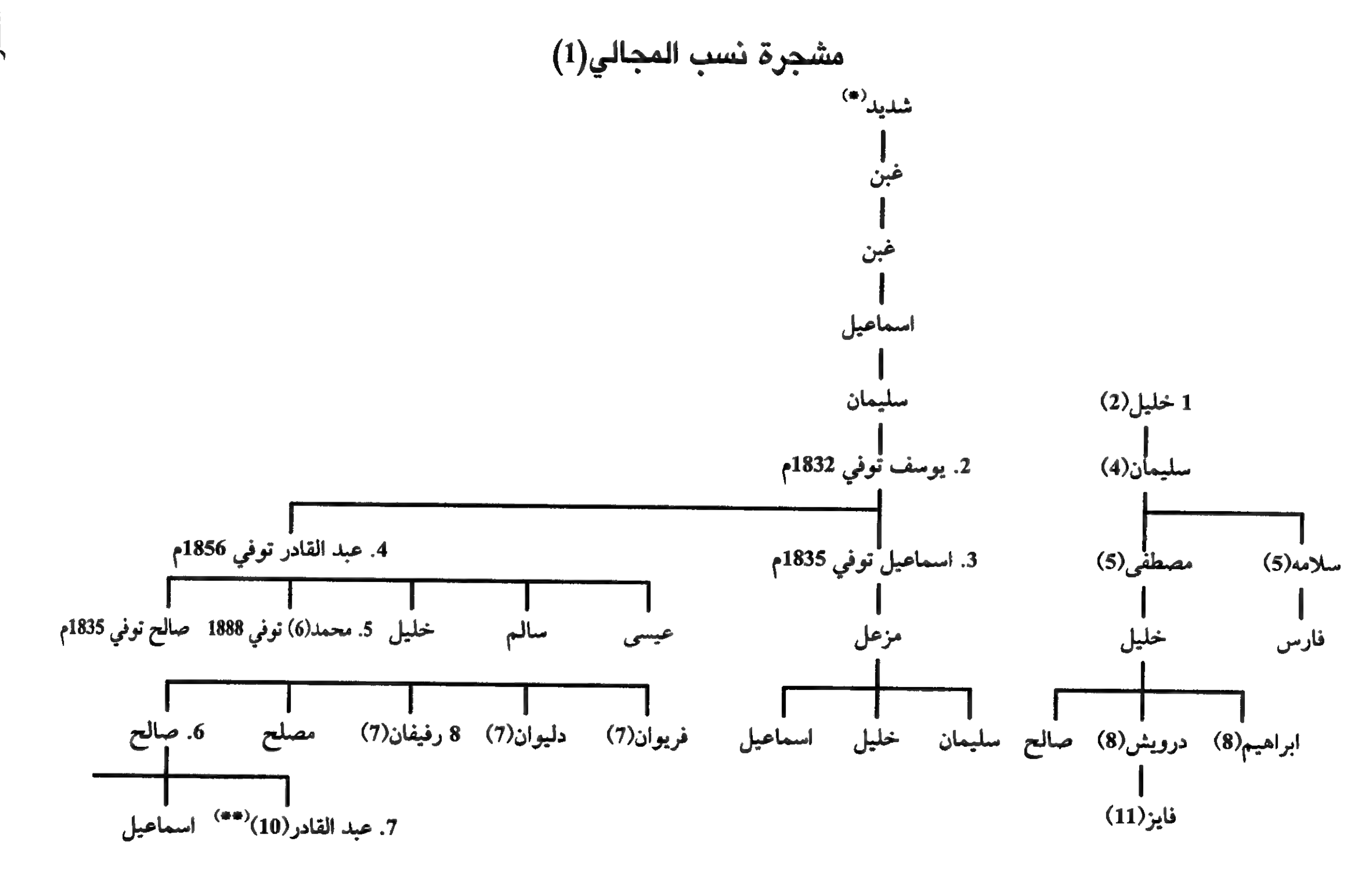
يعدّ رئيس المجالية الحالي، رفيفان باشا[3]، من الأتباع المخلصين للأمير عبد اللّه بينما يقود المعارضة القومية شيخ الطراونة (أ II 1)، حسين باشا الطراونة[4].

(1) ريفو بوبليك، باريس 1905، ص 424 Revue Biblique.

(2) بيكه، ص 184 وما يليها..

(3) حسب الشرق الحديث، 1937، ص 148، يبدو وكأن ليس رفيفان باشا وإنما جميل المجالي، ابن عطوي (في النص: عطوني) باشا المتوفى (انظر الملاحظة 9 العائدة لشجرة النسب، ب1 ـ آ1 من الجدول)، هو شيخ مشايخ قبائل الكرك. ولكن هذا غير صحيح.

(4) الشرق الحديث، بسيم.


مشجرة نسب المجالي(1)
شديد(*)
غبن
غبن
اسماعيل
سليمان
2. يوسف توفي 1832م
3. اسماعيل توفي 1835م
مزعل
سليمان
خليل
اسماعيل
4. عبد القادر توفي 1856م
عيسى
سالم
خليل
5. محمد(6) توفي 1888
صالح توفي 1835م
فريوان(7)
دليوان(7)
8 رفيفان(7)
مصلح
6. صالح
7. عبد القادر(10)(**)
اسماعيل
1 خليل(2)
سليمان(4)
سلامه(5)
فارس
مصطفى(5)
خليل
ابراهيم(8)
درويش(8)
صالح
فايز(11)

(*) لو نظرنا إلى شجرة النسب التي يقدمها فردريك ج بيكه في كتابه تاريخ شرقي الأردن وقبائلها يجد الفرق الكبير مع شجرة التي يقدمها أوبنهايم حيث يذكر فردريك مثلاً أن تسلسل الذي يأتي من شديد الخليلي كالآتي:

شديد ← جلال ← أحمد ← سالم ← محمد

محمد: غابن ـ الغبن / سالم: سليمان، جبر / خليل / حمد

(ماجد شبَّر).

(**) يذكر فردريك بيكه أن أبناء عبد القادر هم اثنان عطوى وقدر. (ماجد شبَّر).

(***) لا يوجد هامش رقم 3 على المشجرة ويبدو أنها سقطت بالطباعة. (م. شبَّر).

ملاحظات عن مشجرة نسب المجالي

1 ـ وضع الخط الرئيسي من الشجرة، اليوسف، إستناداً إلى دوك دي لونيه (1869م)، الجزء الثاني، ص 116، و121. (شجرة بيكه، ص 348، تختلف اختلافاً كبيراً عن هذه الشجرة. فهو يسلسل أجداد يوسف على الشكل التالي: يوسف بن سليمان، : بن سالم بن محمد بن سالم بن أحمد بن جلال بن شديد). ووضع الخط الفرعي، السليمان، استناداً إلى أخبار متفرقة عند موزيل، الجزء الثالث، وكلا المجموعتين اليوسف والسليمان موجودتان أيضاً في الجداول (ب1 ـ 1 أ، ب). والغبون (جـ) المذكورون هناك مشتق اسمهم من غبن، كما يثبت لقب "قوم الجد".

2 ـ حسب شجرة بيكه يكون خليل وأخواه حمد و"غابن" أعمام يوسف، وحسب ديسّار، المصدر السابق، ص 421 يكون خليل أخا يوسف، وحسب بوركهاردت، رحلات في سورية، ص 381، يكون خليل عم يوسف (هذا إذا ما كانت الجملة الواردة عنده تتعلق به فعلاً، حيث يقول: "اتفق عم شيخ الكرك الحالي، يوسف، مع الحويطات وهاجم معهم بني عمرو".

3 ـ يقدر إربي ومانغلس عمره في عام 1818م بـ60 عاماً. ويبدو أنه كان في الحكم عام 1799 (دوك دي لوتيه).

4 ـ سليمان هو حسب بيكه أخو يوسف، وحسب موزيل، ص 67، ابن خليل، ولكن خليل، حسب بيكه، ص 174، توفي دون أن يخلف أي ولد. ولكن انظر ديسّار، ص 422: له ولدان محمد وسالم.

5 ـ نستنتج مما قِيل أن سليمان أب، لأن موزيل يقول إن عيال مصطفى وعيال (أولاد) سلامة هم فروع من السليمان. أما بيكه فقد وضع في شجرة النسب "سلامة بن مصطفى بن سليمان" واعتبر، تبعاً لذلك، في قائمته: عيال سلامه وعيال خليل أفخاد من المصطفى.

6 ـ تاريخ الوفاة حسب غراي هيل، ص 198، خلافاً لديسّار الذي يقول: عام 1885م.

7 ـ انظر زركلي، ص 89.

8 ـ غراي هيل، ص 209، درويش وأخوه صالح مع اثنين من أبناء عمومتهم (محمد وعبد الرحمن) قتلوا في معركة ضد بني صخر بقيادة طراد الزبن.

9 ـ عند الزركلي وبيكه: عطوي، الجزء الرابع، 2، 3، تستكمل إبراهيم الخليل.

10 ـ انظر أيضاً موزيل، ص 411.

11 ـ انظر الشرق الحديث، 1933، ص 467.

الكرك(1)

شيخ المشايخ: رفيفان باشا المجالي

أ ـ الشراقة(2)

I ـ (غاسلة) غيسول

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ الضمور(3)	عبد العزيز بن خليل	الكرك؛ وادي الغوير	
أ ـ عيال طه	عبد العزيز بن خليل		60
ب ـ العظايلة	سالم العظايلة		30
جـ ـ الربيع	مرزوق بن ذياب الربيع		40
قبائل ملحقة			
1 ـ الجراجرة	سليمان القيحصي		20
2 ـ الصعوب(4)	حطاب الصعوب	الكرك؛ الثنية	40
3 ـ المبيضين(5)	مطلق بن يوسف	الكرك؛ الثنية؛ صيفاً: دليقة: موتة/ شتاء: البطراء وإلى الشرق	
4 ـ السحيمات(6)	عطاء الله بك السليمان(7)		30

II ـ الحوش(8)

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ الطراونة(9)	حسين باشا الطرونة(*)	جنوب الكرك	
أ ـ أولاد جبريل	سالم بن محمد	صيفاً: جعفر/ شتاء: الفريفرة	68
ب ـ أولاد جبران (عيال السليمان)	محمد بن طاعة		28
جـ ـ المجامعية	علي بن خلف	أم حماط	40
د ـ الحجوج	محمد الصويصي	رجم الصخرى	25
هـ ـ أولاد عودة	عبد المنعم بن سلمان	دليقة	30
2 ـ النوايسة(10)	إبراهيم بن مشوّح	مدين	40
3 ـ القطاونة(11)	محمد بن منيزل		
أ ـ أولاد موسى	حمود بن مطلق	صيفاً: مجرى شتاء: وادي الحسا	20
ب ـ أولاد علي	مطيع بن يوسف	صيفاً جعفر شتاء: وادي الخريم	35

(*) حسين باشا الطرونه: انتخب عضواً من المجلس العالي لحكومة منطقة الكرك في 19 أيلول 1920م، وقد انتخب رئيساً للهيئة الإدارية للميثاق الوطني في 25 تموز 1928، وانتخب عضواً في المجلس التشريعي الثاني في عام 1931. [تاريخ الأردن من القرن العشرين/منيب الماضي وسليمان موسى م1959] (ماجد شبّر).

II ـ الحوش

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ الصرايرة(12)	علي بن يحيى	جنوب الكرك	
أ ـ أولاد الداود	علي بن يحيى	صيفاً: موتة/ شتاء: شرق مكة الحجاز	70
ب ـ أولاد العلي	سلامة بن إبراهيم	صيفاً: سول شتاء: غرب سكة الحجاز	60
جـ ـ أولاد مقبل	صالح بن مرزوق	صيفاً: الدويخلة شتاء: وادي الحسا	25
2 ـ القضاة(13)		محي	
أ ـ القضاة	خلف القضاة		20
ب ـ الكركين	سليمان الكركي		5
3 ـ البشابشة(13)	فارس البشابشة	الكرك	5

ب ـ الغرابة(14)

I

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ المجالية(15)	رفيفان باشا المجالي		
أ ـ اليوسف	عطيوي باشا(16)	صيفاً: الربة: القصر شتاء: الغويطة	60
ب ـ السليمان	فايز بن درويش	القصر؛ البالوع	60

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ أولاد سلامة			
2 ـ أولاد داود			
3 ـ أولاد خليل			
جـ ـ الغبون (قوم (الجدّ)	عبد المهدي الغبون	مدين	30
2 ـ المعايطة(17)	سلامة باشا المعايطة	شمال شرق الكرك	
أ ـ الزقايلة	سلامة باشا المعايطة	صيفاً ادر شتاء: القبيات	40
أولاد مطلق	سليم بن أحمد		35
ب ـ الرشايدة	موسى بك ساهر	صيفاً: بتير شتاء: وادي بني حماد	86
عيال خليل	أحمد بن سالم		30
3 ـ البيايضة(18)	فرحان بن جعفر	مدين	40
4 ـ العبيد(19)		سكة	20
5 ـ العبيسات(20)	فلاح العبيسات	سمرة	20
6 ـ الجلامدة(21)	حمود الجلامدة	الكرك	20
7 ـ الاغوات(22)	ذياب الطاهر	سمرة	30
8 ـ الطنشات(23)		الكرك	15

ب ـ الغرابة

II

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ الحباشنة(23)	عطوة الجعافرة	صيفاً: راكين شتاء: وادي الكرك	
أ ـ الجعافرة	عطوة الجعافرة		80
ب ـ العرود	سلمان العرود		30
جـ ـ الرماضين	عبد المهدي الرماضين		35
د ـ العساسفة	محمد العلاوي		20
هـ ـ العويسات	متيّم العويسات		30
2 ـ الذنيبات(24)	عبد المهدي الذنيبات	الموجب	45
3 ـ الكفاويين(25)	حامد الكفاويين	اللجون	15
4 ـ الشمايلة(26)	غازي الشمايلة	قرية الافرنج	
أ ـ الشمايلة	غازي الشمايلة		80
ب ـ المحادين(27)	خلف بن رمضان		50
جـ ـ المدادحة	سالم بن حماد		30
1 ـ عيال حمدان			
2 ـ البقيرات			
قبائل ملحقة			
د العلاوية(28)	عبد المهدي العلاوي		12
5 ـ السيايدة (المصاروة)(29)	حسن بن زينب	شيحان	14

جـ ـ المسيحيون(30)

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ الهلسة(31)	إبراهيم القسوس	الكرك؛ حمود	130
أ ـ القسوس			
ب ـ العمارين			
جـ ـ العودات			
د ـ الشرايحة			
هـ ـ أولاد عيد			
و ـ أولاد يوسف			
ز ـ عيال سعد			
ح ـ الخيطان			
2 ـ الحدادين(32)		ماعين	40
أ ـ بدبدبون	إبراهيم الحدادين		
ب ـ أولاد جريس	جريس الحميدي		
3 ـ العكشة		البالوع	20
أ ـ الزيادين	حنا الزياديني		
ب ـ العكشة	عبد الله العكشة		
4 ـ الحجازيون(33)	جريس الصلاعين	البالوع؛ الكرك	44
أ ـ صلاعيين			
ب ـ شتيويين			
جـ ـ قلانزة			
د ـ متاروة			

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
5 ـ المدانات(34)	سليمان المدانات	الكرك	12
6 ـ الزريقات(35)	مترى باشا الزريقات	الربة؛ الكرك	15
7 ـ البقاعيون(36)	عواد البقاعين	الكرك؛ ادر	25
أ ـ الضويحيون			
ب ـ كواليت			
جـ ـ صمايمة			
قبائل ملحقة			
أ ـ مصاروة			
ب ـ عبابسة(37)			
8 ـ العزيزات(38)			10
9 ـ الصناع(39)	أيوب الصناع	الكرك	8

ملاحظات

1 ـ المعلومات الواردة عند زركلي، "عامان في عمان"، ص 84 وما يليها، تتطابق عموماً مع الجدول أعلاه، كما أن جداول موزيل، ص 97 وما يليها، وياوسن، ص 394 وما يليها، تتطابق مع جداولنا. تظهر القبائل، فيما عدا بعض الاستثناءات القليلة، عند دوك دي لونيه، الجزء الثاني، ص 116 وما بعدها. انظر بيكه، ص 347 وما يليها.

صيحة حرب الكركيين: أهل الجردا!

2 ـ أسماء فرعي الشراقة: غيسول والحوش، موجودة فقط عبد البرغوثي. ولكن ياوسن أيضاً (وكذلك بيكه) يذكر قبائل الغيسول الأربع، ولكنه لا يجمعها

تحت اسم غيسول وإنما تحت اسم ضمور ويضع الطراونة محل الحوش. وغيسول هي صيحة حرب القبائل المعنية.

3 ـ لهم صلة قربى مع عائلة دار ضمرة في مزارع النوباني (ناحية بني زيد قرب القدس). الوسم: ـــO (خدمه) على الخد الأيمن وعلى الأذن اليمنى.

4 ـ من حوران؟ الوسم: ــــʌــــ (خطام) عرضانياً فوق الأنف وعلى الأذن اليمنى.

5 ـ جعافرة من الخليل؟ الوسم: مثل المذكورين آنفاً.

6 ـ من البلقا، ملتحقون بالضمور.

7 ـ كان عضواً في الغرفة الأردنية(*)، الشرق الحديث، 1929م، ص 125، 469؛ 1930م، ص 69.

8 ـ صيحة الحرب: عيال الحصان!

9 ـ من الشراه: إما رفايعة من شوبك أو نعيمات من دبدبة في وادي موسى، جاءوا قبل 300 عام (بيكه: في أواخر القرن الثامن عشر). الوسم: ∩ (الباكور) على الخد الأيمن وـــ على الأذن اليمنى.

10 ـ من وادي موسى (بيكه: من فلسطين). الوسم: مثل المذكورين آنفاً.

11 ـ ينحدرون من قطية وجاءوا إلى الكرك عبر الطفيلة في زمن حكم الإمامية (القرن الثامن عشر). يقال بأن جدهم كان بيك في سنجق تركي. الوسم: مثل المذكورين آنفاً.

12 ـ متصاهرون مع المجالية وكان لهم في الماضي دور هام. وما يزال قاضي الفصل في جرائم القتل (المنشد) يُختار منهم حتى اليوم.

(*) عضو في المجلس التشريعي الثاني لعام 1931م والذي استمر لمدة ثلاث سنوات، راجع هامش صفحة (384) (ماجد شبّر).

13 ـ ينتمي القضاة والبشابشة إلى جماعة سكانية قديمة، الإمامية، انظر الصفحة 375 أعلاه. صيحة الحرب لكلا القبيلتين: عيال الحصان! الوسم: (شُعبة) على الخد الأيمن. لصوص!

14 ـ ينقسمون عند البرغوثي إلى قسمين ولكنه لا يذكر أي تفاصيل.

15 ـ الوسم: الناطح باب العين | ، ولكن موزيل أصح: ـــC. صيحة الحرب: أخوات خضرا!

16 ـ متوفى. خليفته: ابنه جميل، انظر الصفحة 378 أعلاه.

17 ـ من طفيلة؟ موزيل وبيكه من منطقة الخليل. معظمهم بدو. الوسم: مثل المذكورين آنفاً. صيحة الحرب: حُكام صبحة!

18 ـ في الحقيقة فرع من المعايطة ولكن حتى عند دوك دي لونيه مستقلون.

19 ـ في الأصل عبيد عند الرشايدة.

20 ـ من مداين صالح؟ حسب الوسم وصيحة الحرب ينتمون إلى المعايطة، هذا ما يراه أيضاً موزيل وبيكه.

21 ـ يقال إنهم كانوا مسيحيين سابقاً.

22 ـ ينتمون إلى الإمامية (انظر الملاحظة رقم 13). أخذوا وسم وصيحة حرب المجالية.

23 ـ جاء اسمهم من اسم خربة جيش الواقعة جنوب الكرك. فيسيون (من الخليل؟)؛ ولذلك أيضاً صيحة الحرب: صبيان قيس! الوسم: ـــــ من الأنف إلى الخد الأيمن.

24 ـ حسب الوسم وصيحة الحرب ينتمون إلى المعايطة، وهذا ما يراه أيضاً موزيل وبيكه، ولكنهم عند دوك دي لونيه مستقلون لهم أقرباء في قرية بني مرة بالقر من القدس.

25 ـ ينتمون عند موزيل وبيكه إلى الذنيبات، ولكنهم عند دوك دي لونيه مستقلون. يستعملون صيحة حرب الحباشنة، وأيضاً صيحة حرب المعايطة.

26 ـ من تل شهاب في حوران. الوسم: مثل الحباشنة. صيحة الحرب: أخوات سلمى!

27 ـ يقال إنهم عبيد سابقون. الوسم: ⊥ على الأنف.

28 ـ صيحة الحرب والوسم: مثل المعايطة!

29 ـ يعود أصلهم إلى جنود إبراهيم باشا، انظر أيضاً بيكه، ص 359. وبناء على صيحة حربهم: صبيان زندع يمكن القول أنهم كانوا تابعين لعمرو، انظر الصفحة 372 أعلاه وكانوا مستقلين سابقاً.

30 ـ (النصارى). نذكر أيضاً بين القبائل المسيحية: الكرادشة والمعاعية الذين هاجروا عام 1875م مع العزيزات إلى مادبا، موزيل، ص 106 وما بعدها. ياوسن، ص 403؛ بيكه، ص 251 وما بعدها.

وسم المسيحيين: + (صليب). صيحة الحرب: صبيان حلّس!

31 ـ حسب الحكايات المتناقلة فرّ جدهم قبل حوالي 400 ـ 500 عام من مصر ونزل في الكرك حيث تزوج فتاة من الحدادين. واستوطن إخوته في الفحيص قرب الصلت وفي الطيّبة (مزرعة بني سالم قرب القدس). ومنهم ينحدر العكارشة والديوك. بعض عائلات الهلسة رحلت إلى ماعين ومادبا. صيحة الحرب: عيال المصري!

32 ـ كان لهم في السابق نفوذ واسع، ولكنهم في الأوقات الأخيرة عانوا من جيرانهم المسلمين، وكانت آخر معاناة لهم في عام 1919م، حيث تركوا نتيجة لذلك منطقة الكرك.

33 ـ روم كاثوليك.

34 ـ من مدّين. صيحة الحرب: لهؤلاء وللقبيلتين التاليتين: أخوات مريم!

35 ـ من حوران.

36 ـ يعتقد أنهم من البقاع، ويؤيد ذلك أيضاً الاسم ضويحي (جـ 7 أ) المنتشر بين المسيحيين في شمال سورية.

37 ـ لهم قرابة مع الفواخرية في الصلت.

38 ـ حكاية قبيلة العزيزات تعود إلى الوراء حتى العهد البيزنطي. موطنهم الأصلي موته (مؤتة) التي يقولون أن جدهم فتح أبوابها للمسلمين في بداية الإسلام. بسبب خلافات مع جيرانهم المسلمين، وأيضاً المسيحيين، تركوا الكرك في عام 1880م بقيادة المبشر المسيحي الكاثوليكي دون ألِسّاندور ماكانيو وأسسوا في مادبا موطناً جديداً لهم. وقد روى ياوسن، الملحق جـ، قصة هجرة العزيزات، استناداً إلى الحكايات المحلية، بطريقة مؤثرة. قارن أيضاً أخبار موزيل، ص 93 وما بعدها. في وقت لاحق عادت مجموعة صغيرة إلى الكرك. وهي تنتمي إلى أسرة المسنّات.

39 ـ الصناع يعملون في التجارة، وهذا ما يوحي به أيضاً اسمهم؛ وهم في الأصل من دمشق.

قبائل مرتبطة بالكرك

يمتد نطاق سلطة الكرك من الموجب حتى وادي الحسا، وفي الشرق حتى فحيرص. وتضم هذه المنطقة ثلاثة تجمعات سكنية قديمة في جنوب شرق الكرك، هي: الكثربّا، والعَراَق، والخنزيرة؛ يضاف إلى ذلك الغوارنة، والنعيمات وبعض القبائل الفلاحية الأخرى. كما أن بدو هذه المنطقة ـ الحمايدة، والعمرو، وبني عطية ـ مرتبطون سياسياً بالكرك.

لا نعرف سوى القليل عن تاريخ المراكز السكنية الثلاثة المذكورة أعلاه. أصيبت العَراَق ـ في نهاية القرن الثامن عشر؟ ـ في حرب مع الكرك بخسائر كبيرة، فأرسل المجالي على إثر ذلك إلى هناك عائلة المواجدة المنحدرة من سعر في جبل الخليل، والتي تولت منذئذ القيادة في العَراَق. في عام 1908م ثار العراَقية ضد الأتراك وفي عام 1919م قاوموا جباة ضرائب فيصل. كانت علاقة هذه القرى مع الكرك منظمة بأشكال مختلفة. كانت الخنزيرة الواقعة على حدود الجبال لا تدفع ضرائب، وكانت كثربّا تدفع خوة للمسيحيين والمعايطة ولأحد زعماء الحجايا أيضاً، وكان عليها بالإضافة إلى ذلك تلبية طلبات المجالية غير المحددة.

بين القبائل الفلاحية المرتبطة بالكرك يحظى الغوارنة بأكبر اهتمام؛ إذ يبدو أنه يوجد بينهم بقايا من سكان البلاد قبل الإسلام، وخاصة بين بني ماهلة الذين يُعدّون من السكان الأصليين، بينما جاء بقية الغوارنة، حسبما يعتقد، من أريحا. يعيش

الغوارنة في الزاوية الجنوبية الشرقية من البحر الميت (غور الصافية) وفي الزاوية التي تشكلها شبه جزيرة اللسان مع الساحل (غور المزرعة). وهم يسكنون في أكواخ من القصب ويمتازون بأنهم مزارعون ماهرون. وقد حافظوا على صناعة صبغة النيلة التي كانت في العصور الوسطى موجودة هنا. وكانوا بسبب موقع منطقتهم معرضين على الدوام لجميع الاعتداءات، وكان عليهم دفع خوة "لكل من تطلع عليه الشمس"؛ في الشتاء كان سكان السهول العالية يهبطون إلى الغور مع قطعانهم ويشكلون عبئاً عليهم، وفي الربيع كانوا يتعرضون لغارات القبائل البدوية القادمة من الصحراء. نتيجة هذه المضايقات هاجرت بعض عائلات الغوارنة نحو الشمال إلى موطنهم القديم حيث هم اليوم منضمون إلى العدوان[1].

البصيروية هم من بني حميدة وينحدرون من بصيرة (جبال). وقد طردهم الحويطات قبل 100 عام[2] من ديارهم، وهم يخيمون منذئذ تحت حماية ابن طريف (حمايدة) والمجالية إلى الجنوب من الموجب.

كان الخرشة في الأصل تابعين لعمرو وما زالوا لهذا السبب يستعملون وسمهم.

الفقرا ينتمون إلى قبيلة عنزة المشهورة (وسط الجزيرة العربية) والتي تصل أحياناً، مثل جيرانها بني عطية، بحثاً عن المرعى إلى هذه المنطقة البعيدة شمالاً[3].

(1) انظر الملاحظة 13 العائدة لجدول العدوان، وروبنسون، فلسطين، الجزء الثالث، ص 32.

(2) أيضاً ياوسن، ص 124.

(3) انظر الصفحة 480.

قبائل مرتبطة بالكرك(1)

أ ـ البطوش(2)

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ العثامين	دياب البطوش	خنزيرة	2600
2 ـ الحجوج	عبد القادر البطوش	خنزيرة	

ب ـ العَرَاقية

شيخ المشايخ: عطا الله

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ المواجدة(3)	عطا الله	العَراَق، القرية الفوقانية	400
2 ـ الخطبا	حسن الخطبا	العَراَق، القرية التحتانية	400
3 ـ الحطيبات	عبد الله بن ضيف الله	العَراَق، القرية التحتانية	280
4 ـ اليتمة	حسن اليتمة	العَراَق، القرية التحتانية	280

جـ ـ البرارشة(4)

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ الرماضنة	عبد المهدي الرماضنة		
أ ـ رواشدة	أحمد بن سالم	كثربا	430
ب ـ خثاثنة	محمد بن سالم	كثربا	350
جـ ـ مطارنة	خليفة بن عقيلان	كثر	150
د ـ كساسبة	موسى الكساسية	كثربا	175
هـ ـ جوازنة	سليم الحروب	جوزة	400
2 ـ القرالله(5)	محمود البرارشة	كثربا	1700
أ ـ الطريمات	محمد إبراهيم		
ب ـ عيال محمد	عبد القادر بن رشيد		
جـ ـ مهاينة وسلمات	سلامة بن جدوع		

د ـ الغوارنة(6)

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ الغوارنة	محمد العجالين	غور المزرعة	120
2 ـ بني ماهلة		غور المزرعة	
3 ـ الغوارنة	خوخان	غور الصافي	90

هـ ـ البصيروية(7)

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ الركابات	عودة أبو ركاب		
2 ـ اللحون	مبارك اللحون	خربة فقوعة	140
3 ـ الدهيسات	محمد الدهيسات		

و ـ الخرشة(8)

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ السعيداوية (الوادي)	نجم بن وادي	شتاء: على سكة حديد الحجاز/ صيفاً ذات رأس؛ محي	40
2 ـ الجبيلات(9)	سعيد الدرارجة	شتاء: على سكة حديد الحجاز/ صيفاً ذات رأس؛ محي	32

ز ـ النعيمات(10)

شيخ المشايخ: محسن البركات

القبيلة	الشيخ	منطقة	عدد الخيام
1 ـ الأحامدة	محسن البركات	شتاء: على سكة حديد الحجاز/ صيفاً ذات رأس؛ محي	65
2 ـ الجعافرة	سليمان العساسفة	شتاء: على سكة حديد الحجاز/ صيفاً ذات رأس؛ محي	60
3 ـ العبادلة	رشيد العبادلة	شتاء: على سكة حديد الحجاز/ صيفاً ذات رأس؛ محي	60

ح ـ الفقرا(11)

ملاحظات

1 ـ يوجد قوائم عند موزيل، الجزء الثالث، ص 65 ـ 70، وعند بيكه، ص 354 ـ 359. ويقسمهم بيكه إلى أهل الناحية، ويشملون آ، جـ، د من الجدول، وبدو الكرك، ويشملون هـ، حـ، و، ز، بمن فيهم العمرو، وحمايدة الكرك، والمصاورة (جدول الكرك ب2، 5).

2 ـ قيسيون من جبل الخليل. صيحة الحرب: صبيان قيس!

3 ـ تكنياً بجدهم سليمان الماجودي.

4 ـ صيحة الحرب: بني برّيش، إخوة جوزة! لاحظ حكاية الأصل، بيكه، ص 354.

5 ـ موزيل: قرالية، المفرد: كرلّي «قرلّي».

6 ـ صيحة الحرب: صبيان عياش! الوسم: ـــــ (شارب).

7 ـ موزيل، ص 105، ينسبهم إلى الحمايدة. صيحة الحرب: صبيان السياح! الوسم: | (هتام).

8 ـ صيحة الحرب: ترك حسما! الوسم: ∩ على الخد الأيمن.

9 موزيل: جبيلات، بيكه: الجيلات.

10 ـ عند بوركهاردت: بني نعيم.

11 ـ بيكه: البلاونة والفقرا في دمنة.

بني عطية

جاء بني عطية إلى الكرك من الحجاز حيث توجد القبيلة الرئيسية التي تحمل الاسم نفسه. وحسب علمنا لم يذكرهم من الرحالة الأوروبيين إلا موزيل[1]. وهم بدو رحل يربون الإبل والغنم (نحو 2000 رأس من الإبل، و10000 رأس من الغنم). وكانوا يوجهون غزواتهم ضد مناطق وراء العربة. وقد مرّ ذكرهم معنا بصفتهم معّازة الكرك في حكايات الحرب التي يرويها أحيوات سيناء. صيحة الحرب: إخوة حذيفة، المزايدة!.

الوسم: | (ذراع) على الورك الأيمن.

(1) الجزء الأول، ص 156، انظر الجزء الثالث، ص 123[*].

(*) عند التحقيق وجدت أن هذا الهامش ليس صحيحاً وذلك عند مراجعة الجزء الأول والثالث من الكتاب وعند مراجعة كتب موزيل وجدت أن بني عطية مذكورين في ص156 من كتاب شمال الحجاز. (ماجد شبّر)

بني عطية(1)

شيخ المشايخ: سليم أبو دميك(2)

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ الحياينة	حامي الأصفر		66
2 ـ الخمايسة	خضر بن عيسى		60
3 ـ المزايدة	سليم أبو دميك(2)		70
4 ـ الرباعنة	سالم الربيعي		40
5 ـ العقيلات	جخيدم	شتاء: الغور	70
6 ـ الهرامسة(6)(*)	هليّل بن هرماس	ربيعاً: القطرانة؛ قصور بشير	70
7 ـ الربيلات	مسلم الربيلات	صيفاً: الكرك	80
8 ـ البصابصة	عبد الله بن بصبص		60
9 ـ السبوت	أحمد بن فرحان		70
10 ـ الخضرة	محمد الخضرة		45
11 ـ العضدة	خضر بن مقبول		50

ملاحظات

1 ـ في جدول بني عطية الحجاز توجد القبائل الفرعية: 2، 5، 7، 9، 10. وهي فرع من السويلميين المذكورين هناك في الملاحظة رقم 1، وتظهر 3، عند أويتنغ، الجزء الثاني، ص 172 (في الحجاز)، و6 هي عائلة شيوخ العقيلات، و8 فرع من المراقين.

2 ـ مذكور في أم القرى رقم 164؛ راجع الشرق الحديث، 1936م، ص 148،

(*) هذا الرقم لا يوجد له ملاحظة ويبدو أنه خطأ مطبعي (ماجد شبَّر).

قبائل الجبال

كما هو الحال في منطقة الكرك تمكن أيضاً السكان المستقرون ونصف المستقرين جنوبي وادي الحسا من الصمود نسبياً في وجه البدو. أكبر قرية هنا هي الطفيلة التي كان شيخها في السابق يعدّ زعيماً لمنطقة الجبال على الرغم من أن السلطة الحقيقية كانت في يد الحويطات[1]. خلال الحرب العالمية كانت القرية مقسمة؛ أعلن الشيخ وقوفه إلى جانب فيصل، بينما وقفت عشيرة محيسن (آ 3 أ) إلى جانب الأتراك[2].

يسمى سكان الطفيلة جوابرة، أو عيال جابر وهي صيحة حربهم كذلك. إلى الشمال من الطفيلة تقع قرية عيمة التي يسكنها الثوابية. إلى الجنوب من طفيلة، في القرى صنفحة وبصيرة وضانا، ينتمي السكان إلى بني حميدة الذي سبق وتعرفنا عليهم في منطقة الكرك. ويسمى بنو حميدة في البصيرة "مسعوديين". ويقال بأنهم ينحدرون من خربة شمخ إلى الجنوب من شوبك، وهذه رواية يؤكدها بوركهاردت (رحلات في سورية، ص 419)[3].

(1) بوركهاردت، رحلات في سورية، ص 402، 422.

(2) لورس، ص 472.

(3) انظر الآن بيكه، ص 362.

قبائل الجبال(1)

آ ـ الطفيلة(2)

شيخ المشايخ: صالح باشا العوران

القبيلة	الشيخ	عدد الخيام
1 ـ الحميدات(3)		580
أ ـ العطيوي	حسن العطيوي	
ب ـ العوران	صالح العوران	
2 ـ الحوامدة(4)	محمد بن عبيد	249
أ ـ الجرابعة		
ب ـ المهايرة		
جـ ـ اللحاوي		
3 ـ الكلالدة(5)	مصطفى المحيسن(6)	537
أ ـ المحيسن		
ب ـ الخلفات		
4 ـ الهلالات(5)	عبد ربه الشبيلات	489
أ ـ قطيّطات		
ب ـ الشبيلات		
5 ـ وهيبات(7)	صالح الربابعة	151
أ ـ الربابعة		
ب ـ الشرايدة		
6 ـ بحرات	إبراهيم المحمود	719

القبيلة	الشيخ	عدد الخيام
أ ـ هريشات		
ب ـ مراهفة		
7 ـ قطيفات	موسى الفريجات	469
أ ـ مرايات		
ب ـ غبابشة		
جـ ـ خريصات(8)		
د ـ فريجات		
8 ـ عبيديين	صالح المحاسنة	850

ب ـ عيمة

القبيلة	الشيخ	عدد الخيام
1 ـ الثوابية(9)		
أ ـ الرعود		
ب ـ السعود	محيسن بن ثنيان	
جـ ـ العكايلة	عبد المطلب العكايلة	2000
2 ـ الحراسيس	عبد ربه الحراسيس	
3 ـ الربيحات	ذياب بن عمار	

جـ ـ صنفحة

محمود الشباطات(10)

القبيلة	الشيخ	عدد الخيام
1 ـ الشتيات	خليف الهواملة	
2 ـ العمور (السوالقة)	محمد بن عباس	
3 ـ الشباطات	محمود الشباطات	860
4 ـ الطباشات (القطاميين)	عواد الطباشات	
5 ـ الحساسنة	عواد الطباشات	

د ـ بصيرة(11)

شيخ المشايخ: فلاح الشراري

القبيلة	الشيخ	عدد الخيام
1 ـ عيال سلمان	فلاح الشراري	
2 ـ المسيعديين	حرب بن مساعد	
3 ـ الرقوع	عودة بن سالم	1000
4 ـ السفاسفة	ثلجة بن الحسين	

هـ ـ ضانا

القبيلة	الشيخ	عدد الخيام
العطاعطة	تلجة العطاعطة	1000
أ ـ عيال حسين	ثلحة العطاعطة	
ب ـ الخصبة	إبراهيم بن حمد الكربنيين	
جـ ـ النعانعة	عيد بن محمد	
د ـ الخوالدة	عليان بن محمد	

ملاحظات

1 ـ هناك قوائم تفصيلية موجودة عند موزيل، الجزء الثالث، ص 61 وما يليها، وعند بيكه، ص 342 وما يليها، وهناك قائمة إجمالية عند كنعان، دراسات في طبوغرافيا وفلولكلور البترا، ص 82.

2 ـ موزيل يصنف القبائل التالية في مجموعتين: محمديين وكلالدة؛ وهؤلاء مذكورون أيضاً عند كانان.

3 ـ الوسم: [وسم] على الأنف والخد، ومطرق على الأذن.

4 ـ يصنفهم موزيل وبيكه تحت الحميدات (1)، وهم يستعملون وسمهم.

5 ـ الوسم: [وسم] على الخد الأيمن.

6 ـ الآن باشا، انظر الشرق الحديث، 1933م، ص 466.

7 ـ وسمهم ووسم القبائل التالية: [وسم] (ناتح) على الأنف و [وسم] على الأذن اليسرى.

8 ـ موزيل: "حريصات"، بيكه: خريسات.

9 ـ يزعمون أنهم من أحفاد جعفر الطيار. صيحة الحرب: صبيان الجعافرة!

10 ـ كنعان: موسى الشباطات.

11 ـ الوسم: —^— (خطام) "أفقياً" فوق الأنف؛ صيحة الحرب: صبيان السياح! ولكن حسب بيكه: النعيمات ـ عيال الأقعر!

الحجايا

البدو الوحيدون الذين يتنقلون دوماً في جبال هم الحجايا، وبئرهم الرئيسية هي هنا التوانه شرقي بصيرة، وهم يصلون في الشمال عبر وادي الحسا حتى اللجّون. في الماضي كانوا يسكنون في مكان أبعد نحو الجنوب على الطرف الشرقي للشراه حيث كانوا جيراناً لبني مهدي. هذا الوضع كان قائماً في العصور الوسطى؛ إذ إن بني مهدي كانوا في بداية العصر الحديث قد اختفوا من هذه المناطق (انظر ص 303، 304 أعلاه). يربي الحجايا الأغنام والإبل (13000 رأس من الغنم، 800 رأس من الإبل). في الماضي كانت خيولهم مطلوبة[1].

حتى ما قبل بضعة عقود كان الحجايا يخيفون المنطقة، كانت غزواتهم تصل إلى المناطق الواقعة وراء العربة وأحياناً حتى القدس[2]. وكانت الطفيلة وقرى جبال الأخرى تدفع لهم خوة، وكذلك نعيمات الكرك.

(1) فالين، مجلة الجمعية الجغرافية الملكية، لندن، 1854م، ص 133.

(2) سيتزن، الجزء الثاني، ص 322.

الحجايا(1)

شيخ المشايخ: غيث بن هداية(2)

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ الشحاذات	دميثان بن شحاذة		60
2 ـ العليين	غيي بن هداية	شمال وادي الحسا	100
3 ـ المحموديين(3)	حمد المحموديين		40
4 ـ المناعين(4)	سليمان المناعين	جنوب وادي الحسا	
أ ـ المراغية(5)	عجرمة المراغية		60
ب ـ الصواوية	حمد الصوا(6)		50
جـ ـ المسعوديين	حمد بن عباطلة		40
د ـ العقّار(7)	جراد العقّار		50

ملاحظات

1 ـ موزيل، الجزء الثالث، ص 64 وما بعدها، يجمع 1 ـ 3 في قبيلة واحدة يسميها هدايات؛ ويضم بيكه، ص 226، الشحاذات (1) إلى العليين (2). صيحة الحرب: إخوة شرهة! بني حجيّة! الوسم: □ (باب) على الورك الأيمن.

2 ـ تمارس عائلة الشيوخ العمل الزراعي. صيحة الحرب: راعي العليا!

3 ـ مذكورون عن دوك دي لونيه، الجزء الثاني، ص 118، 133، 163.

4 ـ الوسم: ⊏ على الخد الأيسر.

5 ـ انظر فالين، مجلة الجمعية الجغرافية الملكية، لندن، 1854م، ص 129.

6 ـ في السابق كان شيخ المشايخ من هذه العائلة، فالين، المصدر السابق.

7 ـ يصنفهم موزيل تحت المسعوديين، انظر أيضاً فالين، نفس المصدر السابق: سالم بن "**عقر**"، شيخ المسعوديين.

الشوبك[1]

يسكن في المنطقة الواقعة حول شوبك، والتي تشكل الحدود بين جبال والشراه، بعض القبائل الفلاحية التي تعترف بالحويطات أبو رشيد (الرشايدة) كأسياد، وهي: الملاحيم، والهباهبة، والرفايعة[2]. يُضاف إلى ذلك العمارين، وهم رعاة يتنقلون في الجزء الشمالي من الشراه، الهيشة، وينزلون أيضاً إلى العربة. جاء العمارين من منطقة حقل على خليج العقبة. ولم يزل عدد من عائلاتهم يخيمون في الموطن القديم مع العمران (حويطات)[3]. ويمكن أن نحسب إلى شوبك العسيفات أيضاً الذين يتمون من ناحية النسب إلى بني عطية. كان العسيفات يخيمون في بداية القرن الحالي مع قبيلتين صغيرتين أخريين، المناجعة والمساعيد، كان الحويطات قد طردوهما من منطقتهم في العربة وكانوا لصوصاً ذوي سمعة سيئة[4].

(1) بخصوص التاريخ، انظر بيكه، ص 163.

(2) جميع القبائل الثلاث مذكورة عند بوركهاردت، رحلات في سورية، ص 416 وما يليها.

(3) روبنسون، الجزء الثالث، ص 105؛ موزيل، شمال الحجاز، ص 101؛ انظر أيضاً: البتراء العربية، الجزء الثالث، ص 58.

(4) موزيل، الجزء الثالث، ص 60.

الشوبك(1)

القبيلة	الشيخ	المنطقة
1 ـ الشقيريين	سالم الشوايكة	الشويك
2 ـ الملاحيم	سلمان الملاحيم	الشوبك
3 ـ الهباهبة(2)	محمد الهباهبة	خربة أبو محطوب
4 ـ الرفايعة	محمد الرفايعة	خربة بير الرفايعة
5 ـ الطورة(3)	نجم بن ناصر	خربة الطورة
6 ـ الغنيميين	سالم بن مريحيل	خربة المقارعية
7 ـ العصيفات	سليم بن سليمان	
8 ـ العمارين	سالم أبو شوشة	
9 ـ الغوافلة(4)	حمد أبو شنب	

ملاحظات

1 ـ بخصوص القبائل 1 ـ 6 انظر موزيل، الجزء الثالث، ص 61؛ زركلي، ص 25؛ بيكه، ص 362 وما يليها.

2 ـ جزء منهم ينتمي إلى نعيمات الشراه (الجدول الحويطات آ ملحقون 2).

3 ـ هم مع الملاحيم (2) أقدم سكان شوبك.

4 ـ من الرشايدة (حويطات)، موزيل، الجزء الثالث، ص 60.

اللياثنة

يحمل السكان المقيمون في وادي موسى المحيط بآثار البترا اسم اللياثنة ويتألفون من أربع قبائل: الشرور، والعبيديين، والعلايا، وبني عطا. في الأصل كان يسكن هنا بني حميدة. ويقال بأن عائلات الشرور الرئيسية الثلاث: الرواضية (راضي)، والخليفات (خليف)، والخلايفة (خليفة)، هم ثمرة زواج بدوي من حرب وفتاة من حميدة. أما العبيدية فيعدّون من السكان المحليين. إلا أن بني عطا أقدم من كلا القبيلتين؛ فهم فرع من بني مهدي (انظر ص 303 ـ 304 أعلاه) وكانوا معروفين لدى الكُتّاب المملوكيين[1].

المقر الرئيسي لللياثنة هو قرية الجي والمنطقة المجاورة لها. وهم يملكون أعداداً كبيرة من الخيول والبغال والحمير والأبقار والأغنام. وهم يختلفون في مظهرهم وعاداتهم اختلافاً كبيراً عن بقية السكان. ويلاحظ المرء عندهم كثرة تكرار الاسمين التوراتيين موسى وهارون. ولقد أثبتوا قدراتهم العسكرية في شتاء 1917م في معارك الطفيلة، طبعاً على الجانب العربي[2].

في فبراير/ شباط 1926م ثار اللياثنة ضد الحكومة الأردنية بسبب تخوفهم من

(1) قلقشندي، ص 296؛ ابن إياس، الجزء الثاث، ص 244؛ انظر، 256، 258.

(2) لورنس، ص 344، 471.

شق طريق معان ـ البترا ومد خط هاتفي. لكن الثورة أخمدت على الفور[1].

اللياثنة(1)

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ الشرور	فلاح السعيدات	شتاء: الطيبة/ صيفاً: الجي	73
أ ـ السعيدات			
ب ـ الرواضية			
جـ ـ الخليفات			
د ـ الخلايفة			
2 ـ العلايا	معمر بن بشير	شتاء: مغائر البترا صيفاً: الجي	45
أ ـ نوافلة			
ب ـ الشماسين(2)			
جـ ـ العمارات(3)			
3 ـ العبيديين	محمد الحسنات	شتاء: الجي صيفاً: شمال وادي موسى	70
أ ـ الهلالات(4)	خليل الهلالي		
ب ـ الحسنات(5)	محمد الحسنات		
جـ ـ النصرات(6)	خليل الهلالي		
د ـ الطويسات(7)	خليل الهلالي		
و ـ المشاعلة(8)			

(1) بيكه، ص 205 وما بعدها.

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
4 ـ بني عطا	ضيف الله أبو فرج	مثل العلايا	30
أ ـ فرجات			
ب ـ السلامين			
جـ ـ الفلاحات			

ملاحظات

1 ـ يتطابق الجدول مع قائمة كنعان، ص 79، والمعلومات متشابهة تماماً مع بيكه، ص 364 وما يليها، ومع موزيل، ص 57 وما بعدها.

2 ـ هاجر قسم من عائلة الشماسين إلى منطقة غزة حيث يحمل هناك اسم الحمادين.

3 ـ يسكن قسم منهم في الفارعة شرقي خان يونس.

4 ـ الهلالات مصريون. وهم ممثلون في فلسطين أيضاً تحت اسم الخوالدة.

5 ـ قسماً منهم في شمال بئر السبع.

6 ـ من أذرح.

7 ـ قسم منهم قرب غزة.

8 ـ بعضهم في يطّا جنوبي الخليل.

السعيديين

يخيم السعيديين الأردنيون[1] في الصيف جنوب وادي موسى، وفي الشتاء ينزلون إلى العربة. ويعيش تحت حمايتهم الرواجفة الذين أخذوا اسمهم من مكان سكنهم، سيل الراجف.

السعيديين(1)

شيخ المشايخ عفنان بن سرور

القبيلة	الشيخ	عدد الخيام
1 ـ السروريين	عفنان بن سرور	50
2 ـ الزوايدة	سلامة بن زايد	40
3 ـ قوم ابن مفرّج	سالم بن مفرّج	20
قبائل ملحقة		
الرواجفة	عيد بن سليمان؛ جمعة بن فزاج	25

(1) انظر مقال السعيديين في فصل فلسطين.

ملاحظات

1 ـ انظر كنعان، ص 81. الوسم : / على الفخذ الأيسر.

معان

تضم واحة معان مستوطنتين: معان المصرية ومعان الشامية (المغارة). يعيش السكان بصورة رئيسية من التجارة مع البدو وينقسمون منذ القدم إلى عدد من القبائل (فالين، مجلة الجمعية الجغرافية الملكية، لندن، 1854م، ص 121 ـ 126).

معان الحجازية(1)

شيخ المشايخ: حامد باشا الشرارى

القبيلة	الشيخ	عدد الخيام
1 ـ الكراشين	فارس بن أحمد كريشان	1200
2 ـ عيال أمّ خطاب	حامد باشا الشراري	950
3 ـ الفناطسة	هويمل الخطيب	1000
4 ـ البزايعة	هويمل الخطيب	

معان الشامية(1)

شيخ المشايخ : سليمان العوجان

القبيلة	الشيخ	عدد الخيام
1 ـ عيال الحصان	سليمان المطر	550
2 ـ		
أ ـ الخورة		
ب ـ المحاميد	داوود بن رشيد	
جـ ـ القرامسة		600

ملاحظات

1 ـ أكثر تفصيلاً عند موزيل، ص 56 وما بعدها، وعند بيكه، ص 360 وما يليها. زرلكي، ص 22، يذكر العلائلات نفسها مثلنا.

الحويطات

يحتل الحويطات مكانة متميزة بين القبائل العربية. فهم محاربون أشداء يخشاهم الناس في كل مكان من مصر حتى الجوف ومن البحر الميت حتى أعماق الحجاز، ومع ذلك يعانون من عيب لم يفارقهم أبداً، وهو أن جدهم، حويط، لم يكن بدوياً حراً وإنما مصري.

يقال أن حويط جاء في رحلة إلى العقبة. وهناك أصيب بالمرض ونزل عند رجل من عطيوي. وبعد ذلك بقي في العقبة. وكانت قبيلة الرجل الذي حل ضيفاً عليه، بنو عطية، تتولى ضمان وصول الحبوب من سورية إلى محطة الحج هناك. وتمكن حويط عن طريق الحيلة من انتزاع هذه المهمة لنفسه. وبهذه الطريقة أصبح رجلاً قوياً، وبعد وقت قصير طرد بني عطية من البلاد[1]. تحتوي هذه الحكاية على شيء من الحقيقة: لا ينكر خلف حويط أصلهم لا في مظهرهم ولا في سلوكهم ولا في طريقة عيشهم. لم يصبحوا إلا في وقت لاحق تجاراً وأصحاب إبل ومزارعي نخيل على ساحل البحر الميت، وفلاحين في الحسما والشراه، ولم يصبحوا بدواً رحلاً إلا جزئياً[2]. أما العلاقة التي تقيمها الحكاية بين جد القبيلة

---

(1) راجع الروايات المختلفة لحكاية القبيلة: برتون: "أرض مدين" The Land of Midian، الجزء الأول، ص 162 وما بعدها؛ موزيل، الجزء الثالث، ص 51. بيكه، ص 228 وما يليها.

(2) انظر فالين، مجلة الجمعية الجغرافية الملكية، لندن، 1854م، ص 131؛ دوتي، الجزء الأول، ص 37، 45، 234؛ موزيل، شمال الحجاز، ص 20.

وبني عطية فتؤكدها مصادر قديمة: في منتصف القرن السادس عشر كان الحويطات ينتمون إلى مجمع بني عطية، وفي القرن السابع عشر أصبحوا مستقلين[1].

انتشرت القبيلة الجديدة بسرعة كبيرة في الأراضي الواقعة وراء العقبة. وعلى ساحل البحر الميت تفوقت على بني عقبة؛ واضطر بنو عطية، الذين تشكل منهم معظم الحويطات[2]، إلى الانسحاب إلى الحسما هرباً منهم. وفي الشمال احتلت القبيلة الشراه وتوغلت من هنا في الصحراء الغربية حيث وقفت في وجه بني صخر وعنزة. وجاءت مجموعات صغيرة من الحويطات من شرقي الأردن إلى جنوب فلسطين. وحتى إلى شمالها أيضاً، بينما ذهبت مجموعات أخرى من العقبة عن طريق سيناء إلى مصر.

يعود السبب في الانتشار السريع والواسع للحويطات إلى تجارة القوافل الواسعة التي يمارسونها منذ زمن طويل. ففي بداية القرن التاسع عشر كانت تذهب كل عام من الشراه إلى القاهرة قافلة تتألف من 4000 جمل، وحتى قبل وقت قصير كان تجار الحويطات يذهبون من واحده إلى ثلاث مرات كل عام في مجموعات صغيرة تتألف من 5 ـ 20 شخصاً من السويس إلى الحجاز ثم يعودون إلى مصر ومعهم قطعان كبيرة من الماشية. وهذه ظاهرة معروفة[3].

كان الحويطات زمناً طويلة متعلقين بمصر بسبب هذه العلاقات التجارية من جهة وبصفتهم حماة طريق الحج عند العقبة من جهة أخرى. ففي عام 1812م تم تجنيد حويطات الشراه لكي ينقلوا القوات المصرية إلى شبه الجزيرة العربية، وحتى عام 1830م كانت هذه المجموعة من القبيلة مسجلة في القاهرة[4]. فقط خلال فترة

---

(1) درر الفرائد (955هـ/ 1548م) عند شقير، ص 117 ـ جيهان نما، ص 526، 541. أقول هذا المرجع عن البدو غير دقيقة التواريخ.

(2) بوركهاردت، ص 312؛ شقير، ص 108.

(3) بوركهاردت، ص 23؛ شقير، ص 267.

(4) بوركهاردت، رحلات في سورية، ص 417؛ روبنسون، الجزء الثالث، ص 106؛ انظر أيضاً فالّين، مجلة الجمعية الجغرافية الملكية، لندن، 1854م، ص 132.

الاضطرابات، التي حدثت في مصر بين انسحاب الفرنسيين وتولي حكومة محمد علي باشا زمام الأمور، نراهم يتعاملون مع دمشق بدلاً من القاهرة: في عام 1218هـ/ 1803م تكفلوا بضمان وصول الحبوب التي وعد عبد اللّه باشا بإرسالها عن طريق العقبة إلى الحجاز التي كان الوهابيون يضايقونها[1].

منذ القرن الثامن عشر ينقسم الحويطات إلى المجموعات التالية: ابن جازي في الشراه، علاوين وعمران في محيط العقبة، حويطات التهمة على ساحل البحر الأحمر، السعيديين في العربة، حويطات سيناء[2]، الحويطات المصريين. وعلى الرغم من وجود عداوات وثارات دم فيما بينهم فإنه يوجد بين مختلف فئاتهم بعض الترابط الذي تساهم، بالدرجة الأولى، عائلة (ابن) شديد في القاهرة، في إبقائه قائماً.

---

(1) جودت، تأريخ، الجزء السابع، ص 352.

(2) انظر بخصوص المجموعتين الأخيرتين المقالات الخاصة بهما في فصول شرقي الأردن، وفلسطين، وسيناء.

حويطات ابن جازي

تمتد منطقة هذه المجموعة من العربة حتى وادي سرحان. وفي الصحراء يجاورهم من جهة الشمال بنو صخر الذين يتقاسمون معهم بئر الجفر وبئر باير. وفي الجبال تمتد مواقع مياههم من الجربا حتى أبا اللسل على نقب الشتار ولكنهم في الشمال يصلون أحياناً حتى وادي الحسا، وفي الجنوب حتى دم (إرم) (قبيلة فرعية من الزوايدة). وفي الصحراء تمر الحدود جنوب الطبيق. هنا يجاورهم بنو عطية، وفي الشرق عنزة. الجهة الرئيسية لتنقلهم هي غرب شرق، فهم يقيمون في الشتاء في الصحراء، وفي موسم الحصاد في الجبل، وفي الأعوام الصعبة، أيضاً في شبه جزيرة سيناء وجنوب فلسطين[1]. يعمل حويطات الشراة في تربية الإبل؛ المراعية فقط فلاحون.

كانت القبائل الصغيرة الموجودة بين الطفيلة ومعان تدفع خوة للحويطات. حتى الجانب الآخر من وادي الحسا لم يكن لهم ند إلا المجالي، وفي معان كانت الضريبة فخرية فقط[2]. وفي الصحراء كان الكاف والجوف والتيما يدفعون لهم

(1) سيتزن، الجزء 3، ص 10، 31، 40؛ بوركهاردت، ص 23؛ روبنسون، الجزء 1، ص 300؛ موزيل جـ2/ 1، ص 237.

(2) موزيل، الجزء 3، ص 52؛ ولكن لاحظ الجزء 2/ 1، ص 272، حيث جاء أن سكان معان يستأجرون الأراضي من البدو.

خوة. وكانوا مسؤولين عن حماية طريق الحج بين معان وتبوك[1]، وفي وقت لاحق عن حماية سكة الحديد من القطرانة حتى معان.

للحويطات علاقات وثيقة مع بني عطية، أما علاقاتهم مع بني صخر وعنزة فقد كانت متوترة. وكانت غزوات الحويطات تصل إلى سلمية في شمال سورية (1908م)، ويقال أنها كانت تصل في الجنوب إلى وادي الدواسر، وفي الشرق حتى الفرات. وكان أحياناً يغزون البلي، ولكن ضحيتهم الرئيسية كانت الشرارات الذين كانوا يتعرضون للأذى من جميع القبائل المحيطة بهم[2].

وحسبما تثبت الصحيفة الوهابية الرسمية أم القرى، الأعداد: 164، 166، 183، 199 (1927/ 1928م)، لم يطرأ على هذا الوضع تغير يستحق الذكر ضمن الظروف الجديدة[3].

خلال العقود الأخيرة حدث في تنظيم الحويطات تغير جوهري. فقد نشأت مجموعة جديدة، عِلْمٌ ثانٍ بقيادة أبو تايه، ظلت فترة من الزمن تحتل مكانة متساوية مع عائلة الشيوخ القديمة، الجازي. وتعود بدايات هذا التطور إلى زمن بعيد في الماضي: عندما توغل الأتراك في عام 1894م عن طريق الكرك نحو الجنوب، اعتقل شيخ الحويطات آنذاك عرار بن جازي. وخلال فترة اعتقاله الذي دام سنتين كان الأتراك يحرضون بصورة مخططة الزعماء الصغار ضد عائلة الشيوخ. وهكذا تمكن حرب أبو تايه من تجميع قبيلة خاصة به. وعندما توفي حرب في عام 1904م خلفه ابنه ربيّع، وفي عام 1907م ابنه الثاني عودة[4].

إن عودة أبو تايه، الذي يرسم عنه لورنس في الفصل 38 من كتابه "أعمدة

---

(1) ياوسن، ص 123.

(2) فالين، مجلة الجمعية الجغرافية الملكية، لندن، 1851م، ص 323 ـ موزيل، شمال الحجاز، ص 13، 21 وما بعدها؛ ياوسن، ص 176 وما يليها.

(3) انظر زركلي، ص 23، كانت تضم القبيلتين القرعيتين 2 و4.

(4) موزيل، شمال الحجاز، ص 7 وما يليها، الصحراء العربية، ص 435 وما يليها.

الحكمة السبعة" صورة لا تنسى، هو من أغرب الشخصيات التي ظهرت حديثاً في شبه الجزيرة العربية. كان يعيش مثل أبطال الأزمنة الغابرة. جُرح 13 مرة. وكان له 75 خصماً ـ من العرب، أما الأتراك فلم يكن يعدّهم ـ وقتل في المبارزة رجل لرجل، وخلال 30 عاماً خسر أكثر من نصف رجاله وقتل أمام عينيه معظم أقربائه. ولكن وفاة ابنه عِنَاد (عَنّاد؟) فقط هي التي حطمت قلبه. كان تعامله مع الناس بسيطاً وفي غاية اللطف ولكنه كان في حالة الغضب الويل كل الويل لمن يعترض طريقه، وكانت تنتابه في المعركة حالات من الغضب الهائج حقاً"[1]. وكان كريماً جداً يوزع كل الغنائم التي يحصل عليها في معاركه. وكان يحب الحديث عن أفعاله بطريقة ملحمية وينظم الشعر. وكان شأنه شأن كثير من الشعراء العرب القدامى لا يستطيع دوماً السيطرة على لسانه. وقد جاء يومه عندما اندلعت الحرب العالمية. فهو وحده الذي مكّن الجيش العربي من نقل الحرب إلى شرقي الأردن.

في عهد عودة توترت العلاقات بين جازي وتايه. وفي عام 1908م قطع عودة بسبب قضية ضرائب صلاته مع السلطات الحكومية في معان. فحرضت هذه السلطات منافسة عبطان بن جازي ضده. وفي وقت لاحق قُتل عبطان على يد عناد ابن عودة، ثم سقط عناد نفسه في المعركة. ومنذئذ صار عودة يكره الأتراك. وفي نيسان/ أبريل 1917م ذهب إلى معسكر فيصل في وجه، وبعد محاولات طويلة من جانب فيصل لكسب تأييده، وفي مايو/ أيار قاد الشريف ناصر ولورنس عن طريق وادي سرحان إلى العقبة التي احتلت بهذه الطريقة من الخلف.

أما أخو عبطان وخليفته حمد بن جازي فقد ظل في بادئ الأمر مؤيداً للأتراك. لكن قبيلته، المطالقة، انضمت إلى الصف العربي بعد أن نقل الجيش العربي مركز عملياته إلى العقبة. ومنذئذ يسود السلام بين القبيلتين الشقيقتين وإن كانت الغيرة القديمة ما زالت تتفجر بين حين وآخر[2].

(1) أن يكون قد روى تعطشه للدم بشرب دماء أعدائه المقتولين، كما يقول موزيل، شمال الحجاز، ص 7، فهذه أسطورة لا تمت إلى الواقع بصلة؛ انظر ياوسن، ص 177.

(2) لورنس، ص 282، 348، 472 وما بعدها.

ظل عودة وفياً لفيصل بعد الحرب أيضاً. وكان من بين أتباع الملك القلائل الذين وقفوا في وجه الفرنسيين في يوليو/ تموز 1920م على طريق زحفهم على دمشق. أما مع الأمير عبد اللّه والإنجليز فقد كانت له خلافات أدت في نهاية المطاف إلى اعتقاله عام 1922م. لكنه هرب من السجن والتحق بمعسكر الوهابيين الذين كانوا آنذاك بالذات (1923م) ينفذون هجومهم الأول على الكاف. وفي خريف العام نفسه تصالح مع عبد اللّه بوساطة من فيصل، لكنه توفي بعد ذلك بوقت قصير في 22 يوليو/ تموز 1924م[1]. ولم يتمكن ابنه محمد أبو تايه، عمره 36 عاماً تقريباً، من المحافظة على مكانة العائلة. فهو يهاجم الأمير عبد اللّه، بينما يقدم له حمد بن جازي الولاء والطاعة.

(1) الشرق الحديث، الجزء الأول، ص 418؛ الجزء الثاني، ص 231، الجزء الثالث، ص 93، 429؛ الجزء الرابع، 620.

العلاوين[1]

تقع منطقة هذه القبيلة على جانبي الطريق المؤدية من الشراة إلى العقبة، من دلاغة في الشمال حتى خط يسير من العقبة عبر قليب المرصد إلى برة. العلاوين نصف بدو، وهم يزرعون الشعير ويخزنونه في الخرائب الأثرية الرومانية الكثيرة[2].

كان العلاوين يستلمون في السابق من الحويطات قافلة الحج المصرية عند رجم الدرك على ارتفاع معبر العقبة[3]. وكانوا حتى تسليم هذه القرية للأتراك في عام 1892م مرتبطين بمصر. وفيما بعد أيضاً ظل النفوذ المصري قوياً إلى درجة أن الأتراك وجدوا نفسهم مضطرين إلى متابعة دفع الصرة القديمة للعلاوين وقدرها 500 جنيه[4].

---

(1) = حويطات ابن نجاد.

(2) موزيل، شمال الحجاز، ص 59 وما بعدها، 69. دوتي، الجزء الأول، ص 46، 234.

(3) شقير، ص 204؛ روبنسون، الجزء الأول، ص 436.

(4) موزيل، الجزء الثالث، ص 52. معلومات دقيقة عن الصرة التي كان يستفيد منها ليس فقط العلاوين والعمران وإنما أيضاً ابن رشيد (انظر الملاحظة 4 التابعة للجدول) وابن جازي، شاركوا فيها أيضاً، موجودة في "مرآة الحرمين"، الجزء الثاني، ص 338، 340.

العمران

يتبع العمران إلى المملكة الوهابية. وتجاوز منطقتهم في الشمال منطقة العلاوين وتمتد بطول 60 كيلومتراً وبعرض 45 كيلومتراً حتى الدبر في الجنوب. وفي الأوقات الماضية كان يصلون إلى مسافة أبعد شمالاً حتى الدلاغة[1]. وتملك عائلة شيوخهم، ابن مقبول، بساتين نخيل في العقبة[2].

كان العمران في السابق لصوصاً ذوي سمعة سيئة، وحتى محمد علي باشا لم يتمكن من إخضاعهم. وفي العهد الحديث كانت الحكومة التركية تدفع لهم كل عام 250 جنيه. ولم تتوقف غزواتهم ضد الأحيوات إلا بعد الاحتلال الإنجليزي الأردني للعقبة (1925م)[3].

---

(1) موزيل، شمال الحجاز، ص 798؛ فالين، مجلة الجمعية الجغرافية الملكية، لندن، 1854م، ص 121، انظر 129.

(2) وكذلك عائلة ابن نجاد، عائلة شيوخ العلاوين؛ موزيل، الجزء الثاني 1، ص 259.

(3) بوركهاردت، ص 312 وما بعدها؛ شمال الحجاز، ص 79؛ موري، ص 248.

حويطات التهمة

تسكن هذه المجموعة كما يوحي اسمها في ساحل وجبال التهمة[1]، أي في المنطقة المنحدرة من طرف الجبال حتى البحر. التهمة منطقة قاحلة. كما أن الوديان الكثيرة، وهي أخاديد قليلة العمق عريضة ورملية تنحدر من الجبال متجهة نحو الجنوب الغربي، لا ينبت فيها سوى الأكاسيا التي يستخرج منها السكان المطاط وفحم الخشب. ولذلك لا يملك الحويطات الموجودون هنا سوى عدد قليل من الإبل، وبالمقابل كثيراً من الماعز والغنم في الجبال والبقر في الساحل[2].

بالإضافة إلى ذلك تملك القبيلة واحات النخيل: العينونة، والخريبة، والشرمة. ومن أكبر الملاكين هنا عائلة الشيوخ أبو طقيقة، يبدو عن طريق الوراثة من أجدادهم لأمهم، بني عقبة. ويتولى استثمار هذه الأملاك والعناية بها فلاحون، حسب الطريقة المألوفة. المركز الرئيسي للقبيلة ومقر عائلة شيوخها هو ضبا. يصل الحويطات في الجنوب حتى وادي أزلم[3]. حيث يجاورون البلي. وهذه المنطقة

---

(1) الاسم المحلي للتهامة الكلاسيكية؛ انظر فالين، مجلة الجمعية الجغرافية الملكية، لندن، 1851م، ص 201، 305 وما بعدها.

(2) موزيل، شمال الحجاز، ص 141. في سنة الجوع 1910م اضطرت عائلة الشيخ إلى إرسال خيولها إلى مصر وإبلها إلى عمق الداخل لكي تنقذها من الموت. المصدر نفسه، ص 128.

(3) يرد الاسم "أزنم" أيضاً.

بكاملها كانت في السابق، حتى وادي الدامة على الأقل، تابعة لبني عقبة ثم أخذها منهم الحويطات، بعضها بالطرق السلمية وبعضها الآخر عن طريق الحرب[1].

أدى تغيير طريق الحج المصرية في عام 1885م وانتقال السيادة على المنطقة من مصر إلى تركيا (1892م) إلى حدوث استياء كبير لدى الحويطات[2]. وخلال الحرب العالمية وقفوا بعد الاستيلاء على وجه إلى جانب الشريف حسين[3]. وبعد سقوط مكة في عام 1924م انضموا إلى الدولة الوهابية، لكن شيخ مشايخهم أبو طقيقة، أمير الضبا، هرب عام 1928م إلى الأمير عبد اللّه في شرقي الأردن. وفي عام 1932م دخل مع شيخ من البلي إلى شبه الجزيرة العربية لكي يسقط حكم آل سعود في الحجاز. لكن المحاولة فشلت. أما هو نفسه فقط بقي في المعركة[4].

تسود علاقة عداء بين حويطات التهمة وأقربائهم في الشمال، العمران. وفي عام 1929م أصبحوا ضحية العديد من الغزوات التي شنها بنو عطية[5].

نتيجة الظروف المعيشية الفقيرة في منطقة التهمة حاول الحويطات إيجاد موطن جديد لهم في سيناء. وقد نجحت أقسام من القبيلتين الفرعيتين، العبيات والجرافين (د 6، 13)، في ذلك في زمن سابق. لكن الفحامين (د 12) طردوا عام 1906م من جبل حلال وأعيدو إلى شبه الجزيرة العربية. وخلال الحرب العالمية وبعدها نزلت مجدداً عائلات من الفحامين والقرعان (د 9) في خليج العقبة لكي تتفادى الجوع. وقد أدى مجيئهم إلى هناك إلى حدوث خلافات مع الطورة[6].

---

(1) برتون، بلاد ميدين، الجزء الأول، ص 168، الجزء الثاني، ص 11، 93.

(2) شمال الحجاز، ص 130 وما بعدها.

(3) لورنس، ص 173.

(4) أم القرى العدد 184 لا تذكر اسمه (الأول)؛ الشرق الحديث، 1932م، ص 347 تسمية محمود أبو طقيقة. وليس معروفاً ما هي علاقة القربى التي تربطه بالشيخين المذكورين عند موري، ص 248، وهما: شاذلي عليّان وأحمد أبو طقيقة.

(5) شمال الحجاز، ص 93؛ أم القرى، العدد 238.

(6) موري، ص 247 وما بعدها؛ شقير، ص 120؛ انظر موزيل، الجزء الثالث، ص 49.

حويطات مصر

بما أن الصلات بين مجموعات المجمع المختلفة لم تنقطع تماماً، نود في الختام ذكر بعض الأخبار عن الفرع المصري للحويطات.

كان عدد حويطات مصر في عام 1897م نحو 10000 نسمة[1]، وتقع منطقة تنقلهم جنوبي خط القاهرة السويس حتى جبل غلاله. لعائلة شيوخها (ابن) شديد أملاك في القاهرة وفي أج هور الصغرى (محافظة القليوبية). الشيخ الحالي اسمه إسماعيل بيه شديد، وهو يعيش قرب بلبيس. وقد تمّ التمكن من معرفة الشخصيات التالية من أسلافه: عبد الكريم وسعد بن شديد، الأخر الأكبر لسعد، سلامة، وأبوهما إبراهيم المتوفى عام 1882م. في الثلاثينيات كان الحكم في يد منصور بن شديد، وكان واحد من أبناء شديد يقود البدو المصريين، التسن، الذين رافقوا ابن محمد علي باشا عام 1811م خلال حملته إلى شبه الجزيرة العربية[2].

كان حويطات مصر يقدمون في السابق، مع قبائل محافظة القليوبية الأخرى، كل ثاني عام الجمال التي تحتاجها قافلة الحج المصرية. لكنهم كانوا وحدهم يقدمون قائد القافلة ودليلها[3].

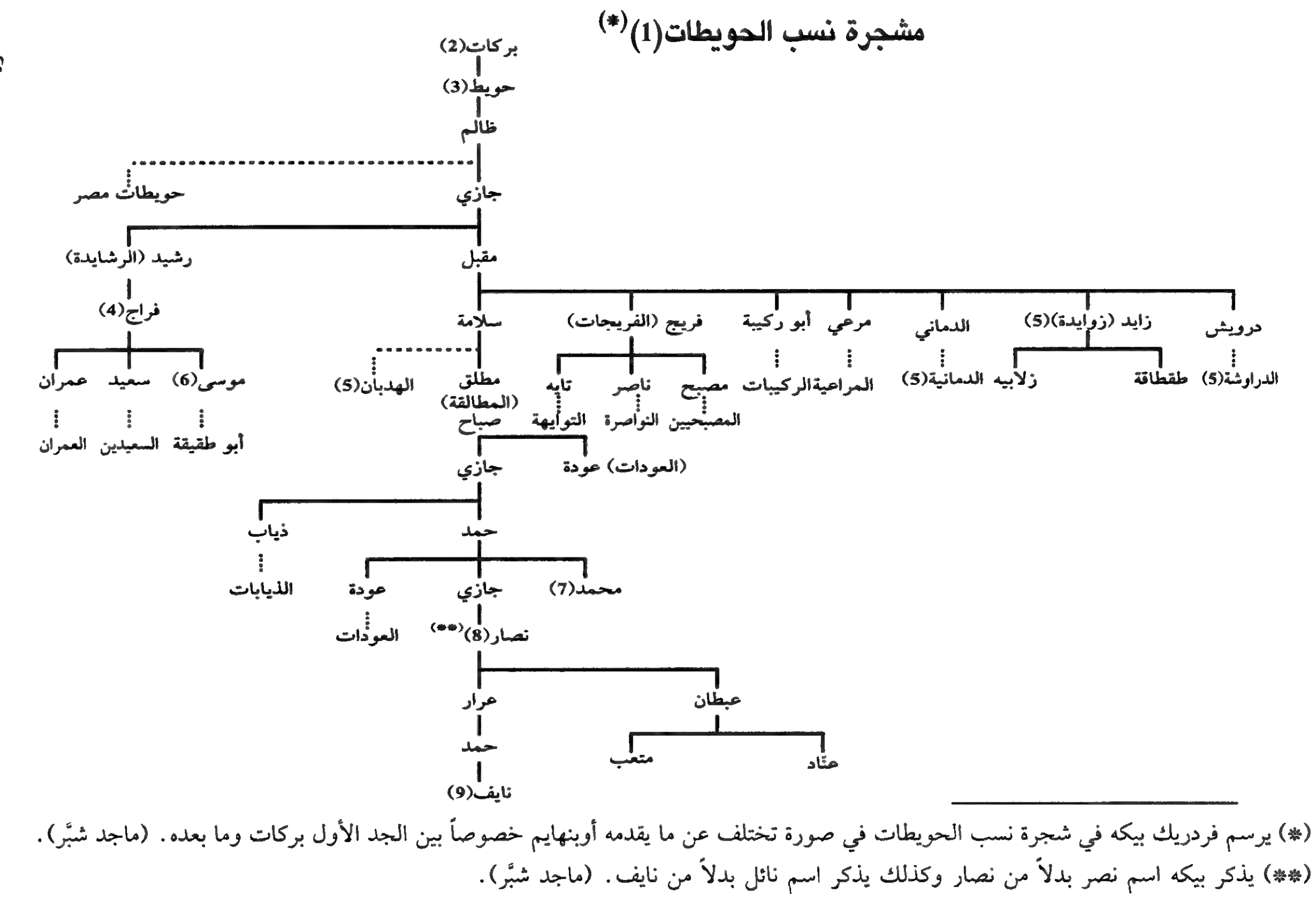
---

(1) الإحصاء العام في مصر، القاهرة، 98.

(2) موري، أبناء إسماعيل، ص 245 وما يليها؛ شقير، ص 120؛ الشرق الحديث، 1926م، ص 497؛ هاينس، رجل يصطاد في الصحراء Man - Hunting in the Desert، ص 153؛ روبنسون، الجزء الثالث، ص 106؛ الجبرتي، الجزء التاسع، ص 11.

(3) شقير، ص 263 وما بعدها.

مشجرة نسب الحويطات(1)(*)



(*) يرسم فردريك بيكه في شجرة نسب الحويطات في صورة تختلف عن ما يقدمه أوبنهايم خصوصاً بين الجد الأول بركات وما بعده. (ماجد شبَّر).

(**) يذكر بيكه اسم نصر بدلاً من نصار وكذلك يذكر اسم نائل بدلاً من نايف. (ماجد شبَّر).

ملاحظات عن مشجرة نسب الحويطات

1 ـ من الواضح أن شجرة النسب وضعت من وجهة نظر عائلة الجازي. فالقبائل الفرعية لحويطات ابن جازي تظهر في جميعها تقريباً وكتفريعات من أسرة الشيوخ. وحتى العمران، والسعيديين، وحويطات التهمة (أبو طقيقة) نراهم هنا ينحدرون من جازي، بينما تعطي هذه القبائل نفسها (بورتن، ميدين، الجزء الأول، ص 162) شجرة النسب التالية:

عليّان الحويطي[1]

سعيد (السعيديين) سويعد (حويطات التهمة) عمران (العمران) علوان (العلاوين)

شجرة النسب عند بيكه (ص 236) تحاول توحيد الشجرتين في شجرة واحدة.

2 ـ اسم نموذجي من أسماء الشرفاء. عند بورتن أيضاً (المصدر السابق نفسه) توجد إشارات إلى علاقات الحويطي مع الشرفاء.

3 ـ هناك تفسيرات عديدة لهذا الاسم موجودة في (حكاية القبيلة، انظر الصفحة 421 أعلاه)؛ ياوسن، ص 108 وما بعدها.

4 ـ يبدو أنه يمثل أيضاً الجد الأول للفرّاجين (علاوين، انظر الملاحظة 13 العائدة للجدول).

5 ـ القبائل الفرعية المنحدرة من هذا الجد هي من ناحية النسب ليست حويطات! انظر الملاحظة العائدة للجدول.

6 ـ يظهر موسى هنا كجد لعائلة شيوخ حويطات التهمة (أبو طقيقة). أما في

(1) موري، ص 246، يذكر بدلاً من عليان الحويطي: عليان أبو طقيقة؛ قارن بهذا الخصوص الملاحظة 21 العائدة للجدول.

الحقيقة فهو جد الموسة (د ـ 7) الذين يعتقد أن عائلة شيوخ حويطات مصر تنحدر منهم (بورتن، مناجم الذهب في مدين، الجزء الأول، ص 335).

7 ـ أضيف استناداً إلى بيكه. وهو يعود إلى سبعينيات القرن الماضي؛ بورتن، مدين، الجزء الأول، ص 335.

8 ـ كان نصار يحكم في ستينيات القرن الماضي (دوك دي لونيه، الجزء الثاني، ص 135).

9 ـ حسب بيكه.

الحويطات(1)

آ ـ حويطات ابن جازى(2)

شيخ المشايخ: حمد بن جازى

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ المطالقة	محمد بن جازى		360
أ ـ الذيابات(3)			
ب ـ العودات			
2 ـ التوايهة	محمد أبو تايه		400
أ ـ الفريجات			
ب ـ النواصرة			
جـ ـ السميحيين(4)			
د ـ المصبحيين(5)		صيفاً: الشراة	
هـ ـ الفتنة(6)		شتاء: الجفر؛ الطبيق	
3 ـ الرشايدة(7)	علي بن مصطفى		36
أ ـ الرشايدة			
ب ـ هزاهزة			
جـ ـ عصابنة			
4 ـ ولد سليمان	صباج أبو نوير		430
أ ـ الركيبات			
ب ـ العثامنة			
جـ ـ اللوافي			

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
د ـ دقادقة			
5 ـ المراعية	عودة أبو عجيل		500
أ ـ مراعية الشمالية	سالم بن حماد		
ب ـ مراعية الجنوبية	دبور الرصاعي		
جـ ـ العجول	عودة العجيل		
6 ـ الزوايدة(8)	محمد بن مفلح	صيفاً: الشراة شتاء: الجفر؛ الطبيق	360
أ ـ الزوايدة			
ب ـ الزلابية			
جـ ـ طقاطقة			
7 ـ الدراوشة(9)	بخيت الدراوشة		180
8 ـ الدمانية(10)	قاسم أبو دميك		180
9 ـ الهدبان(11)؛ البطونية	جمعة الهدبان		40
قبائل ملحقة			
1 ـ العطون	هويمل العطنى		
2 ـ النعيمات(12)	نهار السبوع	صيفاً بسطة شتاءً: إلى الشرق في الصحراء	190
أ ـ السبوع	نهار السبوع		32
ب ـ السلالمة	سلامة أبو شتان		58
جـ ـ العلادية	نجم بن سليمان		55
د ـ العراقدة	جدعان بن خلف		40

ب ـ حويطات ابن نجاد (العلاوين)(13)

شيخ المشايخ: حسن بن نجاد(14)

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ النجادات	حسن بن نجاد		150
2 ـ السياحيين(15)	محمد النخيري		100
3 ـ الموسى			
4 ـ الصويلحيين			
5 ـ الحساسين			
6 ـ المناجعة		الطرف الشمالي للمسمىٰ بين الشراة ـ حسمى ـ ارم	
7 ـ القلاعيين	هليل بن عثمان		90
8 ـ القدمان	عيد القديم		60
9 ـ السلمان	إبراهيم بن شطيط		
10 ـ الخضيرات	زعل بن سالم		
11 ـ الدبور(16)	حمد الدبري		80
12 ـ البدول(17)	إبراهيم بن زيتون		

جـ ـ العمران(18)

شيخ المشايخ: ابن مقبول(19)

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ الشمسان	ابن مقيول	شرق وجنوب العقبة	
2 ـ شيخان	ابن هليل	شرق وجنوب العقبة	85
3 ـ النخير	محمد النخيري	شرق وجنوب العقبة	
4 ـ الحميدات	عيد بن ذياب	شرق وجنوب العقبة	
5 ـ الناصر	هليّل العصابين		
6 ـ الريعيين	شكشك بن حمّاد	شرق وجنوب العقبة	65
7 ـ العصبان	ابن عصبان		

د ـ حويطات التهمة (حويطات أبو طقيقة)(20)

شيخ المشايخ: أبو طقيقة(21)

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ العميرات(22)		الولي سمعول؛ البدع: المقلة	100
أ ـ الفوايزة			
ب ـ الحروق			
جـ ـ الشهابيين			
د ـ النصيرات			

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
هـ ـ الغدايرة			
و ـ الرواشدة			
ز ـ الفوسة		عينونة	
2 ـ الذيابين		عينونة	
3 ـ الزماهرة		عينونة	
4 ـ الطقيقات(21)		ضبا	
أ ـ ذوي سلامة			
ب ـ ذوي عميرة			
جـ ـ ذوي عليان			
5 ـ سليميين			
أ ـ الدقايقة			
ب ـ الأربنيات(23)			
جـ ـ الطقاطقة		البديع	
د ـ السوبّات			
6 ـ العبيات(24)		الازلم	
أ ـ اللهابية			
ب ـ النويجعات			
جـ ـ الطراطحة			
7 ـ الموسة			
أ ـ القدود		وادي الصر	
ب ـ النجامات		شعب	

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
جـ ـ سباتين		شغب	
د ـ الحفا		شغب	
8 ـ المشاهير			
أ ـ الحطايعة			
ب ـ النصابرة			
جـ ـ المكاكوة			
د ـ البدون			
9 ـ القرعان			
أ ـ الرواشدة		الأزلم	
ب ـ ذوي براهيم		وادي مرة	
جـ ـ الجلاوية		وادي مرة	
د ـ النصيرات		وادي مرة	
هـ ـ ذوي حمود		وادي مرة	
10 ـ الجواهرة			
11 ـ القبيضات		ضبا	
أ ـ الطوايرة			
ب ـ عيال نويفل			
جـ ـ الجواسرة			
12 ـ الفحامين(25)			
أ ـ أولاد سعيد			
ب ـ الحمادات			

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
13 ـ الجرافين(24)		وادي ضبا	
أ ـ القطوح			
ب ـ البسة			
قبائل ملحقة			
المساعيد(26)			
أ ـ البداعين		البدع	
ب ـ الفراحين		القيال	20

ملاحظات

1 ـ يضم الجدول جميع مجموعات الحويطات باستثناء، حويطات مصر والحويطات الذين سبق وعالجناهم، أي حويطات سيناء والسعيديين. عدد الخيام: ابن جازي: 2486 (دون القبائل الملحقة)، ابن نجاد 530، على الأرجح صحيحة، بريمون (الحجاز في الحرب العالمية، ص 121): ابن جازي 400، ابن نجاد 200، أبو طقيقة 200، يبدو قليلاً جداً. زركلي (ص 23): "أكثر من 4000 محارب عند ابن جازي"، رقم عال جداً.

2 ـ قوائم تفصيلية موجودة عند موزيل، الجزء الثالث، ص 53 وما بعدها؛ زركلي، ص 23 وما بعدها؛ ترييز (استناداً إلى سلمان) ص 213؛ ياوسن، ص 392 وما بعدها يذكر 5 قبائل فرعية، بضعها يظهر عند لورنس، ص 295، 353، 359.

صيحة حرب ابن جازي: أخو صيتة! صيحة حرب أبو تايه: إخوة عليا! بالإضافة إلى ذلك هناك صيحة حرب مشتركة: إخوة صالحة، خيّالة الصفحة! (الصفحة تعني الجزء الجبلي الغربي من الشراه، موزيل، الجزء الثاني، ص 228).

وسم الجوازي: ∧ على الورك الأيسر. أبو تايه يستعملونه بشكل متغير قليلاً: ∧ .

3 ـ مذكورة عند فالين، مجلة الجمعية الجغرافية الملكية، لندن، 1854م، ص 129.

4 ـ حسب بيكه، ص 233، من أصل غريب.

5 ـ قائد غزوات مفلح بن مصبّح، أم القرى، العدد 199 (1928م).

6 ـ الشيخ علي أبو فتنة، لورنس، ص 264.

7 ـ تسمى القبيلة عند المؤرخين القدامى حويطات أبو رشيد. وعند موزيل أيضاً تظهر كمجموعة مستقلة تستعمل وسم الجازي. تولى محمد بن رشيد حماية إربي ومانغلز عند زيارتهما للبترا عام 1818م (ص 382 وما يليها).

8 ـ حسب بيكه من أصل غريب.

9 ـ حسب موزيل، بلي.

10 ـ حسب بيكه، بني عطية.

11 ـ بني عطية. هم، كما يبدو = العطانة الذين كانوا في عامي 1927/ 1928م يشنون بقيادة عودة العطانة غزوات ضد الوهابيين، أم القرى، العدد 164، 166، 170، 181. عودة يظهر عند زركلي، ص 23، بصفة شيخ العطون.

12 ـ قبيلة مستقلة، انظر موزيل، ص 55؛ روبنسون (الجزء الثالث، ص 106): بني نعيم. نعيمات الشراة فلاحون وهم يتبعون في الحرب الجازي. صيحة الحرب: صبيان الحرانة! الوسم هو نفس وسم الجازي (الفاجح) أو النقرة على الأنف وخط على الأذن اليسرى.

13 ـ بورتن، موزيل، ص 54 وما بعدها، لورنس (ص 309)، شقير (ص 120) وآخرون يكتبون ابن جاد. من القبائل الفرعية الواردة في قائمة موزيل نذكر

هنا الفراجين لأن اسم جدهم مذكور في شجرة نسب القبيلة. صيحة الحرب: إخوة صالحة! الوسم هو وسم الجازي نفسه.

14 ـ معروف من أسلافه: سالم بن حماد 1910م، حسين بن محمد 1902م، محمد بن حسين (توفي 1900م) الذي كان يحكم منذ السبعينات، حسين وأخوه سالم في الثلاثينات، أحمد رشيد 1828م؛ موزيل شمال الحجاز، ص 65؛ البتراء العربية، الجزء الثاني، 2، ص 192؛ الجزء الثالث، ص 52؛ بورتن، مدين، الجزء الأول، ص 233؛ ريتر، الجزء الرابع عشر، ص 976 وما بعدها.

15 ـ بوركهاردت "سيايهه" (ص 313)، .

16 ـ الدبور، وكذلك البدول، هم في الأصل قبيلة مستقلة، انظر بوركهاردت، ص 313؛ موزيل، الجزء الثالث، ص 47. في "شمال الحجاز"، ص 79، يعتبرهم من العمران.

17 ـ كانت القبيلة في السابق تحكم في وادي موسى. وللرحالة الأوروبيين تجربة سيئة مع عائلة شيوخها أبو زيتون. في الوقت الحاضر يعيش بدول وادي موسى منفصلين عن رفاقهم من القبيلة وهم 25 أسرة فقيرة يحتقرهم جيرانهم ويعتبرونهم من النور «الغجر». شيخهم سلامة بن جمعة.

18 ـ أو العُمران. أقدم قائمة موجودة عند روبنسون، الجزء الأول، ص 300، حيث يرد ذكر القبائل الفرعية الواردة عندنا تحت 4، و6، و7. وقائمة موزيل، ص 48، يتجاوزها الكاتب نفسه في كتابه «شمال الحجاز»، ص 79. والفضول الذين يذكرهم هناك ـ 20 خيمة قرب حقل ـ يرد ذكرهم أيضاً عند روبنسون. يشترك العمران في صيحة الحرب مع ابن نجاد، أو بالأحرى ابن الجازي، إلا أنه لهم وسم مختلف: ┬ على الجهة اليسرى من الرقبة.

19 ـ عائلة الشيوخ مذكورة عند روبنسون. بورتن، مدين، الجزء الأول، ص 87، يذكر خضر وإبراهيم بن مقبول، موزيل (1910م) عمران السالم المقبول. أما قاسم الهليّل، الذي يعتبره شقير، ص 120، شيخ مشايخ القبيلة، فهو ينتمي، ربما

إلى عائلة أخرى، انظر ياوسن، ص 109، وهنا حـ 2.

20 ـ توجد قوائم عند فالين مجلة الجمعية الجغرافية الملكية، لندن، 1851م، ص 302؛ بورتن، مناجم الذهب في مدين، ص 152 وما بعدها. تعتمد الجداول على قوائم موزيل، الجزء الثالث، ص 48 وما بعدها، شمال الحجاز، ص 129، انظر أيضاً 101، مع تغييرات طفيفة. يُضاف إلى ذلك، حسب بورتن، القبيلتين الفرعيتين، الغناميين والسلالمة، الممثلتين أيضاً في مصر وسيناء.

21 ـ ترجع عائلة أبو طقيقة شجرة نسبها إلى سلامة الذي كان يلقب بأبي ريش. من زواجه من ابنة أحد مشايخ العقبة رزق ولداً اسمه عيد. وحصل بن عيد، عليان، على لقب "أبو طقيقة" بسبب أثر جرح بالسيف (طقيقة؟) على جبينه. ونسبة له تسمى المجموعة حويطات عليان. وهناك عليان آخر كان يحكم في ثلاثينات القرن التاسع عشر، وفي وقت لاحق ياسين بن عليان. فلشتيد (1833م)، الجزء الثاني، ص 115، 171؛ بورتن، مدين، الجزء الأول، ص 168 وما بعدها؛ ياوسن، ص 109؛ شكيب أرسلان، الارتسامات اللطاف في خاطر الحاج إلى أقدس مطاف، ص 276؛ انظر الصفحة 434، الملاحظة 1، أعلاه.

22 ـ ممثلون في مصر أيضاً، موري، ص 246 (عميرات).

23 ـ فالين: عرينات.

24 ـ ممثلون أيضاً في مصر (وفي سيناء)، موري.

25 ـ موزيل، الفحامين.

26 ـ يرتبط المساعيد مع الحويطات برابطة ضعيفة، ولا توجد بينهم أي قرابة من ناحية النسب، بل يعتقد بأن لهم صلة قربى مع بني عقبة؛ انظر الصفحة 69 أعلاه. وهم يعتبرون وادي ليف موطناً لهم، الذي يرد ذكره في حكايات كثير من القبائل؛ فالين، مجلة الجمعية الجغرافية الملكية، لندن، 1851م، ص 303 وما بعدها؛ موزيل، شمال الحجاز، ص 102، 117 وما بعدها.

المساعيد هم القبيلة الأم لمساعيد وأحيوات سيناء ولمساعيد الغور.

الجزء الثاني

القسم الرابع

الحجاز

مدخل

يبدو أن اسم "الحجاز" كان يطلق في الأصل على سلسلة الجبال الواقعة بين المدينة ومكة والتي تفصل بين الهضبة الداخلية نجد والسهل الساحلي تهامة، ولكنه توسع في وقت مبكر ليشمل كامل المناطق المحيطة بالمدينتين. وبما أن حدود هاتين المنطقتين تغيرت مراراً وتكراراً في الشمال والشرق، فقد كان هناك منذ القديم خلاف حول حجم منطقة الحجاز.

ونحن سنستعمل هنا التعبير بأقصى اتساع له وسنعني به المنطقة الساحلية الواقعة في غرب شبه الجزيرة العربية، من رأس خليج العقبة حتى حلي.

هذه المنطقة لها في الشمال حدود طبيعية هي جبال الشراه، أما في الجنوب فلها حدود سياسية فقط: فقد كانت حلي منذ زمن طويل النقطة الواقعة في أقصى جنوب إمارة مكة، وهي تشكل الآن في مملكة آل سعود الحدود بين الحجاز وإمارة تهامة.

الشريط الساحلي للحجاز غير مضياف، فالشعاب المرجانية والكتل الرملية القريبة من سطح البحر تعيق الرسو على الشاطىء. ولا يحتوي السهل الساحلي، الضيق في الشمال والذي يزداد عرضه كلما اتجهنا نحو الجنوب، على مناطق خصبة إلا في شمال وجنوب جدة، ميناء مدينة مكة. أما المنطقة الداخلية فهي منطقة عالية قاحلة تحتوي على عدد قليل من الواحات. وفي الشمال تنبثق من

المنطقة الساحلية جبال منفردة يصل ارتفاعها إلى ما يزيد على 2000 متر. وخلف هذه الجبال يبرز الطرف الحاد (الجلس، الشفا)، وهو سهل مرتفع ينحدر نحو الشرق ويقع في الشمال تحت مستوى الجبال الساحلية، بينما يصل بعد ذلك إلى ارتفاعات تزيد على 1500 متر. وقد تفتتتُ تربة هذا السهل المرتفع في الشمال الغربي، في منطقة حسما، وتحولت إلى رمل، بينما يغطيها في الجنوب الشرقي ركام بركاني يشكل الصحرائتين الصخريتين حرّة الرحا وحرّة العويرد. وبعيداً في الشرق تعود المنطقة إلى الصعود لتتصل بعد ذلك دون حدود طبيعية مع الهضبة الداخلية. وإلى الجنوب من حرة العويرد تفقد الأرض تضاريسها المتميزة وعند ينبع، ميناء المدينة (المنورة)، يشمخ جبل رضوى (1800 متر)، ويمتد خلفه سهل مرتفع يزيد ارتفاعه على 1000 متر، لكنه ينخفض على مقربة من المدينة إلى 500 متر.

أما المنطقة الواقعة بين المدينة ومكة، المغلقة أمام غير المسلمين، فهي بجزء كبير منها "أرض مجهولة". وإلى الجنوب الغربي من المدينة تبدأ جبال تتخللها وديان عميقة وتتحول في الشرق والجنوب، حسبما يتبين من الخرائط، إلى سهل مرتفع.

إلى الجنوب من مكة تغير الطبيعة وجهها، فتتقلص الجبال إلى شريط ضيق مرتفع (السراه، يسمى اليوم: العقبات) تتفرع عنه باتجاه البحر والصحراء سلاسل جبلية أخرى وينابيع امتداده عبر عسير إلى اليمن.

ومن الخصائص المتميزة لغربي الجزيرة العربية المناطق المغطاة بالصخور البركانية (الحرّة) والتي تشكل بعضها في العصر التاريخي. فقد حدث آخر انفجار بركاني في عام 654هـ/ 1256م قرب المدينة. ولقد سبق وذكرنا الحرّتين الشماليتين. أما أكبر الحرات فهي حرَّة خيبر، شمال المدينة، التي تشكل قمتها مفرق المياه بين البحر الأحمر والخليج العربي.

يتصل سهل المدينة بعدد من المناطق البركانية الصغيرة التي تمتد نحو الجنوب

وتتصل بالسهل العالي الذي تغطيه فوق مكة حرة أخرى. وعلى مسافة أبعد في الشرق، في منطقة تابعة لنجد، تبدأ مجموعة من المناطق البركانية الأكبر التي تتوجه طبقاتها نحو الجنوب الغربي وتقترب أيضاً من مكة.

لا يوجد في الحجاز إلا واديان كبيران هما: وادي الحمض ووادي فاطمة ينبع وادي الحمض، الذي كان يسمى قديماً وادي إضم، في الجنوب من حرة خيبر وينعطف في المدينة نحو الشمال الغربي ويصل إلى البحر جنوب مرفأ الوجه. ويصب فيه في مجراه الأسفل وادي الجزل الذي ينبع بعيداً في الشمال بين حرة الرحا وحرة عويرد، ووادي عيص القصير من الجنوب. أما وادي فاطمة (اسمه الكلاسيكي بطن مرّ، مر الظهران، ويسمى في مكة منذ قديم الزمان ببساطة "الوادي") فيسير شمال مكة ويصب إلى الجنوب من جدة. وإلى الشمال الغربي من مكة تظهر فيه المياه الجوفية في ينابيع أو آبار مما يتيح المجال لزراعة البساتين وأشجار النخيل. كما أن المجرى المتوسط للوادي، والمسمى وادي ليمون، مزروع أيضاً، لا بل توجد زراعات متفرقة في بعض مواقع المجرى الأعلى، المسمى وادي الشاميَّة (التسمية الكلاسيكية: نخلة الشامية)، وفي وادي اليمانية (نخلة اليمانية) المرتبط به.

فيما عدا ذلك فإن الحجاز فقير بالمياه. فالشمال لا يحتوي سوى ثلاث واحات كبيرة هي: تبوك، حيث تتجمع في حوض كبير المياه المنحدرة من سفوح الجبال المجاورة ومن الهضاب الشرقية، والعلا عند أسفل حرة عويرد، وخيبر. ويعود الفضل في خصوبة خيبر إلى ينابيع اخترقت الطبقة البركانية وفتتت الصخور وحولتها إلى طبقة من التربة الخصبة. وفي الجنوب تتميز سهول الطائف المرتفعة بمناخها اللطيف وبغناها بالمياه ـ فهي تقع في مجال الرياح الموسمية المطرية.

جميع المراكز السكنية الكبيرة الأخرى لا يعود الفضل في وجودها إلى الشروط الطبيعية وإنما إلى العاملين اللذين يحركان تاريخ الحجاز وهما: الدين والتجارة.

هناك طريقان للتجارة والحج تخترقان البلاد من الشمال إلى الجنوب. الطريق السورية تنحدر عند بطن الغول جنوبي معان إلى السهل الذي ينبسط على امتداد الطرف الشرقي لسلسلة الجبال. وإلى الجنوب من تبوك تعبر امتداداً جبلياً لتدخل عند العلا في السهل الذي يصل إلى المدينة. والطريق المصرية التي تدخل عند العقبة (أيلة) إلى الحجاز ثم تغادر عند حقل شاطىء الخليج، لكنها تعود بعد وقت قصير إلى البحر. وإذا ما كان المرء في العصور الوسطى يريد الذهاب إلى المدينة كان ينعطف، قبل الوصول إلى البحر، نحو الداخل ويذهب عبر بلدتي شغب وبدا إلى العلا[1]، وفي وقت لاحق كان المرء يسير على الساحل حتى الوجه ويصل إلى الطريق السورية في نقطة بعيدة تحت العلا قرب شجوة ومن المدينة توجد عدة طرق إلى مكة. ثلاث منها تنحدر عبر ممرات صعبة نحو الجنوب الغربي إلى السهل الساحلي عند رابغ (180 ـ 200 كيلو متر): الطريق الرئيسية، درب السلطاني، تؤدي عبر بير عباس وممر الخيف الجديّدة إلى مستورة التي يمكن الوصول إليها أيضاً على طريق أقصر تنعطف قبل بير عباس وتمر في خلص، أو على طريق ملتفة ومسلوكة كثيراً تمر في بدر. أما الطريق الثانية، درب الفرعي (المسماة على اسم منطقة الفرع التي كانت مزروعة جيداً في الماضي)، فتمر في نقطة أبعد إلى الشرق عبر بير رضوان إلى رابغ. وأما الطريق الثالثة، الواقعة بين الطريقين السابقتين، درب الغائر، فهي أقصر طريق إلى رابغ، ولكن لا يمكن أن تمر فيها إلا الحيوانات المحملة حمولة خفيفة. أما المقطع الممتد من رابغ عبر خليص وعسفان إلى مكة (180 كم) فلا يحتوي على أي صعوبات. وهناك طريق رابعة (400 كم)، تسمى درب السلطاني أيضاً، تتفادى المرور في الجبال وتصل إلى مكة من جهة الشرق فهي تحتوي على صعوبات طبيعية أقل من الطرق الثلاث الغربية، لكنها في الصيف لا تحتوي على الماء. وهناك طريقان تؤديان من مكة إلى اليمن، الأولى على امتداد الساحل والثانية عبر وادي يمانية بمحاذاة الطائف.

---

(1) أو السقيا التي كانت تقع بعيداً إلى الأسفل في وادي الجزل.

وبينما كانت الطرق التجارية مسلوكة منذ قديم الزمان، فإن السفر عبر البحر لم يبدأ إلا بعد ظهور الإسلام. والمرافىء الحالية، باستثناء مرفأ جدة، مؤسسة جميعها في زمن حديث. فالوجه، مرفأ الشمال، هو مدينة قديمة حقاً ولكنه لم يصبح مرفأ إلا في العهد العثماني. وينبع، التي تسمى ينبع البحر لتمييزها عن واحة ينبع الواقعة في الداخل والمسماة ينبع النخل، لم تصبح مرفأ للمدينة إلا في أواخر العصور الوسطى، وهي متصلة مع المدينة بطريقين: الطريق العادية التي تلتقي عند الحمرا مع درب السلطاني، والطريق المسماة طريق طريف التي تمر في ينبع النخل. أما قنفذة، وهي مرفأ كبير نسبياً جنوبي مكة، فهي تعود إلى العصر الحديث.

لا تتوفر لدينا سوى معلومات شحيحة عن تاريخ الحجاز قبل الإسلام. وتستند هذه المعلومات إلى أسماء بعض الشعوب في الإنجيل وفي أخبار الحروب الآشورية، وإلى بعض الملاحظات القليلة لكتّاب العصور القديمة والكتابات المنقوشة على الصخور الموجودة في بعض محطات الطرق القديمة. على مدى مئات السنين كانت قوافل الشعوب العربية الجنوبية المعينيون والسبأيون، تعبر الحجاز لكي تنقل منتوجات بلاد البخور، حضرموت، والبضائع الهندية إلى موانىء البحر المتوسط. وكانت لهذه القوافل محطات تجارية كان أهمها محطة ديدن (العلا). وفي النصف الثاني من الألف الأولى قبل الميلاد بدأت تنتشر في هذه المنطقة الحضارة الآرامية المنطلقة من تيما. ويظهر تأثير هذه الحضارة، إلى جانب الحضارة العربية الجنوبية الأكثر قوة، لدى اللحيان الذين خلفوا المعينيون في ددان ـ العلا. وقبل الميلاد بفترة قصيرة استولى الأنباط (انظر مقدمة قسم شرقي الأردن) على شمال الحجاز. عندئذ أصبحت الحجر (إقرا، وفي وقت لاحق مدائن صالح)، الواقعة شمال العلا، المركز التجاري للجزء الجنوبي من المملكة النبطية، كما كانت البتراء في الشمال. وعندما استولت الأمبراطورية الرومانية على الجزء الشمالي من المملكة النبطية في عام 106 بعد الميلاد، نهض في الجزء الجنوبي شعب ثمود الذي ذكر لأول مرة في التقارير الحربية الآشورية في القرن الثامن قبل

الميلاد، ثم ورد ذكره في أسماء الفيالق العسكرية الرومانية المتأخرة، وأخيراً في القرآن الكريم كشعب قديم أباده الله. وتنسب إلى هذا الشعب كتابات منقوشة على الحجر عثر عليها بأعداد كبيرة في المنطقة الممتدة من تبوك حتى العلا ومن ساحل البحر الأحمر حتى جبل شمّر.

ليس من الممكن التعرض في إطار هذا العمل إلى التطورات التي أدت إلى انقراض الحضارات القديمة في شبه الجزيرة العربية. حدثت تلك التطورات في القرنين الرابع والخامس تقريباً وكانت نتيجتها انتشار الحياة البدوية في جميع أرجاء البلاد بما في ذلك المدن. ويلاحظ هذا الوضع بأجلى صوره في مكة: فقد كانت هذه المدينة في القرن السادس وبداية القرن السابع تعيش حياة بدوية محضة. وإذا ما اعتبرنا مكة هي نفسها ماكورابه التي يذكرها بطليموس فإنها تكون مدينة أسسها العرب الجنوبيون. والأماكن المقدسة في المدينة، الكعبة والحجر الأسود في جدارها، والآماكن المقدسة في المنطقتين المجاورتين منىٰ وعرفات، قديمة جداً ولكن قريش هي التي جعلت المدينة المركز الديني والتجاري الأول في شبه الجزيرة العربية، وذلك بإحيائها لتجارة الترانزيت عبر غربي الجزيرة وحرصها في الوقت نفسه على تلبية حاجات البدو المقيمين في المناطق المحيطة بمكة.

عند النظر إلى خريطة قبائل الحجاز في القرن السادس وبداية القرن السابع الميلادي نجد في الشمال، في مدين القديمة، القبيلتين الشقيقتين اللتين سبق وتعرفنا عليهما في فصل فلسطين وشرقي الأردن وهما لخم وجذام اللتان تعتبران من السكان الأصليين على الرغم من أنهما نسبا في وقت لاحق إلى "عرب الجنوب". وبعد ذلك جاءت ثلاث قبائل من مجموعة قضاعة وهي: بلي التي كانت تنتشر حتى وادي إضم/ الحمض، وعذرة التي كانت تسكن بين حرة عويرض وحرة خيبر، وجهينة التي كانت تنتشر من وادي إضم حتى ما بعد خط ينبع ـ المدينة. وكان يجاورهم على الجانب الآخر من طريق الحج قبائل غطفان، وهم قيسيون ينتمون إلى نزار/ معد في وسط الجزيرة العربية (انظر الجزء الأول، ص335)، وفي جنوب شرق المدينة قبائل مزينة الأقل أهمية. وكانت المدينة

نفسها، وكانت تسمى آنذاك يثرب، تسكنها قبيلتان شقيقتان متعاديتان هما الأوس والخزرج، أقرباء الغساسنة الحاكمين في سورية (انظر ص253 من هذا الجزء إلى الجنوب من جهينة كانت تبدأ خزاعة، وهي قبيلة من أصل غير أكيد، اختلطت شيئاً فشيئاً مع كنانة، القبيلة الأم لقبيلة قريش. تنتمي كنانة إلى نزار/ معد الذين تنتمي لهم أيضاً هذيل التي كانت تسكن في الجبال الواقعة شمال وشرق مكة. وفي المنطقة الواقعة تحت مكة كانت تسكن قبيلتان قيسيتان هما فهم وعدوان، الأولى جنوب السراه والأخرى شمالها. كما أن كامل الجزء الشرقي من المنطقة الواقعة بين المدينة ومكة كان في يد قبائل قيسية، في الشمال كان بنو سُليم الأقوياء يليهم نصر جشم الأقل قوة. وكان يتحالف معهم أيضاً سكان الطائف الذين ينتمون من ناحية النسب إلى قبيلة إياد التي ضاعت في بلاد الرافدين (انظر الجزء الأول، ص105).

وفي شمال الحجاز بكامله، في قرية صيادي السمك مقنا على خليج العقبة، وفي وادي القرى، الاسم الذي كان يطلق آنذاك على منطقة ددان ـ العلا، وفي خيبر والمدينة، وفي الواحتين المجاورتين لنجد تيما وفدك (اليوم: حويّط)، كان يعيش يهود كانوا قد جاؤوا إلى تلك البلاد مع الأنباط. وكانوا يعملون في الزراعة وبعضهم في الحرف اليدوية. وكانوا قد تبنوا النظام القبلي العربي وانضم إلى صفوفهم العديد من العرب، ولكنهم ظلوا رغم ذلك عنصراً غريباً.

وفي المجال السياسي أيضاً كان الحجاز مفتوحاً أمام المؤثرات الغريبة. كانت القبائل الشمالية خاضعة للامبراطورية البيزنطية التي كان أتباعها الغساسنة يسيطرون على المنطقة ويؤكدون سلطتهم بشن غزوات بين الحين والآخر تصل حتى خيبر. ولم تسفر الحملة التي شنها عام 560م نائب ملك الحبشة انطلاقاً من اليمن ووصل بها إلى مكة والمدينة عن أي نتيجة، شأنها شأن الحملة التي كان قد شنها قبله إليوس غالوس (عام 24 قبل الميلاد).

هكذا كانت الظروف عندما أعلن محمد بن عبد الله، المنحدر من عائلة قرشية فقيرة متأثرة بالديانة المسيحية ـ كانت المسيحية تتوغل في شبه الجزيرة العربية منذ

القرن الرابع ـ دعوته. وبما أنه لم يلق قبولاً واسعاً لدى بني قومه المحافظين، وأصبح الوضع شيئاً فشيئاً غيرمحمول بالنسبة لجماعته الصغيرة، فقد هاجر من مكة خفية في عام 622م. وتوجه إلى المدينة بدعوة من الأوس والخزرج الذين كانوا قد تعبوا من الصراع فيما بينهم واعتقدوا أنهم وجدوا فيه الرجل المناسب لإعادة السلام إلى مدينتهم. وبالفعل فإن محمد لم يخيب أملهم. فخلال عام واحد نظم في المدينة دولة شُكل نواتها المهاجرون المكيون ومن اعتنق الإسلام من أهالي المدينة (الانصار، وهو اسم حل بعدئذ محل اسم الأوس والخزرج). وما أن انتهى من تنظيم مجتمعه الجديد حتى بدأ نوعاً من الحرب التجارية ضد مدينة أجداده مكة. في عام 624م توجه مع بضع مئات من رجاله لمهاجمة قافلة قادمة من سورية على الطريق المؤدية من وادي القرى شرقي الرضوا «رضوى» إلى السهل الساحلي. تمكنت القافلة من الإفلات ولكن محمد شن بالعدد القليل من رجاله هجوماً على جيش قريش الذي كان عدده أكبر ثلاث مرات وكان مجهزاً بمعدات أفضل وحقق عليه نصراً باهراً في موقع بدر الشهير. اكتسب محمد بعد معركة بدر سمعة كبيرة جداً إلى درجة أنه تمكن من تجاوز الهزيمة التي ألحقتها به قريش في العام التالي عند جبل أحد، شمال المدينة، دون إلحاق ضرر بقضيته.

وعندما نجح في العام الخامس للهجرة في إسقاط تحالف بين قريش وغطفان، كان قد أدى إلى محاصرة المدينة فترة قصيرة، أصبح في مركز آمن تماماً تجاه الخارج. ولكن في المدينة نفسها كانت تشكلت في هذه الأثناء معارضة اعتمدت في المقام الأول على اليهود. كان محمد يأمل في أن يعترف به اليهود نبياً، لكنه واجه رفضاً ساخراً وساءت العلاقة بسرعة كبيرة إلى درجة أنه وجد نفسه مضطراً بعد معركة بدر إلى طرد أضعف قبيلة من القبائل اليهودية الثلاث من المدينة. وبعد معركة أحد واجهت القبيلة الثانية المصير نفسه. وبينما كانت الأولى قد توجهت إلى سورية فقد ذهبت الثانية إلى خيبر. وعندما تبين خلال حصار المدينة المذكورة قبل قليل أن القبيلة اليهودية المتبقية تميل إلى التحالف مع العدو، قام محمد بالقضاء عليها دون رحمة: ثم قتل جميع الرجال وبيع النساء والأطفال عبيداً. وبعد احتلال خيبر وفدك في السنة السابعة للهجرة، قضي نهائياً على النفوذ

اليهودي في الحجاز. وفي وقت لاحق أصدر الخليفة عمر (634م ـ 644م) مرسوماً يقضي بطرد اليهود من الحجاز كلياً. ولكن يبدو أن المرسوم لم ينفذ بشكل دقيق؛ إذ إن قرح، البلدة الرئيسية في وادي القرى في فجر الإسلام، كان معظم سكانها في بداية القرن العاشر الميلادي لا يزالون (أو إنهم أصبحوا مرة أخرى؟) من اليهود.

في هذه الأثناء اضطرت مكة، تحت ضغط جيش قوامه ألف رجل قاده محمد في عام 6هـ/ 628م متوجهاً إلى مكة لكي يؤدي فريضة الحج، التي كانت قريش منعته عن أدائها، بالقوة إذا لزم الأمر، إلى القبول بهدنة مدتها عشر سنوات لم تعترف بموجبها به كنبي ولكنها اعترفت به كرئيس دولة متكافئة مع قريش. وقد تبين أن نتائج هذا الصلح، الذي اعتبره أنصار محمد القصيرو النظر تعبيراً عن الضعف، ملائمة إلى حد بعيد. إذ إن قبائل الحجاز التي كانت حتئذ تتردد في الالتحاق بمحمد، مراعاة لسمعة مكة ومقدساتها، أخذت بعد الصلح تنضم إليه بالجملة. وعندما انفجر من جديد النزاع القديم بين خزاعة وكنانة، حيث كانت الأولى متحالفة مع المدينة والأخرى مع مكة، اعتبر النبي ذلك بمثابة انتهاك لاتفاقية السلام من جانب المكيين. وفي عام 8هـ/ 630م دخل مكة دخول الفاتح المنتصر، ولم يلق سوى مقاومات منفردة لا تستحق الذكر، إذ إن الأرستقراطية المكية كانت قد استسلمت للأمر الواقع. وفي معركة حنين (بين مكة والطائف) حالفه الحظ في الدفاع عن انتصاره ضد قبائل البادية المتحالفة ضده. وفي العام التالي شن حملة على تبوك وأكمل بذلك إخضاع المناطق الحدودية الشمالية. وعندما رضخت الطائف طوعاً (العام التاسع للهجرة) أصبح الحجاز بكامله موحداً تحت راية الإسلام.

في عهد الخلفاء الثلاثة الأوائل ظل الحجاز نواة الدولة العربية وظلت المدينة عاصمتها. ولكن في عهد الخليفة الرابع علي، ابن عم النبي وزوج ابنته، فقد الحجاز هذا المركز لأن علي انتقل عام 656م إلى الكوفة في العراق. ومنذ ذلك الحين تراجع دور الحجاز إلى الظل. في عام 61هـ/ 680م ـ 681م حاول عبد الله ابن الزبير، ابن أحد الصحابيين الأوائل، انتزاع الخلافة من الأمويين في دمشق

(661م ـ 750م) وحكم العالم العربي من مكة، لكن محاولته باءت بالفشل. وقد حوصر في عام 692م في مكة وسقط في القتال. أما المدينة التي كانت قد تمردت أيضاً على الأمويين فقد أدبتها قوات سورية بطريقة مؤلمة في عام 63هـ/ 682م ـ 683م (معركة الحرة).

على الرغم من ذلك شهد الحجاز في هذه المرحلة ازدهاراً ثقافياً لا مثيل له من قبل ولا من بعد. فقد قام كثير من أصحاب النبي باستثمار الأموال التي حصلوا عليها نتيجة الفتوحات الإسلامية في شراء الأراضي التي أصبحت صالحة للزراعة بعد حفر القنوات المائية وإقامة السدود لاحتجاز مياه الوديان. وانتشرت هذه الثروات بشكل خاص في المناطق القريبة والبعيدة المحيطة بالمدينة: في وادي القرى، وينبع، وفي ناحية الفرع؛ وحتى في السهل الصخري المرتفع على درب السلطاني الشرقية كان يوجد آنذاك 8 قرى، لم يبق منها اليوم إلا اثنتان هما: السوارقية والصفينة. وحول مكة أيضاً ازدهرت الزراعة. فقد قام القريشيون بتأسيس مستوطنات جديدة في منطقة الطائف وعلى الشاطىء وفي منطقة عسير. وانتقل بعض الملاكين إلى هذه المستوطنات للعيش في مزارعهم. أما العمل الزراعي فكان يقوم به غالباً عبيد زنوج. وكان هذا بداية أولئك السكان الزنوج الذين لم نزل نجدهم اليوم في واحات الحجاز الجنوبي وفي المناطق المجاورة لنجد (خيبر، حناكيّة، خرمة، تربة).

في بادىء الأمر فقدت مكة في ظل الإسلام كثيراً من أهميتها، لأن العناصر الفعالة انتقلت إلى المدينة وفي وقت لاحق إلى الأقطار العربية. وفي العهد الأموي أصبحت مدينة للهو والمتعة، وفي وقت لاحق أصبح معظم سكانها من الغرباء الذين كانوا يبقون هناك بعد أداء فريضة الحج. وفي المدينة حدث تطور مشابه. فقد قضت معركة الحرة على ازدهار الطبقة النبيلة من الأنصار والمهاجرين. وحل محلها شيئاً فشيئاً العدد الكبير جداً من أحفاد علي من بنت النبي فاطمة ومن أحفاد أخيه جعفر. وازدهر في المدينة أيضاً فن الشعر والغناء، وفي الوقت نفسه الاهتمام الكبير بالعلوم الدينية: ففي المدينة وضعت أسس الفقه الإسلامي وعلم الشريعة.

ويجب ألا ننسى أن أحد العوامل التي ساهمت في هذا الإزدهار الثقافي الفريد في الحجاز هو الضعف الذي أصاب البدو بسبب حروب الفتح.

فقد لبى جميع شباب القبائل الدعوة إلى الجهاد. وقامت القبائل الشمالية لخم وجذام، التي كانت أجزاء منها قد انتقلت سابقاً إلى شرقي الأردن وفلسطين بالرحيل في هذا الإتجاه وباتجاه مصر. وتبعتهم أجزاء من بلي وجهينة، بعضهم بناء على طلب الحكومة وبعضهم الآخر بمحض إرادتهم. وبهذه الطريقة اختفت شيئاً فشيئاً لخم وعذرة بصورة كاملة من الحجاز. وبين مكة والمدينة أيضاً تقلص عدد السكان الأصليين: فقد استقر جزء من خزاعة وكنانة في المستوطنات الجديدة وتفرق الجزء الآخر في جميع أرجاء العالم الإسلامي؛ ولم تبق سوى مجموعة صغيرة من كنانة لم تزل تعيش حتى اليوم على ساحل عسير. وبصورة بطيئة وغير ملحوظة حدث التطور بين القبائل المقيمة على الطرف الشرقي للحجاز على الطريق العسكرية الكبيرة المؤدية إلى سورية: فقد قدمت غطفان قوات للجيش السوري استوطن جزء كبير منها فيما بعد في حوران. ثم تبعت القبيلة شيئاً فشيئاً هذه المجموعة الطليعية وانتقلت عبر تيماء نحو الشمال. أما فصائل الجيش السوري من قبيلة سُلَيْم فقد عثرنا عليها في منطقة ما بين النهرين العليا (الجزء الأول ص335). وبسبب البعد الكبير لم يتشجع الجزء الباقي من القبيلة على الالتحاق بتلك المجموعة التي استوطنت في العراق. إلا أن جزءاً من سُليم ومن جيرانهم الجنوبيين لبى في النصف الأول من القرن الثامن دعوة الحكومة للاستيطان في مصر. وقد لعب هؤلاء المهاجرون، الذين كان بينهم أيضاً بنو هلال الذين ينتمون إلى قبيلة كانت في الأصل تعيش في المناطق الواقعة خلف الطائف، دوراً بالغ الأهمية في التاريخ. ففي منتصف القرن الحادي عشر الميلادي توجهوا متوحدين في تجمع بني هلال وسُليم، إلى غرب الشمال الإفريقي وسيطروا على برقة وطرابلس وتونس، ثم تقدموا في القرن الثاني عشر الميلادي إلى الجزائر ومراكش. أدى هذا الغزو إلى جعل شمال إفريقيا بلداً بدوياً وبلداً عربياً أيضاً؛ إذ إن العنصر البربري تراجع منذ ذلك الحين إلى المرتبة الثانية.

خلّد بنو هلال ذكرى هذه الحملة في كثير من الأناشيد والحكايات. وفي أواخر العصور الوسطى قام رجل مدني بتأليف ملحمة عن بني هلال لا علاقة لها إطلاقاً بالواقع تتألف من ثلاث مراحل تدور أحداث المرحلة الأخيرة منها في شمال إفريقيا. وبهذه الصيغة عادت القصيدة البطولية مرة أخرى إلى البدو. ففي كل مكان في الصحراء، من جبال كردستان حتى حضرموت، يتحدث الناس عن بني هلال وعن بطولاتهم وعدد لا حصر له من الأماكن والمواقع سمي باسم أبطال تلك الحكاية[1]

في النصف الثاني من القرن التاسع الميلادي جاءت إلى المنطقة الواقعة بين المدينة ومكة، والتي أصبحت خالية بعد هجرة سُليم وبني هلال، قبيلة حرب قادمة من الجنوب وقد قامت حرب خلال القرون التالية بامتصاص القبائل القديمة الموجودة في هذه المنطقة (ميزينة/ مزينة وسُليم)، وهي تشكل وحدها اليوم جميع السكان حتى مسافة قريبة من مكة.

لقد استبقنا في السطور السابقة الأحداث، ولذلك سنعود الآن إلى نقطة انطلاقنا، القرن الثامن الميلادي. كان انتقال السلطة إلى العباسيين ونقل العاصمة من دمشق إلى العراق مضراً بمصالح الحجاز. ذلك أن علماء الدين الذين كانوا يتخذون موقفاً رافضاً من الأمويين ذوي الميول الدنيوية، انتقلوا الآن إلى البلاط العباسي، وأما الشعر فكان قبل ذلك قد وجد موطناً له في العراق. وبذلك انتهت الحياة الثقافية الناشطة في الحجاز. أما الحياة المادية فقد عانت من الطموحات السياسية للعلويين: فقد طالب أحفاد الحسن والحسين، ابني علي، بالخلافة في وقت مبكر تحت إلحاح حزب سياسي ديني قوي. وأدى استيلاء أبناء عمهم العباسيين، الأدهى سياسياً، على الحكم إلى استيائهم الشديد وإلى لجوئهم في النهاية إلى الفعل. ففي عام 145هـ/ 762م ـ 763م فشلت ثورة علوية كبيرة في

(1) هناك حكاية عن بني هلال قمت بتسجيلها في قلعة جعبر سأعرضها في الجزء الرابع(*) من هذا المؤلف.

(*) لم تذكر هذه الحكاية في الكتاب وأعتقد من ضمن الأشياء التي احترقت في الحرب (ماجد شبّر).

الحجاز، ولكن الاضطرابات لم تنته. وإذا ما كانت الثورات اللاحقة (169هـ/ 786م، و815م و865م) لم تعد ترمي إلى تحقيق الهدف السياسي الكبير، الاستيلاء على الخلافة، فإنها ألحقت مع الحملات التأديبية التي تبعتها ضرراً بالغاً بالزراعة في الحجاز. وضمن هذه الظروف ليس مستغرباً أن يبدأ البدو أيضاً بإثارة الاضطربات. ففي أربعينات القرن التاسع (الميلادي) ثارت جميع القبائل الموجودة على حدود نجد: غطفان، وسُليم، وبنو هلال، وبدأت بتهديد المدينة. لكن جيشاً قوياً أخضع فيما بعد المتمردين في سلسلة من الحملات التي وصلت إلى عمق وسط الجزيرة العربية. إلا أن هذه الحملات لم تحقق للبلاد الأمان الدائم: بعد 20 عاماً أخذ البدو يشنون غارات السلب والنهب على طريق مكة ـ جدة، وفي عام 269هـ/ 882م هوجم الحجاج في وسط الجزيرة العربية، وفي نهاية القرن هوجمت هنا أيضاً القافلة الرسمية.

لن نكون مخطئين إذا ما رأينا أن هذه الأحداث الأخيرة تأثرت بالاضطرابات التي كان القرامطة قد قاموا بها في البادية السورية. في الحجاز نفسه لم ترسخ الحركة القرمطية أقدامها، ولكن الدولة القرمطية التي تأسست في عام 898م في شرقي الجزيرة العربية أثرت تأثيراً مشؤوماً على التطور في غربي الجزيرة أيضاً. فمنذ عام 302هـ/ 915م، الذي هاجم فيه القرامطة لأول مرة قافلة الحج البغدادية، توقفت حركة النقل والمواصلات بين الحجاز والعاصمة بغداد. ولم يسمح لقوافل الحج بالمرور ثانية دون معارضة إلا اعتباراً من عام 327هـ/ 939م وذلك مقابل دفع مبالغ كبيرة. ولكن القرامطة كانوا في هذه الأثناء قد هاجموا مكة نفسها ونهبوها في يوم عيد الأضحى (317هـ/ 930م) وخطفوا الحجر الأسود وأخذوه إلى لحسا (أعادوه عام 950م). خلال هذه العقود المضطربة قضي على الزراعة في الجزيرة العربية قضاء تاماً تقريباً وأصبح الحجاز مرة أخرى بلد البدو. فجاءت قبائل بني لام، والعنزة، والضفير، من الشرق إلى الحجاز واستوطنت شمال المدينة. وفي مكان أبعد إلى الجنوب تبنى الأشراف: الحسنيون والحسينيون والجعفريون، أسلوب الحياة البدوية. وبعد ذلك بوقت قصير سقطت أيضاً المستوطنات القليلة

الموجودة في محيط المدينة ووادي القرى والتي كانت قد اجتازت عهد القرامطة بسلام.

ورافق هذا التردي إهمال الحكومة للحجاز إهمالاً كاملاً. فالخليفة والحكام الآخرون في بغداد والقاهرة لم يكن لديهم اهتمام ببلد لا يجلب لهم أي واردات ضريبية. كان همهم ينصب فقط على رحلة الحج والاعتراف بسيادتهم على الأماكن المقدسة، الكعبة في مكة ومسجد النبي وضريحه في المدينة. من أجل ذلك كانوا مستعدين لتقديم التضحيات. وهكذا أصبح الحجاز بلداً متسولاً.

تحت هذه الظروف ليس مستغرباً أن يستولي على الحكم في المدينتين في بداية النصف الثاني من القرن العاشر الميلادي أسرتان محليتان هما: الحسنيون في مكة والحسينيون في المدينة. أما الشيء المستغرب فهو المدة الطويلة لحكم هاتين الأسرتين: فقد حكم الحسنيون حتى عام 1925م، والحسينيون حتى بداية العهد العثماني (1517م). ويعود الفضل في بقائهم هذه المدة الطويلة إلى المكانة الموروثة لأسرتهم العلوية التي لم تكن تضاهيها أي أسرة أخرى في الحجاز، وإلى الهالة التي كانت تحيط بهم بصفتهم أحفاد النبي والتي ظلوا محتفظين بها على الرغم من إساءة استعمالهم للسلطة في عدد لا حصر له من الحالات، وإلى تضامن عائلاتهم معهم. كانت كلا الأسرتين قد خرجتا من وسط نصف بدوي وقد أضفى هذا الأصل على حكمهما ملامح لم تمح أبداً. فقد كانت بالنسبة لهم مكة والمدينة، وفي المقام الأول الحجاج، موضوعاً للاستغلال وجمع المال. وكان هناك نظام دقيق، تشكل عبر مئات السنين، ينظم توزيع هذه الثروة، وإذا ما كانت قد حدثت مراراً وتكراراً نزاعات دامية حول حصة الأسد، أي حول امتلاك الإمارة، فإن هذه الصراعات لم تصل أبداً إلى حرب إبادة بين الشرفاء. ولم يكن الشرفاء يهتمون كثيراً بالتعلم والثقافة، على الرغم من أن بعضهم كانوا ينظمون الشعر وكان كثير منهم يتمتعون بموهبة الخطابة. ولكنهم لم يتراخوا أبداً ولم يضعفوا أمام المدنية التي جلبها حماتهم معهم ـ كانت التقاليد والظروف وحدها هي التي تنظم علاقتهم بهؤلاء السادة ولم يكن في وسعهم الاستغناء عن هذه العلاقة؛ إذ إن الحج

وتوزيع المبالغ الهائلة الناجمة عن زيارة الأماكن المقدسة كانا مرتبطين بأمراء الإسلام فطالما كانوا يستطيعون استغلال التنافس بين الخلافتين الإسلاميتين في بغداد والقاهرة، كان أمراء مكة[1] يعترفون بحق السيادة للخليفة الذي يدفع أكثر. ولكن منذ سقوط الخلافة الفاطمية انتهت هذه اللعبة. ففي العهد الأيوبي (1171م ـ 1250م) أصبحت مصر السلطة الحامية لإمارتي مكة والمدينة. وظلت كذلك أيضاً في العهد المملوكي (1250م ـ 1517م) وإلى حد معين تحت الحكم العثماني. وقد تضافرت الظروف السياسية والإقتصادية بجعل هذه الرابطة وثيقة: فالحجاز يمكن الوصول إليه من مصر في البر والبحر أسرع من أي مكان آخر، وظل أيضاً زمناً طويلاً يزود بالحبوب من مصر[2]. وبعد سقوط الخلافة العباسية (1258م) لم تكن للحجاز علاقات سياسية تستحق الذكر مع الشرق ولا مع سورية لأن هذه البلاد كانت، شأنها شأن اليمن أيضاً لفترة مؤقتة، تحكمها نفس الأسرة التي تحكم مصر.

لم يؤد أمراء مكة والمدينة مهمتهم المتمثلة في الحفاظ على الأمن في المدينتين المقدستين وعلى طرق الحج إلا بصورة ناقصة: فقد كانوا يسكتون عن الإغارات على قوافل الحج، لأن البدو كانوا بالنسبة لهم أحد الأسلحة التي يستعملونها ضد حماتهم ولأنهم كانوا يعتبرون ابتزاز الحجاج حقاً طبيعياً لهم. وفي ضوء ذلك لا يجد المرء مفراً من التساؤل: لماذا سكت الحكام المسلمون عن هذا النهب والاستغلال لرعاياهم، ولماذا لم يقضوا على فساد وتعسف حكم الشرفاء؟ والجواب هو: لأسباب مالية. إذ إن احتلال البلاد بكاملها عسكرياً ـ احتلال المدينتين المقدستين وحدهما ما كان سيفيد أي شيء ـ كان سيكلف مبالغ طائلة بسبب الحاجة إلى الإمداد والتموين والتزود بالماء والخ. . . وهكذا بقي هذا النظام

---

(1) هذه هي التسمية الرسمية التي تطلق على أولئك الحكام الذين يطلق عليهم في أوروبا لقب "الشريف الأكبر".

(2) كانت مكة تموّن أيضاً من اليمن مما جعل اليمن يتمتع أحياناً بنفوذ سياسي في المدينة المقدسة.

قائماً إلى أن قضى عليه آل سعود عام 1925م.

لا يحتوي تاريخ الأسرتين الحاكمتين في مكة والمدينة في أوائل العصور الوسطى على أية أحداث هامة. ولقد ذكرنا في الجزء الأول، ص501 وما بعدها، المحاولة المتأخرة ـ أو المبكرة ـ التي قام بها أحد أمراء مكة الأوائل لانتزاع الخلافة. والجدير بالملاحظة أن جميع محاولات أشراف مكة طرد زملائهم في المدينة، والعكس بالعكس، باءت بالفشل دوماً حتى نهاية العصور الوسطى، وحتى لو كانت مدعومة من السلطة المركزية الحامية. وكان قتادة (توفي 1221م)، جد الفرع الحسني الذي حكم مكة حتى عام 1924م، قد وسع نطاق إمارة مكة في الشمال حتى ينبع وفي الجنوب حتى حلي. صحيح أن هذه الملكية تفرقت فيما بعد مرة أخرى بين فروع العائلة المختلفة، ولكن في القرن الخامس عشر (الميلادي) كان أمير مكة قد أصبح ثانية الحاكم الوحيد في هذه المنطقة. كانت الحدود الجنوبية موضوع صراع دائم، وكانت الحدود في الشرق غير محددة بشكل كامل؛ في بعض الأحيان كان نفوذ الشريف يصل إلى عمق الجزيرة العربية. كان البدو، جهينة وحرب وهذيل والقبائل الصغيرة قرب مكة والطائف، يساعدون، منذ قتادة، الأمراء طوعاً، فكانوا يشتركون في حروب الأخوة وفي الحروب ضد المصريين والأتراك.

حاول سلاطين المماليك، حماة المدينتين المقدستين من عام 1250م حتى عام 1517م، إبراز سيادتهم عليها بشكل واضح. فأرسلوا في القرن الخامس عشر مفتشاً جمركياً إلى جدة. وحرصوا على تمكين الناس من أداء فريضة الحج دون عوائق أو مضايقات. كانت قافلة الحجاج المصرية أهم قافلة آنذاك. إذ إن القافلة العراقية توقفت بعد احتلال المغول ببغداد، وعندما عادت بعد ذلك لم تستطع استعادة أهميتها السياسية. أما القافلتان السورية واليمينية فكانتا قافلتين ثانويتين. وكان الحجاج المصريون يدخلون أراضي الحجاز منذ عام 1268م (انظر الصفحة 203 أعلاه) في العقبة ثم يتابعون سفرهم على الطريق الساحلية عبر ينبع النخل وصفرا، أي بدر. وفي بعض محطات هذه الطريق كان يوجد خانات، تم تحصين بعضها

فيما بعد[1]، حيث كان الحجاج يخزنون المؤن والأعلاف لرحلة العودة. وكان يسبق القافلة الرئيسية فصيلة استطلاع، وعلى طريق العودة كانت تستقبلها حتى العقبة قافلة تبديل. وعلى الرغم من كل هذه الإجراءات كانت قوافل الحج تتعرض لهجمات البدو في المقطع الشمالي وفي المقطع الذي يسيطر عليه أشراف مكة. وكان المعتدون في أغلب الأحيان من بني عقبة.

كانت هذه القبيلة المنحدرة من جذام تملك في العهد المملوكي مدين القديمة. وكان يسكن خلفهم، كما في السابق، بلي وجهينة، لكن المقطع الشمالي من طريق الحج السورية كان يسيطر عليه بنو لام. وإلى الشرق من خط مكة ـ المدينة، ومن هنا حتى نجد، كان يوجد في العهد المملوكي قبيلتان جديدتان هما: مطير وعتيبة.

يعود الفضل في انتقال السيادة على الحجاز إلى العثمانيين دون مشاكل إلى ذكاء أمير مكة بركات الثاني. فقد حافظ السادة الجدد على ما فعله المماليك في خدمة قوافل الحج وأضافوا عليها بعض التحسينات في بعض الجوانب. إذ أصبحت جدة مقراً لسنجق باي (والي)، واعتباراً من عام 1646م تولى حامل هذا اللقب أيضاً منصب "شيخ الحرم" في مكة. وهكذا أصبح يوجد في المدينة المقدسة سيدان، وإذا ما كان الشريف بقي دوماً الأقوى، فإن الأتراك أعلنوا بهذه الطريقة حقهم في حكم مكة حكماً مباشراً. أما المدينة المنورة، التي كانت قد وضعت عام 1482م تحت سلطة أمير مكة ـ الأسرة الحاكمة المحلية لم تسقط إلا بعد أن جاء العثمانيون ـ فقد انتزعت من سلطة أشراف مكة كلياً، وحصلت على حامية تركية دائمة، وفي وقت لاحق كان يرسل لها من القسطنطينية إنوخي[*] يتولى منصبي الحاكم المدني وشيخ الحرم. وجلب الخيالة والإنكشاريون الأتراك بعضاً من مظاهر الحياة التركية إلى المدينة التي ظلت موجودة فيها زمناً طويلاً حتى بعد أن استعرب أحفاد هؤلاء القادمين الأتراك. وفي الحاميات العسكرية الأجنبية الموجودة

(1) من هذه الحصون قلعة الأزلم. أما قلعتا مويلح والوجه فيعود تاريخهما إلى العهد العثماني.

(*) إنوخي يقصد بها خصي «طوشي». (ماجد شبّر).

هناك كانت الغلبة أيضاً للعناصر الشمالية، من السوريين والأتراك والقوقازيين. أما في مكة وجدة فكانت غالبية المهاجرين من الهنود والزنوج، وفي وقت لاحق الملاويين.

من أجل حماية قافلة الحج السورية، التي احتلت في العهد العثماني المرتبة الأولى، بنيت على المقطع الواقع بين معان والمدينة قلاع كان أولها قلعة الأخضر (أخيضر، حيدر) في عام 938هـ/ 1531م كحصن ضد بني لام.

ليس فقط في مجال العناية بالحجاج وإنما أيضاً فيما يتعلق بالخدمات المقدمة للمدينة المقدسة تفوق العثمانيون على أسلافهم. ولم يكن هذا التفوق كبيراً في حجم الخدمات وإنما في استمرارها وزيادتها المتواصلة. وقد يكون من المفيد هنا أن نذكر بعض الأرقام عن فترة ما قبل الحرب: كانت الحكومة المصرية تنفق على الحج قبل عام 1914م نحو مليون مارك ذهبي، كان يذهب ثلثها تقريباً إلى الجزيرة العربية. وكانت المبالغ النقدية من القسطنطينية تصل إلى 660,000 مارك ذهبي، يضاف إليها كميات كبيرة من الهبات العينية المختلفة، وخاصة من القمح بمقدار 12025 أردب (كل أردب يساوي 198 لتراً) بالإضافة إلى كميات ممتازة من زيت الزيتون. إلا أن الكمية الأكبر من المال كان يجلبها إلى البلد الحجاج أنفسهم: نحو 32 مليون مارك ذهبي (ب. مويتس استناداً إلى حساب موظف مالي تركي في جدة).

في القرن السابع عشر الميلادي تراجعت شيئاً فشيئاً مكانة العثمانيين في الحجاز، وفي القرن الثامن عشر انهارت تماماً صحيح أن المبعوث العثماني حصل، إضافة إلى لقب والي جدة وشيخ الحرم المكي، على لقب باشا الحبشة (أبيسّنا)(*) لكن سلطته في مكة كانت معدومة كما كانت معدومة في المدينة سلطة شيخ حرم المدينة حيث كان أحفاد الإنكشاريين قد انتزعوا السلطة لأنفسهم.

(*) تسمىٰ الحبشة باللغة الاتنيه أبيسّينا (Abessinien) وكذلك باللغات الإنكليزية والالمانية. كحال مصر تسمىٰ بالانكليزي EGYPT المشتق من قبط. (ماجد شبر)

في هذا القرن تحرك البدو أكثر من أي وقت مضى: في عام 1757م هاجم بني صخر قافلة الحج على طريق العودة عند ذات الحاج ونهبوها تماماً، وفي العام التالي قطع بنو حرب طريق القافلة ـ أما فيما يتعلق بالتغيرات التي حدثت في مجال البدو فتجدر الإشارة في بادىء الأمر إلى اختفاء بني لام الذين هاجروا في منتصف القرن السادس عشر من شمال الحجاز إلى العراق. وحل محلهم بنو عطية. وعن بني عطية تفرع الحويطات الذين احتلوا في القرن الثامن عشر الشريط الساحلي الذي كان أصحابه السابقون، بنو عقبة، قد ضعفوا كثيراً نتيجة الهجرة.

لم تدرك مكة في الوقت المناسب خطر الحركة الوهابية، التي بدأ صعودها في النصف الثاني من القرن الثامن عشر، ولا خطر دولة آل سعود التي كانت هذه الحركة تدعو لها. ولقد تصدى غالب ابن مساعد، من فرع ذوي[1] زيد، أمير مكة من 1788م حتى 1813م، للوهابيين بشجاعة ولكنه لم يستطع إيقاف الحركة، لاسيما أن الباب العالي لم يقدم له أي دعم. وفي عام 1806م اضطر إلى الاستسلام. وتجدر الإشارة إلى أنه بقي في منصبه ولكن كتابع لآل سعود.

حسب الظروف في ذلك الوقت لم يكن من الممكن إعادة احتلال الديار المقدسة إلا انطلاقاً من مصر. إذ كان هناك، في خضم الفوضى التي تلت انسحاب الفرنسيين، الألباني محمد علي قد منح نفسه في عام 1805م، معتمداً على القوات الألبانية، لقب باشا وقام الباب العالي بتثبيته في هذا المنصب ونص كتاب التثبيت (نهاية 1807م) على تكليفه بالمشاركة في إعادة احتلال الحجاز، وكان هذا الطلب يتكرر كل عام. لكن الخطة التي أرادها الباب العالي والتي تقوم على اشتراك القاهرة مع سورية والعراق في الهجوم على الوهابيين تبين أنها غير قابلة للتنفيذ لأن حاكمي دمشق وبغداد كانا مشغولين بما فيه الكفاية في صد هجمات الوهابيين على مناطقهم. عندئذ، واعتباراً من هذه اللحظة أصبح محمد علي مهتماً فعلاً بتنفيذ هذه

(1) "ذوي" (أبناء أو أحفاد. . .) تطلق على مختلف خطوط الأسرة الحاكمة المكية.

المهمة. وبدأ بإعداد تحضيرات كبيرة فور سيطرته إلى حد ما على المماليك[1]، الطبقة التي كانت تحكم مصر قبله. أما الوسائل اللازمة لذلك فقد حصل عليها بالقوة، وخاصة عن طريق مصادرة الحبوب وبيعها للانجليز. بسبب الغلاء الذي تبع ذلك صار البدو مستعدين للالتحاق بقواته العسكرية. وفي السويس تم صنع أسطول النقل اللازم. وفي السويس والقصير (على البحر الأحمر مقابل مكة) والقلاع التي بنيت خصيصاً لهذا الغرض في المقطع الشمالي من طريق الحج المصرية أعدت مستودعات لتخزين المؤن. بعد هذه التحضيرات أرسل محمد علي في نهاية أغسطس/ آب 1811م ابنه طوسون على طريق البر إلى الحجاز وأرسل معه تاجر القاهرة الأول محمد المحروقي، بصفة مستشار ومدير التموين والإدارة، وشيخ حويطات مصر ابن شديد، بصفة خبير في شؤون البدو. وكان المشاة قد نقلوا بحراً قبل ذلك واستولوا على ينبع دون معارك كبيرة. ولم يواجه طوسون صعوبات على طريق تقدمه. وبعد الاستيلاء على ينبع النخل تقدم نحو المدينة، لكنه هزم في مضيق جديدة هزيمة نكراء على يد الوهابيين المتحالفين مع حرب (ديسمبر/ كانون أول 1811م) واضطر إلى التراجع إلى ميناء ينبع. ولم يصل إلى المدينة إلا في أكتوبر/ تشرين أول من العام التالي، وهذه المرة دون قتال، إذ إنه كان في هذه الأثناء قد كسب البدو إلى جانبه بعد التبرع لهم بالأموال والحبوب، أما الوهابيون فلم يحركوا ساكناً لأنهم كانوا أسرى الاعتقاد بأن المدينة لا يمكن الاستيلاء عليها. سقطت المدينة عن طريق اقتحامها بعد حصار دام 14 يوماً، واستسلمت قلعتها بعد ذلك بعدة أسابيع. وبذلك كانت قد أنجزت المرحلة الأولى من الحملة العسكرية؛ إذ إن الشريف غالب، الذي كان يتفاوض مع محمد علي منذ فترة طويلة، أعلن صراحة ولاءه للأتراك وسلمهم جدة ومكة. واضطرت القوات الوهابية الضعيفة، التي كانت قد انسحبت إلى الطائف، إلى إخلاء هذه المدينة والإنسحاب إلى تربة. وفي خريف 1813م وصل محمد علي نفسه إلى الحجاز.

---

(1) الطبقة الحاكمة التي تشكلت مجدداً في مصر في ظل الحكم العثماني. لا علاقة لها بمماليك العصور الوسطى.

وهنا تركز اهتمامه في بادىء الأمر على قضية النقل. فمن أصل 8000 جمل، كانت قد أرسلت من مصر إلى الحجاز، لم يكن قد بقي سوى 500 جمل بسبب سوء العناية. ولم يكن بدو الحجاز يريدون أو يستطيعون تزويده بالجمال لأنهم لم يكونوا يربون الإبل، أما نجد فكانت مغلقة في وجه الأتراك. ولهذا السبب فشلت حملة على تربة (نوفمبر/ تشرين ثاني 1813م). كما أن مرفأ قنفذة، الذي تم الاستيلاء عليه في مارس/ آذار 1814م، لم يكن الاحتفاظ به ممكناً. أدى هذا الفشل إلى إضعاف معنويات الجنود (حوالي 5000 رجل) الذين كانت أجورهم منخفضة جداً ولم يكونوا معتادين على مناخ الجزيرة. وهكذا اقتصر الأمر في صيف وخريف 1814م على بعض المناوشات التي حدثت حول المخافر المتقدمة في كلاخ، وزهران (شرق وجنوب الطائف)، وحناكية (قرب المدينة). ولم يتمكن محمد علي من شن هجوم حاسم على الوهابيين إلا بعد دعم الجيش بجنود نظاميين وبفرقة من الخيالة غير النظاميين الذين تم تجنيدهم من قبائل الصحراء الليبية، وبعد حل مشكلة النقل عن طريق شراء الجمال من سورية ومصر والسودان، وبعد كسب تأييد البدو في منطقة مكة والطائف. وبالفعل فقد انتصر في يناير/ كانون الثاني 1815م قرب بسل إلى الشرق من الطائف على الرغم مما أبداه الوهابيون من مقاومة باسلة. وبذلك انتهت الحملة العسكرية في الحجاز.

بقي الحجاز 25 سنة تحت الحكم المصري. وكان محمد علي بعد وصوله مباشرة قد اعتقل الشريف غالب وأرسله إلى القسطنطينية، وعيّن مكانه رجلاً كان لعبة في يده، ثم خلفه رجل كان من أتباع الباشا الأوفياء. أما الحملات العسكرية على نجد وعسير فلم تمس الحجاز. وبفضل تبرعات محمد علي وأفعاله الخيرية ترك حكمه سمعة طيبة في الحجاز. وظل النفوذ المصري موجوداً أيضاً بعد انسحاب قوات محمد علي (1840م) لأن الحصون الواقعة على طريق الحج ظلت بعد ذلك زمناً طويلاً تحت الإدارة المصرية. فقد استولى الأتراك على الوجه عام 1887م، وعلى ضبا والمويلح عام 1891م، وعلى العقبة عام 1892م، وذلك بعد أن أصبحت هذه المواقع أقل أهمية بالنسبة لمصر بسبب تغيير طريق الحج (منذ عام

1885م عن طريق البحر).

بعد عودة الحجاز مرة أخرى إلى السلطة العثمانية استعاد أشراف مكة حداً معيناً من الاستقلال. ولم تكن هناك صعوبات كبيرة مع الموظفين الأتراك، إذا ما استثنينا المشاحنات التي كانت تنجم بالضرورة عن إزدواجية السلطة، سلطة الوالي وسلطة الشريف، والخصومة التي كانت قائمة بين العائلتين الشريفتين التي كانت كل منهما تدعي بحقها في إمارة مكة وهما: ذوي عون وذوي زيد. وكان أمراء مكة ناجحين في سياستهم العربية. فقد استغل محمد بن عون (1827م ـ 1851م؛ 1856م ـ 1858م) الخلاف بين الحاكم الوهابي فيصل آل سعود ومدن القصيم، لينقل نفوذه إلى هذه المنطقة. وقام ابنه عبد الله (1858م ـ 1877م) في آخر الستينات بعدة حملات ضد عسير وتهامة[1] ومهد بذلك لاحتلال هذه المناطق واليمن من قبل الأتراك (1870م و1872م). وفي الثلث الأخير من القرن التاسع عشر بدأت إصلاحات الأمبراطورية العثمانية تؤثر على الحجاز أيضاً. ذلك أن فتح قناة السويس (1869م) ومد خط للاتصال البرقي في الثمانينات ربطا الحجاز بالدولة العثمانية بصورة أوثق من السابق. وبلغ هذا التطور ذروته ببناء الخط الحديدي الحجازي الذي وصل عام 1908م إلى المدينة (المنورة). كان أمراء مكة والبدو ينظرون إلى هذه الأحداث بعين الريبة المتزايدة. فقد شعرا كلاهما بأن استقلالهما مهدد، لا بل إن البدو شعروا بخطر على وجودهم الاقتصادي الذي يقوم جزء كبير منه على النقل وحماية الحجاج. وطالما كان السلطان عبد الحميد في الحكم وكانت هذه التطورات تحدث في إطار الدولة التيوقراطية (الحكم على أساس ديني)، بقيت مظاهر عدم الرضى مقتصرة على الخلافات بين الوالي والشريف وعلى غارات البدو على الحجاج. ولكن منذ اللحظة التي بدأ فيها الحكم التركي الجديد (تركيا الفتاة)

---

(1) عندما انسحب المصريون الأتراك من هذه المناطق عام 1840م، نصّبوا في تهامة شريفاً من أبو عريش حاكماً عليها. ولكن هذا الحاكم طرده في وقت لاحق الأدارسة، عائلة أشراف مراكشية. وفي عسير نفسها تولى الحكم رجل اعترف به الوهابيون اسمه عايض بن مرعي وظل خلفه يحكمون هناك، بصورة مستقلة كلياً أو جزئياً، حتى عام 1922م.

التخلي عن نظام الحكم القائم على السلطة الدينية، والاستعاضة عنه بحكم يقوم على سلطة الدولة وحدها، وتخفيض مرتبة الحجاز. إلى إقليم عادي لا ميزة له انقطعت جميع الروابط بين القسطنطينية والحجاز ومنذئذ كان الشريف حسين ابن علي (1908م ـ 1924م) ينتظر الفرصة المناسبة لإعلان الثورة. وقد توفرت هذه الفرصة فعلاً بنشوب الحرب العالمية.

في العاشر من يونيو/ حزيران 1916م أعلن الشريف حسين الاستقلال متأثراً بقيام جمال باشا بإعدام العديد من الشخصيات السورية. وكان الشريف الذي بدأ اتصالاته مع الإنجليز منذ بداية الحرب وكان واثقاً بالوعود التي قدموها له من أجل حصول العرب على حريتهم، يفكر بإقامة دولة عربية يتولى فيها ابناه عبد الله وفيصل الحكم في دمشق وبغداد.



الشريف حسين الكبير وابنه علي (بجنب المنبر يساراً) في يوم ثورة تركيا الفتاة في مكة.

استسلمت الحاميات التركية في جدة ومكة والطائف بعد مقاومة ضعيفة لقوات الشريف. أما المدينة فقد صمدت بفضل حصولها على تعزيزات، وبفضل كفاءة القائد فخري باشا؛ وأرغمت قوات الشريف، التي كانت قد شكِّلت بحجة المشاركة في حملة سيناء الثانية، وقوات بني علي (حرب) على التراجع إلى ينبع ورابغ. وفي عام 1917م هاجم الجيش العربي، الذي كان في هذه الأثناء قد تلقى تعزيزات من القوات الخاصة الفرنسية الشمال إفريقية والقوات البريطانية المصرية، مجدداً المدينة بعدة فرق عسكرية بقيادة أبناء الملك ـ هذا هو اللقب الذي أصبح في هذه الأثناء يطلق على الشريف حسين. قام علي وزيد بدحر الأتراك شيئاً فشيئاً على الطرق الثلاث المؤدية من سهل رابغ الساحلي إلى المدينة، بينما التف عبد الله على المدينة على الطريق الشرقية؛ اتخذ مواقعه في بادىء الأمر قرب حناكية لكي يشل حركة المواصلات بين المدينة والشرق (القصيم، الكويت)، لكنه نقل بعد ذلك مقره الرئيسي إلى وادي عيص شمال شرق المدينة حيث كان أقرب إلى الخط الحديدي الحجازي وبالتالي قادراً على تعطيل خط الاتصال الرئيسي للأتراك. أما فيصل الذي كان في الأصل يشن هجماته انطلاقاً من ينبع فقد توجه في يناير/ كانون الثاني إلى الوجه وشن من هنا سلسلة من الهجمات على الخط الحديدي. في هذه الأثناء كانت القيادة العربية قد أدركت أنه من الأفضل عدم الاستيلاء على المدينة، وإنما إجبار الأتراك عن طريق شن الهجمات على خطوطهم على إرسال أكبر قدر ممكن من القوات والمعدات إلى الحجاز الذي لا أهمية له إطلاقاً بالنسبة لحسم الحرب ولكن الأتراك لا يستطيعون الإنسحاب منه لأسباب معنوية. وبعد الحملة التي توجهت إلى العقبة[1] (تحدثنا عنها في الصفحة 265، 266 أعلاه) أصبح هذا الميناء القاعدة العملياتية لفيصل (أغسطس/ آب 1917م). وبذلك كانت الحرب الكبيرة في الحجاز قد انتهت، وإن كانت العمليات التي تستهدف الخط الحديدي استمرت حتى الهدنة التركية (30 أكتوبر/ تشرين أول 1918م)، وأن فخري باشا في المدينة لم يلق السلاح إلا في يناير/ كانون الثاني 1919م.

---

(1) يعود الفضل في هذه الخطة إلى فيصل وأبو تايه؛ انتونيوس، ص322.

كان موقف البدو خلال الحرب، حتى في المناطق التي يسيطر عليها الشريف بين مكة والمدينة، غير واضح: فقد ظل شيخ مشايخ الزبيد (حرب)، وهو خصم شخصي للشريف حسين، مع جزء من قبيلته حتى نهاية الحرب وفياً للأتراك. وانتقل الصبح (وهم أيضاً من حرب) إلى صف العدو في سبتمبر/ أيلول 1916م. أما جهينة فقد أثبتوا هذه المرة أيضاً أنهم أقوى دعامة للقضية الشريفية. وفي المناطق الأبعد شمالاً بقي شيخ مشايخ بلي، سليمان بن رفاده، وفياً للأتراك، بينما أقام أبناؤه علاقات مع فيصل ثم دخلوا في النهاية كلياً في خدمته. وطالما أن البدو لم يكونوا يخدمون في الجيش النظامي، فقد كانت نشاطاتهم تقتصر على عمليات ضد الخط الحديدي وغارات على النقاط العسكرية التركية وما شابه من عمليات محدودة. وحدثَ عدد من الأشياء الطريفة: فعندما كانوا لا يحصلون على مرتباتهم الشهرية كانوا يحجزون الطرق وينهبون قوافل المواد الغذائية والوحدات العسكرية الصغيرة؛ لا بل إن بني عطية طلبوا خوة من أجل السماح بحدوث الحرب في منطقتهم.

ما أن انتهت حالة الحرب حتى وجد الشريف حسين نفسه متورطاً في نزاع مع حاكم وسط الجزيرة العربية عبد العزيز آل سعود. وكان السبب الظاهري لهذا النزاع خلاف حول منطقة خرمة، لكن السبب الحقيقي هو الاستياء العميق لآل سعود من خطط الشريف حسين العربية. في مايو/ أيار 1919م شن آل سعود هجوماً ليلياً على الجيش الشريفي بقيادة عبد الله قرب تربة وألحق به هزيمة نكراء. لكن اعتراض الإنجليز منعه من استغلال هذا النصر. إلا أن الحرب اندلعت بعد خمس سنوات من جديد ضمن ظروف أسوأ جداً بالنسبة لمكة من المرة السابقة: ففي الجنوب كانت منطقة عسير الجبلية قد أصبحت خلال الأعوام 1921م ـ 1923م ـ وهابية على الرغم من كل الجهود التي بذلها الشريف حسين، وكان الأدارسة في تهامة، وهم خصوم قدماء لحسين، قد خضعوا أيضاً للنفوذ الوهابي. وفي الشمال ظهر تذمر متزايد في أوساط القبائل التي أصبحت منذ سقوط ابن رشيد (انظر الجزء الأول، ص178) مؤيدة للوهابية (وهي: بلي وعنزة الحجاز). ولكن الانجليز الذين دعموا

الشريف حسين عام 1919م كانوا في هذه الأثناء قد فقدوا الاهتمام به لأنه تمسك باتفاق عام 1915م ولم يعترف بالانتداب البريطاني على فلسطين والعراق. وهكذا سقط الحجاز في أحضان آل سعود كالثمرة اليانعة. في سبتمبر/ أيلول عام 1924م وقعت بعض المعارك مع قوات الشريف حسين حول الطائف وأسفرت عن هزيمتها. وفي بداية أكتوبر/ تشرين أول تخلى الشريف حسين عن الحكم لصالح ابنه الأكبر علي، وبعد أسبوعين من ذلك التاريخ دخل الوهابيون دون قتال إلى مكة. كانت هناك بعض المقاومة دفاعاً عن جدة والمدينة وينبع والوجه فقط؛ ومن بين البدو لم يقاوم أحد سوى بني حرب. وبعد سقوط المدينة وينبع في أول ديسمبر/ كانون الأول 1925م تخلى الملك علي عن جدة. وفي 19 ديسمبر دخل الوهابيون إلى جدة.

وفي بداية يناير/ كانون الثاني 1926م استقبل عبد العزيز آل سعود في مكة بحفاوة كبيرة كملك على الحجاز.

أدير الحجاز في بادىء الأمر من قبل فيصل ابن الملك عبد العزيز بصفته نائب للملك، ولكن في سبتمبر/ أيلول 1932م تم توحيده مع نجد في مملكة سعودية واحدة.

لم يتعكر السلام في الحجاز منذ عام 1925م إلا مرة واحدة، وذلك في الثورة التي قادها عام 1932م في شمال البلاد شيخا الحويطات وبلي، أبو طقيقة وابن رفادة. لكن الثورة أخمدت على الفور. وفي ديسمبر 1940م جرت محاولة انقلاب قادها رجل من أبناء الأسرة الحاكمة المعزولة (ذوي عون)، إلا أنها خنقت في مهدها.

إذا ما نظرنا إلى تاريخ الحجاز من وجهة نظر الحياة البدوية فإننا نلاحظ على الفور إصرار القبائل هنا على التمسك بمواقعهم. فكما كان الأمر قبل الإسلام لم يزل يسكن في المنطقة الساحلية الشمالية جذام، يمثلهم اليوم بنو عقبة، وبلي وجهينة، وفي المدينة المزينة. فقط إلى الجنوب من المدينة نجد سكاناً مهاجرين، بني حرب، إلا أنه يوجد بينهم بقايا من السكان القدامى، من سُلَيْم وربما أيضاً من

خزاعة وحول مكة أيضاً لم يطرأ سوى تغير طفيف على السكان البدو: فلم تزل قريش، وهذيل، وفهم، وعدوان، وثقيف، و(بنو) سعد يقيمون في، أو قرب، المواقع التي كانوا يقيمون فيها في فجر الإسلام. وينطبق الشيء نفسه على المناطق المجاورة جنوباً.

ويعود السبب في هذا الاستقرار إلى الطبيعة الجبلية للبلاد مما يجعلها غير مغرية للبدو بحيث أن القبائل المحلية لا تخاف، وإن كانت قد ضعفت بسبب الهجرة، من أن تبتلعها أقوام غريبة. أما في الشرق على حدود نجد فإن الأمر مختلف. تلك المنطقة منطقة بدوية حقاً ولذلك يحدث فيها تبدل مستمر. وقبائل هذه المنطقة، عنزة، حرب، مطير[1]، وهم جميعاً مهاجرون حديثون. وقد يكون العتيبة[2] من السكان الأصليين ولكننا لا نجد إلا في أقصى الجنوب، قرب بيشة، في منطقة الجبال الساحلية، قبائل حافظت على نفسها منذ قديم الزمان حتى اليوم وهي: شهران، وخثعم، وسلول، وأكلب.

تفرض طبيعة البلاد كثافة سكانية متباينة جداً بين المناطق المختلفة. فالشمال القاحل خال من السكان. والقبائل الصغيرة مثل حويطات التهمة (انظر ص430 أعلاه) وبنو عطية وبلي لا يزيد عددها على بضع مئات من الخيام، وكذلك الأمر لدى القبائل الموجودة في الشرق: الفقرا، وولد علي (عنزة). عندما نقترب من المدينة تبدأ الكثافة السكانية بالتزايد ـ يزيد عدد جهينة على 50000 نسمة ـ لكنها تتناقص مرة أخرى كلما توجهنا نحو الجنوب. وحول مكة، وخاصة حول الطائف، تتزايد من جديد، ويستمر هذا التزايد حتى عسير حيث تبلغ الكثافة السكانية أعلى مستوى لها وحيث أن معظم القبائل مستقرة.

دفع الفقر في شمال الحجاز البدو في جميع الأوقات إلى الهجرة وراء الحدود. فقد هاجرت قبائل الجبال الطرفية: لخم وجذام وبلي وجهينة إلى شرقي

---

(1) سيعالجون في الجزء الثالث.

(2) سيعالجون في الجزء الثالث.

الأردن وفلسطين أو عن طريق سيناء إلى مصر. أما قبائل الداخل: بهرا وكلب وبنو صخر وعنزة فقد احتلت البادية الأردنية أو البادية السورية. بالإضافة إلى هذه الهجرة المتجهة عموماً نحو الشمال هناك هجرة أخرى متجهة نحو الشرق تنطلق من طريق الحج إلى داخل الجزيرة العربية ثم تتابع سيرها إلى العراق: بنو لام وضفير وأجزاء من عنزة هاجروا من المنطقة الواقعة شمال المدينة نحو الشرق. وتوجه حرب إلى القصيم سالكين الطريقة المحاذية لوادي الرقة، بينما وصل المطير إلى الكويت تقريباً إلى ذروة الخليج العربي. بالمقابل كان لطريق الحج في مقطعها الشمالي المؤدي إلى سورية جاذبية خاصة تجاه قبائل الداخل: فقد حدث انتشار قبائل طي المستوطنة في جبل شمر، بني لام وضفير وبني صخر، في هذا الاتجاه في البداية. كما أن العنزة أيضاً جاءوا من الشرق (انظر الجزء الأول، ص121 وما بعدها، وص268 وما بعدها).

نلاحظ في الجنوب حركة معاكسة مشابهة: فقد جاء حرب من الجنوب، ولكن بالمقابل هاجرت بعض قبائل الأشراف من مكة إلى الساحل ووصلت إلى اليمن.

وبينما تظهر آثار هجرة العناصر الغريبة بوضوح كبير في مدن الحجاز، فإن تأثيرها على البدو كان ضعيفاً جداً. تزاوج حرب هنا وهناك مع بعض الزنوج الذين كانوا موجودين في الواحات منذ زمن طويل. وبين الأشراف أيضاً يوجد أشخاص ذوو بشرة داكنة، لأن الفتيات الحبشيات كن في جميع الأزمان مرغوبات في مكة. كما أن المغاربة الذين كانوا يرافقون الحجاج كجنود، أو كانوا يخدمون في القلاع النائية الموجودة على طريق الحج، انضموا إلى القبائل وأصبحوا بدواً.

حتى الحرب العالمية كانت قبائل الحجاز تعيش إلى حد كبير من مواسم الحج. ولذلك كان لغياب الحج السوري والأسواق المرتبطة به، وإلغاء الصرة، وحلول السيارة محل الجمل، تأثير مخيف على البدو. ومن المشكوك فيه أن تتمكن القبائل من تحسين وضعها الاقتصادي عن طريق التوسع الزراعي، لأن العمل الزراعي يحتاج ليس فقط إلى الأيدي العاملة وإنما أيضاً إلى رأس المال.

لكن رأس المال غير متوفر في هذه المناطق الفقيرة. فقد تقدم المناجم، التي كان لها هنا بعض الأهمية قبل الإسلام، بعض المساعدة، ولكننا في الوقت الحاضر لا نسمع أي شيء عن نتائج أعمال التنقيب عن الذهب التي بدأت عام 1937م قرب المدينة.

منذ عام 1925م توقفت العداوات بين بدو الحجاز. فقد حمّل الملك عبد العزيز آل سعود شيوخ القبائل المسؤولية الكاملة عن السلام والأمن في قبائلهم. يتوجب على الشيخ أن يعلم السلطات بكل حادثة مخلة بالأمن وبالعقاب المناسب لها. وإذا لم يفعل ذلك يقوم زعيم القبيلة المجاورة بإجباره على ذلك، بقوة السلاح عند الحاجة. وإذا ما أهمل الشيخان واجبهما، يتعرض كلاهما لحملة تأديبية على يد قوات الملك.

نشير إلى أن القبائل مرتبة في هذا الفصل من الشمال إلى الجنوب. ونذكّر بأن حويطات التهمة قد عولجوا في نهاية فصل شرقي الأردن.

بني عقبة

على ساحل الحجاز الشمالي، في وسط حويطات التهمة، تسكن بقية بني عقبة الذين كانوا في الماضي يسيطرون على هذه المنطقة والمناطق المجاورة لها وما زالوا اليوم ينتشرون على نطاق واسع في فلسطين وشرقي الأردن.

ينحدر بني عقبة من جذام[1] الذين كانوا يقيمون في هذه المناطق قبل الإسلام وفي العهد الإسلامي الأول. وهناك خلاف حول أصل جذام. أما هم أنفسهم فقد ظلوا فترة من الزمن ينتسبون إلى عرب الشمال لكنهم فيما بعد انضموا بصورة نهائية إلى عرب الجنوب[2]. وهم مصنفون أيضاً ضمن عرب الجنوب في جداول فوستنفلد(5). إلا أن ابن الكلبي، أهم باحث في أنساب العرب، يعتبرهم من السكان الأصليين المحليين، أي من أحفاد أهل المدينة القدامى (صبح، الجزء الأول، ص330 وما بعدها). وقد يكون مصيباً في ذلك[3]، وإن كانت التحية التي

(1) بني عقبة بن. . . بن حرام بن جذام.

(2) تضع رواية "الأغاني"، الجزء الثامن، ص176، هذا الانضمام في فترة حكم الخليفة الأموي يزيد الأول (680م ـ 683م) أما الحدث نفسه فتؤكده قصائد الشاعر عدي بن الرقاع (نفس المصدر) والشاعر الكميت (صبح، الجزء الأول، ص320).

(3) أن يكون جذام قد سكنوا مرة في غرب المدينة (انظر بكري، ص25 ياقوت، الجزء الأول، ص 94) فلا يتعارض مع ذلك.

يقال بأن النبي محمد استقبل بها مبعوث جذام يقوله: "أهلاً بقوم شعيب وأصهار موسى"، تفتقر حسب رأينا لقوة البرهان التي يمنحها إياها الكلبي.

على الرغم من أن أجزاء كبيرة من جذام انتقلت أثناء حروب الفتح وبعدها إلى فلسطين ومصر وحلت محلها في مناطقها القديمة، في شرقي الأردن وشمال الحجاز، قبائل غريبة، فإن الجذاميين استعادوا شيئاً فشيئاً مكانتهم هنا بحيث أن هذه المناطق كان معظم سكانها في أواخر العصور الوسطى من جذام. وكانوا يشكلون آنذاك ثلاث قبائل هامة هي: العابد في محافظة شرقية المصرية وفي سيناء (انظر الصفحة 128 أعلاه)، وبنو مهدي في شرقي الأردن (انظر الصفحة 303 أعلاه)، وبنو عقبة.

كانت منطقة بني عقبة تمتد من ساحل العقبة حتى وادي دامة ـ كانوا في هذه المنطقة مسؤولين عن طريق الحج على الأقل ـ وفي الداخل حتى طريق الحج السورية وإلى الشمال حتى الكرك[1]. وكانوا مرتبطين بالقاهرة، إذ إن السلطان محمد بن قلاوون (1293م ـ 1294م، 1298م ـ 1308م، 1309م ـ 1340م)، الذي عاش في الكرك عندما كان ولياً للعهد، كان يحترم جداً أميرهم شطي بن عتبة[2].

تذكر المراجع حملتين تأديبيتين ضد بني عقبة بسبب هجومهم على قوافل الحج[3].

(1) صبح، الجزم الرابع، ص242، 284؛ المقريزي، قبائل عربية، ص85 الاقتباس الذي نقله القلقشندي، ص296، والسويدي، ص45 (بنص أفضل!) عن ابن خلدون لا يتطابق مع ما جاء في "البربر"، الجزء الأول، ص11. جهان ـ نما، ص522، تذكرهم قرب أخيضر، التي تسمى اليوم أخضر؛ ويذكرهم نويري (الإسلام، الجزء الثاني، ص137) قرب شوبك.

(2) كان أبوه متعادياً مع شريف مكة. وعندما أدى عام 689هـ/ 1290م فريضة الحج مع القافلة السورية منعه الشريف من الدخول إلى مكة مما أدى إلى حدوث اصطدامات دامية؛ حوليات مكة، الجزء الثاني، ص273 وما بعدها. أما اسم الأمير فقد كتب هنا "عبية".

(3) ابن إياس، الجزء الأول، ص340 وما بعدها؛ أبو المحاسن، نجوم، الجزء السابع، ص784 وما بعدها، 827.

كانت نتيجة الحملة الأولى (804هـ/ 1401م) خفيفة. فقد اكتفت باعتقال الشيخ المسؤول ونقله إلى القاهرة وإبقائه معتقلاً إلى أن أعيدت البضائع المسلوبة إلى أصحابها الحجاج. أما الحملة الثانية (872هـ/ 1467م)، التي شارك فيها حاكما غزة والكرك إلى جانب القوات القاهرية، فقد أسفرت عن إعدام المهاجمين الذين كانوا قد استولوا عند العقبة على القافلة البديلة المتوجهة لملاقاة الحجاج.

إن أرضاً قاحلة كالحجاز لم تكن قادرة على توفير الغذاء لقبيلة كبيرة مثل قبيلة بني عقبة آنذاك، ولذلك تركت أجزاء منها موطنها ونزحت باتجاه الشمال أو الغرب. ويبدو أن هجرة بني واصل إلى سيناء[1] قد حدثت في العصور الوسطى وكذلك هجرة المساعيد الذين يسكن معظمهم منذ زمن طويل في وادي الأردن، بينما توجد جماعات صغيرة منهم على قناة السويس وخليج العقبة. أما عمرو الكرك وبنو عقبة المنضمون إلى التياها فمن المعتقد أنهم غادروا الحجاز في القرن السادس عشر أو السابع عشر[2].

أدت الهجرة إلى إضعاف بني عقبة[3] شيئاً فشيئاً إلى درجة أنهم لم يعودوا قادرين على المحافظة على مركزهم في الحجاز. فقد قامت القبيلة الصاعدة، قبيلة بنو عطية، بفصلهم عن منطقتهم الخلفية وبحصرهم في المنطقة الساحلية (القرن السادس عشر؟)[4]. لكن بني عقبة يبدو أنهم اتفقوا فيما بعد مع بني عطية، إذ إنهم

(1) انظر الملاحظة 3 الخاصة بالطورة في فصل سيناء. الحمداني يذكر في القلقشندي، ص297، بني واصل على أنهم ما زالوا في الحجاز.

(2) انظر المقالة الخاصة بذلك. من الصعب أيضاً تحديد التاريخ الدقيق لهجرة مجموعات أخرى من عقبة مثل: السواحرة في صحراء يودا «يهودا»، والمشالخة في الغور، والسرابات قرب حيفا (عائلة شيوخ النفيعات).

(3) يسمون أنفسهم أيضاً: مسالمة؛ والين، مجلة الجمعية الجغرافية الملكية لندن 1851م، ص300.

(4) تذكر حكايات القبيلة أن بني عقبة طلبوا من القاهرة مساعدتهم ضد المعّازة (= بني عطية) وحصلوا فعلاً على مساعدة؛ برتون، بلاد مدين، الجزء الأول، ص171. عبارة "في عهد السلطان سليم" يجب عدم أخذها بمعناها الحرفي.

صدوا معاً هجوماً هجوم أسرة شريفية أرادت مد سلطتها من الجنوب إلى وادي دامة. إلا أن حويطات التهمة ينسبون القيادة في هذه المعركة إلى جد قبيلتهم سلامة. ويقولون أن شيخ العقبة زوّجه ابنته تعبيراً عن الشكر وأعطى حفيده عيد بن سلامة وادي عينونة. وبهذه الطريقة حصل الحويطات على موطىء قدم في التهمة، وبعد جيل واحد، في عهد ابن عيد، عليان أبو طقيقة، طردوا بني عطبة من كامل المنطقة ولم يسمحوا لهم بالعودة إلا تحت شروط مهينة[1].

وبصرف النظر عما إذا كانت الأحداث المذكورة في حكايات القبيلة صحيحة أم لا؟ فإن النتيجة كانت على أي حال: أن بني عقبة كانوا يعيشون تحت رحمة أصحاب المنطقة الذين كانوا يصبرون على وجودهم بينهم. وكانوا في منتصف القرن الماضي ما زالوا يتولون حماية محطة مويلح ومرافقة الحجاج ونقلهم من بدع إلى ضبا، وظلت الصرة لهم[2] حتى عام 1885م حيث تخلى الحج المصري عن الطريق البرية.

كان عدد بني عقبة آنذاك لا يزيد على 40 ـ 50 خيمة وقد يكونون اليوم أقل من ذلك. وهم يقيمون عادة بين مويلح وجبل حرب، ولكنهم يذهبون في موسم جني التمور (يوليو/ تموز، أغسطس/ آب) باتجاه الشمال إلى مقنا. وكانوا في الماضي يحصلون من زراع هذه الواحة[3] على نصف محصول التمر، لكنهم فقدوا بعد ذلك هذا الحق أيضاً. انتقل هذا الحق إلى عمران (حويطات) ومعازة حيث كانت كل منهما تحصل على ربع (4/1)، بينما يحصل الطقيقات، شيوخ الحويطات، على حصير من القصب لكل منهم عن كل رأس من سكان الواحة[4].

---

(1) برتون، نفس المصدر السابق، الجزء الأول، ص167 وما بعدها.

(2) والين مجلة الجمعية الجغرافية الملكية 1851م، ص299. تفاصيل عن الصرة: مرآة الحرمين، ج2، ص341.

(3) يتألف المقاني (المفرد: مقناوي) من ثلاث قبائل: الفوايدة، والزبايدة، والرمضاني، وهي من أصول فلاحية مصرية (برتون).

(4) والين، نفس المصدر السابق، ص303؛ برتون، نفس المصدر السابق، الجزء الأول، ص202

يوجد لدى بني عقبة منذ زمن بعيد نظام حقوقي متطور. هناك العديد من القواعد القانونية التي وضعوها تحظى بالاحترام في مناطق واسعة خارج منطقتهم، ومنها، على سبيل المثال، "كفالة بني عقبة" المثبتة بموجب وثيقة طور (سيناء) التي تعود إلى عام 1648م. وفي جنوب فلسطين يتولى رجال من بني عقبة منصب قاضي الخلافات الزوجية والمنازعات الناجمة عن الإهانات وجرح الشعور. وفي سيناء يسمى هذا القاضي ببساطة "عقبي" بصرف النظر عن القبيلة التي ينتمي إليها، أي سواء كان من بني عقبة أم لا[1].

وما بعدها؛ انظر موزيل، شمال الحجاز، ص101 وما بعدها، 114. موزيل يعتبر الفوايدة (انظر الملاحظة السابقة) من بني عقبة.

(1) شقير، ص145، 399؛ برغوثي، محاكم قضائية، ص8، 15، 30.

بني عطية

يلقي تاريخ بني عطية، الذين يعيشون في حسما والحرة المجاورة لها، عدداً من الألغاز. تظهر أولى الصعوبات في اسم القبيلة. إذ إن جيرانهم لا يسمونهم "بني عطية" وإنما "المعازة" أو في أحسن الأحوال "العطاونة". وكلا الإسمين يتضمن شيئاً من عدم الاحترام يظهر في (العطاونة) في شكل الصياغة[1]، وفي (المعازة) في المعنى؛ إذ إن كلمة "معازة" تعني "مربي الماعز" ويمكن اعتبارها تنابز، على الأقل بلغة مربي الإبل. وتجدر الإشارة إلى أن هذه التهمة لم تعد ضمن الظروف الحالية صحيحة، لأن بني عطية يوجد لديهم فعلاً ماعز ولكن ملكيتهم الرئيسية تتألف من الإبل. والملفت للانتباه أن بني عطية يعترفون بصورة غير مباشرة بالاسم "معازة"، على الرغم من أنهم هم أنفسهم لا يستعملونه أبداً، وذلك بأن يرجعون أصل القبيلة إلى معاز[2] (معاز بن وائل، وهو أخو "عناز"، الجد المزعوم لقبيلة عنزة). هذا كل ما يمكن قوله الآن عن العلاقة بين الاسمين (بني عطية والمعازة). فما يذكره برتون بهذا الخصوص لا يفيد في شيء: ليس صحيحاً اعتبار[3] بني عطية اسماً لعائلة الشيوخ ومعازة اسماً للقبيلة، بل هما اسمان لنفس المسمى[4]. الأصح

(1) موزيل، شمال الحجاز ص236.

(2) برتون، ميدين، الجزء الأول ص336.

(3) أما أن يكون اسم القبيلة مطابقاً لاسم عائلة الشيوخ "ابن عطية"، فهذا أمر لا ننفيه طبعاً.

(4) نفس الرأي عند دوتي، الجزء الأول، ص55.

هو ما يقوله بوركهاردت: (ينحدر المعازة من القبيلة القديمة بني عطية)؛ إذ إن "بني عطية" هو الاسم الأقدم للقبيلة.

يعود أقدم الأخبار عن بني عطية إلى بداية القرن السادس عشر. حينما كان الجيش المملوكي يقاتل ضد السلطان سليم، فتك بنو عطية بالإقليم الشرقي من مصر ثم هتفوا بعد ذلك للمنتصر(1).

وفي عام 1520م، عندما نشب النزاع بين حاكمي دمشق والقاهرة، جانبردي غزالي وخاير بك، قاموا مجدداً بأعمال سلب ونهب في فلسطين والمحافظة الشرقية المصرية، وكما يقال، بتحريض من جانبردي غزالي؛ وقد استمرت الاضطرابات إلى ما بعد سقوط جانبردي(2).

لم تكن المنطقة الحدودية بين مصر وفلسطين موطناً لهم وإنما هدفاً لهجماتهم فقط. أما موطنهم فيجب البحث عنه على خليج العقبة وفي الشراه؛ ففي الشراه يقيم بني عطا(3) الذين كانوا يتعاونون آنذاك مع بني عطية، وقرب العقبة كانت تقيم القبائل التي سنتحدث عنها بعد قليل والتي انبثقت عن مجمع بني عطية. ومما يساعد على تحديد منطقة تنقلهم آنذاك اسم القرية المسماة (شرفة بني عطية)، إلا أن هذا الإسم لم يوثق إلا في القرن السابع عشر. تقع هذه القرية قرب الشاطىء الشرقي لخليج العقبة (الشرف في خريطة موزيل)(4). وفي الغرب كان لبني عطية، ليس فقط في أوقات الحرب، اتصالات مع مصر وكان لهم، على الأرجح،

---

(1) ابن إياس، الجزء الثالث، ص53؛ GOR، الجزء الثاني، ص495، انظر 524.

(2) إبن إياس، الجزء الثالث، ص244، 256، 258.

(3) انظر مقال اللياثنة في فصل شرقي الأردن. اعتبار بني عطية هم نفسهم "العطويون" المذكورون عند القلقشندي، والذين هم فرع من بني صخر الكرك (انظر الصفحة 336 أعلاه، الملاحظة 2)، أمر غير جائز.

(4) نضيف إلى المراجع التي يستند إليها موزيل، شمال الحجاز، ص323 وما بعدها (جيهان ـ نما، تفنو، غابر يبله بريمون، عبد الغني النابلسي) الباحث المغربي عيّاشي (رحلة، فاس 1316، الجزء الأول، ص169)، الذي أدى فريضة الحج عام 1649م و1653م و1661م، والحاج الأقدم الذي اقتبس منه العياشي وهو محمد البكري (ص171).

مستوطنات هناك[1].

أما المدى الذي وصلوا إليه في الجنوب فهو غير معروف، ولكن بالتأكيد ليس إلى حدودهم الحالية؛ إذا إن منطقة تبوك كانت في النصف الأول من القرن السادس عشر لم تزل في يد مجمع بني لام القوي.

هناك تقرير من عام 955هـ/ 1548م يذكر معلومات هامة عن تركيب بني عطية. حسب هذا التقرير كان ينتمي لمجمعهم آنذاك: الترابين، والأحيدات، والحويطات، والأحيوات[2]. ولكن لا يجوز أن نستنتج من ذلك أن هذه القبائل تنتمي من ناحية النسب إلى بني عطية. ذلك أن حكايات الترابين عن نسبهم تثبت العكس، كما أن حكايات الأحيدات والحويطات تشير إلى أن زعمائهم على الأقل هم من أصل غريب. وهذا الوضع هو الذي جعلهم ينفصلون في وقت مبكر عن بني عطية ويشكلون مجمعات مستقلة. وبينما هاجر الأحيدات من مقرهم القديم قرب العقبة إلى الشمال، فقد انتشر الحويطات شيئاً فشيئاً في تلك المنطقة وطردوا بني عطية من منطقة الخليج.

نتيجة لذلك انتقل مركز ثقل بني عطية نحو الجنوب، حيث كانت قد فرغت بعض المناطق نتجية هجرة بني لام إلى العراق (حوالي 1550م) وتفكك بني عقبة.

بقي الإتصال مع مصر مفتوحاً في بادىء الأمر. كان لبني عطية في القرن السابع عشر حركة نشيطة مع القاهرة حيث كانوا ينقلون من القاهرة إلى مويلح الأعلاف والمؤن التي يحتاجها الحجاج[3].

كانوا يدخلون إلى القاهرة دون أي إعاقة ويبدو أنهم كانوا يمارسون نوعاً من

---

(1) العطاونة الذين أبادهم العبابدة في القرن الماضي كانوا بقايا من هؤلاء المهاجرين كانوا يسكنون في الصحراء الشرقية، انظر موري، ص31، 140 وما بعدها، 305.

(2) درر الفرائد، نقلاً عن شقير، ص108، 117. بوركهاردت، ص312، يذكر نفس القبائل باستثناء الأحيدات كأحفاد بني عطية، ويضيف إليها خطأً أتى إليها. ومن المشكوك فيه أن يكون الأحيدات مكانهم هنا. فهم ينسبون أنفسهم الآن إلى المساعيد (بني عقبة)، انظر ص223 أعلاه.

(3) أبرمت الاتفاقيات الخاصة بذلك من قبل أمير الحج. كان بلي يتولون بعدئذ النقل إلى ينبع في

الوصاية على بني عقبة (انظر ص480، 481 أعلاه). إلا أن قول العياشي[1] أنهم كانوا سادة المنطقة الساحلية بكاملها فيه شيء من المبالغة.

أدى انتشار الحويطات بعد ذلك إلى نشوء علاقات جديدة كلياً؛ فقد طرد بني عطية من ساحل البحر الأحمر وقطعت صلتهم مع مصر. وفي القرن الثامن عشر هرب آخر بني عطية، 250 خيمة، من منطقة ما وراء العقبة إلى مصر خوفاً من عمران (حويطات)[2]. وبذلك انتهت حكاية رحيل بني عطية وهجراتهم وحصروا ضمن الحدود التي كانت لهم حتى ما بعد الحرب.

تضم هذه الحدود سهل حسمى المرتفع وحرة الرحى وهي تتحدد في الشرق بسلسلة الهضاب الواقعة وراء طريق الحج والخط الحديدي الحجازي، وفي الغرب بالمرتفعات المؤدية إلى التهمة.

واردات هذه المنطقة قليلة. فالمكان المسكون الوحيد هو تبوك التي كانت تدفع خوة متواضعة (مواد غذائية وألبسة). يضاف إلى ذلك الصرة التي كان بني عطية يتقاضونها لقاء حماية الحجاج من معان حتى المعظم، وفي وقت لاحق لقاء حماية الخط الحديدي من معان حتى دار الحمرا[3].

كانت القبائل الفرعية ترسل في شهر يوليو/ تموز من كل عام رجالاً منها إلى

حال عدم تخزين المؤن في مويلح لاستعمالها على طريق العودة (عياشي، الجزء الأول، ص170 وما بعدها، انظر ص153).

(1) ص169. أما محمد البكري الأقدم من عياشي (نفس المصدر ص171) فيقول: "يعيش بنو عطية خلف جبال الشرفة (انظر أعلاه)"؛ انظر جيهان ـ نما، ص554.

(2) بوركهاردت، ص317 وما بعدها. هذه الموجة الثانية من الهجرة، سميت معازة دوماً، استوطنت في الصحراء الشرقية أيضاً وهي تسكن الآن بين جبال قلالة الشمالية حتى طريق الغردقة ـ قنا، وهناك جزء يمارس الزراعة على أطراف وادي النيل، موري، ص138 وما بعدها، 266 وما يليها.

(3) والبن، مجلة الجمعية الجغرافية الملكية لندن 1851م، ص310، 317؛ كتاب الجيب، الجزء الأول، ص62.

منطقة الكرك لمقايضة الإبل بالحبوب. وقد أدت هذه الحركة إلى أن جزءاً كبيراً من القبيلة استوطن في موآب القديمة؛ وكانت تلتحق به بين حين وآخر مجموعات جديدة[1].

تلك الرحلات التجارية لم تكن دوماً خالية من الأخطار. فلم يزل الناس في شرقي الأردن يتحدثون عن هجوم الحويطات (ابن جازي) ورجال من طفيلة (جوابرة) على قافلة لبني عطية كانت متوقفة في وادي موسى، حيث تعرضت لخطر شديد إلى أن جاء الكركيون وفكوا عنها الحصار وخلصوها من حملات السلب والنهب التي تبعث هذه الحادثة[2].

كان بني عطية في صراع طويل مع حويطات التهمة أيضاً ومع عمران. أما مع جيرانهم الجنوبيين، بلي، فكانت علاقتهم جيدة. وأما مع الروله فكانوا في مأمن لقاء الالتزام بدفع خوة ذات قيمة رمزية فقط (تقديم قطعة قماش). لكنهم كانوا يتعرضون لغزوات القبائل الغربية من دولة شمر (ولد سليمان، والفقرا). وكانوا هم أنفسهم يشنون غزوات على حرب وهتيم في نجد[3].

خلال الحرب العالمية قاتلت بعض فصائل بني عطية في جيش الشريف حسين. وظلوا أيضاً بعد التنظيم الجديد للجزيرة العربية أوفياء للشريف حسين، أو بالأحرى لابنه عبد الله أمير شرقي الأردن، وقاموا بعدة غزوات ضد القبائل التابعة للدولة السعودية، وخاصة ضد حويطات التهمة. وخلال ثورة الحجاز 1932م وقف

---

(1) موزيل، شمال الحجاز، ص155 وما بعدها؛ ياوسن، ص117؛ برتون، ج1، ص318؛ روبنسون، الجزء الثالث، ص84، وعقال بني عطية، في الفصل السابق.

(2) يحدد البرغوثي تاريخ هذه الأحداث قبل 90 سنة تقريباً. إلا أن أسماء الشيوخ المشاركين فيها: محمد بن عطية، عرار بن جازي، حرب أبو تايه، تعود إلى سبعينات وثمانينات القرن الماضي.

(3) بوركهاردت، ص320؛ هوبر، جورنال، ص348 وما بعدها؛ برتون، مناجم الذهب، ص221؛ ميدين، الجزء الأول، ص335؛ دوتي، الجزء الأول، ص335.

بني عطية مرة أخرى ضد الوهابيين[1].

ينقسم بني عطية إلى مجموعتين تقود إحداهما عائلة الشيوخ ابن عطية، وتقود الأخرى عائلة ابن هرماس[2].

بني عطية(1)

شيخ المشايخ: ابن هرماس ابن عطية(2)

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ العطيات	ابن عطية	حسمى؛ حرة الرحى	
2 ـ السبوت(3)	حمود بن فرحان		
أ ـ الرواضين	دعسان بن (آل) زلع		
3 ـ جميعانيين	مطلق المغظم(4)		
4 ـ الربيلات			
5 ـ العقيلات(5)	ابن هرماس		
6 ـ المراقين(6)	ابن عمران		
7 ـ الخمايسة(7)	نجم الضيوفى		
8 ـ سليمات	مسلم العضيدي		

(1) أورينته مودرنو، الجزء الثاني، ص247؛ الجزء الثالث، ص93؛ الجزء الحادي عشر، ص543؛ الجزء الثالث عشر، ص417؛ أم القرى، رقم 164، 238.

(2) برتون، ميدين، الجزء الأول، ص337. من الواضح أن المجموعتين هما عند بيكه (انظر الملاحظة 1 الخاصة بالجدول) عطية وعقيلات. أما المجموعة الثالثة التي يسميها بيكه الخميسات فيضمها برتون إلى المجموعة الثانية.

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
9 ـ السعيدانيين(8)	سالم بن صقر	حسمى: حرة الرحى	
10 ـ الخضرة(9)			
11 ـ الوكلا(10)	سالم الوكلى		
12 ـ المصابحة	محمد بن مسعد		
13 ـ العليين			

ملاحظات

1 ـ يستند الجدول بصورة رئيسية إلى موزيل، شمال الحجاز، ص235. وبما أن قائمة موزيل تعود لعام 1910م فإننا لم نضع هنا، حيث بدا ذلك مفضلاً، اسم الشيخ وإنما فقط كنيته. القبائل الفرعية (الأفخاذ) 1، 3، 4 (7 قارن الملاحظة 6 أدناه)، 8، 9، 10، 13 موثقة عند والين (1848م)، مجلة الجمعية الجغرافية الملكية لندن 1851م، ص310. من بين عائلات بني عطية المذكورة عند موزيل فإن الهرامسة[1] هم عائلة شيوخ 5، وأولاد عمران عائلة شيوخ 6، والضيوفية[2] عائلة شيوخ 7، والزلوع عائلة شيوخ 2 آ. بيكه، ص223 وما بعدها، يقسم القبيلة إلى عطيات، الذين يشملون القبائل الفرعية 8 والسويلميين (مع1)، 2، 3، 9، 10، 12، 13، والعقيلات (5) مع الفخذين 6 و4، والخميسات (= 7).

عدد الخيام عند بوركهاردت، ص320: 400 – 500؛ جورماني، ص23، رقم 6: 1200 محارب؛ برتون، ميدين، الجزء الأول، ص337: 200 محارب حسب التقدير الشخصي، 2000 حسب قول بني عطية.

الوسم: بين العين والأذن، ـ على الجهة الأمامية من الأذن اليمنى؛

(1) فخذ في قبيلة بني عطية في شرقي الأردن.

(2) تقرأ هكذا بدلاً من «ضفوفية» في النص.

إبراهيم رفعت، مرآة الحرمين، الجزء الثاني، ص104.

2 ـ أقدم شيخ معروف منهم هو سالم بن عطية المذكور عند جورماني (1864م)، ص24. ابنه عبيد تنازل عن منصب الشيخ فتولاه الأخوان صقر بن عطية ومحمد بن عطية؛ أو يتنغ، الجزء الأول، ص224؛ الجزء الثاني، ص89، 181 وما بعدها، 187. في عام1910م كان يحكم حرب بن عطية ابن خال عودة أبو تايه. توفي في حرب عام 1914م؛ وكان يمكن حديقة وكوخين في تبوك.

3 ـ يسمون أيضاً بني سبت. جد القبيلة: سبيتان (والّين). وهم من أصل آخر غير أصل بني عطية (موزيل) ويشير والين ودوتي إلى العادة المتبعة عندهم، وعند بدو آخرين في هذه المنطقة، وهي سوق المواشي إلى الحظيرة عن طريق القرع بجرس.

4 ـ مطلق ابن جميعان؟ الذي قاتل عام 1917م/ 1918م في جيش الشريف؛ لويل توماس، مع لورنس في الجزيرة العربية، ص166؛ لورنس، في مواقع مختلفة (مطلق الأعور).

5 ـ هم حسب ما يشير اسمهم من رجال القوافل القادمين من نجد وكانوا في السابق يتولون مهمة النقل بين معان وتبوك. هم نفسهم التجرا المذكورون عند والين؟

6 ـ ببكه: المراجين.

7 ـ يسميهم موزيل خطأ "حمايسة". ويذكر والين بدلاً منهم "الضيوفية" أي عائلة شيوخهم. والخمايسة موجودون بين المعازة المصريين أيضاً.

8 ـ والين "سعدانيين". دوتي (الجزء الأول، ص418): "سودينين"، ويزعم أنهم من بلي.

9 ـ عند دوتي (نفس المرجع السابق) "خثيرة".

10 ـ عند موزيل فقط.

عنزة

عندما يتّبع المرء طريق الحج، أو الخط الحديدي الحجازي، ويجتاز محطة المعظم، يدخل أرض عنزة الحجاز، أي ذلك الجزء من شعب العنزة الذي لم يشترك في الهجرة الكبيرة التي حدثت في القرن الثامن عشر، وإنما بقي في موطن العنزة القديم. وهؤلاء هم الفقرا وولد علي. ويجاورهم من جهة الشرق ولد سليمان الذي سنعالجهم هنا بسبب انتمائهم القبلي على الرغم من أن منطقتهم غير تابعة للحجاز وإنما لنجد.

لا يمكن مقارنة عنزة الحجاز، لا من ناحية العدد ولا الأهمية، بإخوانهم في سورية والعراق. فالعناصر القوية هاجرت، ومن بقي من القبيلة يعيش حياة فقيرة في منطقة ضيقة وقليلة الخصوبة. وينطبق هذا بشكل خاص على الفقرا وولد علي الذين تقع مراعيهم بين حرة العويرض وخيبر، بينما يعيش ولد سليمان في منطقة أبعد نحو الداخل في ظروف معيشية أفضل. إلا أن الفقرا وولد علي كانوا في الماضي يعدلون وضعهم بعض الشيء بتقاضيهم الصرة التي كانوا يستحقونها كونهم من سكان طريق الحج. والقبائل الثلاثة لها حصص في بساتين النخيل في خيبر مما يوفر لها مورداً اقتصادياً إضافياً. والقرى الثلاثة، التي تشكل الواحة، تسمى باسمهم: قرية بشر، قرية ولد علي، قرية الفجير[1].

(1) انظر الجزء الأول، ص123.

قبائل عنزة الثلاثة المذكورة مستقلة عن بعضها سياسياً. والعلاقة بين الفقرا وولد علي باردة، بينما كانت تقوم بين ولد علي وولد سليمان حرب مكشوفة؛ والتناقض السائد في الشمال بين بشر (ولد سليمان) وضنا مسلم (فقرا، ولد علي) يظهر هنا أيضاً. في أوقات السلم تسمح كل قبيلة للأخرى بالدخول إلى منطقتها، بينما تفرض على القبائل الغريبة ضريبة قدرها مجيدي واحد عن كل خيمة[1]. وعن الجيران الآخرين حدّث ولا حرج: فهم في عداوات متباينة الدرجة مع بلي وبني عطية، ومع شمر وحرب، والشرارات والهتيم.

منذ منتصف القرن الماضي كانت عنزة الحجاز تابعين لدولة ابن رشيد. أما في الوقت الحاضر فهم وهابيون ومن رعايا آل سعود. وكما في جميع أراضي نجد فقد أسست في منطقة العنزة أيضاً مستوطنات زراعية وعسكرية، ما يسمى الهجر. وسوف نتحدث عن هذه المستوطنات في الجزء الثالث.

---

(1) جوسن وسافنياك، عادات الفقرا، ص13.

الفقرا

يحد منطقة تنقل الفقرا من الشمال خط خشم صنع[1] ـ تيما، ومن الغرب حرة العويرض. وعلى طريق الحج تمتد منطقتهم في الجنوب حتى بير غانم قرب العلا ثم حتى خيبر، وفي الشرق حتى جبل برد. مصدرهم المائي الرئيسي هو العردة، على بعد مسيرة يوم كامل شمال شرق الحجر حيث توجد أيضاً مقبرة القبيلة[2]. وهناك آبار أخرى مذكورة في جورنال هوبر، ص381، 487، 561. في أعوام الحرب وفي فترات الصراعات السياسية يضطر الفقرا إلى البحث عن الحماية والمرعى بعيداً في الشمال: ونتيجة لذلك بقيت بعض أجزاء القبيلة في الغربة، ومنها أولئك الفقرا الذين يخيمون اليوم في مؤاب القديمة تحت حماية الكرك[3].

كان الفقرا يتقاضون في السابق في واحتي تيما والعلا خوة قدرها مجيدي واحد عن كل بيت، ومن قافلة الحج مبلغاً قدره 600 ليرة تركية؟. وعندما بدأ تشغيل الخط الحديدي الحجازي سقطت هذه الصرة. إلا أنه حل محلها مبلغ مماثل لقاء حماية الخط الحديدي كان يدفع على أقساط شهرية قدرها 12 ـ 60

(1) بين المعظم ودار الحمرا.

(2) دوتي، الجزء الأول، ص78، 230، 349؛ عادات الفقرا، ص6.

(3) دوتي، الجزء الأول، ص272، 350؛ جوسن، عادات العرب في بلاد موآب، ص117؛ عادات الفقرا، ص7، انظر ص395 أعلاه.

مجيدي لأحد عشر شيخاً من شيوخ الفقرا[1]. ونعتقد بأن دخلهم من تربية المواشي كان ضئيلاً جداً لأن نصيب الخيمة الواحدة لم يكن يزيد وسيطاً على 7 رؤوس من الإبل (دوتي).

يشكل الفقرا جماعة متجانسة إلى حد ما: تنتسب أفخاذهم جميعها إلى مجموعة الحجاج[2]، باستثناء الصقرة الذين ينحدرون من أقربائهم المساليخ. جد القبيلة الأول هو راشد الخميجل[3] الذي كان ضريحه قبل بناء الخط الحديدي موجوداً في مدائن صالح. يقال بأنه ولد في هدية، محطة طريق الحج الواقعة مقابل خيبر، وأنه كان يفعل المعجزات، ولذلك حصل على لقب "الفقير" (في اللهجة العامية: الفجير). ومنه أخذت عائلة الشيوخ آل فقير اسمها ثم أعطت الإسم للقبيلة كلها.

تنتمي عائلة الشيوخ، التي تسمى أيضاً نسبة إلى أجداد حديثين آل صالح أو آل مبارك، إلى فرع الشفقة[4] وتشكل تقريباً خمس الفقرا جميعهم. ونحن لا نعرف سوى عدد قليل من أعضاء عائلة الشيوخ وعلى رأسهم مطلق بن حميدي الذي زاره دوتي في نهاية السبعينات وعندما تعرف عليه جوسن وسافنياك عام 1907م كان لم يزل في منصبه. مطلق، الرجل الوحيد القوي البنية والمتغذي جيداً بين الفقرا الجائعين (دوتي)، لم يكن يملك سوى قطيع صغير من الإبل (25 رأساً وفي وقت

(1) دوتي، الجزء الأول، ص344؛ عادات الفقرا، ص8 وما بعدها.

(2) انظر الجزء الأول، ص196.

(3) "اولاده" شفق، وجمعة، وزرع، وغصيب (عادات الفقرا، ص4) هم أجداد القبائل الفرعية: الشفقة، والجمعات، والزوارعة، والمغاصيب.

(4) تنبثق هذه العلاقة من سلسلة نسب لرجل من الفقرا وردت في (عادات الفقرا) (ص4): قفطان بن خلف بن عثمان بن رميّة بن مبارك بن خبير بن صالح بن عمدان بن شفيقة(☆) بن راشد بن خميجل بن حجاج بن منبّه بن وهب بن مسلم بن عنّاز بن وائل بن آدم.

(☆) هكذا! يسمى الرجل هنا وليس شفق كما جاء في الملاحظة السابقة. جوسن وسافنياك يعطيان القبيلة اسم شفيقة فقط).

لاحق 40 رأساً)، لكنه كان يحصل على دخل ممتاز من الصرة (120 ليرة تركية) ومن بستانه في خيبر الذي كان يحتوي على 500 نخلة. من بين 15 ولداً لم يبق له سوى اثنين، بالإضافة إلى حفيده شهاب، الذي خلفه في المنصب. في عام 1918م انضم شهاب إلى الشريف عبد الله بعد أن التزم عبد الله بمواصلة دفع تعويض حماية الخط الحديدي[1]. آخر شيخ معروف من مشايخ الفقرا هو سلطان الفقير الذي حارب عام 1922 ضد الوهابيين[2].

(1) كتاب الجيب (هاندبوك)، الجزء الأول، ص51؛ بريموند، ص232.

(2) أورينته مودرنو (الشرق الحديث)، الجزء الثاني، ص247.

ولد علي

كان ولد علي يشكلون في السابق مع الفقرا وحدة سياسية واحدة[1]؛ ولذلك تتطابق منطقة تنقلهم على مسافات واسعة مع منطقة الفقرا. في الجنوب فقط تمتد منطقتهم بعيداً حتى قلعة السرا، المحطة الثانية على طريق الحج بعد العلا. كما أن الحياة الاقتصادية للقبيلتين متشابهة أيضاً. يتقاضى ولد علي خوة في العلا مثل الفقرا، ويمارسون مع الفقرا والمواهيب (انظر الفصل القادم) في الحجر حق السوق الذي يتوجب على أبناء القبائل الغريبة دفع مجيدي للحصول عليه. وبما أنهم من السكان المجاورين لطريق الحج كان لهم الحق في الحصول على الصرة لاسيما أنهم كانوا يرافقون الحجاج اعتباراً من دار الحمرا[2]. وعلى عكس الفقرا، وبشكل أخص ولد سليمان، يعدّ ولد علي بصورة عامة غير محاربين ويوصفون بأنهم مسالمين. ويلومونهم بصورة خاصة للمواقف التي ارتكبوها تجاه قضية العنزة عندما دعوا الأتراك في عام 1874م للقدوم إلى خيبر التي كانت حينئذ تابعة لحايل «حائل». وعلى أي حال فإن هذا التصرف يصبح مفهوماً إذا ما علمنا أن باشا المدينة كان يكتفي بضريبة أقل من ضريبة ابن رشيد (مجيدي واحد عن كل 6 رؤوس من الإبل بدلاً من 5 رؤوس، وعن كل 40 رأساً من الغنم أو الماعز بدلاً من كل 30 رأساً)[3].

---

(1) انظر، مثلاً، جورماني، ص165.

(2) دوتي، الجزء الأول، ص79، 200؛ موزيل، شمال نجد، ص114 وما بعدها، 126.

(3) دوتي، الجزء الأول، ص348، 369، 453؛ الجزء الثاني، ص121 وما يليها.

لا نعرف سوى القليل عن العلاقات الداخلية بين ولد علي. بناء على علامات الوسم المختلفة لدى القبائل الفرعية يميل المرء إلى الإستنتاج بحدوث خلط شديد عند تشكيل القبيلة. ولكن هذه العملية يجب أن تكون قد حدثت قبل وقت طويل من حركة الهجرة الكبيرة، لأن ولد علي الشماليين لهم تركيب مشابه لولد علي الجنوبيين. وكما يتبين من نسب العنزة فإن ولد علي ينسبون كالفقرا إلى بني وهب. وكان اسمهم قديماً آل علي، يقابله اسم آل نبهان لبقية بني وهب (الفقرا والخ. . .).

تتمتع عائلة شيوخ ولد علي، بسمعة محترمة. وهي تحمل اسم الإيدا (اليديان؛ النسبة: إيدي) وتربطها علاقة قربى وثيقة مع القبيلة الفرعية حمامدة[1] التي لم تعد اليوم موجودة في الحجاز[2]. ويتألف نسب زعيم الإيدا الحالي من السلسلة التالية: محمد بن فرحان بن بدر بن مطلق بن رجع بن ضيف الله بن مسعد بن حمدان بن الإيدا بن علي[3]. ولقد عرف من بين أجداده رجع ومطلق على يد جورماني ودوتي وهوبر. كان مطلق شخصية محبوبة أكثر من نظيره زعيم الفقرا الذي يحمل الاسم نفسه، وكان أخوه محسن كريماً جداً إلى درجة التضحية، كان أباً حقيقياً للبدو. بعد وفاة مطلق انتقل الحكم إلى هايس الإيدا الذي سجلتُه عام 1899م شيخاً لولد علي. وبعد هايس جاء فرحان حفيد مطلق. في خريف 1917م انضم فرحان إلى الشريف عبد الله وقدم له 400 خيال لكنه انفصل عنه وانضم إلى الوهابيين قبل سقوط حايل (نوفمبر/ تشرين الثاني 1921م). قتل عام 1922م في معركة مع قائم مقام الوجه. عند ذلك ذهب ابنه محمد الفرحان إلى الرياض فاعترف به عبد العزيز آل سعود زعيماً للقبيلة[4].

(1) بوركهاردت، ص4: سالم ومبارك الإيدا، شيخا الحمامدة.

(2) عادات الفقرا، ص4، تقول غير ذلك.

(3) ج.ج. هسّ، أسماء بدوية من وسط الجزيرة العربية، ص6.

(4) لورنس، ص191؛ بريموند، ص205، 232، 265؛ أورينته مودرنو، الجزء الثاني، ص246؛ شمال نجد، ص294.

ولد سليمان

يتألف ولد سليمان من أجزاء مختلفة جداً. نذكر منهم أولاً الجعافرة الذين ينتسبون حسب رأينا إلى جعفر بن أبي طالب، ابن عم النبي محمد؛ إذ إن هؤلاء الجعفريين (بني جعفر) كانوا في العصور الوسطى منتشرين في هذه المنطقة. وفي القرن العاشر الميلادي كانوا يملكون واحة (ذو) المروة الموجودة عند مصب وادي الجزل في وادي الحمض[1]، وفي وقت لاحق واحة خيبر. لكن العنزة ضغطوا عليهم جداً هنا إلى درجة أنهم كانوا يقدمون لهم جزءاً من محصول التمر خوّة، لا بل إنهم قبلوا بأن يحكمهم رجل من عنزة. صحيح أنهم قتلوا هذا الرجل دون عقاب لكنهم لم يستطيعوا التخلص من دفع الخوة[2]. بناء على ذلك فليس مجرد خاطرة من بوركهاردت عندما يربط (ص309 وما بعدها) بين جعافرة الحجاز وقبيلة بدوية مصرية تحمل الإسم نفسه ولم تزل توجد حتى اليوم بقايا منها في محافظة القنا؛ إذ إن هؤلاء الجعافرة المصريين يعيدون شجرة نسبهم، حسبما يقول المؤرخ القروسطي المقريزي[3]، أيضاً إلى جعفر بن أبي طالب، وتقول حكاية قديمة أنهم جاءوا عبر البحر الأحمر إلى مصر العليا. يقابل الجعافرة ثلاث قبائل فرعية هي: السلمات، والغضاورة، والخمشة، يدمجها موزيل في قبيلة واحدة يسميها

(1) مقدسي، ص83.

(2) ديوان علي بن مقرب، بومباي 1310م، رقم 1، 32 ـ 36 والتعليق. وقعت الحادثة على الأرجح في القرن الثاني عشر.

(3) قبائل عربية في مصر، ص60 وما يليها.

السليمانية (ربما ولد سليمان الأصليون؟).

تشكل بقية القبائل الفرعية مجموعة ثالثة تربطها علاقة ضعيفة مع المجموعتين الأخريين. في شجرة نسب العنزة يرد ذكر ولد سليمان تحت ضنا عبيد، ولكنهم ينسبون في سياق آخر إلى السلقا (عمارات)[1]. وكلا النسبتين مبرر لأن ولد سليمان موجودون عند جماعات الفدعان (ضنا عبيد) وعند جماعات السلقا على حد سواء. وتجد هذه العلاقة المتشابكة تعبيراً لها في التسمية، إذ إن ولد سليمان يسمون غالباً "بشر"، وهو تعبير يشمل ضنا عبيد والعمارات.

بشر ـ ولد سليمان هم أقوى قبائل عنزة في وسط الجزيرة العربية، وحتى شمر تخشاهم. وبصرف النظر عن حصتهم في واحة خيبر، حيث استوطن بعض أبناء القبيلة[2]، فإنهم يعتمدون كلياً على تربية الماشية وبالتالي فإن قطعان الإبل التي يملكونها أكبر من قطعان الفقرا وولد علي. وهم يتنقلون بين حرة خيبر والطرف الجنوبي للنفود. مصدرهم المائي الرئيسي في الصيف هو بيضا نثيل (جنوب غرب حايل[3]) حيث نشأت في الآونة الأخيرة هجرة، أي مستوطنة إخوان. في الخريف يقيمون عند بئر التليثوات[4] إلى الغرب من مسما. ولهم في النفود قلبان الكواكبة، وفي الحرة موقع الماء "بيج"[5].

تنحدر عائلة شيوخ ولد سليمان، آل عواجي، من الجعافرة (بوركهاردت). ولا نعرف شخصيات إفرادية منهم إلا منذ عام 1864م: الشيخ مشعل عسكر، ابن الشيخ الآنف الذكر، ومشعان ولد عسكر الذي كان يحكم ولد سليمان عام 1915م. وفي عام 1927م قيل لي أن الشيخ الحاكم هو بدر العواجي، ولكنني غير متأكد من صحة هذه المعلومة.

---

(1) على سبيل المثال، بوركهاردت، ص309.

(2) قطوني ـ قياطين (دوتي).

(3) تحت ضغط ابن رشيد اضطروا إلى السماح لشمر بمشاركتهم في الاستفادة من الماء، دوتي، الجزء الأول، ص582.

(4) عشرة آبار تكفي لتزويد 300 خيمة يومياً بالماء (موزيل).

(5) دوتي، الجزء الأول، ص582؛ الجزء الثاني، ص220، 223، 231؛ هوبر، جورنال، ص554؛ موزيل، شمال نجد، ص95، 105، 138.

عنزة(1)

آ ـ الفقرا(2)

شيخ المشايخ: سلطان الفقير

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ الشفقة 2ـ الجمعات 3 ـ المغاصيب 4 ـ الزوارعة 5 ـ الحمدان 6 ـ الحجور 7 ـ الخماعلة(4) 8 ـ الصقرة **ملحقة:** "الفهيات"(5)(*)	سلطان الفقير(3)	شرقي الخط الحديدي الحجازي بين المعظم ـ الحجر	120

(*) «الفقهات» عند التحقيق والمراجعة وجدت اختلاف في تسمية هذه العشيرة الصغيرة وهذا الاختلاف موجود في أجزاء الكتاب وأعتقد أن الحرف d قد سقط سهواً عند كتابة الاسم فكتب بهذا الشكل Fehjat بدلاً من Fehdjat ومن هنا سوف نجد أنه سوف يتطابق الاسم. ففي الصفحة 162 من الجزء الرابع كتبت فقهات وفي الصفحة 164 هامش 17 ذكر المؤلف التسميات الأخرى. (ماجد شبّر).

ب ـ ولد علي(6)

شيخ المشايخ: محمد الأيدا

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ السند 2 ـ المريخان 3 ـ الركاب 4 ـ العطيفات 5 ـ الدمجان 6 ـ الخالد 7 ـ المشطة		جنوب الفقرا	280
8 ـ الطوالعة(7) 9 ـ الربيلات 10 ـ الذوبية		جنوب الفقرا	120

جـ ـ ولد سليمان(8)

شيخ المشايخ : خلف العواجي

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ الجعافرة	خلف العواجي	النفود ـ حرة خيبر	600
أ ـ آل فضيل(9)			
ب ـ آل عواجى(10)	خلف العواجى		
حـ ـ السهول			
د ـ الضواوية(11)			
هـ ـ آل مريحم			
2 ـ السلمات	ابن جبل الشقاوي		
3 ـ الغضاورة	علوش بن ظويهر		
4 ـ الخمشة			
5 ـ الامنة(12)	مشعل بن زيد المرتعد(13)		
6 ـ المطاردة(12)	مجول بن بليطيح		
7 ـ الشملان(12) (14)			
8 ـ البجايدة(15)	عبد المحسن بن شامان		
ملحقة :			
النوامسة(16)	ابن نومس		

ملاحظات

1 ـ قائمة شبرنجر، رقم 74، 75 (بدلاً من «الفصر» نقرأ طبعاً "الفقير").

2 ـ تستند الجداول إلى قوائم دوتي، الجزء الأول، ص229؛ وهوبر، رحلة في وسط الجزيرة العربية، ص106؛ وجوسن وسافنياك، عادات الفقرا، ص3.

3 ـ وسم الفقرا: «».

4 ـ يشكل الخماعلة حوالي نصف القبيلة بالكامل، لكن مركزهم ضعيف. وحسب موزيل، الصحراء العربية، ص84، فإنهم يصنفون من ناحية النسب في مستوى الفقرا وليس تحتهم.

5 ـ قبيلة تسكن منذ زمن قديم في محطة مداين صالح. الوسم:

6 ـ المراجع هي نفس المراجع الخاصة بالفقرا. وهنا كما هناك لم نسجل سوى القبائل الفرعية المذكورة في قائمتين على الأقل.

وسم ولد علي:

7 ـ الوسم: .

8 ـ بما أن معلومات مايو/ أيار 1913م (المصدر: محجم بن تركي) غير كافية، فقد استكملناها استناداً إلى قوائم جورماني، ص166؛ وهوبر، نفس المصدر السابق، ص114؛ وموزيل، شمال نجد، ص95 وما بعدها. وسم ولد سليمان (بشر): «».

9 ـ يصنفها موزيل فوق الفروع التالية.

10 ـ الفرعان اللذان يذكرهما محجم وهما: السعيّد والمقاطعة ينتسبان إلى العواجي، انظر بأنهما هوبر، نفس المصدر السابق، وجورنال رحلة في الجزيرة العربية، ص143.

العربية، ص143.

11 ـ هوبر، جورنال، ص512.

12 ـ هذه القبائل الثلاث هي بشر، ولكنها ليست من ولد سليمان ولذلك غير موجودة في قوائم موزيل.

13 ـ انظر دوتي، الجزء الأول، ص568؛ هوبر، جورنال، ص534.

14 ـ يلفت الانتباه أن موزيل، الصحراء العربية، ص84، ينسبهم إلى ولد علي، ولكن انظر قائمة شبر نجر، رقم 75. وهم بقية من شملان الخاضعين للعمارات.

15 ـ جورماني، نفس المصدر السابق؛ دوتي، الجزء الثاني، ص220.

16 ـ هتيم!

هجر عنزة(1)

المكان	الأمير	الزعيم المحلي
1 ـ خيبر	محمد بن فرحان الايدا	هزاع بن هايس الايدا
		هزاع بن محمد الايدا
2 ـ بيضا نثيل	خلف العواجى	
3 ـ الشملى(2)	عبد المحسن بن شامان	
4 ـ البلازية	عبد الرحمن بن معيتق	

ملاحظات

1 ـ أم القرى رقم 208، تاريخ 18 ديسمبر/ كانون الأول 1928م. بالإضافة إلى

هجرات عنزة الحجاز المذكورة في القائمة تذكر أم القرى أيضاً هجرات عنزة الشمال الذين انضموا إلى الوهابيين، ألا وهم: الشعيبيّة (= شعيبة، شمال شرق حايل) بقيادة شارع بن مجلاد (انظر الجزء الأول، ص159، وهجرة ثانية في نفس المكان بقيادة فرحان بن مشهور (انظر الجزء الأول، ص189، الملاحظة 20)، والفيضة بقيادة جريبع بن سويلم.

2 ـ إلى الجنوب من بيضا نثيل.

بلي[1]

يشكل منخفض الجوَ، الذي يمتد من الشرق بين حرة الرحا وحرة العويرض، حدوداً فاصلة من ناحية الإنتماء القبلي ومن ناحية اللهجة؛ فهو يفصل بين أهل الشمال وأهل الجنوب (أهل قبلي)[2]. وهي نفس الحدود القديمة بين جذام وقضاعة؛ إذ إن القبيلة الأولى التي نصادفها على الجانب الآخر من الجوَ والتي كانت تسكن هنا قبل الإسلام، وهي بلي، تنتمي إلى قضاعة.

وكانت هذه الجماعة السكانية تضم في الماضي في الحجاز إضافة إلى بلي كلاً من جهينة وعذرة. كانت جهينة تسكن جنوب وادي إضم (= وادي الحمد)، وكانت عذرة تسكن في الشرق على طريق الحج من حرة العويرض حتى خيبر[3].

ثم جاء كلب الذين كانوا قد انتشروا من تيما حتى دومة الجندل (الجوف) وفي عمق الصحراء السورية، وكان إلى الشمال والغرب منهم البهرا[4]. هناك خلاف

(1) الجمع: بليان.

(2) دوتي، الجزء الأول، ص418؛ انظر والين، مجلة الجمعية الجغرافية الملكية 1851م، ص325.

(3) انظر ياقوت، الجزء الثاني، ص267؛ الجزء الرابع، ص81؛ فوستنفلد، أماكن سكن وهجرات، ص37، 41 وما بعدها.

(4) بخصوص القبائل السورية الأخرى (سليح، وتنوخ) التي تنسب إلى قضاعة، انظر الجزء الأول، ص399 وما بعدها. أجزاء من البهرا استوطنت في العصور الوسطى في بلاد النوبة

حول أصل قضاعة: علماء مدرستي المدينة والكوفة كانوا يعتبرونهم من معد (عرب الشمال)، لكن القضاعة السوريون اعتبروا أنفسهم، لأسباب ناقشناها في الجزء الأول، ص412 وما بعدها، يمنيين ثم فرضت هذه النظرية نفسها لدى جميع قبائل قضاعة. كما أنه لا يوجد شيء مؤكد عن تاريخ هجرتهم[1]. وقد يميل المرء إلى البحث عن موطنهم الأصلي في المنطقة الواقعة خلف عسير حيث توجد قبيلتان من قضاعة هما: نهد وجرم. ولكن بما أن الروايات المتناقلة تشير إلى أن هاتين القبيلتين جاءتا إلى هناك من الشمال (من العلا)، فإن هذا الظن يفقد كل أساس له.

بقيت بلاد بلي إلى حد ما غير معروفة بالنسبة للجغرافيين العرب؛ من المواقع التي كانت لهم قرى المدينة الجبلية القديمة شغب وبدا (بدا يعقوب، بداً؛ شغبي، شغب) وحرة (العويرض). وكان بعض عائلاتهم قد لجأوا إلى المدينة وبعضهم الآخر إلى تيما نتيجة حرب بين فخذين من أفخاذ القبيلة[2]. وفي العام التاسع للهجرة جاء وفد من بلي إلى المدينة. وهناك تقرير عن هذه البعثة لكنه لا يتضمن أي معلومات مفيدة[3]. الحدث الهام الوحيد الذي وصلنا من التاريخ المبكر لبلي

والسودان. أما الطريق التي سلكوها إلى هناك، فهي غير معروفة. ونحن نعتقد أنهم لم يمروا عبر البحر الأحمر كما يزعم ابن خلدون (صبح، الجزء الأول، ص317)؛ إذ إن قوله بأن البهرا كانوا يسكنون شمال بلي بين ينبع والعقبة، غير صحيح.

(1) في كتاب فوستنفلد، أماكن سكن وهجرات القبائل العربية، وفي مقطع من بكري يستند إلى كتاب ابن الكلبي، يدور كثير من الحديث عن قضاعة، ولكن الحكايات الواردة هناك لا تحتوي على مادة تاريخية مفيدة سوى المعلومات عن مقرات القبائل. والخيط الذي تلتف حوله هذه الحكايات غير قادر على الصمود لأن نقطة انطلاقه تستند إلى فرضية دوغمائية وهي أن جميع معد خرجوا من مكة.

(2) فوستنفلد، نفس المصدر السابق، ص29؛ ياقوت، الجزء الثاني، ص252، 2. إضافة إلى ذلك تذكر الحكايات المتناقلة العديد من عائلات بلي الأقدام في المدينة، فوستنفلد، نفس المصدر، ص28. وتجدر الإشارة إلى أنه كان يوجد في مكة أو قربها عائلة من بلي، انظر فلهاوزن، مخططات وتحضيرات، 4، ص112 وما بعدها.

(3) فلهاوزن، نفس المصدر، ص169.

هو حجرة جزء كبير من القبيلة إلى مصر؛ ويذكر بأن هذه الهجرة قد حدثت بناء على طلب الخليفة عمر (634م ـ 644م). استوطن جزء من المهاجرين في وادي النيل، بينما عاش جزء آخر حياة البداوة في الصحراء الشرقية. وبعد عدة معارك مع قبيلة جهينة التي تبعتهم إلى مصر أصبحت منطقتهم في مصر العليا تقتصر على الأرض الواقعة بين سوهاق «سوهاج» وقمولة وعلى الصحراء الشرقية حتى عيذاب[1].

يبدو أنهم تعرضوا لنفس المصير الذي تعرضت له قبائل مصر العليا التي أبيدت تقريباً في حملة تأديبية في عام 1302م؛ إذ إنهم اختفوا من هذه المنطقة منذ زمن بعيد. فقط اسمهم بقي حياً هناك في وادي "بلّي" . . أما في مصر السفلى، في محافظتي الشرقية والقليوبية، فما زال هناك نحو 12000 فلاح يقولون إن أصلهم من بلي[2].

أما بلي الحجاز فقد تركوا وشأنهم. فالعلامات الحضارية القليلة التي جلبها الإسلام[3]، سقطت في القرن الثالث للهجرة، وأصبح شمال الحجاز لمدة ألف عام أرضاً معزولة لا يحكم فيها بالإضافة إلى شيوخ القبيلة سوى بعض العائلات الشريفة فقط. على الساحل كان للحكومة المصرية منذ عام 1268م (عودة طريق الحج البرية) قدر معين من السلطة، على الأقل في نطاق محطات الحج[4]. في العصر الحديث أدت الحملات العسكرية ضد الوهابيين، التي كانت الوجه، المرفأ والبلدة الوحيدة المسكونة باستمرار في المنطقة، تستخدم فيها كنهاية مرحلة، إلى

(1) المقريزي، قبائل مصرية، ص68 وما يليها.

(2) هناك مجموعة صغيرة من بلي الرحل تخيم في مصر العليا على الضفة اليمنى للنيل، بين سوهاق «سوهاج» وبلينا، جاءت من الجزيرة العربية في وقت متأخر (نهاية القرن الثامن عشر؟)؛ موري، ص292. أما بلي البررة في سيناء فهم مهاجرون عائدون من مصر.

(3) انظر ابن السكيت عند ياقوت، الجزء الثالث، ص302: مساجد في شغب وبدا.

(4) هناك حملة تأديبية ضد بلي الذين نهبوا قافلة الحج يذكرها أبو المحاسن تحت عام 842هـ/ 1438م، أبو المحاسن، نجوم، الجزء السابع، ص55.

ازدياد النفوذ المصري. وعندما حل الأتراك محل المصريين عام 1888م أرسلوا إلى الوجه قائمقاماً وبعض الجنود. لكن القائمقام التركي لم يكن له نفوذ يستحق الذكر وكان مضطراً إلى الاعتماد على شيخ مشايخ البلي سليمان ابن رفادة.

في 24 يناير/ كانون الثاني 1917م احتلت الوجه قوات انجليزية وعربية وانضم إليها جزء من بلي، لكن ابن رفادة انسحب مع 400 رجل إلى العلا واتحد مع القوات التركية الموجودة هناك. كما أن أخ ابن رفادة، الذي كان قد انضم مع 350 رجلاً إلى الشريف فيصل، التحق بعد ذلك أيضاً بالأتراك. إلا أن القبيلة انضمت في ربيع 1918م بقيادة ابني سليمان، إبراهيم وعزيز، إلى الشريف؛ وشاركت بعد ذلك في عدة عمليات ضد الخط الحديدي الحجازي[1].

في عام 1925م خضع خليفة سليمان، إبراهيم ابن رفادة، دون قتال لحاكم الحجاز الجديد، ابن سعود، الذي كان قد كسب في عام 1922م تأييد أجزاء من القبيلة[2]، واعترف به ابن سعود زعيماً لبلي. أدى هذا إلى غضب ابن عمه حامد الأعور الذي كان يعلق آمالاً على منصب الشيخ. واستغل حامد الاضطرابات التي حدثت عام 1928م في الجزيرة العربية ومهدت الطريق أمام ثورة الإخوان عام 1929م، للقيام بغزوات سلب ونهب. وبعد القضاء على ثورة الإخوان هرب إلى ما وراء الحدود، وتبعته مجموعة صغيرة من القبيلة. وكان لهذه الاضطرابات نتيجة دامية فيما بعد: ففي عام 1932م اتحد المهاجرون من بلي مع مهاجرين من الحويطات بهدف الدخول إلى الحجاز والقيام بثورة ضد آل سعود. وفي بداية مايو/ أيار عبروا الحدود عند العقبة بقيادة محمود أبو طقيقة وحامد ابن رفادة الأعور. فاتخذ الملك على الفور إجراءات مضادة شاملة. قام بنقل قوات على السفن والسيارات الشاحنة إلى ضبا، البلدة الرئيسية في الساحل الشمالي، وحشد

(1) بريموند، ص121، 157، 233.

(2) موزيل، شمال نجد، ص294، ثم الصفحة 473 أعلاه؛ أورينته مودرنو، الجزء الخامس، ص308.

هجرات العنزة وشمر وحرب والكتيبة العسكرية الموجودة في حايل، لقطع الطريق على العدو في الشرق. ثم حوصر المتمردون عند جبل الشار (شرق مويلح) وهزموا هزيمة نكراء؛ وسقط في المعركة زعيما القبيلتين (يوليو/ تموز 1932[1]).

منطقة بلي، المحددة بوادي الحمض، قاحلة وعديمة الخصوبة، ولذلك بقيت القبيلة قليلة العدد[2]. ففي الأعوام الرديئة يترك بلي منطقتهم ويبحثون عن المرعى بعيداً في الشمال؛ وفي بعض الأحيان، عام 1846م مثلاً، يصلون حتى سورية[3]. ولا تمارس الزراعة[4] إلا في واحة الكرّ شمال شرق الوجه، والكمية القليلة من أشجال النخيل في واحة بدا لا تلعب دوراً بالنسبة للتغذية. كانوا في الماضي يجلبون الحبوب عن طريق الوجه من قصير (على الساحل المصري)، ويجلبون التمور من العلا وخيبر وتيما. أما القهوة والملابس فكانوا يشترونها من السوق التي كانت تقام كل عام في موسم الحج في الحجر.

طالما كان الحجاج المصريون يذهبون إلى الحج براً، أي حتى عام 1884م، كان شيخ المشايخ يحصل على معونات من القاهرة[5]. كان مدرك بلي، أي المقطع الذي يتولون فيه المسؤولية عن أمن القافلة، يمتد في القرن التاسع عشر من ضبا حتى الوجه، وفي العهد المملوكي من (وادي) الداما حتى اكرى، على مسافة ساعة جنوب الوجه (القلقشندي، ص154). وكان بلي يتقاضون خوة من تيما والعلا. وكان بعض أفراد القبيلة يكسبون معيشتهم من نقل الأرز من الوجه إلى العلا، ثم يأخذون معهم التمور على طريق العودة (دوتي، الجزء الأول، ص153).

---

(1) الشرق الحديث، الجزي 12، ص347 وما بعدها؛ آرمسترونغ، لورد أوف آرابيا، ص273، 286؛ موري، ص133، 248؛ تاريخ بئر السبع، ص115.

(2) والين (1848م)، المجلة الجغرافية الملكية 1851م، ص323 وما يليها.

(3) قد يكون البلاونة، ص293 أعلاه، قد بقوا بعد رحلة كهذه في وادي الأردن.

(4) لورنس، ص231.

(5) ولسند (1833م)، الجزء الثاني، ص186؛ برتون، ميدين، الجزء الثاني، ص142: 800 قرش كل شهر. الصرة محددة بدقة في مرآة الحرمين، الجزء الثاني، ص341.

يعيش البلي في سلام مع جيرانهم الشماليين والجنوبيين (حويطات التهمة، بني عطية ـ جهينة، ولد علي)، وكانوا زمناً طويلاً متخاصمين مع الفقرا، باستثناء الأفخاذ: المواهيب، والسحما، والفريعات، والفواضلة، الذين كانوا "أصحاب الفقرا"[1].

انضمت إلى بلي منذ زمن طويل قبيلة من عنزة هي المواهيب. وهي تنتسب إلى سبعة، وبالفعل توجد جماعات من المواهيب عندها (وعند بني صخر). يسكن المواهيب في حرة العويرض؛ وكانوا في عام 1877م يعدّون 13 جيلاً منذ مجيئهم إلى هناك. بين حين وآخر يخيمون في مكان أبعد غرباً في منطقة تنقل السحما أو ينتقلون في السهل الشرقي بين الأخضر والحجر. يتمتعون في الحجر بحق السوق مثل الفقرا وولد علي (انظر ص496 أعلاه)، وكان شيخهم يتلقى صرة في أخضر[2].

كان المواهيب وغيرهم من أفخاذ بلي المقيمين في الشرق يدفعون بين حين وآخر ضرائب لابن رشيد[3].

(1) دوتي، الجزء الأول، ص335؛ هوبر، جورنال، ص485

(2) دوتي، الجزء الأول، هناك وهناك؛ هوبر، المصدر السابق، ص341.

(3) والين (1848م)، المصدر السابق، ص324؛ هوبر (1884م)، المصدر السابق، ص592.

بلي(1)

شيخ المشايخ: ابن رفادة(2)

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ المعاقلة	ابن رفادة	الوجه	
2 ـ الرموث			
3 ـ الفواضلة(3)			
4 ـ الزبالة			
5 ـ السحما(4)		حرة العويرض	40
6 ـ الوابصة		بدا؛ شغب	
7 ـ المواهيب(5)	}		80
8 ـ الهروف		حرة العويرض	
9 ـ الوحشة			
10 ـ العرادات		الفراعة(6)	

ملاحظات

1 ـ يستند الجدول إلى موزيل، شمال الحجاز، ص211، وتم استكمال المعلومات عن مناطق التنقل وعدد الخيام استناداً إلى دوتي، كتاب الجيب (الجزء الأول، ص63)، ووالين (مجلة الجمعية الجغرافية الملكية 1851م، ص324 وما بعدها).

ولم نسجل الأفخاذ الواردة عند دوتي (الجزء الأول، ص383) وفي كتاب الجيب، ولكنها غير مذكورة عند موزيل، وذلك بسبب عدم وضوح صيغ التسمية،

كما أننا لم نسجل أيضاً الفريعات الذين ورد ذكرهم عند هوبر فقط، جورنال، ص485، ولابني لوط المذكورين عند والين. قوة القبيلة حسب برتون، ميدين، الجزء الثاني، ص141: 400 "بندقية" (بلي نفسهم قالوا له: 4000)؛ بريموند، ص120: 600 خيمة.

الوسم: ▬ على الأنف.

2 ـ سلسلة نسب سليمان بن رفاده (انظر الصفحة 354 أعلاه) هي، حسب هسّ، أسماء بدوية، ص5: سليمان بن عفنان بن عمار بن سليم بن رفاده بن عاقل بن حسن بن حبيقان بن معيقل. حكم أخو سليمان، محمد، في السبعينات؛ برتون، ميدين، الجزء الثاني، ص14، 123، 147 وما بعدها، 208.

3 ـ الشيخ في عام 1884م: حسن أبو ذراع، هوبر، المصدر السابق؛ قارن نفس المصدر، ص369، 377.

4 ـ هوبر، ص385: السحمة. يصعدون في الصيف إلى أعلى الحرة. الشيخ عام 1877م: مهنا وعمه "فضل"؛ 1884م: مرزوق بن رويحل (دوتي، الجزء الأول، ص383، 389؛ هوبر، ص485).

5 ـ الشيخ عام 1848م: ابن داما؛ 1877م، و1884م: طلاّق أبو شامة (والين، دوتي، هوبر).

6 ـ هكذا يكتب موزيل، والين: وادي فراع. وهو المجرى الأعلى لوادي الجزل.

جهينة[1]

تحتفظ جهينة، مثل جيرانها الجنوبيين بلّي، تقريباً بنفس المنطقة التي كانت لها في العهد العربي القديم. وهي تمتد من وادي الحمض حتى مسافة قريبة من خط المدينة ـ ينبع.

لا يوجد معلومات عن تاريخ جهينة قبل الإسلام (اللفظ الكلاسيكي لاسمها: جَهَيْنة. أما اليوم فتلفظ: جْهِينِه)، كما أن الأخبار المتناقلة عن نسبها شحيحة (ذكرنا في مقال بلي أن جهينة تنسب إلى قضاعة). ولكن هناك العديد من قرارات النبي محمد التي تلقي الضوء على سلوك القبيلة تجاه المجتمع الإسلامي الناشىء في المدينة[2]. القرار الأول، الذي يضعه شبرنغر صائباً بعد وقت قصير من غزوة بدر، هو ذو طبيعة سياسية محضة، ويقدم فيه النبي لفخذين من جهينة، للمستقرين منهم وللبدو (للبدو بشرط السلوك الحسن)، الأمان على حياتهم وأملاكهم والوقوف إلى جانبهم ضد من يهاجمهم. القرار الثاني المتعلق بفخذ آخر من جهينة يربط بين ضمان الأمن والدخول في الإسلام. أما القرار الثالث فيشترط تقيدهم بالواجبات

---

(1) الجمع: جهين.

(2) شبرنغر، حياة وتعاليم محمد، الجزء الثالث، ص151 وما يليها؛ فلها وزن، مخططات وتحضيرات، 4، ص112 وما يليها؛ كيتاني، آنالي دل إسلام، الجزء الأول، ص678 وما يليها.

الإسلامية وتخليهم عن عبادة الأصنام. يتضح من هذه القرارات أن جهينة كانت منذ البداية حريصة على علاقات جيدة مع النبي، لكن اعتناقها الإسلام امتد على أعوام عديدة إذ إن القرار الثالث يجب أن يكون قد صدر بعد فتح مكة (8هـ/ 630م) والتخلص من المشركين. هناك العديد من المنح النبوية للأراضي تشير إلى أن الزراعة اكتسبت عند جهينة في العهد الإسلامي أهمية متزايدة، وهناك مصادر أخرى تفيد بأن كثيراً من أبناء القبيلة انتقلوا إلى المدينة وانضموا إلى المجتمع الإسلامي هناك، أي أنهم التزموا أيضاً بواجب الخدمة الحربية.

أسفرت حركة الهجرة الواسعة التي بدأت في عهد الخليفة عمر (634م ـ 644م) عن هجرة جزء كبير من القبيلة إلى مصر. كان الهدف قد اتضح من مثال بلي، لكن هجرة جهينة لم تكن، كهجرة بلي، بأمر من الخليفة. كان جزء من المهاجرين قد انضم إلى الجيش: يذكر أن 600 رجل من جهينة اشتركوا في الحملة الأولى ضد ليبيا (647م). أما البقية فقد استوطنوا قرب أخميم. وفي القرن الحادي عشر الميلادي كانوا أهم قبيلة في مصر العليا. وفي القرن الرابع عشر دخلت جهينة إلى مملكة النوبة المسيحية ثم دخلوا في القرن التالي إلى السودان. وخلطوا دمهم مع دم السكان المحليين. ويقول ابن خلدون أن شيوخهم تزوجوا بنات ملوك النوبة وبثوا فيهم الروح العسكرية. ويعود البقارة السود في درفر ووداي، وكثير من القبائل الأخرى في السودان، أصلهم إلى جهينة. وفي مصر العليا لم تزل توجد مستوطنة صغيرة من جهينة قرب دشنة؛ وكانت مستوطنة أخرى عند بير "قاي" على ساحل البحر الأحمر قد اختفت منذ زمن طويل[1].

تابع جهينة الحجاز حياتهم على الطريقة القديمة. فالحروب الأهلية التي وقعت في القرن الأول للهجرة لم تؤثر على منطقتهم[2]. ولقد سبق وتحدثنا عن

---

(1) عن تاريخ هجرات جهينة في مصر والسودان يتحدث مقال سي. هـ. بيكر، عن تاريخ شرقي السودان، الإسلام، الجزء الأول، ص153 وما بعدها؛ انظر أيضاً مقالة "جهينة" في المجلة الإسلامية اسكلوبديا، وموري، ص24 وما بعدها، 298.

(2) هناك رواية تقول أن النبي قال عن جبال جهينة: "إنها من جبال الجنة ولن تمسها حرب أهلية أبداً".

الازدهار الزراعي. كان كبار ملاك الأراضي قد أصبحوا في هذه الأثناء من العلويين. وكان علي نفسه قد أمر ببناء منشآت الري الأولى في ينبع (= ينبع النخل) التي أصبحت بعد ذلك أكبر مستوطنة لجهينة وبقيت كذلك حتى الوقت الحاضر. في الجيل التالي فقد العلويون هذه الأملاك ولكن العباسيين أعادوها لهم فيما بعد، وبالتحديد للحسنيين منهم[1]. كان نفوذ هؤلاء الملاك على البدو كبيراً ولاسيما أنهم لم يعودوا يسكنون، كما في الجيل الأول، في المدينة وإنما في المزارع أو كانوا قد تحولوا إلى حياة البداوة. وعلى أي حال فقد نجح أشراف ينبع في أخذ مكان شيوخ جهينة ومازالوا حتى اليوم يمارسون السلطة العليا على القبيلة.

وتجدر الإشارة إلى أنه قد خرج من عائلتهم ذلك القتادة الذي أصبح بعيد عام 1200م سيد مكة وأسس أسرة الأشراف التي حكمت مكة زمناً طويلاً. ولم يقطع أشراف ينبع أبداً صلتهم بأبناء عمهم أشراف مكة، ولذلك بقي الجهينيون في جميع الأوقات رعايا مخلصين لشريف مكة، أيضاً خلال الحكم الوهابي (1803م/ 1804م ـ 1811م) وخلال الإحتلال المصري (1811م ـ 1840م)[2]. وفي النزاعات التي كانت تحدث كثيراً بين شريف مكة والأتراك كان في وسع الشريف دوماً وأبداً الاعتماد على جهينة الذين كان شيخهم مفوضاً عاماً له في ينبع[3].

في الحرب العالمية أيضاً أعلنت جهينة وقوفهم إلى جانب الشريف. في بادىء الأمر اتخذ «أمير» هم محمد بن علي البديوي وأخوه الأسود غير الشقيق عبد الكريم موقفاً فاتراً بعض الشيء لأنهما كانا يغاران من فيصل ـ ويقال بأنهما كانا

---

(1) في البداية لعبد الله بن حسن بن حسن، ثم في وقت لاحق لحسن بن زيد بن حسن بن عبد الله بن حسن؛ كان أحفاده يملكون سويقة أيضاً؛ انظر فوستنفلد، الطرق الرئيسية المنطلقة من المدينة، ص74 وما بعدها؛ منطقة المدينة، ص7. تقع سويقة، التي كانت منذ أكثر من ألف عام مقفرة، على طريق الحج من المدينة إلى مكة أو ينبع؛ مجلة الجمعية الجغرافية الملكية 1854م، ص223. يجب عدم الخلط بينها وبين القرية الواقعة قرب ينبع وتحمل نفس الإسم.

(2) بوركهاردت، ص324.

(3) سنوك ـ هورغرونيه، مكة، الجزء الأول، ص217؛ مرآة الحرمين، الجزء الثاني، ص3.

السبب في هزيمته في ينبع النخل (ديسمبر/ كانون الأول 1916م) - لا بل إن قاضي القبيلة دخيل الله القاضي اعتبره عميلاً للأتراك. ولكن في وقت لاحق قدم عبد الكريم وغيره من الزعماء (وأيضاً دخيل الله وابنه محمد) خدمات هائلة لفيصل وعبد الله[1]. على الرغم من ذلك رضخت القبيلة في عام 1925م دون مقاومة لملك الجزيرة العربية الحالي[2].

لجهينة علاقات طيبة مع جيرانهم وأقربائهم الشماليين بلي. أما مع حرب، الذين يختلطون معهم فوق المدينة وعلى خط المدينة - ينبع، فهم متعادون منذ قديم الزمان. وأما علاقتهم مع جيرانهم في الشمال الشرقي ولد علي فهي غير معروفة. وكان الجهينيون البدو يدفعون خوة للفقرا (شاة واحدة على كل خيمة)، وكان الفقرا يعتبرون الجهينيين المستقرين أعداء[3].

يبدو أن البدو الرحل لا يشكلون إلا جزءاً ضئيلاً من القبيلة. وتمتد قرى الجهينيين المستقرين من ينبع النخل (نخل مبارك) حتى عمق المناطق الواقعة خلفها (زراعة وتربية النخيل). وبين سكان مرفأ ينبع يوجد أيضاً جماعات من جهينة، كما أن جهينة ممثلون أيضاً في الواحات الداخلية، واحة خيبر مثلاً. يعمل كثير من جهينة في صيد السمك وصيد اللؤلؤ وفي مهنة البحارة[4]. قبل ذلك كانت القبيلة تتلقى بعض الواردات من الصرة، وخاصة الصرة المصرية، التي كانت تدفع لهم أيضاً بعد عام 1884م عن المقطع المدينة - ينبع. وكانوا مسؤولين عن المقطع الأخير من الخط الحديدي الحجازي[5].

---

(1) لورنس، ص106، 117، 128 وما بعدها، 133، 149، 153، 173، 197 وما بعدها.

(2) أورينته مودرنو الشرق الحديث 1925م، ص306.

(3) بوركهاردت، ص324؛ دوتي، الجزء الأول، ص335؛ الجزء الثاني، ص181؛ هوبر، جورنال، ص485.

(4) برتون، مناجم الذهب، ص123؛ موري، ص299.

(5) بوركهاردت، ص324؛ مرآة الحرمين، الجزء الثاني، ص341؛ كتاب الجيب (هاندبوك)، الجزء الأول، ص63.

تقول حكاية شيعية(*) أن الإمام محمد ابن الحنفية يبقى مختبئاً في مغارة في جبل رضوى الواقع خلف ينبع إلى أن يظهر ويقود قضية آل علي إلى النصر؛ وهو يتغذى هناك من العسل والماء وتحيط به الأسود والغزلان التي تعيش مع بعضها بسلام. ولقد خبت هذه الحكاية منذ زمن طويل، واليوم يتحدث الناس عن أناس متوحشين يسكنون في هذه الجبال. إضافة إلى ذلك ينسب إلى جهينة كثير من الأشياء الغريبة، ومنها مثلاً أنهم يعقدون الزواج بكسر عصا خشبية وأنهم لا يأكلون لحم الأرنب[1]. وقد يكون عدم أكلهم لحم الأرنب صحيحاً، لأن الأرنب محرم لدى كثير من الطوائف الشيعية، وجهينة كانوا بالتأكيد في العصور الوسطى شيعة مثل أسيادهم الأشراف.

ينقسم أشراف ينبع، الذين يمكن اعتبارهم شيوخ جهينة (انظر الصفحة 516 أعلاه)، إلى أسرتين هما: العياشي (عيايشة) وذوي هجّار. قبل الحرب العالمية كان جابر بن حمد العياشي[2] في ينبع رئيس القبيلة، ولكن الأتراك اعترفوا في وقت لاحق بمحمد بن علي بن بديوي الحجاري في ينبع البحر شيخاً لجهينة[3].

وعلى الرغم من ذلك وقف في عام 1916م إلى جانب الشريف حسين، كما رأينا أعلاه.

يعتقد أن عدد العياشي كبير، ففي عام 1917م اشترك منهم في المعركة 300

(*) لا يفصح المؤلف عن ذكر أي فرقه شيعيه يقصدها. وعند مراجعة الكتب المتعلقة بالملل والنحل والمذاهب وجدنا احدى الفرق الشيعية وهم الكيسانية وفروعها تربط معتقداتها مع محمد ابن الحنفية فقد ذكر المسعودي في مروج الذهبْ ص86 ج3 تنازعت الكيسانية بعد قولهم بإمامة محمد ابن الحنفية: فمنهم من قطع بموته ومنهم من زعم أنه لم يمت وانهُ حيٌّ في جبال (رضوى). ماجد شبَّر.

(1) دوتي، الجزء الثاني، ص181؛ م. صادق، كوكب الحج، ص59.

(2) ورد ذكر أبيه عند سنوك، الجزء الأول، ص219، لكنه ذكر أن شيخ المشايخ كان الشريف شرف ابن عبد المنعم.

(3) شكيب أرسلان، ارتسامات، ص274.

جمّال (على الجمال) (لورنس، ص153).

كما أن بني إبراهيم هم أيضاً من أصل شريف (آ 14 في الجدول)، إذ إنه من الصعب فصلهم عن قبيلة تحمل نفس الإسم كانت في العصور الوسطى تسكن في السويق قرب ينبع النخل وتعيد أصلها إلى أحد أخوة محمد النفس الزكية (انظر الصفحة 584 أدناه). وكان بنو إبراهيم قد أرسلوا في عام 908هـ/ 1502م ـ 1503م، بسبب خلافات داخل عائلة الشريف الأكبر، قوات تصرفت في مكة بصورة مخزية. وبعد ثلاثة أعوام أحدثوا اضطرابات في منطقتهم أدت إلى عدم مجيء قافلتي الحج المصرية والسورية في ذلك العام[1].

(1) سمهودي، الجزء الثاني، ص326، حوليات مكة، الجزء الرابع، ص297؛ ابن إياس، الجزء الرابع، ص89.

جهينة(1)

آ ـ بني مالك

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ عروة(2)		العين ـ الملاليح(3)	
2 ـ رفاعة(4)		ينبع	
3 ـ الحصينات			
4 ـ المساوى(5)			
5 ـ الصيادلة		العقمية ـ الجابرية (السويق)	
6 ـ بني كلب(6)			
7 ـ حمدة			
8 ـ ثقافة(7)			
9 ـ القضاة			
10 ـ الصيادى			
11 ـ الاساورة			
12 ـ السنانى			
13 ـ الريباوي		ينبع البحر ـ ينبع النخل	
14 ـ بني إبراهيم			

ب ـ أولاد موسى

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ المراوين			
2 ـ العلاوين		املج ـ ينبع	
3 ـ نزّة(8)		أملج	
4 ـ فوايدة(9)		أملج	
5 ـ العقيبى(10)			
6 ـ ذبيان(11)		السويق ـ خيف حسين	
7 ـ المحيّاوي(12)			
8 ـ العامري(13)		أم هشيم ـ المقرح	
9 ـ الزايدي		المقرح ـ العين	

ملاحظات

1 ـ المعلومات المتعلقة بأقسام القبيلة وفروعها، والواردة عند دوتي، سجل جهينة؛ وعند سنوك هورغرونيه، مكة، الجزء الأول، ص219؛ وفي كتاب الجيب (هاندبوك)، الجزء الأول، ص63 وما بعدها؛ وعند أيوب صبري، الجزء الثالث، ص273 وما بعدها (نقلها بتنوني، الجزء الأول، ص51، مع بعض الأخطاء المطبعية)؛ وعند شكيب أرسلان، ارتسامات، ص274 وما بعدها (استناداً إلى سجل تركي من المدينة يعود إلى ما قبل الحرب)، وعند فؤاد حمزة، ص137 وما بعدها، متباينة جداً بحيث بدا من الأفضل عدم تسجيل في الجدول إلا الوحدات الواردة في أكثر من مصدر. ولم نذكر الصبحة والموال (فؤاد حمزة: الموالي) لأن صبري صنف الصبحة تحت بني مالك (آ) وصنف الموال تحت أولاد موسى (ب)؛

بينما صنفهما شكيب أرسلان بالعكس (والموالي صنفهم فؤاد حمزة أيضاً بالعكس). وضع فؤاد حمزة تحت آ، بالإضافة إلى الفروع 1، 2، 6، 14، كلاً من الزوايدة، والعوامرة، والقوفة مع 9، و13، والعياشة (انظر الصفحة 361 أعلاه) مع 4 و5 و10 كفروع، ووضع تحت ب، بالإضافة إلى 4 و6، كلاً من الغنيم، والغيمة، والحبيش، والسمرة "الاسم المفرد (نسبة) يستخدم هنا ثمان مرات كإسم للقبيلة، منها أربع مرات إلى جانب الصيغ المعتادة". وينطبق شيء مشابه على جيرانهم الشماليين حرب، وهنا نجد قبل النسب (جمع نسبه).

المعلومات المتعلقة بمناطق التنقل مأخوذة من كتاب الجيب (هاندبوك) ومن مرآة الحرمين، الجزء الثاني، ص103 وما بعدها.

قوة القبيلة، حسب بوركهاردت، ص324: 8000 مسلح؛ حسب قائمة شبرنغر رقم 52: 10500 مسلح. حسب أيوب صبري: 50000 نسمة. ديوتي يذكر 600 خيمة ولكن هذا العدد لا يشمل على الأرجح سوى البدو الرحل.

الوسم: ᕱ (ديوتي، الجزء الأول، ص125)؛ وسم أشراف الجهينة: ═ (مرآة، نفس المصدر).

2 ـ الوسم: ├┤ على الرقبة خلف الأذن اليمنى.

3 ـ آبار نصيف، مرآة الحرمين، الجزء الثاني، ص101.

4 ـ فوستنفلد، الجدول 1، 24 أو 25؟ كتيبة القبيلة كان عددها عام 1917 نحو 1000 رجل، لورنس، ص153.

5 ـ سنوك: الجمع: مساوة؛ فؤاد حمزة: مساوية.

6 ـ عند دوتي "كليبات"، عند سكيب ارسلان: بني كليب.

7 ـ عند دوتي: "الثقيف". في الجزء الثاني، ص174 يقول إن أفراد هذه القبيلة يعيّرون بأنهم يهود.

8 ـ سنوك: "نزة" (النسبة: نزاوي): في كتاب الجيب (هاندبوك) منسوبون إلى آ.

9 ـ انظر برتون، ميدين، الجزء الثاني، ص27.

10 ـ سنوك، جماعي عقب.

11 ـ فوستنفلد، الجدول 1، 20؟ سنوك: "دبيان"؛ دوتي: "زبيان"؛ هاند بوك: "«تبياني"؛ مرأة، نفس المصدر: ظبيان؛ شكيب أرسلان: ذبيان. الوسم: ┌──┐ على الجهة اليمنى من الرأس.

12 ـ سنوك: جماعي محيّا.

13 ـ أيوب صبري: عوامرة، فؤاد حمزة ينسبهم إلى آ.

حرب[1]

ينتمي جميع سكان الشريط الواقع بين المدينة ومكة، بلا استثناء تقريباً، إلى حرب الذين جاؤوا في أواخر القرن التاسع«الميلادي» من جنوبي الجزيرة العربية وامتصوا القبائل التي كانت موجودة في هذه المنطقة قبل ذلك. سمعتهم ليست على ما يرام لأنهم يبتزون الحجاج وينهبونهم.

لا توجد معلومات دقيقة عن الموطن الضيق لحرب ولا عن أصلهم[2].

(1) في الاستعمال اللغوي القديم وفي لغة عنزة اليوم: بني حرب. انظر دوتي، الحزء الثاني، ص591. الجمع: حروب.

(2) يذكر إصطخري، ص22، أصلهم اليمني فقط. يذكر الهمداني، ص69، 95، 166، عدة قبائل جنوبية بهذا الإسم دون ذكر أي صلة لها مع قبائل غرب الجزيرة (ص120، 130): 1 ـ حرب (بني حرب) بن عبد ود بن وادعة = بني صريم وبني ربيعة. لم يزل بنو صريم، فرع من حاشد، يعيشون حتى اليوم في السراه. 2 ـ بنو حرب بن علا، فرع من مذحج. 3 ـ بنو حرب الهون بن جرم (قضاعة)، إلا أن الأخيرين كانوا في زمن «الهمداني قد تركوا مقرهم في جنوبي الجزيرة العربية وذهبوا إلى الشمال إلى منطقة الطريق، حرب، على سبيل المثال، إلى عقيق، تمرة الحالية في وادي الدواسر؛ انظر الهمداني، ص139، 151، 163، وبخصوص القرى المذكورة هنا، فيلبي، الجزء الثاني، ص22، 282 وما بعدها.

تجدر الإشارة إلى أن ابن خلدون، الجزء الرابع، ص109، ينسب حرب إلى زبيد. أما ادعاء ابن سعيد، صبح، الجزء الأول، ص341، بأن حرب هم بنو هلال، فيبدو بعيد الإحتمال.

أول تاريخ نسمع فيه عن حرب في الحجاز يعود إلى عام 300هـ. قام حرب آنذاك بضرب حاكم مكة، وأخذه أسيراً. يشير هذا اليوم، "يوم معركة سرف الأناية"[1]، الذي سبقه يوم الحرة، إلى أن حرب ظهروا في الحجاز منذ البداية بمظهر الجماعة المشاغبة. عن مدى انتشارهم لا نستطيع ذكر سوى تكهنات غير مؤكدة.

عندما جاءت حرب وجدوا بين مكة والمدينة خليطاً شديداً من السكان: على الساحل كانت كنانة وخزاعة، وأبعد في الشمال جهينة، وعند المدينة مزينة وفي الحرات الشرقية سُلَيم. أضيف إلى ذلك القبائل التي تشكلت في العهد الإسلامي: الحسنيون قرب ينبع والجعفريون في محافظة الفرع[2]. إلا أن جميع هذه القبائل باستثناء الأخيرتين، الحسنيين والجعفريين، كانت قد ضعفت جداً بسبب الهجرة التي بدأت مع الإسلام وهذا يوضح السبب الذي جعل قبيلة حرب الغريبة تتمكن من طرد جزء من هذه القبائل وامتصاص جزء آخر. هاجرت كنانة إلى الجنوب[3]، ويبدو أن جزءاً من خزاعة اندمج مع حرب (انظر ص539 أدناه). أما جهينة فقد انسحبت إلى شمال خط المدينة ـ ينبع. ولم يصطدم الحسنيون مع حرب لأنهم خرجوا من صفوف القبائل البدوية وصعدوا إلى مرتبة أمراء مكة. أما أقرباؤهم الجعفريون فقد هبطوا إلى رعايا تابعين لحرب ثم هاجر معظمهم في وقت لاحق إلى مصر[4]. وأما مُزَيْنة فقد انضموا كتلة واحدة تحت اسمهم القديم (اللفظ

---

(1) حوليات مكة، الجزء الثاني، ص203، استناداً إلى الهمداني، إكليل، الذي يعتمد بخصوص معارك حرب هذه على رجل معاصر هو أبو جعفر ابن المخاعي. أما حاكم مكة ذو العلاقة، ابن ملاحظ، فهو فيما عدا ذلك غير معروف، أي أن التاريخ لا يمكن تحديده بدقة.

(2) لا يمكن تحديد موقع هذه المنطقة بدقة لأن الاسم يعبر عن منطقة إدارية تغيرت حدودها مراراً. بخصوص الموقع التقريبي انظر ص478 ـ 479 أعلاه.

(3) انظر مقال "قبائل المنطقة الحدودية" أدناه. هناك على الأقل مؤشرات تدل على أن تغيير كنانة لمكان إقامتها، الذي ورد ذكره لأول مرة عند الهمداني، له علاقة بمجيء حرب.

(4) انظر مقال "أشراف"، المقطع الأول، الجزء الأخير، وانظر ص498 أعلاه.

الحديث: مُزينةِ) إلى مجمع حرب. وأما سُلَيْم فقد هاجر بعضهم[1] والباقون فقدوا اسمهم، لكن عدة أفخاذ من حرب تعيد أصلها إلى تلك القبيلة، ومنهم على سبيل

---

(1) في عهد الخليفة هشام (على الأرجح في عام 109هـ/ 727م) قام المدير المالي في مصر بتوطين 100 عائلة من سُلَيْم مع 300 عائلة أخرى من أصل قيسي في شرقي الدلتا قرب بلبس. ونتيجة الشروط الجيدة التي منحت لهم التحق بهم خلال وقت قصير ثلاثة أضعاف هذا العدد من أبناء قبائلهم (كندي، حكام وقضاة مصر، ص76 وما بعدها). تكاثر هؤلاء السُلَيْم المصريون بسرعة وانتشروا في وقت لاحق في أجزاء أخرى من مصر. في مصر العليا كانت في أواخر العصور الوسطى لم تزل توجد مجموعات من سليم، وكذلك في محافظة بحيرة في غربي الدلتا. يعتقد أن هذه المحافظة كانت في العصور الوسطى المقر الرئيسي للقبيلة. فمن هنا انطلق السُلَيم في منتصف القرن الحادي عشر برفقة بني هلال (انظر مقال: قبائل صغيرة عند مكة والطائف) نحو الغرب واحتلوا خلال أعوام قليلة برقة وطرابلس. وفي نهاية القرن الثاني عشر «الميلادي» دخلوا إلى تونس، وخلال القرون وصلت جماعات متفرقة من قبائلهم إلى عمق السودان؛ ابن خلدون، البربر، الجزء الأول، ص134 وما يليها. (زعم ابن خلدون، ص29 و135، أن الخليفة الفاطمي العزيز (975م ـ 996م) هو الذي جلب السُليمَ (وبني هلال) من الجزيرة العربية إلى مصر، لا أساس له من الصحة)؛ ج. مارسيه، العرب في. . . في القرن الحادي عشر حتى القرن الرابع عشر؛ المجلة الإسلامية الاسكلوبديا، تونس.

لم تؤد هذه الهجرة إلى إضعاف السُلَيم العرب إضعافاً كبيراً. ففي عام 230هـ/ 845م أصبحوا في المنطقة المجاورة للمدينة بسبب تجاوزاتهم المتكررة مزعجين إلى درجة أن الحكومة المركزية رأت نفسها مضطرة إلى التدخل. لكن السُلَيم قضوا في البداية على كتيبة الشرطة التي أرسلت لتأديبهم، غير أن الجنرال بُغا تمكن من إخضاع القبيلة بعد انتصاره عليها قرب (السوارقية). وتم أسر نحو 1000 سُلَيمي وهلالي أخذوا رهائن إلى المدينة حيث قتلوا جميعهم تقريباً إثر محاولة هروب من الأسر (الطبري، الجزء الثالث، ص1335 وما يليها).

في العهد القرمطي كان سليم ينهبون القوافل بموافقة أسيادهم القرامطة. لكنهم كانوا في بعض الأحيان يبالغون في أداء الخدمة. ففي عام 355هـ/ 966م اضطر زعيم القرامطة، الذي كان قد تعهد بضمان أمن قافلة الحج المصرية مقابل مبلغ من المال، إلى إرسال 200 حمل من البضائع إلى القاهرة كان سليم قد نهبوها من الحجاج؛ كندي، نفس المصدر، ص297. منذئذ يختلط تاريخ سليم مع تاريخ حرب. أيوب صبري، الجزء الثالث، ص280 وما بعدها، وحده يذكر قبيلة سليم بين حاذه ومكة على طريق السلطان الشرقية، بينما يذكر المقريزي، قبائل عربية، ص85، قارن صبح "الجزء الرابع"، ص260، قبيلة سليم بين رابغ وخليص.

المثال: عوف[1] (ب I) والأحامدة[2] (آ I 1). وليس معروفاً متى انضم زبيد (ب III) إلى حرب. كنا في الجزء الأول من هذا الكتاب (ص279) قد افترضنا أنهم رافقوا حرباً خلال رحلتهم من جنوب الجزيرة العربية إلى الحجاز. لكن هذا الافتراض غير أكيد لأن زبيداً لا يوجد دليل أكيد على وجودهم في الحجاز إلا في بداية القرن الثالث عشر الميلادي.

يبدو أن تاريخ هجرة حرب كان، بدخولهم المنطقة الواقعة بين مكة والمدينة، قد اختتم لفترة طويلة من الزمن، بصرف النظر عن بعض الانزياحات الطفيفة[3]. في العصر الحديث انتقلت مجموعات صغيرة منهم إلى الشمال حيث نصادفهم في بلاد ما بين الرافدين (انظر الجزء الأول، ص373 وما يليها) وفي شبه جزيرة سيناء (انظر ص232، 233). لكن الكتلة الرئيسية من القبيلة لم تتحرك إلا في العهد الوهابي. فقد انتشرت نحو وسط الجزيرة العربية متبعة مجرى وادي الرمة. وسنعالج حرباً الموجودين هناك في الجزء الثالث من هذا الكتاب.

لم تكن الشروط المعيشية التي وجدها حرب في الحجاز جيدة. فالأراضي الواقعة بين مكة والمدينة غير مناسبة لتربية الإبل. في السهل الساحلي وفي ناحية الفرع يوجد بعض المواقع الصالحة للزراعة وتربية أشجار النخيل. لكن هذه الأراضي الخصبة كانت قد عانت قبل وصول حرب من الحملات التأديبية ضد العلويين الثائرين[4]، ثم تعرضت لمزيد من الدمار في عهد القرامطة. نتيجة لهذه الشروط غير المناسبة اكتسبت الجمارك المفروضة على قوافل الحج بالنسبة لحرب

---

(1) فوستنفلد، الجدول جي 12، 13، يذكر عائلتين بهذا الاسم، لا بل إن المقريزي، قبائل عربية، ص71، يذكر ثلاث عائلات.

(2) أيوب صبري، الجزء الثالث، ص281.

(3) هكذا كان زبيد، الذين يبدأون اليوم عند راغب، يسكنون سابقاً في الشمال بين صفرا ورابغ؛ المقريزي، قبائل عربية، ص85، محمد اديب، ص136، والملاحظة الثالثة قبل الأخيرة تفيد بأن منطقة زبيد الحالية كان سُلَيم يسكنون فيها في القرن الرابع عشر.

(4) انظر، مثلاً، فوستنفلد، الطرق العسكرية الخارجية من المدينة، ص29، 36.

أهمية أكبر من أهميتها بالنسبة للقبائل الأخرى. يجب على المرء أن يضع هذه الحقيقة أمام عينيه عندما يريد تكوين حكم صحيح عن الشكاوى التي يبديها الحجاج ضد حرب. وسوف نتحدث فيما يلي عن الأسباب التي لا تبرر فعلاً بأي حال التصرفات الابتزازية التي كانت تمارسها القبيلة، ولكنها تجعلها مفهومة.

تبدأ الشكاوى من تصرفات حرب في العصر الحديث[1] فقط. ويعود السبب في ذلك إلى أن الطريق التي كانت تسلكها قوافل الحج السورية والمصرية خلال العهد المملوكي، درب السلطاني الغربية، لم تكن تمر في منطقة حرب، وبالتحديد في منطقة القبائل الفرعية زبيد وسُليم وبني جابر، إلا في السهل الساحلي من فوق رابغ حتى ما قبل خليص وعلى مسافة قريبة تحت عسفان، بينما كان المقطع الرئيسي منها يمر في منطقة الإمارات الشريفية الصغيرة: ينبع ـ صفرا (بدر)، خليص[2]. بعد سقوط هذه الإمارات في بداية العصر الحديث توفرت الإمكانية لحدوث نزاعات مع حرب. وخلال القرون الأولى من الحكم العثماني تم تفادي مثل هذه النزاعات، أي أن النظام التقليدي ـ درك، "كفالة"، البدو وصرة الحكومة ـ كان فعالاً. حصلت هذه النزاعات على دوافعها الأولى في منتصف القرن الثامن عشر بسبب التصرف العنفوي، لا بل الخياني، لقائدين من قادة قوافل الحج.

في عام 1171هـ/ 1758م هاجم أمير الحج السوري، تشيتجي عبد الله باشا، في مضيق الجديدة ودون أي مبرر قبيلة حرب، التي كانت حسب المعلومات التركية تنوي الإعتداء على القافلة، ولكنها في الحقيقة لم تكن تبتغي من وراء تجمع

---

(1) يبدو أنه لا توجد أي شكاوى في حوليات العهد المملوكي. كما أن المصادر الأقدم تبقى حيادية تماماً، على سبيل المثال: الحريري، المقامة السادسة والعشرون. الوثيقة الوحيدة ضد حرب موجودة عند أبو الفدا، جغرافيا، الجزء الثاني 1، ص130: إن طريق الفرعي غير آمن بسبب أعمال السلب والنهب.

(2) المقريزي، قبائل مصرية، ص85، ومقال "أشراف"، المقطع: الأسر الشريفية الحاكمة في غربي الجزيرة العربية.

عدد من رجالها سوى استلام الصرة المتفق عليها رسمياً. وتم في هذا الهجوم قتل 25 شيخاً من حرب من بينهم شيخ المشايخ[1]. وبعد أعوام قليلة (1174هـ/ 1761م) تصرف قائد القافلة المصرية، حسين بك كشكش، بشكل أسوأ. فعندما وصل إلى أحد المعابر الضيقة حيث كان البدو ينتظرونه للمطالبة بالصرة احتال عليهم وطلب منهم انتظاره في المحطة القادمة كي يدفع لهم. وعندما اصطفوا هناك لاستلام حقهم قام بقتل زعمائهم ـ أكثر من 20 شيخاً بينهم شيخ المشايخ مرة أخرى[2]. لاحق حرب القافلة طلباً للثأر ولكن محاولاتهم اليائسة باءت بالفشل بسبب الاحتياطات التي اتخذها الأمير. قاد هذا الرجل القافلة إلى الجزيرة العربية ثلاث مرات وبفضل شجاعته والقوة العسكرية المرافقة له ـ 300 جندي مملوكي وحفنة من المغاربة[3] تمكن من صد جميع محاولات حرب الوصول إلى حقهم. لا شك في أن هذين الأميرين تصرفا بشجاعة ولكن تصرفهم كان، كما يلاحظ نيبور، نفس المصدر، مصيباً، يخدم مصلحتهما الشخصية أكثر مما يخدم مصلحة الدولة[4]. إذ إن الأمبراطورية العثمانية لم تكن تملك الرجال ولا الوسائل لفرض نفسها في الجزيرة العربية على المدى الدائم بالقوة. ظل الخوف الذي خلفته العمليات فعالاً عاماً واحداً بعد انتهاء فترة حكم الرجلين، وبعد ذلك ظهرت النتائج. فقد انعدمت الثقة ولم تعد طريق الحج آمنة.

ولكن كانت هناك أيضاً ظروف أخرى ساهمت في نسف النظام القديم الذي كان ينظم العلاقة بين الحجاج والبدو، وبالتحديد حرب. إذ كان في وسع القافلتين

---

(1) واصف، الجزء الأول، ص142؛ انظر GOR، الجزء الثامن، ص217 وما بعدها. مرادي، الجزء الثالث، ص18 وما بعدها، يذكر كتاباً مخصصاً لهذا الانتصار التركي: السيد جعفر البرزنجي، النفح الفرجي في الفتح التشينجي. «الجيتجي».

(2) الجبرتي، الجزء الثاني، ص216 وما بعدها. نيبور، جزيرة العرب (آرابين)، ص382 وما بعدها، أو بالأحرى المصدر الذي اعتمد عليه، نسب هذه الحادثة خطأً إلى تشيتجي عبد الله.

(3) من شمال غرب إفريقيا.

(4) بكاوات المماليك أيضاً ونجوا رفاقهم على هذه الأفعال! الجبرتي، نفس المصدر.

السورية والمصرية الإختيار، عند زيارتهما للمدينة على طريق العودة، بين ثلاث طرق. وإذا ما سلكت القافلة طريقاً جديدة استحق للبدو المقيمين حول هذه الطريق صرة (جديدة) دون أن يسقط حق البدو المجاورين للطريق القديمة. إذ إن الدفع لمرة واحدة يعني حسب المفهوم الشرقي السائد عموماً التزاماً دائماً. وعلينا أن نتصور حجم الأعباء التي ستنجم عن ذلك: فقد كانت قبائل حرب ذات العلاقة تطالب بمستحقاتها عن جميع الأعوام الماضية عندما تسلك قافلة الطريق القديمة. وعندما كان قائد القافلة يرفض الدفع كان حرب يهاجمون القافلة أو يقطعون عليها الطريق. وكان يحدث الشيء نفسه في حال عدم دفع كامل الصرة في العام السابق أو في حال عدم مجيء الحجاج إطلاقاً لسبب من الأسباب. فقد أرغمت، مثلاً، أول قافلة حج جاءت من سورية (1813م) بعد احتلال الوهابيين للحجاز، على دفع الصرة عن عشرة أعوام، وهي الأعوام العشرة السابقة التي انقطع فيها الحج[1].

وكما تبين تقارير إبراهيم رفعت باشا[2]، الذي قاد قافلة الحج المصرية أربع مرات (1901م، 1903م، 1904م، 1908م)، لم تطرأ حتى الحرب العالمية تغيرات كثيرة على هذه الظروف. وعند التحول من الطريق البرية إلى الطريق البحرية أصيبت مصالح حرب بضرر بالغ، لأن المقطع ينبع ـ مكة التغى والرحلة البرية أصبحت تقتصر على المقطع القصير ينبع ـ المدينة ـ ينبع أو الوجه. إلا أنه يبدو أنهم ظلوا في بادىء الأمر يدفعون للبدو مبالغهم القديمة؛ فالموازنة العامة لعام 1307هـ/ 1889م تضع في حسابها، بالإضافة إلى قبائل درب الفرعي، من أجل السفر من مكة إلى المدينة، أيضاً قبائل درب السلطاني التي كانت القافلة في السابق تسلكها على طريق الذهاب. كان مجموع المبالغ المخصصة لحرب[3] نحو 1100

(1) بوركهاردت، ص518.

(2) مرآة الحرمين، الجزء الأول، ص377؛ الجزء الثاني، ص22، 26 وما يليها، 41، 88، 205، 211، 342 وما يليها.

(3) لا يمكن إعطاء معلومات دقيقة لأن الموازنة لم تكن تذكر دائماً القبيلة التي ينتمي إليها الأشخاص الذين يقبضون المبالغ.

جنيه مصري[1] كانت حصة الأسد فيها من نصيب قبيلة الأحامدة. لكن هذه التسوية المرحلية لم تدم طويلاً. ومنذ اللحظة التي ألغيت فيها أصبحت قضية التعويض في حال تغيير الطريق حامية. أما دفع مرتب ثابت لا علاقة له بمرور الحجاج فلم يكن يدفع إلا لشيخ الأحامدة الذين يسيطرون على مداخل المدينة[2].

وعلى أي حال كان يتعين على أمير الحج أن يجد الطريقة التي يخلص بها نفسه. ففي عام 1901م مرت القافلة على الطريق الشرقية بسلام بعد الإصابة بأضرار طفيفة وفي عام 1903م طالبوها على طريق ينبع ـ المدينة بدفع تعويضات عن 25 لا بل 30 عاماً، وفي النهاية سمحوا لها بالمرور بعد دفع 408 جنيه مصري. لكن الأمور كانت أصعب في عام 1908م لأن حرباً كانوا قلقين جداً بسبب بناء الخط الحديدي الحجازي: فعلى الطريق المارة عبر خلص والمؤدية من رابغ إلى المدينة حصلت القبائل عن طريق الإبتزاز على 110جنيهات بدلاً من 30 جنيهاً في العام الذي سبقه، وعلى الطريق من المدينة إلى ينبع هوجم المحمل وأجبر على العودة لأن المبلغ المدفوع، وقدره 56 جنيهاً، لم يرض إلا جزءاً من القبائل. وهكذا نرى أن الأمر لم يكن يتعلق بمبالغ كبيرة. ولا شك في أنه كان من الممكن تسوية قضايا الخلاف بصورة دائمة لولا أمرين حالا دون ذلك: الأمر الأول هو الموقف اللامبالي، لا بل العدواني، الذي اتخذته الجهات التركية والشريفية المحلية، والأمر الثاني هو الحالة الفوضوية التي كانت حرب تعيش فيها والتي حالت دون تمكن شيوخ القبيلة من تحمل مسؤولياتهم بصورة دائمة.

إلى جانب هذه الشروط التي فرضها حرب على القوافل، والمحقة إلى حد ما، فقد حاولوا أيضاً الإغتناء عن طريق سرقة الحجاج ونشل ما في جيوبهم. ولقد كانت مهاراتهم في النشل وفي قص الجيوب وأكياس النقود موضوعاً لكثير من الحكايات المضحكة. وكان عوف واللهبة يعتبرون في السابق لصوص بشكل

(1) يذكر بوركهاردت، ص331، أن المبلغ كان 80000 دولار، لكن هذا الرقم يبدو خيالياً.

(2) مرآة الحرمين، الجزء الأول، ص73 وما بعدها؛ قارن أيضاً الجزء الثاني، ص206.

خاص. إلا أن أيوب صبري، الذي عمل زمناً طويلاً بصفة موظف كبير في الحجاز، يمنح العوف شهادة أفضل من بقية قبائل حرب[1].

كان عوف منذ قديم الزمان واقعين تحت تأثير الأشراف، ومنذ اختفاء العائلات الحاكمة الشريفية الصغيرة في أواخر العصور الوسطى تحت تأثير شريف مكة. وكلما كانت القبائل أبعد عن مكة، كانت علاقتها مع مكة أفضل. فقط مع زبيد المجاورين لمكة حدثت صعوبات كثيرة، على سبيل المثال، في أواخر العصور الوسطى[2] وحديثاً خلال الحرب العالمية. هنا كان للأشراف مصالح ضريبية وأخرى تتعلق بملكية الأراضي. أما في الأماكن البعيدة فكانت مصلحتهم تقتصر على مضايقة الأتراك.

أما الأتراك أنفسهم فكانوا يمارسون بين حين وآخر وانطلاقاً من المدينة بعض النفوذ على قبائل حرب الشمالية. لكنهم كانوا يضطرون هنا في أحيان كثيرة إلى الاستعانة بشريف مكة كي يتوسط لهم. وحدث هذا بشكل خاص في القرن الثامن عشر حيث تراجعت السلطة التركية في الحجاز إلى أدنى حد وشكلت المدينة نوعاً من الجمهورية التي تعرضت لإرهاب أحفاد الإنكشاريين الذين كانت الحكومة قد أرسلتهم إلى هناك في الماضي. بين المدينة من جهة والقرى المحيطة بها التي يسكنها حرب (بنو علي، انظر الملاحظة 29، وبنو سفر = بنو عمر، ب II) من جهة أخرى، كانت تسود رسمياً حالة حرب دائمة تتخللها بين حين وآخر هدنات متقطعة[3]. وفي عام 1179هـ/ 1765م بلغت الصدامات درجة خطيرة مما دعا الحكومة إلى تكليف والي جدة بفرض السلام. لكن الوالي توفي قبل أن يستطيع التدخل. أما خليفته فقد تفادى المجيء شخصياً إلى المدينة لكنه نجح بوساطة

(1) بوركهاردت، ص333؛ بوركهاردت، رحلات في الجزيرة العربية، الجزء الثاني، ص128 وما بعدها؛ دوتي، الجزء الثاني، ص154 وما يليها، 512. أيوب صبري، الجزء الثالث، ص229؛ مرآة الحرمين، الجزء الأول، ص373، 376.

(2) سنوك، الجزء الأول، ص100.

(3) بوركهاردت، رحلات، الجزء الثاني، ص279 وما يليها؛ برتون، بلغريماج، الجزء الثاني، ص18.

شريف مكة في عقد صلح بين الطرفين. ولكن بعد أيام قليلة انفجر الصراع من جديد. نتيجة لذلك فقد الباشا منصبه. وأخيراً تمكن خليفته، بعد تزويده بتعزيزات خاصة، من إعادة فرض النظام. ومنذئذ لم يعد يسمح للبدو بالمجيء إلى المدينة إلا بدون سلاح[1] وهذه الظروف أيضاً أعيد إحياؤها من جديد قبل وقت غير بعيد (1908م)[2].

من المفهوم أن حرباً وقفوا، نظراً لعلاقاتهم القديمة مع مكة، إلى جانب الشريف عندما دخل الوهابيون إلى الحجاز في بداية القرن التاسع عشر. ولقد أُخضعوا بالقوة بعد الاستيلاء على مكة، وهناك بعض قبائل حرب، ومنها العوف (ب I) وصبح (آ I 4)، لم يخضعوا للوهابيين أبداً خضوعاً كاملاً[3].

تجاه المصريين الأتراك، الذين بدأوا في خريف 1811م إعادة احتلال الجزيرة العربية انطلاقاً من ينبع، اتخذ حرب في بادىء الأمر موقف الترقب والانتظار. كانت مصلحتهم في إعادة إحياء رحلة الحج تدعوهم إلى اتخاذ موقف مؤيد للأتراك، لكن سلطة الوهابيين كانت تمنعهم من المجاهرة بذلك. فعندما كان طوسون زاحفاً نحو المدينة اعترضه حرب عند صفرا وفي مضيق (ممر) جديدة وأعطوا بذلك الجيش الوهابي المتقدم الفرصة لاحتلال المرتفعات المسيطرة على الممر ـ مما جعل جيش طوسون يتعرض في ديسمبر/ كانون الأول 1811م لهزيمة نكراء[4]. وخلال التحضير لحملة طوسون الثانية كان للذهب والمواد الغذائية التي

---

(1) واصف، الجزء الأول، ص291 وما بعدها؛ GOR، الجزء الثامن، ص294، ص299 وما بعدها. عن حوادث مشابهة يتحدث راشد، الجزء الثامن، ص109، تحت عام 1134هـ/ 1722م.

(2) أي. جي بي وافل M. J. B. Wavel, A Modern Pilgrim in Meeca (الحج الحديث في مكة) لندن 1918م، ص77 وما بعدها؛ 100 وما يليها.

(3) بوركهاردت، ص232، 257، 461؛ منجن، تاريخ مصر تحت حكم محمد علي، الجزء2، ص528.

(4) ليس يناير/ كانون الثاني 1812م كما يقول بوركهاردت، ص485؛ انظر جبرتي، الجزء الثامن، ص309 وما بعدها؛ عثمان بن بشر، عنوان المجد في تاريخ نجد، ص94.

قدمها المصريون الأتراك لحرب مفعولها. فعندما زحف طوسون مجدداً في خريف 1812م على المدينة، يرافقه جزيّة شيخ حرب، وجد الممرات مفتوحة[1]. وكادت العلاقة الجيدة بين الطرفين تنقطع بسبب تصرف متهور قام به الموظف التركي الذي تولى حكم المدينة بعد الاستيلاء عليها. فقد استفز هذا الموظف الشيخ جزيّة، الذي كان موجوداً عنده لأغراض تجارية، بكثرة ما تباهى بنفسه إلى درجة أن الشيخ اضطر إلى الإشارة إلى ما له من فضل في الاستيلاء على المدينة. لكن الموظف التركي استاء جداً من أقوال الشيخ إلى درجة أنه قيده بالسلاسل وأمر بقتله. هاجت حرب نتيجة لذلك أشد الهيجان مما جعل الحكومة ترسل طوسون نفسه إلى المدينة لكي يفرض السلم والهدوء. وقد عرف طوسون كيف يسوي المشكلة بكل هدوء: فقد توفي الموظف التركي بمحض الصدفة وحصلت حرب، فوق ذلك، على تعويض عن الشيخ المقتول[2]. ومنذئذ بقيت العلاقة بين حرب والمصريين الأتراك مرضية. فقد رافقت فصائل من القبيلة طوسون عام 1815م ثم أخاه إبراهيم عام 1816م عند زحفهما نحو داخل الجزيرة العربية[3].

ظلت علاقة حرب بالمصريين الأتراك جيدة حتى أواخر العشرينات. في ذلك الوقت غضبوا من المصريين بسبب انزعاج يحيى شريف مكة منهم. ومع صعود نجم إمارة مكة منذ ذلك الحين تلاشت هيبة المصريين الأتراك عند البدو[4].

على الرغم من ذلك لم تقف جميع حرب خلال الحرب العالمية إلى جانب شريف مكة، الشريف حسين ثم الملك حسين فيما بعد. وعندما أعلن ابنه فيصل

---

(1) بوركهاردت، ص490 وما بعدها؛ عنوان، ص95 بدلاً من جزيّة كتب بوركهاردت، رحلات، الجزء الثاني، ص120: "جزي".

(2) بوركهاردت، ص537 وما بعدها؛ ولكن انظر العرض المختلف جداً الذي قدمه منجن، الجزء الثاني، ص26، 28، والذي خلط بين جزيّة و"بديّة" (انظر أدناه).

(3) بوركهاردت، ص568؛ عنوان، ص96، 113؛ منجن، ج2، ص87، الريحاني، تاريخ نجد، ص71، 74.

(4) سنوك، الجزء الأول، ص158، 160، 162.

في يونيو/ حزيران 1916م الثورة العربية ضد الأتراك تبعه بني علي في هجومه على المدينة. لكنهم ردوا على أعقابهم وأحرقت قرية العوالي المجاورة التي كانت مقرهم الرئيسي[1]. وفي 10 يونيو/ حزيران هاجم 4000 رجل من حرب بقيادة الشريف محسن بن منصور جدة التي استسلمت في 16 يونيو بعد تعرضها لإطلاق النار لفترة قصيرة من سفن حربية انجليزية[2]. من ناحية أخرى كان حسين بن مبيريك، شيخ الزبيد وسيد الموقع الهام رابغ في صراع مع شريف مكة. ولذلك لجأ إلى الجبال عندما بدأت الثورة ثم ذهب في وقت لاحق مع جزء من قبيلته إلى الأتراك في المدينة[3]. أما عن بقية حرب فقد حدثت حالات من عدم الانضباط: فعندما انقطعت مرتباتهم عام 1917م فترة من الزمن، نهبوا القافلة التي كانت تنقل المؤن من ينبع إلى المقر الرئيسي لقوات الشريف في بئر درويش، لا بل إنهم هاجموا مرة الدورية الجزائرية الفرنسية لكي ينهبوها[4].

عندما دخل آل سعود عام 1924م الحجاز وقفت حرب بالإجماع تقريباً ضده. صحيح أن جدعان (ب III 2) المقيمين قرب جدة وبني جابر (ب II 6) هللوا للوهابيين عند دخولهم مكة، لكنهم ظلوا في الحقيقة موالين للأشراف. فبعد معركة دامية مع دورية وهابية اضطروا إلى طلب الحماية خلف أسوار جدة التي كان يدافع عنها الملك عبد الله. بعض زعماء حرب ذهبوا إلى مكة وطالبوا بكل سذاجة بالاعتراف بحقوقهم القديمة وعلى رأسها رسوم قوافل الحج. وعندما رفض طلبهم بدأوا يجهزون أنفسهم ضد الوهابيين لكنهم هزموا قرب عسفان. تحت تأثير هذه الأحداث قرر اسماعيل بن مبيريك شيخ الزبيد ومحافظ رابغ، الذي كان موقفه حتى ذاك الحين متأرجحاً، الوقوف مع الوهابيين. أما حرب الشماليون فقد شاركوا في

---

(1) لورنس، ص93.

(2) بريموند، ص31، يضع الهجوم في الرابع عشر؛ انظر أنتونيوس، النهضة العربية، ص199.

(3) اغتيل عام 1919م عند إجراء مفاوضات في مكة، بريموند، ص67، 200؛ لورنس، ص69، 77، 94.

(4) بريموند، الحجاز، ص106، 200.

الدفاع عن المدينة[1].

تمتد منطقة حرب على الساحل من ينبع حتى سروم (جنوب جدة) حيث تبدأ منطقة الجحادلة. وعند سروم تتراجع الحدود نحو الداخل: على طريق جدة ـ مكة يختلط حرب مع هذيل. يخص المجرى الأوسط لوادي فاطمة هذيل وحدهم، وعلى المجرى الأعلى للوادي يبدأ حرب مرة أخرى بعد أن انسحب أمامهم نحو الشرق سكان قدامى هم عتيبة[2]. وفي الجنوب الشرقي يصل حرب إلى مقربة من الطريق الداخلية مكة ـ المدينة. أما الطريق نفسها فهي هنا في يد المطير. وفي الشمال الشرقي يتجاوز حرب تلك الطريق ويتصلون جنوبي الحناكية مع أبناء عمهم، حرب نجد. وفي الشمال تمتد منطقة المجمع إلى ما بعد خط المدينة ـ ينبع. وتملك قبائل من حرب طريق الحج إلى سورية حتى مسافة قريبة من بيار (آبار) نصيف، وفي منطقة واحات ينبع النخل (نخل مبارك) استوطنت جماعات من حرب في وسط جهينة. ومن الممكن أن يصل حرب الرحل إلى مواقع أبعد من الشمال[3]، ويذكر أنهم كانوا في السابق يقومون بغزوات تصل إلى حوران[4].

يعيش حرب في الغرب غالباً مستقرين أو نصف رحل. وفي منطقة ينبع النخل يملكون أربع قرى[5]، من ضمنها سويقة، ويملكون في ضواحي المدينة عدة قرى

---

(1) الريحاني، ص334 وما بعدها، 336، 342، 375.

(2) بوركهاردت، رحلات، الجزء الثاني، ص106.

(3) إلا أن عرض منطقة تنقلها على الخريطة في رسوان، تربيل إرباس، غير صحيح.

(4) بوركهاردت، ص330. حسب واصف، الجزء الأول، ص100، 143، 149، شاركوا في الهجوم على قافلة الحج قرب ذات الحج والذي تحدثنا عنه في الصفحة 339 أعلاه.

(5) انظر أيضاً بخصوص التالي ديوتي، الجزء الثاني، ص512؛ بوركهاردت، رحلات، الجزء الثاني، ص288 وما يليها، 300 وما يليها، أيوب صبري، الجزء الثالث، ص223، 278؛ مرآة الحرمين الجزء الثاني، ص97؛ داتر (1925م) The Holy Cities of Amb المدن العربية المقدسة، الجزء الثاني ص152. الخرائط (موريتس، الجزيرة العربية؛ مرآة، الجزء الثاني، عند الصفحة 244؛ بريموند عند الصفحة 295، آسيا 1 : 1,000,000؛ المدينة) جميعها غير مرضية.

من ضمنها عوالي التي ذكرناها سابقاً. وعلى طريق «درب» السلطان من المدينة إلى رابغ وينبع تقع القرى: الحنيف الجديدة[1]، والحمرا، والخرمة، والصفرا، وعلى الطريق المتفرع من هنا والمار عبر بدر تقع القرى: واسط وجديد، وعلى مقربة منهما الحسنية والفرعا[2]. أما بدر ذاتها، أو بالأحرى بدر ـ حنين كما تسمى اليوم، فهي في يد الأشراف. وتمر طريق الفُرعَي في القرى: ريان، ومضيق، وأم العيال، وأبو (أم) ضياع[3]. في السهل الساحلي تملك حرب (زبيد) رابغ، وخليص، والخريبة الواقعة حسب خريطة بريموند شرق المستورة. كما أن الواحة الصغيرة، واحد القضيمة[4]، غير المذكورة في المراجع القديمة والواقعة بين رابغ وخليص، قد يكون سكانها من زبيد.

في جميع هذه القرى تربى أشجار النخيل والليمون والموز وتزرع الخضار، ونادراً الحبوب. يترك حرب نصف الرحل هناك جزءاً من عائلاتهم أو عمالهم من أجل القيام بالأعمال الحقلية (السقاية)، بينما هم أنفسهم لا يأتون إلا في موسم الحصاد. وفي بدر، التي هي مثل صفرا وجديدة سوق هامة، كان حرب ينصبون بسطات للبيع لكنهم كانوا يعودون في المساء إلى خيامهم في الجبال. وهم يبيعون العسل والسنّس Sennes وما يسمى "بلسم مكة" الذي يشتريه الحجاج بأسعار عاليه على الرغم من أنه غالباً ما يكون مغشوشاً[5].

كثير من زبيد صيادو سمك وبحارة، ولذلك يعتبر بقية حرب هذه القبيلة أدنى مكانة. أما عوف واللهبة الذين يسكنون في الجبال الصاعدة من السهل الساحلي

(1) هكذا مرآة، والخريطة، وداتر، الجزء الثاني، ص271، فيما عداها جديدة.

(2) هكذا تكتب حسب المقريزي، قبائل مصرية، ص43.

(3) حسب خريطة مرآة الحرمين؛ أيوب صبري: أبو (أم) ضياعة؛ دوتي: أم ثيان خريطتا موريتس وبريموند: أبو ضباع.

(4) كلية، التي كانت حسب صبح، الجزء الرابع، ص260، في نهاية القرن الرابع عشر قفراء.

(5) بوركهاردت، رحلات، الجزء الثاني، ص100 وما يليها، 116، 118، 123 وما يليها، 305؛ أيوب صبري، الجزء الثالث، ص226.

فيربون الماشية وخاصة الماعز. وأما المزينة شرق المدينة (في العصر القديم كانت مقراتهم في جنوب وجنوب غرب المدينة) فهم بدو رحل، أي أنهم يربون الإبل ـ أو إنهم كانوا كذلك على الأقل في زمن بوركهاردت[1].

في السابق كان النقل بين المدينة وينبع ومكة يشكل أحد المصادر الرئيسية للدخل، كما أن النقل على طريق السلطان الشرقية أيضاً كان في يد حرب وحدها[2].

أسفر حلول السيارة محل الجمل عن عواقب وخيمة هنا. وإذا ما أضفنا إلى ذلك خسارة حرب من توقف دفع الصرة، ندرك التدهور الكبير الذي حل بالوضع الاقتصادي للمجمع منذ الحرب العالمية.

ينقسم حرب إلى مجموعتين: بني سالم و(بني) مسروح. وكلاهما مثبت وجوده منذ النصف الأول للقرن الثالث عشر «الميلادي»[3]؛ هناك مجموعة ثالثة كانت موجودة في العصور الوسطى، بني عبد الله (عبيد الله؟)، لكنها اختفت فيما بعد. إضافة إلى هذه المجموعات الثلاث كان آنذاك بني عمرو[4] وزبيد معروفين كجزء من حرب؛ كلاهما ينسب اليوم إلى مسروح. لا يشكل بنو سالم ولا مسروح

---

(1) دوتي، الجزء الثاني، ص154؛ بوركهاردت، ص330، 334.

(2) بوركهاردت، رحلات، الجزء الثاني، ص299؛ برتون بلغريماج، الجزء الثاني، ص52؛ أيوب صبري، الجزء الثالث، ص277، وما بعدها.

(3) الحمداني في صبح، الجزء الأول، ص341، وفي القلقشندي، ص194. كما أن السمهودي، الجزء الثاني، ص166، 179، ذكر بني سالم أيضاً في مقر سكنهم الحالي (خيف بني سالم، وادي الروحا = وادي بني سالم). ويرد ذكر قبيلة بني مسروح من قبل سكوني وعرام عند بكري، ص804. كانت تسكن في قرى المنطقة المجهولة الواقعة خلف عسفان، أي في منطقة مسروح الحالية. وبما أن سكوني كتب قبل مجيء حرب فقد يكون هؤلاء البني مسروح أحفاد الشاعر القديم مسروح بن قيس الخزاعي (فوستنفلد، الجدول، 11، 27، ابن دريد، ص278). عندئذ قد يصح الاستنتاج أن مسروح حرب ينحدرون من تلك العائلة من خزاعة.

(4) في النص: بني عمر.

كياناً سياسياً واحداً، وينطبق الشيء نفسه على الجماعات الفرعية المرقمة في الجدول برقم روماني، باستثناء زبيد. وحتى داخل القبائل لا يوجد تماسك قوي.

لكن هذه الفوضى يبدو أنها نشأت في القرن الأخير؛ إذ إن بوركهاردت (ص329 وما بعدها) يؤكد أن الروابط التي تجعل من قبائل حرب وحدة متماسكة أقوى جداً من الروابط بين قبائل عنزة. ولذلك نعتقد أن ضعف هيبة السلطة له علاقة بفقدان بعض عائلات الشيوخ الهامة التي هاجرت في النصف الأول من القرن التاسع عشر إلى نجد (انظر فصل "حرب" في الجزء الثالث).

إحدى هذه العائلات عائلة ابن مضيّان التي تنتمي إلى فخذ الظواهر من المراوحة (آ II 1)[1] وكانت في القرن الثامن عشر تحكم حرب الشمال. وقد قتل عيد بن مضيان[2] عام 1171هـ/ 1758م مع اثنين من أبنائه قرب الجديّدة أثناء الهجوم التركي، وراح عمه هزا[3] عام 1174هـ/ 1761م ضحية خيانة المصريين (انظر ص529 أعلاه)[4]. في عام 1802م انضم "بدّاية" ابن مضيان إلى الوهابيين وخالف بذلك غالبية أبناء القبيلة. فعيّنه آل سعود أميراً على جميع قبائل حرب ومقره في المدينة[5]. وعندما جاء المصريون الأتراك عام 1812م للمرة الثانية لكي يحتلوا المدينة كان يتولى منصب أمير حرب هناك رجل اسمه مسعود بن مضيان. وقبل أن يبدأ حصار المدينة انسحب إلى مقره الريفي المحصن الواقع في الضواحي، لكنه استسلم بعد ذلك للأتراك لقاء السماح له بالخروج حراً وحماية

(1) هذا ما ينتج عن مقارنة بوركهاردت، ص333، مع منجن، الجزء الثاني، ص28، 87، 92، 104.

(2) في النص: ابن مصياد.

(3) واصف: هزأ، الجبرتي: هزة.

(4) لا يمكننا التأكد مما إذ كان الشيخ محمود المذكور عند جودت، تأريخ، اسطنبول 1292هـ، الجزء الثالث، ص55، لعام 1198هـ/ 1783م - 1784م، من عائلة ابن مضيان.

(5) منجن، الجزء الثاني، ص528، 534. لا بل إنه حسب بوركهاردت، ص462، أصبح حاكم المدينة.

أملاكه. إلا أن الأتراك لم يحافظوا على وعدهم، بل نهبوا بيته وقتلوا أبناءه وأخذوه هو نفسه أسيراً. وأثناء نقله إلى ينبع تمكن من الهرب، لكن حرباً بدورهم سلموه للأتراك. فنقل في النهاية إلى القسطنطينية وقطع رأسه هناك[1]. إن مصيره وسلوك قبيلته يصبحان مفهومين إذا ما تذكرنا عداء حرب للوهابيين. فقد ساروا وراء جزيّة (انظر ص533/ 534 أعلاه) الذي عيّنه المصريون شيخاً لبني سالم. صحيح أن عضواً آخر من عائلة مضيان، غانم بن مضيان[2]، قدم للمصريين في حملتهم إلى داخل الجزيرة العربية خدمات جليلة، ولكنه لم يتمكن من استعادة سلطة أسرته. ولقد بقي في نجد وأصبح خلفه إحدى عائلات شيوخ بني سالم هناك.

عن طريق جزية جاءت السلطة العليا على بني سالم إلى قبيلة الأحامدة (آ I 1) ولا نعرف أي تفاصيل عن خلف جزية ولكن يمكننا بالتأكيد اعتبار الشيخ سعد، الذي يروي برتون (الجزء الأول، ص256 وما بعدها) عدة نوادر عنه، واحداً منهم. كان سعد في أحد الأوقات شيخاً لبني سالم لكنه اختلف بعد ذلك مع الأتراك ومع شريف مكة عبد المطلب الذي قتل واحداً من أبناء أخوته. فوضعوا في مواجهته واحداً من خصومه وهو فهد شيخ بني عمرو (آ I 5). وفي العداوة التي نشبت بينهما أثبت سعد أنه الأقوى. لكنه لم يتمكن من إعادة توحيد حرب الشماليين. ثم جاء ابنه حذيفة وحكم من السبعينات حتى بداية القرن الحالي، وحكم أبناؤه خليل وعقاب وخلف قبل الحرب العالمية. وكان حذيفة قد اختلف مع ابنه الأكبر خليل، لكن خليل خرج، بفضل المساعدة التي قدمها له شريف مكة، منتصراً في الخلاف العائلي الذي أسفر عن حدوث معارك دامية في القبيلة[3].

في الجنوب يلعب زعماء زبيد دوراً مهماً إلى حد ما. ويبدو أن العائلة

---

(1) بوركهاردت، ص495. مسعود بن مضيّان قاد حرباً في معركة الجديّدة، انظر الصفحة 534 أعلاه؛ عنوان، ص94.

(2) انظر الصفحة 543 هامش 3. حسب منجن، الجزء الثاني، ص28، خليفة جزية.

(3) برتون، ميدين، الجزء الثاني، ص102. كوكب الحج، ص31 وما يليها؛ مرآة الحرمين، الجزء الأول، ص73 وما بعدها؛ الجزء الثاني، ص42، 89 وما بعدها.

المسيطرة في القرن الماضي كانت عائلة ابن عسم من خليص[1]، أما في هذا القرن فقد برزت عائلة ابن مبيريك، انظر ص373 أعلاه.

تخضع قبائل حرب المقيمة قرب مكة، أمثال بني جابر (ب II 6) وجدعان (ب III 2)، منذ قديم الزمان لسلطة شريف مكة وكان يحكمها حتى عام 1924م أمير يعينه الشريف. في بداية الحرب العالمية عيّن الشريف محسناً بن منصور (انظر الصفحة 535 أعلاه) في هذا المنصب. ومحسن هذا هو الذي هاجم عام 1915م بين ليث وجدة فريق "إمدن" (Emden؟) القادم من الحديدة وكان سيقضي عليه لو لم يتدخل شريف مكة في آخر لحظة[2].

في الشمال عند بني عوف وبني عمر كان للعائلات الشريفة المحلية بعض النفوذ[3]. ومن الممكن أن يكونوا ينتسبون إلى عائلة أشراف الزيدية التي كانت تتمتع في هذه المنطقة بحق الصرة[4]. والزيدية، الذين روى عنهم محمد صادق، قائد قافلة الحج المصرية عدة مرات، كثيراً من الأشياء الغريبة[5]، هم خلف بني زيد الموسوي الذين كانوا في العصور الوسطى يسكنون في واحة بين قرب المدينة التي أصبحت مهجورة الآن. في أواخر العصور الوسطى نشبت عداوة بين بني زيد وعائلة شريفة أخرى، بني يزيد، أدت إلى انتقال بني زيد إلى صفرا بينما توجه بني يزيد إلى الفرع[6].

في الختام نود ذكر بعض الملاحظات عن خصائص حرب الدينية. حسب بوركهاردت (ص330، انظر برتون، الجزء الثاني، ص3) فإن بني علي شيعة،

---

(1) انظر سنوك، الجزء الأول، ص184، 220.

(2) انظر برموند، مارينز آشامو.

(3) مرآة، الجزء الثاني، ص217.

(4) أيوب صبري، الجزء الثالث، ص246، يذكر فرعاً لهم، لكن المعلومات المكانية للأسف غير واضحة.

(5) كوكب الحج، ص33.

(6) السمهودي، الجزء الثاني، ص393.

وحسب كتاب الجيب (هاندبوك، الجزء الأول، ص65) فإن جهم (ب II 3) شيعة من المؤكد أن معلومة بوركهاردت تستند إلى خطأ يقوم على الخلط بينهم وبين النخاولة (نخولية) في المدينة. ففي المدينة استمر وجود الشيعة من العهد الفاطمي حتى منتصف العهد المملوكي، وما زال سكان الضواحي ـ النخاولة مزارعون يعملون في بساتين النخيل ـ حتى اليوم يعتنقون سراً المذهب الشيعي[1][*].

في نهاية القرن الماضي كان يوجد داعية للطريقة السنوسية بين حرب منطقة مكة وحتى بين حرب منطقة نجد. وكانت توجد "أديرة" زاوية «تكية» (؟) في مكة وفي جبل قبيس المجاور، وكذلك في ربع قرب خليص.

---

(1) كوكب الحج، ص53. أيوب صبري، الجزء 3، ص275؛ بوركهاردت، رحلات، الجزء الثاني، ص239؛ برتون، بلغريماج، الجزء الثاني، ص1 وما يليها؛ راثر، الجزء الثاني، ص245، 257.

(*) النخاولة شيعة إثنا عشرية (إمامية) كحال شيعة العراق ـ البحرين ـ لبنان ـ (ماجد شبّر).

حرب(1)

آ ـ بني سالم(2)

I ـ ميمون

شيخ المشايخ: خليل بن حذيفة بن سعد(3)

منطقة التنقل: غرب وجنوب غرب المدينة

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل
1 ـ الأحامدة(4)	خليل بن حذيفة	جبل الفقرة ـ الصفرا
أ ـ الصميدات(5)	خليل بن حذيفة	
ب ـ الصخارنة(6)		
جـ ـ الفضلة(7)		
د ـ الذكرة(8)		
2 ـ الرحلة(9)		بير الروحا ـ بير ابن حصانى(10)
3 ـ المحاميد(11)		
4 ـ صبح(12)	ابن حصانى(13)	جبل صبح؛ بدر؛ الحسنية
5 ـ بني عمرو(14)		الجديّدة
6 ـ السرحة(15)		ينبع النخل
7 ـ بني يحيا(16)		ينبع النخل
8 ـ ولد محمد(17)		المدينة ـ الشجوة
أ ـ تمم(18)		
ب ـ السعادين(19)		
جـ ـ سواعدة(20)		
د ـ الوفيان(21)		

II ـ المراوحة (الحوازم)(22)

شيخ المشايخ: محسن بن عباس(23)
منطقة التنقل: جنوب غرب المدينة

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل
1 ـ الظواهرة(24)	محسن بن عباس	الحمرا
2 ـ الحنيطات		الصفرا
3 ـ حناينة(25)		المدينة
4 ـ مزينة(26)		المدينة
5 ـ حجلة		بير الشريوفي
6 ـ بني محمود(27)		
7 ـ أولاد أبو الحيا(28)		

ب ـ مسروح(29)

I ـ عوف(30)

منطقة التنقل: جنوب المدينة حتى الريان؛ ج. أيوب؛ في الشرق حتى الدرب الشرقي

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل
1 ـ اللهبة(31)		غائر
2 ـ الصواعد(32)		

II ـ بني عمرو(33)

منطقة التنقل: على طريق الفرعي من الريان حتى المضيق، في الشرق حتى درب الشرقي؛ مكة ـ جدة

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل
1 ـ مناشك(34)		المضيق.
2 ـ العطور(35)		المضيق
3 ـ الجهم(36)		الفرع
4 ـ البلادية(37)		رابغ ـ الفرع
5 ـ الحمران(38)		مكة ـ جدة
6 ـ بني جابر(39)		مكة
7 ـ معبّد(40)		مكة
8 ـ بشر		وادي فاطمة
9 ـ العبدة		

III ـ زبيد(41)

الشيخ: اسماعيل بن مبيريك
منطقة التنقل: من رابع حتى جدة؛ على طريقه الفرعي حتى أبو ضياع

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل
1 ـ عسوم(42)		خليص
2 ـ جدعان(43)		جدة

ملاحظات

1 ـ المراجع: بوركهاردت، ص329 ـ 334، يعطي صورة غير منهجية، شبرنجر تحت رقم 57 يعطي تقسيماً مختصراً. قوائم مفصلة موجودة عند برتون، بلغريماج، الجزء الثاني، ص120 وما بعدها؛ دوتي، الجزء الثاني، ص512 وما بعدها، سنوك هورغرونيه، مكة، الجزء الأول، ص220، هاندبوك، الجزء الأول، ص65 وما يليها؛ محمد صادق، كوكب الحج، ص31 ـ 33؛ أيوب صبري، الجزء الثالث، ص277 ـ 279؛ (متعلق به) بتنوني، الجزء الأول، ص51 وما بعدها؛ مرآة الحرمين، الجزء الثاني، ص103 وما بعدها، انظر 42. شكيب أرسلان، الإرتسامات اللطف، ص376 وما يليها، يذكر سلسلة من الأفخاذ والشيوخ معتمداً في بعضها على قوائم تركية، وفي بعضها الآخر على نفسه (1913م). لا يتضمن الجدول إلا الوحدات المذكورة في مصدرين مستقلين على الأقل. القبائل المقيمة كلياً أو بمعظمها في نجد ستعالج في الجزء القادم.

الوسم حسب مرآة، الجزء الثاني، ص104.

في توزيع القبائل الفرعية على مجموعتي بني سالم (آ) و(بني) مسروح (ب) تتطابق المراجع بوجه عام: كتاب الجيب (هاندبوك) يضيف لهما مجموعة بني عمر (بII)، أما فؤاد حمزة، ص140، فيذكر 6 مجموعات.

عند حرب الشماليين (بني سالم ـ ميمون) تستعمل النسبة اسماً للقبيلة، صبري يذكر الأفخاذ آ I 1 ـ 8، ومرآة الحرمين تذكر الفروع آ I 8 أ ـ د، بهذه الصيغة فقط. وهي مذكورة فيما يلي ضمن قوسين في بداية الملاحظة. من الطبيعي أنه يجب إضافة الإداة (أل التعريف) في كل مكان لكن الأمر ليس بديهياً بهذا الشكل.

العدد(باستثناء زبيد) حسب قائمة شبرنجر: 50000 رجل قادر على حمل السلاح، صبري (بمن فيهم حرب نجد): على الأقل 70000 ـ 80000 نسمة، هاندبوك: 5500 خيمة.

2 ـ يسمون السوالمة أيضاً؛ بوركهاردت، رحلات، الجزء الثاني، ص115.

عدد الخيام: 2000 (هاندبوك، بريموند). القبائل الفرعية المذكورة فقط عند صبري ويتنوني وهي: الرلاوعة (رلوعي)، وحيدر (حيدري)، مورّعي - والمقيمة في خيف الكسا وينبع النخل - لم نسجلها، كما أننا لم نسجل القوادَ (قايدي)، بتلر، رعاة إبل وزنوج، الذين ينسبهم صبري ودوتي إلى بني سالم بينما يوزعهم هاندبوك على بني سالم ومسروح.

3 - شكيب أرسلان: خلف بن حذيفة.

4 - (أحمدي). بوركهاردت: أكثر من 2000 رجل قادر على حمل السلاح؛ كولب: 600 نسمة؛ هاندبوك: 500 رجل. - بدو رحل.

5 - (صميدي). كوكب: 900 نسمة.

6 - كوكب: صحارى؛ سنوك: "سخرآناه (سخري)". كوكب: 3000 نسمة الشيخ، حسب كوكب، وسنوك، ومرآة: إبراهيم بن مطلق.

7 - (فضيلي) كوكب: 900 نسمة. الشيوخ (1903م): فيصل بن فهد، فهد بن فهد (مرآة، الجزء الثاني، ص21، 27 وما بعدها، 42 أبوهما (أو جدهما؟ قارن مرآة الجزء الثاني، ص217: فيصل بن أحمد بن فهد) فهد مذكور في كوكب.

8 - (ذكيري). حسب مرآة فخذ من الفضلة؛ الشيوخ (1903م): عايض بن عبد الرحمن وعايض بن عتيق.

9 - (رحيلي). الشيخ (1903م): محمد بن نافع، إلى جانبه 1908م: جاد الله، وعطية الله ومحسن بن مرشد (مرآة، الجزء الثاني، ص225). هاندبوك: 500 رجل. انظر بوركهاردت: رحالات، فرع من صبح!.

10 - هو اسم قديم، لم يزل يستعمله البدو، لبير الراحة المذكور في الخرائط[1]، انظر السمهودي، الجزء الثاني، ص166؛ صبري، الجزء الثالث،

(1) أو إن بير الراحة في خريطة موريتس، آرابيين «بلاد العرب، وخريطة المرآة، الجزء الثاني، عند الصفحة 244، اللتين استعملهما كليهما كوكب الحج، يستند إلى خطأ وقع فيه الأخير (مرآة)!

ص278؛ مرآة، الجزء الثاني، ص224. في المرجع الأخير يذكر الرحلة نفسهم أن المقطع: بير علي ـ بير الروحا هو مدرك لهم.

11 ـ (محمادي).

12 ـ (صبحي) 3 فروع عند بوركهاردت، و4 فروع أخرى عند أيوب صبري، من بينها إثنان: لبدة (لبيدي) وذوي مرزوق (مرزوقي)، مذكوران عند شكيب أرسلان أيضاً. بوركهاردت: 2500 مسلح؛ كوكب: 1400 نسمة، معظمهم يربون الأبل؛ هاندبوك: 1500 رجل.

13 ـ مرآة، الجزء الثاني، ص21، 42 (1903م): عند المعين بن عبد الله بن حصاني(ومنه اسم المكان: بير ابن حصاني).

14 ـ (عامري). كوكب: 700 نسمة. مرآة، الجزء الثاني، ص42، يذكر أحد شيوخهم: سالم بن محسن القليطي.

15 ـ (سريحي). سنوك: "صِراحة".

16 ـ (يحياوي). مرآة: بني حيا (يحيا).

17 ـ محمَّدي). ينتمي إلى ولد محمد أيضاً ولد سليم المصنفون تحت حرب نجد.

18 ـ (تميمي). كوكب، ودوتي: (بني) تميم. كوكب: 700 نسمة.

19 ـ (سعداني). مذكورون عند بوركهاردت. كوكب: 600 نسمة.

20 ـ (سعدي). يحسبهم برتون ودوتي مع مسروح.

21 ـ وافي).

22 ـ العلاقة بين المصطلحين "مراوحة" و"حوازم" (حازمي) غير واضحة تماماً؛ حسب سنوك يقتصر مصطلح "الحوازم" على القبيلتين الفرعيتين 6 و7 (ونفس الشيء في هاندبوك)، أما صبري ومرآة فيعتبران المصطلحين متطابقين،

وأما بقية المراجع فلا تعرف سوى مصطلح "الحوازم". فقد جاء في مرآة، الجزء الثاني، ص42: منصور عباس الحازمي شيخ قبيلة المراوحة (بدلاً من المراوضة)! في بعض الأحيان يتعرض الحوازم للسخرية بسبب تقارب اسمهم مع العوازم (هتيم)؛ دوتي، الجزء الثاني، ص174، 293. الغريب أن بوركهاردت يكتب اسم القبيلة "حواسب" (الجزء الثاني، 423). القبيلة الفرعية التي يسميها صبري ومرآة، الجزء الثاني، ص211، «الرّدادة» لم نسجلها هنا.

كوكب: 2500 نسمة. الوسم: ——— على الخد الأيمن وعلى الرقبة.

23 ـ شكيب أرسلان: ناصر بن نصار الظاهري ومنصور الظاهري؛ سنوك: نصار بن عباس (انظر الملاحظة السابقة)، واسم المكان: بير ابن عباس.

24 ـ (ظاهري). بوركهاردت: ذوي ظاهر. جزء من القبيلة يعيش في نجد. هاندبوك: 200 رجل.

25 ـ بوركهاردت: "جناينه"، بعضهم فلاحون يعيشون في جبال تبعد مسيرة 2 ـ 3 أيام شرق المدينة.

26 ـ (فريني). هاندبوك: مزينات. بوركهاردت: بدو رحل، 2400 ـ 2500 رجل قادر على حمل السلاح.

27 ـ الشيخ (1903م): عبد المنعم بن عبد الرحمن الحازمي.

28 ـ الشيخ (1903م) عوض نويفع الحازمي.

29 ـ صيحة الحرب: بني مسروح! بنو علي المنتمون إلى هذه المجموعة الموجودون في الحجاز، والذين يسكن معظمهم في العوالي، قرية قريبة من المدينة (برتون، نفس المصدر، الجزء الثاني، ص3؛ لورنس، ص93؛ انظر الصفحة 532 أعلاه)، مصنفون تحت حرب نجد.

30 ـ قبيلة فرعية أخرى عند برتون وفي هاندبوك: "سهلية" (شكيب أرسلان: السهلية) في المرجعين. العدد حسب كوكب (بدون اللهبة): 3500 نسمة حول

عوف في نجد انظر الملاحظة المتعلقة بجدول حرب في الجزء التالي.

31 ـ (لهيبي) كوكب، ص32: لهيبة؛ ص45: لهبا. نفس المصدر (ص32): 1000 نسمة، هاندبوك: 80 رجل. نعتقد أن لهيب لبنان (انظر الصفحة 45 أعلاه) لا علاقة لهم باللهبة (خلافاً لبوركهاردت). شكيب أرسلان: الشيخ "بخيت (نحيت؟) بن بنيّان".

32 ـ شكيب أرسلان: الشيخ محارب بن موقد.

33 ـ عرفوا في القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر أيضاً تحت اسم بني سفر، بوركهاردت، ص331؛ أنظر الصفحة 532 أعلاه.

بوركهاردت: 2300 ـ 3300 مسلح، هذا العدد يتضمن على الأرجح أيضاً بني عمر الحاليين في نجد. كوكب: 2500 نسمة، نصفهم في نجد، هاندبوك «كتاب الجيب» (بما في ذلك نجد) 2000 نسمة.

34 ـ في نجد أيضاً.

35 ـ أيضاً في نجد، الموجودون هناك ذكروا عام 1900م تحت اسم "عطران".

36 ـ شكيب أرسلان: الشيخ مربع (مزيع؟) بن محمد.

37 ـ كوكب: 1300 نسمة، هاندبوك: 400 رجل.

38 ـ جزء منهم في نجد. هاندبوك: 100 رجل.

39 ـ عند بوركهاردت: جوابرة. منذ العصور الوسطى في منطقتهم الحالية؛ صبح، الجزء الرابع، ص259؛ حوليات مكة، الجزء الثاني، ص73؛ المقريزي، قبائل عربية، ص85. هاندبوك: 500 رجل.

40 ـ منذ العصور الوسطى في منطقتهم الحالية قرب عسفان؛ صبح، الجزء الرابع، ص260. هاندبوك: 1000 رجل.

41 ـ من القبائل الفرعية الأخرى المذكورة في هاندبوك (الوفيان آ I 8 د لا ينتمون إلى زبيد) لا يذكر في مكان آخر إلا الجراجرة (دوتي، الجزء الثاني، ص513) هاندبوك نفسه يذكرهم مرة أخرى تحت بني عمر. القبيلة الفرعية "المغاربة" تتألف على الأرجح من أحفاد عناصر من شمال إفريقيا. الأرقام، غير المكتملة، في هاندبوك: 1400 رجل؛ كوكب: 7000 نسمة، نصفهم بدو رحل. بريموند، الحجاز، ص67: 1500 خيمة = 12000 نسمة.

42 ـ الشيخ في الثمانينات: عبد الله بن عسم، سنوك، نفس المصدر السابق، قارن، ص184؛ قبل الحرب العالمية: محمد بن عسم، شكيب أرسلان (في النص: حسم).

43 ـ الجمع: الجداعين؛ ريحاني، تاريخ نجد، ص334.

(*) لقد صدرت طبعة جديدة محققة لكتاب كوكب الحج لمحمد صادق تحت عنوان جديد ـ الرحلات الحجازية ـ عن دار بدر بيروت 1999. (ماجد شبَّر).

قبائل صغيرة عند مكة والطائف

أثبت السكان البدو في جنوبي الحجاز أنهم أيضاً مستقرون مثل سكان الشمال. فالقبائل التي كانت في الماضي تقيم حول مكة، هذيل في الشمال والشرق وكنانة في الغرب وفهمه وعدوان في الجنوب، حافظت جميعها تقريباً حتى الوقت الحاضر على مقراتها القديمة؛ فقط كنانة اختلفوا في وقت مبكر من المنطقة. وفي ضواحي مكة والطائف تعيش قريش وثقيف، أخلاف قبيلتي قريش وثقيف اللتين كانتا في الماضي تسكنان في هاتين المدينتين.

وبينما كان سكان الشمال ينتمون إلى قومين فقط، جذام وقضاعة، كان سكان الجنوب خليطاً من أقوام مختلفة. صحيح أنهم كانوا ينتمون عموماً إلى معد أو بالأحرى نزار[1] لكنهم كانوا ينتسبون إلى مجموعات مختلفة جداً من هؤلاء: كانت هذيل وكنانة وقريش ينتسبون إلى خندف[*]، وفهم وعدوان إلى قيس، وثقيف على

(1) ستتحدث عن معد ونزار في الجزء القادم.

(*) بنو خندف ـ بطن من مضر من العدنانية، وهم بنو الياس بن مضر. وخندف اسم أمرأته عرف بنوه بها وهي خندف واسمها ليلىٰ بنت حلوان بن عمران بنَ الجافي بن قضاعه. وسميت خندف يقال خندف الرجل إذا مشىٰ يقلب قدميه كأن يغرف بهما. (المصدر القلقشندي نهاية الأرب في معرفة انساب العرب ط دار الكتب العلمية ص231) ـ (ماجد شبّر).

الأرجح إلى إياد[1]. وتصبح الصورة أكثر تنوعاً إذا ما أضفنا إليها قبائل الضواحي البعيدة لمكة: ففي الشمال كان خزاعة، وهم من أصل غير مؤكد[2]، وفي الجنوب كان أزد الذين كانوا يحسبون إلى عرب الجنوب، وفي الشمال الشرقي كان سُلَيم (قيسيون) وإلى الجنوب منهم نصر وجشم وسعد الذين ينتمون جميعاً إلى هوازن، "أخوة" سُليم.



المحمل المصري من عرفات، الحجيج في أزياء الحج.

وفي منطقة أبعد شرقاً، حيث تكون قد بدأت نجد، كان يعيش بنو هلال[3]،

---

(1) انظر مشجرة النسب على الصفحة التالية.

(2) قارن فوستنفلد، الجدول 11 (عرب الجنوب) مع ابن هشام، ص50.

(3) كانت منطقة تنقل بني هلال تقع في منطقة الحرة المسمّاة باسمهم والتي تحمل اليوم اسم النواصف (الناصفة) المتناقل من الزمن القديم أيضاً. ومن هناك انتشروا نحو الغرب والجنوب الغربي في سهوب الركبة، إلى بطن (الآن وادي) تربة ووادي عَبيدة ورنية وفي النهاية إلى مقربة من الطائف، وفي الشمال وصلوا حتى مرّان (انظر بكري، ص548، 764؛ ياقوت، الجزء الأول، ص834، الجزء الرابع، ص479؛ الهمداني، ص50، 119، 121). الأخبار المنقولة عن بني هلال خلال حروب الفتح الإسلامي لا تعطي صورة متكاملة. ويعتقد بأن

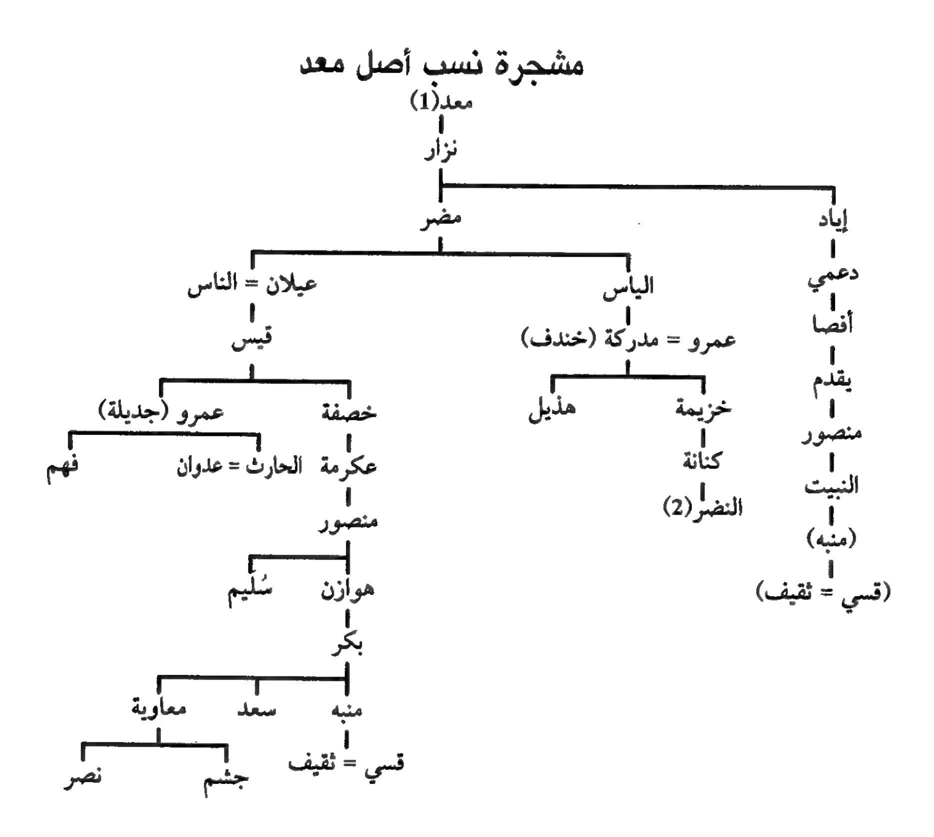
وهم قبيلة عامر بن صعصعة، التي تشكل مجموعة حديثة من هوازن.

جزءاً من القبيلة ذهب إلى جبل حوران؛ إذ إن هذا الجبل كان اسمه في العصور الوسطى جبل بني هلال (ياقوت، الجزء الثاني، ص22؛ الدمشقي، ص270؛ قارن أبو الفدا، جغرافيا، الجزء الثاني 2، ص36).

إلا أن بني هلال لعبوا دوراً أكبر جداً في شمال إفريقيا، وبالتحديد في مصر في بادىء الأمر. ويعتقد أن أجداد بني هلال شمال إفريقيا هم من بني هلال الذين استوطنوا في عام 109هـ/ 727م في شرقي الدلتا ثم لحقت بهم جماعات أخرى من موطنهم في الجزيرة العربية، أشرنا إليها في الصفحة 526 أعلاه، هامش 4، صحيح أن النص لا يذكر بني هلال صراحة، وإنما فقط الاسم العام بني عامر (ابن صعصعة)، ولكن عند ذكر بني عامر يخطر فوراً على البال بني هلال لأن القبائل المذكورة معهم، وهي سُلَيم وهوازن (= نصر، جشم، وسعد، وثقيف)، كانت من جيران بني هلال. وبينما اختفى هوازن في مصر، تطور بني هلال هناك إلى مجمع قبلي جبار، ونجم جزء من قوتهم عن انضمام قبائل أخرى لهم، منها على سبيل المثال قبائل جشم (ابن خلدون، البربر، الجزء الأول، ص38). وفي عهد الخليفة الفاطمي العزيز (975م ـ 996م) هُجّروا بالقوة إلى مصر العليا حيث انتشروا في الصحراء الشرقية (البربر، الجزء الأول، ص29). وكانت بقية منهم لم تزل تعيش قرب أسوان في أواخر العصور الوسطى (المقريزي، قبائل عربية، ص58). لكن الكتلة الرئيسية من القبيلة يجب أن تكون قد عادت بعد وقت قصير إلى الشمال؛ إذ إن أحد أفخاذها (بني قرّة) رافق في عهد الخليفة الحاكم حملة أرسلت إلى طرابلس ثم بقي في برقة؛ ابن خلدون، نفس المصدر، الجزء الأول، ص39 وما بعدها؛ قارن أيضاً الجزء الثالث، ص267. وكان هذا الفخذ طليعة هجرة كبيرة لبني هلال إلى الغرب.

يروي المؤرخون العرب هذه القصة ـ باستثناءٍ وحيدٍ هام هو ابن عذاري مؤرخ المغرب (آخر القرن الثالث عشر) ـ بصيغة درامية مبالغ فيها وينقلها عنهم بنفس الصيغة معظم المؤرخين الأوروبيين. حسب هذه الرواية قام الوزير الفاطمي اليازوري عام 442هـ بتحريض البدو ضد أمير إفريقيا (تونس) الأنفصالي المعز ابن باديس (ابن الصيرفي، عبد الله مخلص، ص42؛ ابن ميسر، ماسيه، ص5 وما يليها؛ ابن الأثير، الجزء التاسع، ص387 وما يليها). أما في الحقيقة فقد حدثت هذه الهجرة خلال فترة زمنية أطول ـ بني هلال كانوا موجودين في برقة منذ عام 440هـ/ 1050م ـ 1051م ـ ولم يكن الفاطميون وحدهم هم الذين سهّلوها بل شجعها أيضاً المعز ابن باديس أملاً في أن يساعده البدو ضد القبائل البربرية أو ضد أقربائه الحاكمين في الجزائر (هـ.إي. آر. جب، في الاسكلوبيديا، المستنصر).

في البداية كانت علاقة بني هلال مع المعز جيدة لكنها ما لبثت أن ساءت لأن بني هلال انتشروا في البلاد كالجراد. وبعد بعض المعارك الخاسرة اضطر المعز عام 449هـ/ 1057م إلى



التخلي عن عاصمته القيروان؛ وبذلك أصبحت تونس بكاملها في يد بني هلال. أما تاريخ بني هلال في شمال إفريقيا ووصول أجزاء منهم إلى المغرب فلا يمكننا متابعته هنا.

أما بنو هلال الذين بقوا في الجزيرة العربية فقد اشتركوا في الثورة التي قامت بها سُلَيم في أربعينات القرن التاسع الميلادي وتحدثنا عنها في الصفحة 526، 527 أعلاه ثم أصبحوا بعد ذلك من رعايا القرامطة. وفي عام 363هـ/ 974م هاجموا قافلة الحج (الطبري، الجزء الثالث، ص1338 وما يليها؛ ابن الأثير، الجزء الثامن، ص476).

هذا هو آخر خبر مؤكد عن بني هلال في الجزيرة العربية. وما إذا كان للقبيلة التي تحمل اسم بني هلال، والتي تعيش منذ العصور الوسطى على الساحل جنوب حالي، صلة مع بني هلال الذين نتحدث عنهم فهو أمر مشكوك فيه على الرغم من أن بكري، ص275 (الهمداني لم يعرف بني هلال هناك بعد) يعتبرها منهم. حول هؤلاء البني هلال يوجد معلومات أكثر تفصيلاً في هاندبوك، الجزء الأول، ص427 وما يليها.

1 ـ استناداً إلى جداول فوستنفلد؛ منبه وثقيف إلى اليمن ضمن قوسين( )، استناداً إلى شجرة النسب المذكورة عند فوستنفلد، أماكن إقامة وهجرات، ص70.

إن الصيغة المصطنعة لكامل المنظومة تظهر بكل وضوح؛ لاحظ أسماء القبائل التي تظهر إلى جانب أسماء الأشخاص والتي هي أحياناً إسم الأم (خندف، جديلة) وأحياناً أخرى لقب! عيلان مثبت كلقب لقيس أكثر منه كاسم لأبيه. والناس هي صيغة مصطنعة على وزن الياس. وتصنيف هذيل وخزيمة تحت عمرو = مدركة ـ الياس ـ مضر قد تكون غير أصلية؛ لأن الشاعر عادي بن الرقاع (الأغاني، الجزء الثامن، ص176) يقول: وأبو خزيمة خندف بن نزارِ، وهذا يعني نسبياً: خزيمة بن خندف بن نزار، ويعني أن خندف رجل. وبخصوص تصنيف ثقيف في صفين انظر أدناه!

2 ـ انظر مشجرة نسب قريش في الفصل التالي.

هَذيل[1] (هُذَيْل)

يبدو أن هذيل في الحجاز هم من السكان الأصليين؛ وعلى الأقل لا يرد في حكاياتهم المتناقلة والتي تعود إلى أيام الحملة الحبشية، أي إلى منتصف القرن السادس (الميلادي)، أي ذكر لأي هجره[2]. كانوا يسكنون شمال وشرق مكة، وبعضهم في جنوبها أيضاً. في الشمال الغربي كان يصلون حتى قرب عسفان، وفي الشرق حتى غزوان قرب الطائف. كانت منطقتهم منطقة جبلية غير خصبة لا تصلح إلا لتربية الحيوانات الصغيرة وقليل من الزراعة في الوديان. ولعل قربهم من الأماكن المقدسة في مكة ومواقع الحج المجاورة يوفر لهم دخلاً إضافياً. وكان لهم مصدر آخر للدخل هو خطف الناس. فقد كانوا يأخذون الأسرى في صراعات لا نهاية لها، ودامية جداً في كثير من الأحيان، مع جيرانهم كنانة وخزاعة، وسُلَيم ونصر، وفهم وأزد، ثم يبيعونهم في مكة.

الشيء الغريب والملفت للانتباه أن هذه القبيلة الفقيرة المحاربة لديها تراث شعري هائل يفوق كل ما لدى أي قبيلة أخرى في الحجاز ويضاهي، من ناحية الكم

(1) الجمع: هذلان (موريتس)، هذيلان.

(2) التراث مجمع في «قصائد الهذليين» والحكايات المرافقة لها، التي أصدرها كوزغارتن، وفلهاوزن، وهِلّ، وغيرهم وترجم جزء كبير منها، أما المصادر الأخرى فأهمها سيرة ابن هشام التي تروي سيرة النبي.

على الأقل، ما لدى القبائل البدوية الكبرى.

قدم هذيل للمكيين في صراعهم الطويل ضد النبي محمد مساعدة فعلية. وبعد فتح مكة (يناير/ كانون الثاني 630م)، وخضوع كنانة بعد الإجراءات الدامية التي تعرضوا لها على يد خالد بن الوليد، وهزيمة هوازن عند حنين، لم يبق أمامهم أي خيار سوى اعتناق الإسلام.

لم يستطع الجيل القديم مجاراة العصر الجديد لكن الشباب انخرطوا في الجيش الإسلامي وقاتلوا ضد البيزنطيين في مصر وشمال إفريقيا على وجه الخصوص . ولم يعودوا إلى ديارهم بعد توقف المعارك بل استوطنوا في الأقاليم المحتلة. ويشكو الشعراء في قصائدهم من الإفقار الذي نجم عن الهجرة. ولقد استغرق الأمر عدة قرون حتى تمكنت القبيلة من تعويض الخسائر البشرية التي لحقت بها جراء ذلك.

تمتد منطقة هذيل في نصف دائرة حول مكة مفتوحة نحو الجنوب الغربي. وهي تضم الواديين، وادي الشامية (وادي فاطمة) ووادي اليماني، وتصل هنا إلى بعد 5 أميال (انجليزية) عن النقطة الواقعة شمال السيل الكبير على الطريق المؤدية من مكة عبر عرفة إلى الطائف ثم عبر جبل كرا نحو الجنوب الشرقي[1]. وأكبر مستوطنة لهم هي عين الزيمة في وادي اليمانية[2].

كما أن طريقة الحياة بقيت كما كانت إلى حد بعيد: فهم يربون الغنم والماعز وإبلاً من نوع خاص بالجبال. وكما هو الحال لدى بقية قبائل الحجاز الصغيرة الأخرى فهم يستخرجون العسل الذي ينوب هنا من الناحية الغذائية محل التمر[3].

(1) قارن خريطة "جنوب غرب الجزيرة العربية" التي سنشير إليها فيما يأتي باسم "الخريطة"، المقياس: 1: 253440، الورقة، 8، 9.

(2) قارن أيضاً بخصوص ما يأتي بوركهاردت، رحلات، الجزء الأول، ص54، 120، 122، 124 وما يليها؛ دوتي، الجزء الثاني، ص482 وما يليها، 535؛ فيلبي، الجزء الأول، ص193، 210، 216.

(3) في القصائد الهذلية يرد ذكر النحل البري فقط.

وهم يسكنون في أكواخ صغيرة منخفضة ويمارسون الزراعة في الوديان ويقومون بري الحقول الزراعية بواسطة سدود حقنية تتجمع فيها مياه الجداول في موسم المطر[1]. وكانوا قبل ذلك غزاة مرهوبين، وفي الحروب الوهابية قدموا الرجال أيضاً[2].

ينقسم هذيل إلى مجموعتين: هذيل الشام وهذيل اليمن، شمالاً وجنوباً. وهذا التقسيم قديم جداً[3]. ولكن هذه التسمية لم تعد تتطابق مع أماكن الإقامة الحالية للمجموعتين[4]. ومن قبائل هذيل الفرعية القديمة لم يزل باقياً حتى اليوم قبيلة اللحيان.

(1) مثل هذه السدود يرد ذكرها في منطقتهم منذ قديم الزمان.

(2) بوركهاردت، ص338.

(3) انظر فلهاوزن، أناشيد الهذليين، رقم 158، 1، 176، 1.

(4) انظر هاندبوك، الجزء الأول، ص70؛ الخريطة، الورقة 8، غير ذلك. ينتمي إلى مجموعة الشمال القبائل الفرعية 1آ ـ د من الجدول.

بني فهم

يبدو أن الجيران الجنوبيين لهذيل، بني فهم، موجودون منذ زمن قديم جداً في الحجاز. ولا نعرف الشيء الكثير عنهم، والمصدر الوحيد هو هنا أيضاً التراث الأدبي والحكايات التي خلفها هذيل. وتدور هذه الحكايات حول اللص والبطل تأبط شراً الذي وجد فيه الشعر العربي القديم واحداً من أروع نماذجه. وهناك حكايات أخرى تحوله إلى شخصية أسطورية[1]. وهناك العديد من القصائد المنسوبة له ولكن أسلوبها المتميز يثبت أنها من صنع شاعر لاحق[2].

كانت أماكن سكن فهم تنتشر من الليث مروراً بسراه وحتى جنوبي الطائف[3]. وهذه المنطقة هي تقريباً نفس المنطقة التي يسكن فيها أحفادهم الحاليون. وتضعهم الخريطة في الأراضي الواقعة خلف ليث وعند أسفل جبل كرا.

وهم بدو رحل ماهرون في تتبع الأثر[4] ويزودون مكة بالخراف والفحم الخشبي.

---

(1) قارن كاسكل في «إسلاميكا»، الجزء الثالث، الملحق، ص25.

(2) روكرت، همزة، رقم 10، 12، 158، 158 آ، 266. المفضليات رقم 1، يمكن أن يكون فعلاً من تأليف تابط شراً، وكذلك الأبيات الشعرية الواردة في أناشيد الهذليين.

(3) فلهاوزن، قصائد الهذليين، رقم 184، 196، 197، 215؛ ياقوت، الجزء الأول ص625، انظر الجزء الرابع، ص782.

(4) حكاية عن حدة ذكائهم، الزركلي، «ما رأيت»، ص138.

عدوان

يُقدَّم عدوان (الحارث بن عمرو) في شجرة النسب على أنه أخو فهم. ويقال بأن القبيلة، التي كان موطنها جنوب الطائف، كانت في يوم من الأيام هامة جداً، لكنها في بداية الإسلام كانت مشتتة بين جيرانها. وهناك بعض الأسماء المعروفة من ماضيها منهم: القاضي والحاكم «حُكم يقضي» عامر بن ظرب[1]، والشاعر ذو الإصبع[2]. ومما معروف أيضاً أن عدوان كانت في يوم من الأيام تشغل أحد المناصب ذات العلاقة بأداء فريضة الحج[3].

ولكن يبدو أن القبيلة تحسن وضعها في العصور الوسطى[4]. ففي القرن الثامن عشر كانت لعدوان علاقات وثيقة مع حكام مكة وكانوا محترمين جداً. ولقد تضرروا كثيراً من الحروب الوهابية بعد أن كانوا قبل ذلك قد أضعفوا بسبب

(1) الحكاية السخيفة التي يرويها ابن هشام، ص78 وما بعدها، هي طبعاً ملفقة لاحقاً.

(2) تحت هذا الاسم أيضاً يوجد كثير من القصائد المزيفة؛ القصائد المنسوبة له في "المفضليات" قد تكون صحيحة.

(3) الإجازة، ياقوت، الجزء الرابع، ص614.

(4) الزمخشري يكتب، نقلاً عن ياقوت، الجزء الثاني، ص909، أن سهل الركبة يملكه عدوان، بينما كان في السابعة في يد بني نصر (انظر أعلاه). سهل الركبة يمتد شمال شرق وشرق الطائف.

اشتراكهم في الصراعات الدائرة بين عائلات الأشراف. كان شيخهم آنذاك عثمان المضايفي الذي كانت أخته متزوجة من شريف مكة غالب. وليس معروفاً ما هي الأسباب التي جعلته ينتقل إلى صف الوهابيين (انظر الصفحة 596 أدناه). بوركهاردت يتحدث عن خلاف شخصي مع صهره الشريف غالب، ومنجن يسكت تماماً عن السبب، أما سنوك هورغرونيه، ص148، فيعتقد أن السبب هو، إلى جانب الطموح الشخصي، القناعة الدينية. وقد شارك في خدمة سيده الجديد في كثير من المعارك إلى أن وقع في أيدي أعدائه في خريف 1813م. فقد هاجمه خيالة بدو من أتباع الشريف عند بسل، فلجأ على طريق الهرب إلى خيمة لعتيبة طالباً للحماية. لكن صاحب الخيمة سلمه للشريف غالب طمعاً في المكافأة التي حددها الشريف لمن يقبض عليه. فأرسل إلى القسطنطينية حيث قطع رأسه[1].

كان العدوان يتنقلون آنذاك بين جدة والطائف؛ أما اليوم فيبدو أنهم يقتصرون على منطقة صغيرة على الحدود الشمالية للزهران.

(1) بوركهاردت، ص455 وما يليها؛ منجن، الجزء الثاني، ص512، 521، 526، 532، 537، 540 وما بعدها.

ثقيف

الثقيف، سكان الطائف، أحدث من القبيلتين اللتين ذكرناهما حتى الآن. وهم ينسبون أنفسهم في الأصل إلى إياد، وهي قبيلة[1] تشتتت في القرن السابع الميلادي أو انحدرت إلى حياة الفلاحة. لكنهم تخلوا فيما بعد عن هذا النسب، الذي لم يكن في وسعهم الافتخار به، وانضموا إلى قيس الذين كانت لهم معهم منذ ما قبل الإسلام علاقات سياسية وعلاقات قربى[2].

تحتوي الحكايات، التي تتحدث عن التاريخ المبكر للقبيلة ومدينتها، على كثير من الأحداث التاريخية أكثر مما تحتويه عادة مثل هذه الحكايات التي تتحدث عن المنشأ والأصل والتأسيس: فمن المعقول جداً أن تكون الطائف قد نشأت عن واحة كان فلاحوها، الثقيف، يدفعون لأصحابها البدو نصف المحصول. كما أنه من المعقول أيضاً أن تكون أسوار الطائف، المدينة الوحيدة المحصنة في الشمال، قد بناها رجل من عرب الجنوب.

يعِود الفضل في كون سكان الطائف قد استطاعوا المحافظة على كيانهم في

---

(1) هاجرت الكتلة الرئيسية من هذه القبيلة في وقت مبكر إلى بلاد الرافدين، انظر الجزء الأول، ص105.

(2) انظر أيضاً بخصوص ما سيأتي فوستنفلد، أماكن سكن وهجرات، ص57، 59، 62، 70 وما يليها. الأبيات الشعرية لأمية بن أبي الصلت، التي تذكر النسب القديم للقبيلة، هي بالتأكيد غير أصلية. أما الطريقة الغريبة التي تربط بها شجرتا النسب مع بعضهما البعض فيمكن الإطلاع عليها عند فوستنفلد.

وسط القبائل المحيطة بهم المضطربة والجشعة، إلى هذه الأسوار وإلى علاقاتهم الجيدة مع مكة. كانوا يعيشون من المنتوجات الزراعية التي يبيعونها في مكة وفي الأسواق المرافقة لموسم الحج، ومن صناعة الجلود. وكانت المدينة تعج بالغرباء والزوار بسبب وجود إلهة القدر مناة فيها وبسبب موقعها المناسب على طريق المواصلات ـ كانت الطائف محطة على طريق القوافل إلى جنوب الجزيرة العربية.

عندما حاصر النبي محمد المدينة بعد معركة حنين، التي كان ثقيف من المشاركين فيها ضده، فشل في اقتحام أسوارها. ولكن بعد عام واحد خضع له ثقيف طوعاً.

في كتابه، الدولة العربية وسقوطها، ص72، يصف فلهاوزن الدور الذي لعبه الثقيفيون في صدر الإسلام بالعبارات التالية: "خلافاً للأنصار" (انظر الصفحة 456 أعلاه) وقف الثقيف منذ البداية مع سادة قريش، وخاصة مع الأمويين الذين كانت لهم علاقات طيبة مع الطائف وكانت لهم أملاك هناك. كانوا يوصفون بأنهم أذكياء جداً[1] وقد حافظوا على هذه السمعة. وفي العهد الأموي برز منهم عدد من الشخصيات الهامة؛ كما أن المختار (قائد الثورة الشيعية في العراق) ومحمد بن قاسم (فاتح بلاد الهند) كانا منهم، إلى جانب العديد من الرجال البارزين الآخرين. أهم هؤلاء الرجال ولاة العراق الثلاثة الكبار: الوالي الماكر والعديم الضمير مغيرة بن شعبة (توفي عام 50 هـ)، والوالي الذكي والقوي الإرادة زياد بن أبيه (توفي عام 673م) "حاكم من رحمة الله"، والحجاج (توفي عام 714م) الذي يتهمه الأتقياء بالخسة والحقارة، لكنه في الحقيقة الرجل الذي وضع أسس الرخاء الاقتصادي في العراق[*].

(1) «عندما حاصر النبي محمد في العام الثامن للهجرة الطائف انضم إلى جيشه الغازاريت عينية على أمل الحصول في حال احتلال المدينة على أسيرة حرب ينجب منها ولداً ذكياً لأنه هو نفسه لا يمكنه توريث أي حكمة».

(*) هل قتل وسجن عشرات الألوف من الناس واستعباد البقية لخدمة سيده في الشام وارسال له الأموال هل هذا هو رخاء؟ ماجد شبّر.

يبلغ عدد سكان الطائف نحو 5000 نسمة يشكل ثقيف اليوم نصفهم[1]، لكن العنصر الشريفي هو المسيطر هنا منذ زمن طويل. تسكن القبيلة نفسها جنوب غرب المدينة، على سفح السراة الشرقي، وفي أبعد نقطة جنوباً تسكن القبيلة الفرعية بني سفيان. ويذكر أن الثقيف يملكون نحو 60 قرية، القرية الرئيسية في الجنوب بجيلة[2] وفي الشمال الهدا[3].

وقف الثقيف دوماً إلى جانب شريف مكة وشاركوا عام 1803م في الدفاع عن الطائف؛ أما في عام 1924م فقد كانوا (وهذيل) أقل صموداً[4].

(1) حسب هاندبوك، الجزء الأول، ص127. حسب الزركلي، ص49، لا يسكن الثقيف إلا في القرى المجاورة.

(2) أيوب صبري، الجزء الثالث، ص283.

(3) الزركلي، ص39؛ شكيب أرسلان، ارتسامات، ص271.

(4) الريحاني، تاريخ نجد، ص302.

بني سعد

بني سعد (بن بكر)، الذين تربطهم صلة قرابة مع فهم وعدوان، مشهورون جداً في العالم الإسلامي لأن لهم صلة بتاريخ النبي منذ طفولته. إذ إن حليمة (السعدية) مرضعة النبي تنتمي إلى هذه القبيلة التي كان نساؤها يمارسن مهنة إرضاع أطفال مكة الذين كانوا ينمون في الهواء النقي في المنطقة العالية بصورة أفضل من تهامة الحارة[1]. وتجدر الإشارة إلى أن أشراف مكة كانوا قد اعتادوا منذ زمن طويل على إرسال أبنائهم بعيد الولادة إلى مربين بدو يبقون عندهم حتى سن الثامنة أو العاشرة. كان أشراف مكة الحاكمون في القرن الثامن عشر يسلّمون أبناءهم عادة لقبيلة عدوان، بينما كان البقية يرسلونهم إلى هذيل أو الثقيف أو بني سعد[2].

كانت القبيلة في الزمن القديم غير هامة ولكنها حسنت وضعها في مطلع

(1) ليس هناك ما يدعو إلى اعتبار هذا الحدث اسطورياً، كما يفعل بعض كتّاب السيرة النبوية الأوروبيون، ومنهم تور أندريا مثلاً.

(2) بوركهاردت، رحلات، الجزء الأول، ص424 وما يليها. من المشكوك فيه أن تكون عادة الموالي (انظر الجزء الأول، ص442 وما يليها)، التي يذكرها بوركهاردت، نفس المصدر، ص427، وهي تربية ابن الشيخ في أسرة أخرى، لها علاقة بموضوعنا هنا. بل هي على الأرجح ذات صلة بالعادة التي يذكرها دي بوشمان في كتابه: ملاحظات حول الخصومة بين القبيلتين. . . السوريتين، ص24.

العصور الوسطى[1]. وهي اليوم مستقرة كلياً وتسكن في الجبال جنوب الطائف. يملك سعد نحو 30 قرية. وإحدى عائلاتهم مشهورة بسبب مهاراتها الطبية، وخاصة الكي[2]

(1) طردوا في عام 900م بمساعدة حاكم مكة هذيل من غزوان، الهمداني، ص173 (في النص كما عند ياقوت، الجزء الثالث، ص657، خطأ: عوران.

(2) الريحاني، ملوك العرب، الجزء الأول، ص32.

قبائل حديثة

إلى جانب هذه القبائل القديمة وجد هناك أيضاً بعض القبائل الجديدة التي يسكن بعضها على الساحل في منطقة كنانة سابقاً، ومنها الجحادلة، ويسكن بعضها الآخر في الداخل في منطقة البجيلة[1]، ومنها الناصرة وبني مالك. يمتد الجحادلة على الساحل من سروم حتى مسافة قريبة من ليث ويصلون في الداخل إلى جبل السراه. وهم بدو رحل كلياً متعادون مع حرب ولهم علاقات ودية مع ذوي حسن (انظر الصفحة 625 أدناه) وفهم.

يسكن الناصرة وبني مالك إلى الجنوب من بني سعد وثقيف. كلا القبيلتين مستقرتان، وتملك الأولى نحو 100 قرية (القرية الرئيسية: صور)[2] وتملك الثانية نحو 200 قرية. وكلاهما متحالف، مثل بني سعد، مع ثقيف.

إن تقسيم الزركلي، في كتاب (ما رأيت وما سمعت)، ص101، القبائل الموجودة قرب مكة إلى شبابة وخندف لا يعبر عن علاقات القرابة القديمة إلا قليلاً على الرغم من أن البدو أنفسهم يعتبرون هذا التقسيم تقسيماً قائماً على النسب. إذ إنهم

(1) قبيلة تشتتت قبل الإسلام بسبب عداوات داخلية إلى عدة أجزاء لجأت إلى مختلف القبائل بحثاً عن الحماية، وظلت السراه المسماة باسمهم، والتي لم تزل توجد فيها بقية من القبيلة، تحمل اسمهم زمناً طويلاً، ولم تزل قرية بجيلة المذكورة أعلاه تحمل اسمهم حتى اليوم.

(2) الخريطة، بوركهاردت، رحلات، الجزء الثاني، ص373.

لا ينسبون إلى خندف (انظر ص555 أعلاه) الهذيل فقط وإنما أيضاً الثقيف، والجحادلة، والبقوم[1]، وسبيع[1]، ومطير[1]. وتحت الشبابة أيضاً نجد قبائل مختلفة المنشأ كلياً، ألا وهي: بنو سعد، وبالحارث (10)، وحرب، وعتيبة[1]، وقحطان[1].

قبائل صغيرة قرب مكة والطائف(1)

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
1 ـ هذيل(2)			10000
أ ـ لحيان(3)		وادي فاطمة	1500
ب ـ مطارفة(4)		وادي فاطمة	
جـ ـ مسعود		ربع السيل	
د ـ متعان(5)		مكة ـ جدة	
هـ ـ كباكبة(6)		شداد	900
و ـ الندويين(7)			
ز ـ دعد			
حـ ـ العلويين			
2 ـ الجحادلة(8)		السعدية	15000
3 ـ آل مهدي(9)		الليث	800
4 ـ بني فهم(10)		الملم ـ وادي وغر	4000
5 ـ ثقيف(11)		الطائف	10000
أ ـ بني سفيان			

(1) عولجوا في الجزء الثالث.

القبيلة	الشيخ	منطقة التنقل	عدد الخيام
ب ـ طويرق(12)		جبل كرا	
جـ ـ ثمالة			
د ـ بني سالم			
6 ـ بني سعد(13)	أحمد السعد	الطائف	6000
7 ـ الناصرة(14)		الطائف	10000
8 ـ بني مالك(15)		الليث	8000
9 ـ عدوان(16)			2000
10 ـ بالحارث(17)		الطائف	2000

ملاحظات

1 ـ تم تسجيلها عام 1925م في دمشق، المصدر: بدوي من غامد. ثم استكمالها استناداً إلى بوركهاردت، أيوب صبري، الجزء الثالث؛ هاندبوك، الجزء الأول؛ الزركلي، ما رأيت؛ شكيب أرسلان، ارتسامات.

2 ـ بوركهاردت، ص338 وما بعدها، قائمة شبرنجر، رقم 56؛ أيوب صبري، ص283؛ هاندبوك، ص70ـ الزركلي، ص101. فؤاد حمزة، ص202 وما بعدها يذكر إضافة إلى القبائل الفرعية أ، ب، جـ ، و، ز: السواهر، وعمرو (أمير)، والجنابر (مع هـ كفرع)، والسراونة، والعاهلة، والجميل.

3 ـ يعتبرها بوركهاردت، ص335، وأيوب صبري، ص285، قبيلة مستقلة.

4 ـ يعتبرها بوركهاردت، ص335، قبيلة مستقلة.

5 ـ أيوب صبري (ص285): بني منعان.

6 ـ سجلها بوركهاردت، ص337، كقبيلة مستقلة، تقع شداد عند أسفل

كبكب. مشهورون بتتبع الأثر، قارن حكاية الزركلي، ص140.

7 ـ فؤاد حمزة: الندوية.

8 ـ بوركهاردت، ص336؛ أيوب صبري، ص285؛ هاندبوك، ص70.

9 ـ هاندبوك "كتاب الجيب"، ص71.

10 ـ بوركهاردت، ص336؛ بوركهاردت، رحلات، الجزء الثاني، ص389؛ أيوب صبري، ص285؛ هاندبوك، ص70.

11 ـ بوركهاردت، ص339 وما بعدها؛ قائمة شبرنجر، ص54، تاميسبيه، رحلة في الجزيرة العربية، باريس 1840م، الجزء الأول، ص344 وما بعدها؛ أيوب صبري، ص283؛ هاندبوك، ص72؛ الزركلي، ص101؛ شكيب أرسلان، ص371 وما بعدها؛ فؤاد حمزة، ص134.

12 ـ بوركهاردت، ص337، 339: مستقلة؛ أنظر أيضاً ريحاني، تاريخ نجد، ص300؛ شكيب أرسلان، ص271.

13 ـ بوركهاردت، ص341 وما بعدها؛ قائمة شبرنجر، رقم 67؛ قائمة برتون (بلغريماج، الجزء الثاني، ص122): 4000؛ هاندبوك، ص72 وما بعدها.

14 ـ بوركهاردت، ص342؛ الزركلي، ص101 (بخصوص بالحارث)؛ قائمة برتون: 3000.

15 ـ بوركهاردت، ص342؛ هاندبوك، ص72؛ قائمة برتون: 6000.

16 ـ بوركهاردت، ص337 وما بعدها؛ قائمة شبرنجر، رقم 62؛ أيوب صبري، ص284.

17 ـ تاميسبيه، الجزء الثاني، ص19 وما يليها ("بني حارث")؛ أيوب صبري، ص284 (ابن الحارث)؛ فؤاد حمزة، ص138 وما بعدها؛ زركلي: بني الحارث (بخصوص عتيبة). بدو رحل، يذكر صبري معهم (بني) سعيد جنوب

الطائف الذين فيما عدا ذلك غير مذكورين إلا في قائمة برتون.

بعض المؤلفين يذكرون أيضاً القبائل التالية في منطقتنا: الريشية في وادي نعمان، بوركهاردت، ص337؛ النمور، الريحاني، تاريخ نجد، ص300؛ الزركلي، ص52؛ شكيب أرسلان، ص271، والوقدان المشهورين بمهارتهم في تتبع الأثر، الزركلي، ص138 وما بعدها. فؤاد حمزة، ص134، ينسب النمور إلى ثقيف.

قريش

توحي المقاطع الطويلة التي تخصصها "السيرة" لتاريخ القبيلة التي ينتمي إليها النبي محمد بأنها نابعة من تراث غني وأصلي المصدر. أما في الحقيقة فإن مثل هذا التراث لم يكن موجوداً، وذلك لأنه يفتقر إلى الوثائق، وإلى المستندات، التي تشكل الخيط لكل التراث المتناقل العربي القديم، أي إلى القصائد الشعرية، ففي مكة لم يكن ينظم الشعر. كما أن تجار المدينة (مكة) المسالمين كان ينقصهم الدافع القوي الذي كانت ثارات الدم تزرعه في ذهن المحارب والبدوي "حتى الجيل الخامس". ولذلك حاولت الأجيال اللاحقة سد هذه الثغرة. فقد التقى هنا في نفس المسعى حب المؤمنين لعائلة النبي ورغبة الحكام (العباسيون والأمويون والخلفاء الأربعة الأوائل كانوا كلهم من قريش) في تعليل حقهم في الحكم تاريخياً. وهكذا أصبح تاريخ قريش خليطاً شائكاً من الأساطير الدينية والإختراعات الذكية أو المكشوفة يصعب فيه تمييز الصح من الخطأ.

كانت قريش في الماضي فخذاً من كنانة التي كانت تقيم بين الساحل والشعاب والوديان المؤدية إلى المرتفعات التي تقع فيها مكة. وهذا الانتماء لا يثبته النسب وحسب وإنما أيضاً العلاقة الوثيقة التي كانت قائمة في جميع الأوقات بين قريش وكنانة[1]. أما جد قريش الأول فيقال مرة أنه فهر ومرة أخرى أنه "جده" النضر بن

(1) عند الشعراء يسمى كنانة وقريش في بعض الأحيان «علي» أو «بني علي»، انظر نولدكه،

كنانة[1]؛ أما قريش نفسها فهي اسم القبيلة ويعني أكيداً، على الرغم من المعارضة التي يبديها علماء الأنساب العرب، سمك القرش وإن كنا لا نريد تفسير التسمية بجشع التجار المكيين[2].

ليس معروفاً كيف حصلت قريش على مكة. ولكن يبدو مؤكداً أن مكة ومقدساتها (الكعبة) كانت قبل ذلك في يد خزاعة؛ فمن الزمن القديم لم يزل عالقاً في الذاكرة الإسم جرهم[3]. وتقول السيرة أن الذي استولى على المعبد والمدينة هو قصي[4] "أبو" أسرة عبد مناف التي ينتمي إليها هاشم، الجد الثاني للنبي، وعبد شمس جد الأمويين. ولكن هذه الرواية من الصعب أن تكون صحيحة؛ إذ إنه كان يوجد في القبيلة عائلات أقدم وأقوى. إلا أن المناصب المتعلقة بالأماكن المقدسة كانت في يد أحفاد قصي، وإن كانت في البداية لم تكن في يد أسرة عبد مناف وإنما أسرة "أخيه" عبد الدار.

تقول السيرة بعد ذلك أن خلافاً نشب في مكة حول هذه الامتيازات قسم المدينة إلى حزبين (المطيبين والأحلاف)وانتهى إلى أن عبد الدار احتفظوا بمفتاح الكعبة وبالتالي بحماية الأماكن المقدسة لكنهم سلموا السقاية والرفادة والقيادة السياسية[5] لعبد مناف. حسب هذا التقرير تحالف مع عبد الدار العائلات:

ZDMG، الجزء 40، ص177، وتفسير ابن دريد، ص34، غير الوافي.

(1) هذا ما يقوله، مثلاً، ابن دريد، ص18؛ انظر ابن هشام، ص60. أم القبيلة اسمها برّة وتوصف بأنها أخت جد قبيلة تميم. لاحظ النسبة فهري (إلى جانب قريشي) التي تُشير كما يبدو إلى أبناء الفخذين القديمين محارب وبني الحارث.

(2) انظر لاقنس، الاسكلوبيديا الإسلامية، قريش ومكة. كلا المقالين يبهر القارىء بكم هائل من التفاصيل ولكنها للأسف لا تصمد دوماً أمام الفحص والتمحيص.

(3) تكشف السيرة مدلولاً تاريخياً ثم تجعل من جرهم رجلاً سبئياً؛ إذ إن الكعبة هي دون شك بناء قديم أسسه عرب الجنوب.

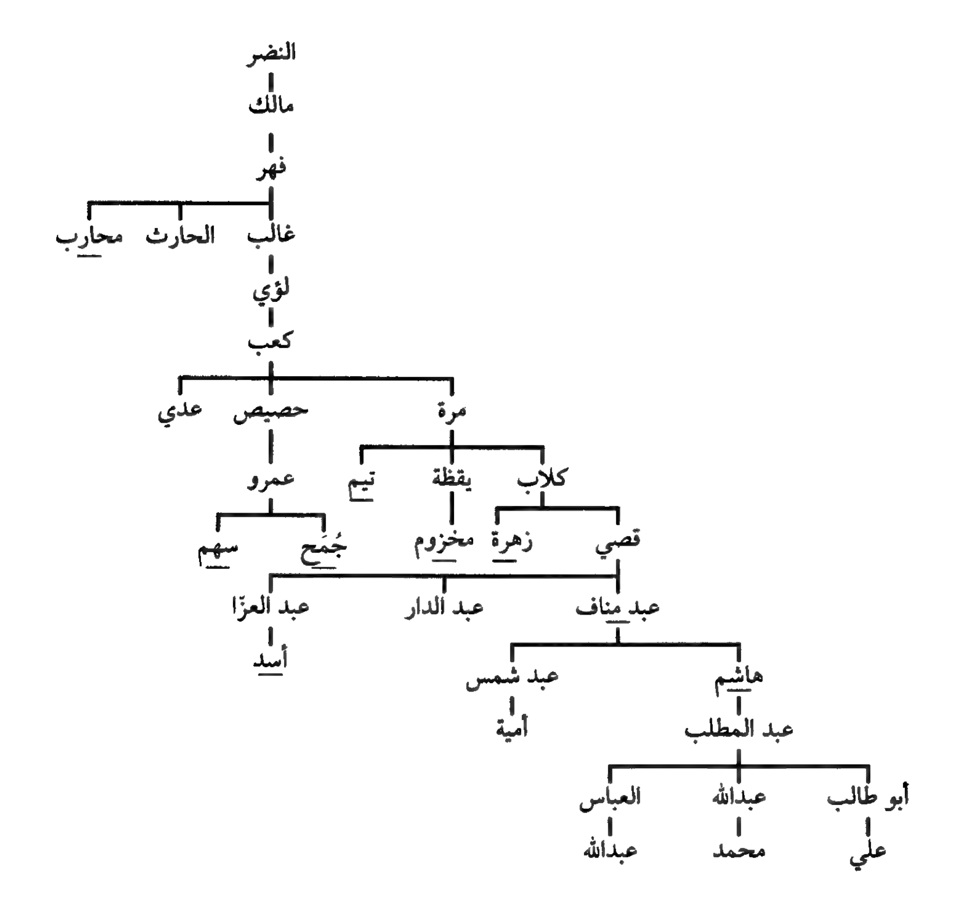
(4) يرى فيه لامّنس شخصاً غريباً من قبيلة عذرة، وهو مصيب في ذلك.

(5) "اللواء والندوة". اللواء، "الراية" مقصود هنا بالمعنى المجازي، لأنه لم يكن يوجد راية واحدة لقريش، وإنما عدد لا حصر له من الرايات في كل حملة ولدى كل جيش. وينطبق الشيء نفسه على الندوة التي يجب ألا نفهمها بمعنى "دار الندوة".

مخزوم، وجُمَح، وسهم، وعدي، وتحالف مع عبد مناف عائلات بني الحارث بن فهر، وأسد، وزهرة، وتيم (انظر مشجرة النسب)[1]. فيما يتعلق بالتحالفات نفسها فلا يوجد شك في صحتها لأنه يُستند إليها في وقت لاحق، ولكن السيرة تعرض نتيجة الخلاف (ودون شك سببه أيضاً) بطريقة خاطئة عندما تقول أن القيادة في الحرب وفي الندوة لم تكن في يد عبد الدار وإنما في يد حلفائهم مخزوم.

(1) كل عائلة من هذه العائلات قدمت واحداً أو اثنين من صحابة النبي: بنو الحارث منهم فاتح شمال سورية أبو عبيدة بن الجراح، ومن أسد: الزبير، ومن زهرة: سعد بن أبي وقاص وعبد الرحمن بن عوف، ومن تيم: الخليفة أبو بكر وطلحة وينتمي إلى مخزوم القائد العسكري الكبير خالد بن الوليد، وإلى جمح عثمان بن مظعون، وإلى سهم فاتح مصر عمرو بن العاص، وإلى عدي الخليفة عمر وسعيد بن زيد، واحد من أوائل معتنقي الإسلام.

مشجرة نسب قريش(1)



(1) الأسماء التي تحتها خط تعني العائلات التي كانت تتألف منها قريش في بداية الإسلام، انظر، مثلاً، ياقوت، الجزء الأول، ص659. تحت عبد مناف نفهم هنا، في هذا السياق، أبناء هذه الأسرة (نوفل) الذين لا ينتمون إلى عبد شمس ولا إلى هاشم. من بين من يسمون قريش الأطراف لم نذكر في شجرة النسب إلا فهر (محارب) و(بني) الحارث.

عندما بدأ النبي دعوته كان عبد شمس (أمية)، إلى جانب مخزوم، أهم أسرة في قريش. أما أسرة محمد، بنو هاشم، فقد كانت فقيرة لكنها كانت تتمتع بحق سقاية الحجاج وإطعامهم من الأموال العامة.

كانت مكة نوعاً من الجمهورية الأرستقراطية. وكان تكييف العادات والقوانين القبلية، المخصصة في الأصل للحياة في الصحراء، مع ظروف المدينة من الإنجازات الهامة للقريشيين. فقد نجحوا في الحيلولة دون تشكل حزبين يتصارعان على الحكم، أو على الأقل في إبقاء هذا الصراع ضمن حدود معقولة، وهي مهمة فشل في تحقيقها سكان المدينة (المنورة) وغيرها من واحات ومدن العالم العربي. ويعود الفضل في ازدهار المجتمع المكي إلى شيئين: قداسة أرض مكة التي كانت تحرم كل سفك للدماء، والشعور الجمعي الذي تشكل لدى المكيين نتيجة نشاطهم التجاري.

كانت المقدسات المكية موجودة قبل قريش ولكن القريشيين جعلوها مركز عبادة للجزيرة العربية كلها وحولوا مكة إلى أهم مدينة في جزيرة العرب. صحيح أن التجارة على طريق البخور القديمة جداً، والتي تقع عليها مكة، لم تتوقف أبداً حتى في زمن انهيار الممالك العربية الجنوبية، ولكن القريشيين عرفوا كيف يسيطرون عليها كلياً. ففي كل عام كانت تنطلق قافلتان كبيرتان، إحداهما إلى بصرى في حوران أو إلى غزة، والأخرى إلى اليمن[1]. كان الجنوب العربي يصدر البخور والصمغ، بالإضافة إلى البضائع الجلدية والنسيجية، وكانت سورية تصدر

(1) يبدو أن قريشاً لم يكن لها اتصال منتظم مع العراق، فقط عند حاتم طي، ديوان، رقم 43، يرد ذكر قافلة مكية كانت تنقل الطيب وغيره. بالمقابل كان الفرس يرسلون منذ حرب الفجار الثانية (الأغاني، الجزء 19، ص75) إلى سوق عكاظ قافلة محملة بالتوابل (لطيمة) وتعود محملة بالجلود والحرير والملابس العربية الجنوبية وغيرها.

أن يكون لمكة تبادل تجاي مع الحبشة فهو أمر محتمل، ولكن ليس معروفاً كيف كان يجري هذا التبادل حسب ابن هشام، ص218، 716، كانوا يأخذون الجلود ـ من الطائف أو اليمن ـ مقابل تجارتهم.

الحبوب والزيت[1]. بالإضافة إلى الأقمشة والحرير. لكن قيمة البضائع لم تكن عالية كما كانت في أيام ازدهار الممالك العربية الجنوبية، إذ إن التجارة العالمية كانت قد فقدت أهميتها القديمة بسبب الهجرة الجماعية الأوروبية التي أدت إلى إفقار الغرب. وجدت قريش تعويضاً عن ذلك في التجارة المحلية، أي في تزويد البدو بمستلزمات الحياة. وكانت هذه التجارة تحدث في الأسواق التي تقام كل عام بجوار مكة في موسم الحج.

كانت مكة كلها تعيش من التجارة. وكان التجار الأغنياء الذين يجهزون القافلة يقبلون كميات صغيرة بحيث كان الناس الفقراء أيضاً يستطيعون المشاركة في حمولة القافلة. وكانت قيادة القافلة تتطلب درجة عالية من الدبلوماسية؛ إذ كان ينبغي إبرام عقود للحصول على الجمال اللازمة للنقل، وإجراء مفاوضات مع البدو للسماح للقافلة بالمرور دون مضايقات، ومع السلطات الأجنبية حول قضايا الاستيراد والتصدير ، فضلاً عن المعارف الأخرى التي تتطلبها التجارة تحت الظروف السائدة هناك.

لم يخض القرشيون أي حروب[2]، كان يتعين عليهم إقامة علاقات طيبة مع الجميع إذا ما أرادوا لمدينتهم أن تزدهر، ولذلك لم يكونوا يثأرون للدم وكانوا يدفعون الفدية[3]. ولم تكن تنقصهم الشجاعة بأي حال، وهذا ما أثبتوه في غزوتي بدر وأحد.

كان لهذه الصورة بعض الظلال: فالفروق الإجتماعية كانت عندهم أكبر منها عند البدو، وكان وضع العبيد شيئاً، وكانت غطرسة الأثرياء لا تطاق. ولقد أحس محمد بهذه الأمور إحساساً مريراً وكان كثيراً ما يتهم قومه بذلك. ولكن هذا لم

---

(1) انظر "نقائض جرير والفرزدق"، رقم 59، 53، علماً بأن الحديث هناك لا يتعلق بمكة بالذات.

(2) في ما يسمى حرب الفجار الثانية كانت قريش في حالة الدفاع.

(3) انظر، مثلاً، ابن هشام، ص863.

يكن السبب الذي أدى إلى الصراع بين النبي وأبناء قبيلته. بل إن كل شيء فيهم كان غاضباً على الداعية المجدد: اعتزازهم، وأنانيتهم، وحبهم لبلدهم؛ إذ إن الإيمان بالله ورسوله يعني سقوط النظام القديم، وانتهاء الوثنية وعبادتها وطقوسها، وتعريض التجارة المرتبطة بذلك للخطر[1] وبالتالي تعريض الرخاء في مكة للخطر أيضاً. ولذلك كان لا مفر من اللجوء إلى القوة.

كان انتصار النبي في غزوة بدر بمثابة المعجزة، ولقد مكنه إيمانه الراسخ من تجاوز الهزيمة التي مني بها المسلمون في غزوة أحد. ومنذ ذلك الحين أصبح الأقوى لأنه كان في وسعه قطع طرق التجارة إلى مكة. تحمل المكيون قطع الطرق التجارية عدة أعوام لكن مقاومتهم تلاشت بعد ذلك. فعندما زحف النبي في يناير/ كانون الثاني 630م على مدينته الأصلية مكة لم يلق أي مقاومة باستثناء بعض المخزوميين الذين واجهوه بالسلاح.

إلا أن محمد الذي لم ينكر أبداً حبه لقبيلته، بنىٰ للمهزومين جسوراً من ذهب، وبقدر ما كانوا عنيدين في مقاومته أصبحوا الآن متحمسين لنصرته، وخاصة مخزوم وأمية. فلم يخيبوا أمل محمد وثقته بهم. صحيح أنهم استولوا على الحكم بعد موته، ولكنهم كانوا الوحيدين القادرين على تولي السلطة لأنهم "كانوا قد مروا في الجاهلية في المدرسة التي أهّلتهم لحكم العرب" (فلهاوزن).

بعد الفتح بدأت مكة تفرغ من سكانها؛ فقد جذبت المدينة (المنورة) عاصمة الدولة الإسلامية جميع العناصر الفعالة، وبعد وقت قصير عجت المناطق الإسلامية الجديدة بالموظفين والجنود القريشيين. وبعضهم عادوا إلى ديارهم لكي يقضوا بقية العمر في مكة التي أصبحت في عهد الأمويين مدينة المتعة وطيب العيش. كما أن الاستيطان الداخلي كلف مكة بعض سكانها، وإن كانت حركة الاستيطان لم تخرج من مكة بالقوة التي خرجت بها من المدينة، وأن المكيين الذين شاركوا فيها كان معظمهم من عبيد قريش ومعتوقيها وليس من القريشيين أنفسهم. نشأت هذه

---

(1) هـ. ريتّر يرفض هذه الحجة بدعوى أنها غير معللة في المصادر.

المستوطنات القريشية في جبال السراه جنوب الطائف، وقرب بيشة، وفي جبال وفي تهامة عسير[1]. وبعد ذلك بدأ المؤمنون الذين يأتون إلى مكة في موسم الحج بالتضييق على السكان الأصليين. في أواخر العصور الوسطى عادت إلى مكة دفعة كبيرة من أحفاد القريشيين القدامى بهيئة الأشراف. وفيما عداهم لم يعد يوجد في مكة، إلا ما ندر، عائلات قريشية؛ فقط بنو شيبة أحفاد عبد الدار ما زال في حوزتهم حتى اليوم مفتاح الكعبة.

إلا أنه لم يزل يوجد في محيط المدينة قبيلة اسمها قريش (قْرِيش). وهي تتألف على الأرجح من أحفادِ قريشيين حل بهم الفقر ففضلوا حياة البداوة على حياة المدينة، شأنهم في ذلك شأن بعض عائلات الأشراف التي تحولت في أوائل العصور الوسطى إلى بدو. مكانة قريش الحاليين غير رفيعة. ويبلغ عددهم نحو 2000 نسمة، يقيمون قرب عرفات ويعملون في تربية الأغنام التي يبيعون منتوجاتها، من الحليب والسمن والجبن، في مكة والطائف[2].

(1) الهمداني، ص119 ـ 122. واحة في وادي بيشه استصلحت في عهد الخليفة هشام (724 ـ 743م) من قبل 200 شخص من العبيد الزنوج المتزوجين، ياقوت، المعمل.

(2) بوركهاردت، ص336؛ أيوب صبري، الجزء الثالث، ص282؛ دوتي، الجزء الثاني، ص525 (الجمع: «كراش)؛ ريحاني، ملوك العرب، الجزء الأول، ص32 (5000 نسمة)؛ زركلي، ص101؛ فؤاد حمزة، ص135، 190 (الأخيران ينسبانهم إلى ثقيف).

الأشراف(*)

حَكَمَ أخلاف النبي محمد، أو مارسوا نفوذاً سياسياً، فترات مؤقتة في كثير من البلدان الإسلامية، لكنهم لم يحكموا بصورة دائمة إلا في وطنهم غربي الجزيرة العربية: حكموا المدينة أكثر من 500 عام وحكموا مكة نحو 1000 عام. ونظراً لخصوبة هذه الأسرة وكثرة أبنائها فقد انحدر كثير من أعضائها إلى مرتبة العامة من الشعب دون أن يفقدوا الاحترام الذي يتمتعون به بسبب نسبهم.

وهذا ما حدث في الحجاز أيضاً: فروع أسرة قتادة، التي حكمت مكة من حوالي عام 1200م حتى عام 1924م، تطوروا إلى قبائل يعيش جزء منها حياة البداوة. ويطلق عليهم اسم "أشراف". ومن أجل فهم هذا التطور يجب علينا العودة إلى أُسس ازدهار حكم الأشراف. ولكن قبل ذلك سنشرح باختصار الإسم "أشراف".

أشراف، جمع شريف، وتعني "متميز"، "نبيل"، كانت تطلق في فجر

(*) يعدُ الانتساب إلى الرسول الأعظم محمد ﷺ في التاريخ القديم والحديث ظاهرة ملفتة للنظر، فكثيراً من القبائل والعشائر والأفراد يدعون الانتساب إلى محمد ﷺ. ونجد هذه الظاهرة موجودة في أغلب الدول الإسلامية وخصوصاً العربية منها، وهذا الادعاء بالنسب يعطي للفرد والقبيلة منزلة كبيرة ولكي يحصل على موقع اجتماعي أو سياسي.

فقد ادعى إسماعيل الصفوي انتسابه إلى الرسول محمد ﷺ لكي يدعم موقفه السياسي وقد كان السيف لسانه. وكذلك ادعى أحفاد محمد علي باشا (الألباني) بأنهم من أحفاد الرسول واستمر الأمر حتى زال حكمهم عن مصر. وأخيراً ادعى صدّام حسين انتسابه إلى الرسول الأعظم (محمد)، مما جعل من هذا القول أضحوكة يتندر بها العراقيون. (ماجد شبّر).

الإسلام على زعماء العائلات الوجيهة في المدن، سواء كانوا من نسل عائلات شيوخ عربية قديمة أو من نسل عائلة النبي الذين ارتقوا بسبب الإسلام إلى مرتبة النبلاء. وتشمل هذه العائلة لأن النبي لم يخلف أبناء، ذرية عمّيه، أبي طالب والعباس، أي العقيليين والجعفريين والعلويين ـ نسبة إلى عقيل وجعفر وعلي، أبناء أبي طالب ـ والعباسيين[1]. وبعد سقوط الأمويين اهتز المجتمع العربي القديم، إذ تعين على ممثليه في الدولة العباسية التنحي شيئاً فشيئاً لغير العرب، بينما، من ناحية أخرى، أصبح النبلاء المسلمون، الذين تنتمي إليهم الأسرة العباسية الحاكمة، يتمتعون بالامتياز والتميز. وفي النهاية بقي لهم وحدهم لقب "الشريف"[2]. وضمن هذه الدائرة النبيلة احتل أحفاد فاطمة بنت محمد، الحسنيون والحسينيون، مكانة متميزة في وقت مبكر؛ لأن الناس كانوا يكرمون فيهم نسل النبي[3]. وفي خلافة القاهرة، التي سمي حكامها نفسهم "فاطميين" وأعلنوا أنهم من نسل الحسين، أصبح اللقب مقتصراً على الحسنيين والحسينيين، ثم انتشر هذا الاستعمال بعد سقوط العباسيين في جميع أرجاء العالم الإسلامي.

إلى جانب "الشريف" أو بدلاً منه يعطي الحسنيون والحسينيون لقب «السيّد» أيضاً، وهي كلمة كانت تعبر في اللغة العربية القديمة عن زعيم القبيلة، أي الشيخ. وفي الحجاز يسمى أحفاد الحسين "سيّد"، بينما يطلق لقب "شريف" هناك على أحفاد الحسن[4].

لم تكتف العائلات الإسلامية النبيلة، على الأقل العلويون والعباسيون،

(1) آل النبي يشملون حسب التفسير السني الشائع جميع أحفاد جد النبي الثاني هاشم. ولذلك تسمي عائلات الأشراف الحاكمة اليوم في العراق وشرقي الأردن نفسها الهاشميين.

(2) التطور غير واضح تماماً؛ فهناك، على سبيل المثال، الشريف الرضي الذي منح في عام 401هـ لقب «الشريف».

(3) لاحظ أيضاً الآية القرآنية (33، 33): «... إنما يريد الله ليُذهِبَ عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا». وهي آية ينسبها التفسير الشيعي، ومن حيث المبدأ التفسير السني أيضاً، إلى "العائلة المقدسة"، علي وفاطمة وأولادهما.

(4) يطلق لقب "شريف" في الحجاز على خلف العائلات التي كانت حاكمة. وهذه العائلات جميعها، باستثناء أشراف المدينة، حسنية. وهناك ألقاب أخرى مستعملة في إيران والهند وتركيا هي "المير" "أمير"، والمولى الذي سيرد ذكره في الجزء الثالث من هذا الكتاب.

بالوجاهة الإجتماعية والدينية[1] بل سعت منذ البداية إلى القيادة السياسية وقد كان لها فعلاً بعض الحق في ذلك، ليس حسب الشرع الإسلامي وإنما حسب القانون العربي القديم. فإذا ما اعتبرنا مركز النبي محمد مماثلاً لمركز زعيم القبيلة، يؤول الحكم حسب القانون القبلي بعد موت النبي إلى أبناء عمه. ومن بين أبناء عمه يتمتع علي، المسلم الأول وصاحب النبي وأقرب المقربين إليه وزوج ابنته، بأفضل الحق[2] ـ إذا ما استطاع فرض هذا الحق، لأن التسلسل الوراثي المحدد بدقة، كما هو الحال في الغرب، غير معروف في النظام القبلي. لكن علياً لم يكن الرجل المناسب لذلك. فعندما توفي النبي لم يجرؤ على المطالبة علناً بالخلافة، وعندما تولى أخيراً الحكم (35هـ/ 656م) لم يكن قادراً على الدفاع عنه بقوة السلاح. ثم جاء خلفه من بعده فاستهلكوا قواهم في ثورات غير مجدية أو فضلوا القبول بمنافع مادية بدلاً من السلطة السياسية. وهكذا وصل في البداية العباسيون إلى الهدف. لم يأت دور العلويين إلا في نهاية القرن الثامن (172هـ/ 788م) حيث رسخوا أقدامهم في مراكش وفي القرن التاسع الميلادي في مناطق متطرفة أخرى من البلاد الإسلامية، إلى أن انتصرت العلوية في القرن العاشر الميلادي في أجزاء واسعة من العالم الإسلامي. وفي هذا القرن أيضاً تأسست أولى الأسر الحاكمة الدائمة في الحجاز.

يعود الفضل في النجاحات التي حققها العلويون إلى انتشار "حزب" الشيعة[*] (أي حزب علي) التي كانت قد تحولت من قضية سياسية للنبلاء العرب إلى حركة شعبية دينية بفضل القوة التي استمدتها من قداسة علي وذريته ومن استشهاد كثير من العلويين. ولكن العلويين، الذين كانوا يطمحون إلى السلطة، لم يكونوا جميعاً يؤيدون المبادىء الشيعية أو يدعون لها. وكان هذا أقل ما يكون في الحجاز حيث كان الناس ينظرون باحترام كبير لأحفاد النبي محمد ولكنهم كانوا في بادىء الأمر يتخذون موقفاً متحفظاً من التعاليم الشيعية.

---

(1) في الطقوس الدينية يصلى على "آل النبي" كما يصلى على النبي.

(2) استندت الدوغما الشيعية المتأخرة في تعليل حق علي في الخلافة إما إلى أحاديث نبوية مزعومة أو إلى تفوق علي أخلاقياً على بقية صحابة النبي.

(*) هم الشيعة الموالين للإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، الذين يرونه واولاده احق بالخلافة الإسلامية. (ماجد شبّر).

بدأ العلويون مسيرتهم في الحجاز بصفة ملاك أراض. وكانت أراضيهم، التي حصلوا على بعضها عن طريق الوراثة وعلى بعضها الآخر كهدايا من الخليفة، تقع قرب المدينة (المنورة). وكانت توجد هناك أيضاً أملاك لعشائر شريفة أخرى من العقيليين والجعفريين. في البداية كان نفوذ العلويين أضعف من نفوذ خلف أصحاب النبي، وبقي الأمر كذلك إلى أن قضي على هذه الفئة في معركة الحرّة(*) (683م) وفي المعارك حول مكة (692م). بعد ذلك تمكن العلويون هنا أيضاً من ملاحقة أهدافهم السياسيين. ولكنهم سرعان ما اكتشفوا أن القرارات السياسية الكبيرة لم تعد تتخذ في موطنهم الحجاز منذ أن انتقل مركز الدولة إلى العراق، وهذا ما حدث، على سبيل المثال، مع محمد النفس الزكية (145هـ/ 762م ـ 763م). كما أن تصرفات العلويين في الحجاز[1] اتخذت بعد ذلك طابعاً آخر أيضاً: كانت تصرفاتُ شبابٍ متوحشين لجأوا إلى السلاح لأنهم شعروا بإهانة كرامتهم كطبقة نبيلة، أو لأن المكان ضاق بهم وأصبحوا بحاجة إلى الأرض والغذاء، وأخذوا على رأس مجموعة من البدو ينهبون الحجاج وسكان المدن. وتندرج في هذا الإطار ثورة الحسني حسين بن علي "شهيد الفخ" من ينبع (169هـ/ 786م)[2] وثورة اسماعيل بن يوسف الأخيضر (865م). أحس اسماعيل، وهو حسني من المدينة، بأن حاكم المدينة يحرمه من حقوقه. فجمع حوله جماعة من البدو ونهب إبل الضرائب «الزكاة» التي كانت مجمعة قرب روحا (على مسافة غير بعيدة من المدينة). ثم نهب بعد ذلك بالشراسة المألوفة في مثل هذه الثورات كلاً من مكة وجدة والمدينة. لكنه أصيب في العام التالي بمرض الجدري ومات. فتولى قيادة الجماعة أخوه الأكبر محمد الذي انسحب إلى اليمامة،

(*) وهي الواقعة المعروفة بوقعة الحرّة. وكانت وقعة عظيمة وقتل فيها خلق كثير من الناس من بني هاشم وسائر قريش والانصار وغيرهم. كما يقول المسعودي وغيره من مؤرخي الإسلام والحرّة هي موضع معروف بالمدينة المنورة، حدثت هذه الواقعة بعد مجزرة كربلاء سنة 61هـ وفي زمن يزيد بن معاوية. (ماجد شبّر).

(1) تصرفات الرجلين العلويين، اللذين أرسلهما القائد العسكري الشيعي أبو السرايا في عام 199هـ/ 815م إلى الحجاز، غير مشمولة بحديثنا هنا لأنهما كانا غريبين من الكوفة؛ إلا أن الرجل الصنيعة، محمد الديباج، الذي نصبه أحدهما خليفة في مكة كان من الحسينيين المحليين.

(2) سنوك ـ هورغونيه، مكة، الجزء الأول، ص41 وما بعدها.

بعد هزيمته أمام جيش الخليفة، وأسس هناك إمارة امتدت حتى شرقي الجزيرة العربية ثم اندمجت في وقت لاحق في الدولة القرمطية. ويبدو أن آخر الأمراء كانوا يحكمون كأدوات في يد القرامطة. وقد أصبح الحاكم الثالث حفيد محمد، واسمه اسماعيل بن يوسف، حاكماً على الكوفة بعد أن احتلها القرامطة عام 313هـ/ 926م. وبقيت العائلة موجودة بعد سقوط القرامطة وكانوا يعيشون تحت اسم بني يوسف في اليمامة[1]. نتيجة البلبلة التي حدثت في العهد القرمطي أصبحت الطريق مفتوحة أمام العلويين في الحجاز أيضاً.

في المدينة كانت السلطة الفعلية، قبل هذه المرحلة، في أيدي العائلات الشريفة. ففي عام 266هـ/ 879م ـ 880م نجد هناك جعفرياً في منصب "القيّم بأمر المدينة"[2] كان نفوذه يصل حتى وادي القرى. وبعد وفاته حصلت خلافات حول الحكم، وأخيراً تولاه رجل من الحسنيين. وقد نجح في محاربة موجة الغلاء التي نجمت عن الاضطرابات وذلك بأن كفل لتجار الديار، مرفأ المدينة آنذاك، جلب بضائعهم وأعفاهم من الضرائب، وكوفىء على ذلك بأن نُصّب حاكماً على المدينة. بعد ثلاثة أعوام حدث نزاع جديد بين العائلات النبيلة[3]. وكان الجعفريون المنتصرين هذه المرة حيث حرروا حاكم المدينة، وهو أمير عباسي، الذي كان يحتجزه خصومهم الحسنيون والحسينيون. وفي نهاية عام 270هـ/ 884م

(1) بشأن اسماعيل بن يوسف الأكبر انظر المواقع المقتبسة عند سنوك، الجزء الأول، ص47، وبشأن بني أخيضر انظر فوستنفلد، الجدول زد 29 ـ 33؛ ابن خلدون، الجزء الرابع، ص98 وما بعدها؛ المسعودي، مروج الذهب، الجزء السابع، ص403؛ المسعودي تنبيه، ص381؛ سنوك، الجزء الأول، ص37. أيوب صبري، الجزء الثالث، ص55 وما بعدها، يذكر 13 رجلاً (ابن خلدون 5 رجال) حكموا جميعاً 99 سنة، الثلاثة الأوائل في اليمامة، البقية أيضاً في الحجاز. الإدعاء الأخير خاطىء: باستثناء اسماعيل بن يوسف الأكبر، الذي يعتبره مؤرخو مكة حاكماً، لم يحكم أي من بني أخيضر في مكة. أما سلسلة الحكام التي يذكرها صبري وعلاقة النسب فيما بينها فلا نستطيع الحكم عليها بسبب قلة المعلومات المذكورة عنها عند ابن خلدون، وهو المصدر الوحيد. وأما عدد السنين (99 سنة) فقد يكون صحيحاً لأن بني أخيضر كانوا عند كتابة "مروج" (943؟)، المسعودي، نفس المصدر، ما زالوا في الحكم.

(2) ليس واضحاً ما هو هذا المنصب "القيم بأمر المدينة".

(3) الطبري، الجزء الثالث، ص1941، 2031، 2105.

دخل إلى المدينة أثنان من الحسينيين ومارسوا فيها أعمال العنف والإرهاب على مدى أربعة أسابيع. وليس معروفاً بالضبط كيف تطورت الصراعات الحزبية في المدينة بعد ذلك. في عهد الخليفة المقتدر (908م ـ 935م) أعلن الثورة هناك رجل من الحسنيين اسمه محمد بن موسى الثاني من فرع العائلة المقيم في السويقة[1]. ومنذئذ يبدو أن الحسنيين انطفأوا هناك وبعد ذلك أرغم الجعفريون على مغادرة المدينة، وبقي الحسينيون وحدهم فيها[2].

كان معظم الأشراف يعيشون، وما زالوا، في الريف، ولكن ليس كملاك أراضي، كما كانوا سابقاً، وإنما كبدو. كان الحسنيون يشكلون قبيلة تضم 700 خيمة وتمتد من الساحل نحو الداخل حتى ودّان (في منطقة مستورة الحالية). وكانت الفرع مع أراضيها الغنية ملكاً للجعفريين. كان الجعفريون في صراع مع الحسنيين، لكنهم خضعوا في النصف الأول من القرن العاشر "الميلادي" لحرب الذين قدموا إلى المنطقة وسلبوهم أملاكهم[3]. وأخيراً غادروا موطنهم وهاجروا عبر البحر الأحمر إلى مصر حيث ما زال الجعافرة منتشرين حتى اليوم[4].

بينما نستطيع تكوين صورة تقريبية على الأقل، عن الظروف التي سمحت للحسنيين بتأسيس حكمهم في المدينة في نهاية القرن العاشر "الميلادي"، فإن هذا غير ممكن بالنسبة لمكة حيث استولى على الحكم في بداية النصف الثاني من القرن نفسه الحسني جعفر، أحد أحفاد محمد بن موسى الثاني.

بعد أن استعرضنا في هذا المقال بداية انتشار السلطة الشريفية في غربي الجزيرة العربية سنعالج في المقال القادم الأسرة الحسنية الحاكمة في مكة وسنتعرض في المقال الذي يليه باختصار إلى بعض الأسر الشريفية الأخرى.

---

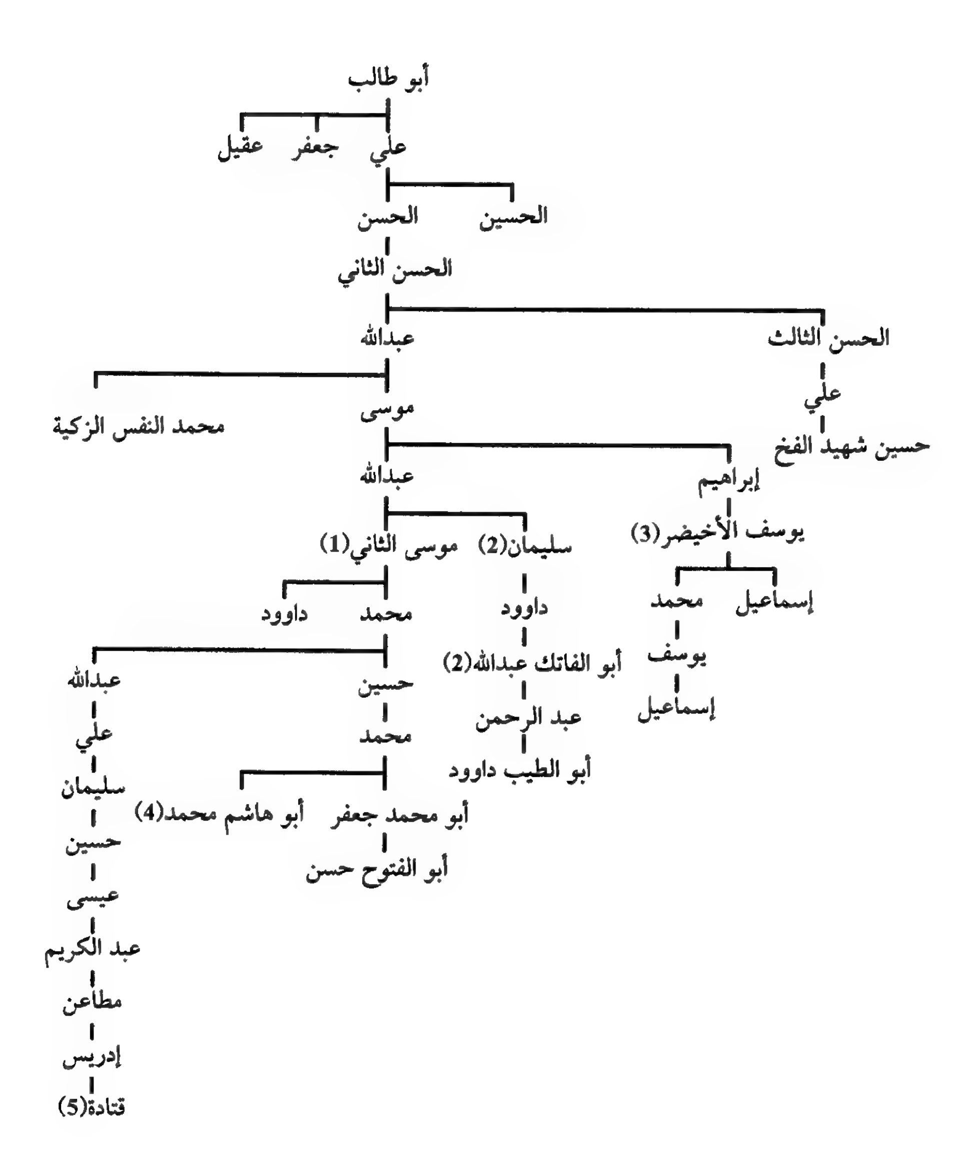
(1) انظر ص516 وما بعدها.

(2) سنوك، الجزء الأول، ص57 وما بعدها؛ ابن خلدون، الجزء الرابع، ص109.

(3) البلخي ـ الأصطخري (النصف الأول من القرن العاشر) ص21 وما بعدها. انظر ابن حوقل، ص28 وما بعدها؛ المقدّسي (النصف الثاني من القرن العاشر)، ص77، ثم الصفحة 498 أعلاه.

(4) ابن خلدون، نفس المصدر؛ موري، ص297.

مشجرة نسب أشراف مكة رقم 1



ملاحظات حول مشجرة نسب أشراف مكة رقم 1

1 ـ جد الأسرة الحاكمة الأولى في مكة (موسوي).

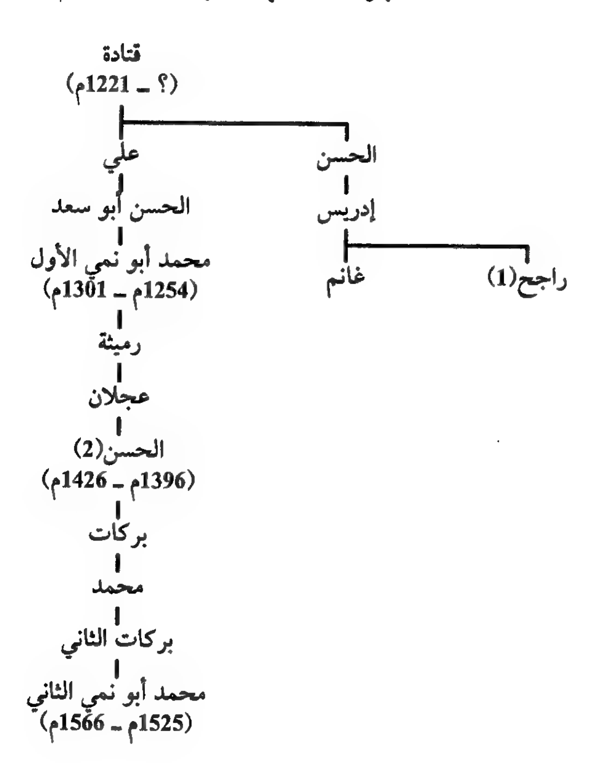
2 ـ جد الأسرة الحاكمة الثانية في مكة (سليماني، فاتكي، بني أبي الطيب).

3 ـ جد بني أخيضر.

4 ـ جد الأسرة الحاكمة الثالثة في مكة (الهواشم).

5 ـ مؤسس الأسرة الحاكمة الرابعة والأخيرة في مكة.

مشجرة أنساب أشراف مكة رقم 2



ملاحظات حول مشجرة أشراف مكة رقم 2

1 ـ جد أشراف ينبع

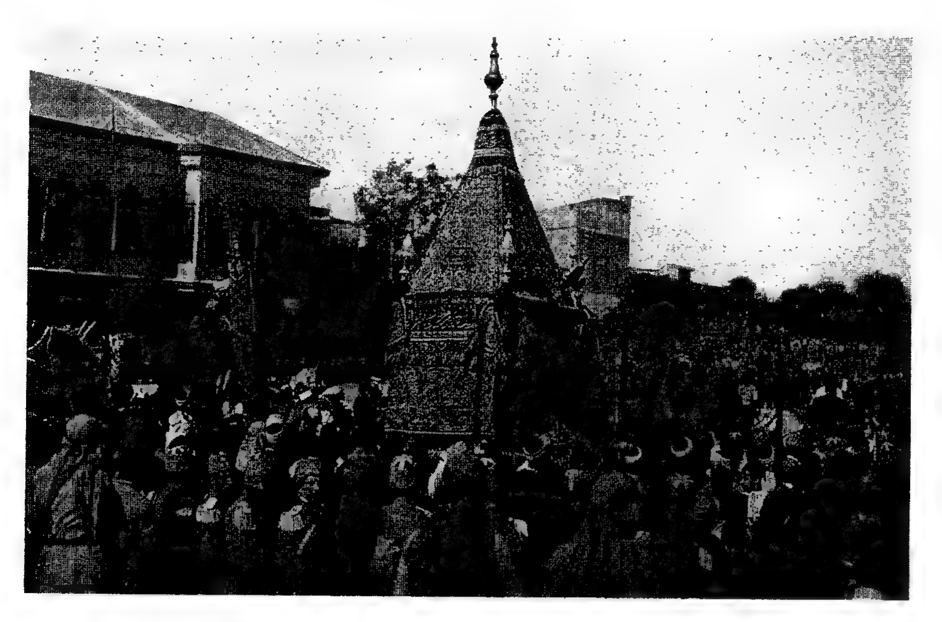
2 ـ جد ذوي حسن (11 في الجدول)

أشراف مكة

لقد عالج سنوك ـ هرغرونيه (Snouck - Hurgronje) تاريخ مكة بطريقة ممتازة بحيث أننا سنكتفي بإعادة أهم المعطيات باختصار مع بعض الإضافات التكميلية البسيطة.

في عام 961م احتل الشريف أبو محمد جعفر مكة المكرمة وأسس الأسرة الحاكمة "الموسوي" التي حكمت مكة نحو 100 عام بعضها تحت الحكم الفاطمي كسلطة مركزية عليا وبعضها تحت الحكم العباسي. ولقد تعرفنا في الجزء الأول من هذا الكتاب ص500 من بين خلفائه على ابنه أبو الفتوح حسن (994م ـ 1039م). وبعد مرحلة قصيرة أقامت فيها عائلة سليمان (تسمى أيضاً فاتكي أو بني أبي الطيّب)، "أخو" الموسوي، في مكة نظام حكم شريراً، نصّب أمير اليمن آنذاك، علي بن محمد الصليحي وهو من أتباع الفاطميين، في عام 1063م فرعاً جانبياً من الموسوي، فرع الهواشم، أمراء على مكة. فتابع هؤلاء اللعبة السياسية لسابقيهم وإن كان النفوذ المصري الفاطمي أصبح مع مرور الزمن أقوى من النفوذ العباسي السلجوقي. وعندما أصبحت القاهرة عام 1169م، واليمن عام 1174م، تحت حكم الأيوبيين تمّ تضييق صلاحيات الهواشم إلى حد ما. بعد عام 1200م بفترة قصيرة أنهى قتادة، وهو أيضاً من أحفاد موسى الثاني الذي كان قد وسع سلطته انطلاقاً من ينبع، المقر القديم لأسرته، لتصل إلى صفرا وكوّن لنفسه في مكة مجموعة كبيرة من الأتباع، أنهى حكم الهواشم. وكان لقتادة نظرة أبعد من نظرة أسلافه. فهو لم

يحقق هدفه في توحيد الحجاز، ولم يطبق خلفاؤه نصيحته بعدم الانغماس عميقاً في التعامل مع القوى الأجنبية. لكنه على الرغم من ذلك لم تذهب جهوده عبثاً؛ فالأسرة التي أسسها حكمت في مكة، وفي وقت متأخر في المدينة أيضاً، حتى عام 1924م/ 1925م. كاد أبناؤه وأحفاده من بعده أن يضيعوا بسبب الصراعات العائلية الحكم والجاه الذي ورثوه، وحصلت القوى الحامية، في البداية اليمن وبعد ذلك مصر، على نفوذ مخيف في الحجاز. لكن الحفيد الثاني لقتادة، محمد أبا نمي الأول، أعاد تمتين سلطة الأسرة خلال فترة حكمه الطويلة (1254م ـ 1301م). ثم عاد الصراع العائلي من جديد في عهد خلفاء أبي نمي إلى أن جاء حفيده الثاني حسن بن عجلان (1396م ـ 1426م) الذي سيطر على الوضع ولم يكن أحد يطعن في سلطته. وفي الأجيال الخمسة التالية انتقل الحكم، بصرف النظر عن بعد الانقطاعات الصغيرة، عبر خط تسلسلي مباشر.



قافلة الحج الى مكة مع المحمل عند خروجها من دمشق (1915م).

عندما قضى السلطان سليم في عام 1517م على حكم المماليك في مصر، قوة الحماية الوحيدة للحجاز بعد إبعاد اليمن، كان قاضي قضاة مكة موجوداً بمحض الصدفة في القاهرة. فكرمه السلطان التركي أبلغ التكريم. فعاد على الفور إلى مكة وأبلغ الأمير الحاكم آنذاك، بركات الثاني، بذلك. فأرسل بركات ابنه، محمد أبو نمي الثاني(*)، إلى القاهرة ليشارك في المبايعة. وهكذا حدث تبدل القوة الحامية دون أي مشاكل، وأدى الإحترام الذي جلبته فتوحات السلطان سليم لأشراف مكة إلى استتباب الهدوء فيما بينهم. ولكن عندما ضعفت القبضة التركية في بداية القرن السابع عشر نشب خلاف عائلي حاد بين الأشراف. أسفر الصراع عن تمكن ثلاث عائلات، العبادلة، وذوي زيد، وذوي بركات، وجميعهم من خلف محمد أبي نمي الثاني(*)، من فرض حقها في الحكم. وكان معظم الحكام الذين جاؤوا بعد ذلك من بني زيد. وفي نهاية القرن الثامن عشر بدا أن السلطة أصبحت مضمونة لهذه الأسرة.

قبل أن نتحول إلى المرحلة الأخيرة من حكم الأشراف، نود إلقاء نظرة قصيرة على أشكال العلاقات المتميزة التي طورتها هذه الدولة ضمن الدولة خلال حكم دام قرابة ألف عام. لننظر أولاً إلى علاقة الأشراف مع رؤسائهم في السلطة المركزية العليا. لم يُحدد أبداً مركز أمير مكة قانونياً، وكان على الصعيد العملي يتأرجح بين الأمير المستقل استقلالاً تاماً تقريباً وبين الموظف غير المطيع. ولم يطالب أمراء مكة أبداً بحق السيادة. فطالما كان هناك خلافتان أو عدة دويلات تسعى إلى حكم مكة، كانوا يعترفون بالسيادة لمن يدفع أكثر، أو ينتظرون حتى يحسم السيف الخلاف بين الأطراف المتنازعة. كل ما كان يهمهم هو السلطة الفعلية فقط، وهذه السلطة كانت بكاملها في يدهم في مطلع العصور الوسطى، باستثناء بعض الفترات القصيرة التي كانت فيها مكة تحكم من اليمن. وعندما أصبحت مصر، بعد سقوط الخلافة في بغداد، القوة المهيمنة في شبه الجزيرة

(*) أحمد وليس محمد (المصدر سمط النجوم العوالي ج4 ص334 الملك العصامي) وإليه تنتمي العوائل الحسنية في العراق كآل السيد عيسى والحيدري وآل هادي وآل حمندي كما ذكرها الوردي (لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث ملحق ج6 ص25) (ماجد شبّر).

العربية تحولت علاقة الارتباط الضعيف إلى علاقة تبعية متينة. لم يعد في وسع أشراف مكة الآن الإيقاع بين الحكام المحليين المتخاصمين بل أصبح يتعين عليهم التماس القاهرة لتعيينهم أو للمساعدة ضد منافس أو خصم محلي، وأحياناً شراء ذلك بالمال[1]. علاوة على ذلك حصلت مصر على عدد من حقوق السيادة، في البداية في الإدارة الجمركية في جدة (828هـ/ 1425م). في بادىء الأمر كان مدير الجمارك واحداً من طبقة الأشراف، وبعد ذلك رجل من المماليك. وبالطبع كان حجم هذه الوظيفة يكبر ويصغر حسب الشخص الذي يتولاها؛ فقد كان جان بك الظاهري، منذ عام 849هـ/ 1445م ممثل دائم تقريباً في جدة، يسيد ويميد وكأنه نائب الملك في الحجاز[2]. وفي عام 842هـ/ 1438م أرسل مملوكي إلى الحجاز ليتولى وظيفة "ناظر الحرمين"، وكانت مهمته في البداية حراسة المباني فقط؛ ولكن هذه المهمة تطورت أيضاً إلى منصب دائم لم يكن، كما يتبين من التعيين اللاحق لرجال الدين، منصباً سياسياً[3].

في العهد المملوكي أيضاً لم يتحدد الوضع القانوني لأمير مكة بشكل واضح ودقيق[4]. كانت له نفس مرتبة الأمراء البدو الكبار، وكان يعيّن مثلهم بموجب "تقليد"[5] ويحصل على حلة فخرية (انظر الجزء الأول، ص513). وكانت كلا

---

(1) انظر: أبو المحاسن، نجوم، الجزء السادس، ص595، 611؛ الجزء الثالث، ص465.

(2) أبو المحاسن، الجزء السادس، ص583، 678، 684 وما بعدها؛ الجزء السابع، ص143، 181، 208 وما يليها، 464، 778. كان هذا الموظف يحمل في البداية لقب "ناظر" ثم لقب "شادّ" و"مشدّ" وهما بنفس المعنى، متكلم (علىٰ) وبصورة عامة "نائب" اكتشف هذا المورد المالي الجديد المملوك يشرك الساقي الأعرج الذي عاش فترة طويلة منفياً في مكة واطلع بدقة على الظروف السائدة هناك.

(3) أبو المحاسن، الجزء السابع، ص55، 465.

(4) يتردد أبو المحاسن في تحديد المكان الذي يضعها فيه في قائمة الموظفين التي يضعها في بداية كل عام في حولياته. مرة يضعهم في حقل "النواب"، أي نواب الملك، ومرة أخرى في حقل "ملوك الأقطار"، أي الحكام الأجانب، انظر الجزء الخامس، ص3، 586؛ أبو المحاسن، حوادث الدهور، ص248، 345، 434، 505، 546.

(5) صبح، الجزء الحادي عشر، ص104.

الشارتين تقدمان له سنوياً عند أداء فريضة الحج علامة على تثبيته في منصبه.

عندما جاء العثمانيون ساروا على خطى المماليك في الحجاز. جدة، التي كانت قد أقطعت في عام 1511م لأمير مملوكي لقاء نشاطاته العسكرية في البحر الأحمر ضد البرتغاليين، أصبحت تحت الحكم العثماني سنجقاً[1]. وكان أول من تولى هذا المنصب تاجر مكي كان موجوداً في مصر عندما دخلها السلطان سليم[2]. وفي عام 1646م تم توحيد منصب شيخ الحرم، الذي كان يتولاه حينئذٍ موظف بمرتبة أدنى، مع منصب سنجق باي جدة، وكان هذا الإجراء تجديداً هاماً. وأرسلت إلى مكة حامية من الجنود الإنكشاريين. فيما عدا ذلك بقي كل شيء كما كان؛ فقط "التقليد" صار اسمه الآن "فرمان"، وصار المحمل السوري يتقدم على المحمل المصري.

وكما أن مركز شريف مكة لم يكن محدداً بدقة فإن منطقته لم تكن محددة أيضاً كانت جدة تابعة لها دوماً، ومنذ عهد قتادة الطائف وحلي أيضاً[3]. أما ينبع، مدينة قتادة، فقد كانت في أواخر العصور الوسطى تحت سلطة خط جانبي من أسرته، وكذلك بعض القرى الواقعة على الساحل. وأما المدينة (المنورة) نفسها فلم تكن تابعة لمكة أبداً إلا لفترات عابرة. يضاف إلى هذه المنطقة الخاضعة لحكم أمراء مكة مباشرة منطقة نفوذ تصل في الجنوب حتى غامد وزهران، وفي الجنوب الشرقي حتى بيشه[4] وتربة، بينما كانت في الشرق غير محددة. بطبيعة الحال لم يكن من الممكن هنا المحافظة على نفوذ الأمراء إلا عن طريق الغزو وعقد التحالفات مع البدو، الأمر الذي كان في بعض الأحيان ضرورياً أيضاً بالنسبة للمناطق المجاورة لمكة.

من أجل المحافظة على النظام كان لدى الأشراف منذ ما قبل قتادة حرس من

(1) حوليات مكة، الجزء الثالث، ص245.

(2) حوليات مكة، الجزء الثالث، ص284؛ جهان نوما، ص549.

(3) الحدود الجنوبية أعيدت إلى الوراء لفترة مؤقتة، انظر حوليات مكة، الجزء الثاني، ص73.

(4) انظر هاندبوك، الجزء الأول، ص465.

العبيد، ومنذ أواخر القرون الوسطى، قوة عسكرية دائمة من المرتزقة الذين كانوا يجندون من سكان اليمن الأشداء (الجبلية)، وفي وقت لاحق من منطقة بيشة (البيشية). أما للمعارك العائلية والغزو فكانوا يجندون البدو.

كانت الموارد المالية للأشراف تستند بصورة جوهرية إلى الأموال التي يبذلها المسلمون انطلاقاً من الشعور بواجب تقديم الدعم لأقدس المقدسات الإسلامية ولسكان وحكام المنطقة الموجودة فيها. كان الأشراف يفرضون ضريبة على جميع الأموال المقدمة بدافع هذا الشعور لخدمة المباني وتوسيع وتجميل الأماكن المقدسة ولخدمة الحجاج وتوفير الراحة لهم، وكذلك على التبرعات النقدية والعينية (حبوب) التي تقدم لأهالي مكة. كما كانوا يفرضون رسوماً عالية على فريضة الحج ذاتها. وبما أن هذه الضرائب والرسوم كانت تعيق الهدف الديني، كان الحكام المركزيون منذ صلاح الدين يطالبون بإلغائها، وذلك عن طريق إعطاء الأشراف تعويضاً عنها بصيغة منح مالية وعينية (حبوب) سنوية وبصيغة حصص من واردات الأراضي. وطالما كانت التجارة مزدهرة مع الهند كانت واردات الجمارك في مرفأ جدة كبيرة، وإن كان أمراء مكة صاروا منذ القرن الخامس عشر يتقاسمونها مع المصريين وفي وقت لاحق مع العثمانيين. وعندما ضعف هذا المورد إلى حد بعيد في مجرى القرن السادس عشر صار الأتراك يعوضون الأمراء بحصة من حاصلات الأراضي.

يجب على المرء أن يفترض أن هذا الدخل كان يكفي لجعل أشراف مكة يعيشون حياة رغيدة مثل الحكام المسلمين الكبار. لكن الأمر لم يكن كذلك لأنه كان يتعين عليهم تقاسم هذا الدخل مع أقربائهم. حسب نظام قديم، اعترف به المصريون وصاروا يراقبون تنفيذه، كان الشريف ملزماً بأن يقبل الإبن والعم والخال والأخ وابن العم شركاء في الحكم ويعطيهم بالتالي ربع أو نصف الدخل. ومع مرور الزمن اتسعت دائرة المستفيدين، لأن جميع فروع العائلة، الذين حكموا في يوم من الأيام، كانوا يطالبون بحصة من الدخل، بحيث لم يبق في النهاية للأمير سوى الربع.

ساهم هذا النظام في تقوية التضامن بين أفراد عائلة قتادة. وتجدر الإشارة إلى أن شعور الانتماء المشترك «العصبية القبلية» لم ينعدم أبداً لدى الأشراف على الرغم من كل الخلافات والمناحرات. وهذا دليل على البنية الهيكلية البدوية للمجتمع الشريفي، الأمر الذي كان بوركهاردت (رحلات في الجزيرة العربية، الجزء الأول، ص422) أول من أشار إليه. وبالفعل فإننا نفهم العلاقة بين زعماء الأشراف المختلفين على أفضل وجه، إذا ما اعتبرنا الشريف الحاكم بمثابة شيخ المشايخ (الشيخ الأكبر) وزعماء بقية فروع العائلة بمثابة شيوخ القبائل الفرعية (البطون والأفخاذ)، واعتبرنا مكة الواحة التي تتنازع الأطراف المختلفة على محصولها، لكنها تتصالح بعد ذلك من جديد.

بعد هذا الخروج القصير عن الموضوع نعود إلى موضوعنا الأساسي. في نهاية القرن الثامن عشر وجد نفسه شريف مكة في وضع لا مثيل له منذ سقوط الدولة القرمطية. في وسط الجزيرة العربية حلت محل الإمارات الواحية الصغيرة والقبائل البدوية المستقلة دولة آل سعود التي أخذت تتوسع دون توقف نحو جميع الاتجاهات مدفوعة بتعاليم الحركة الوهابية. وكما هو الحال عادة في جميع أنحاء العالم، عندما تصعد قوى جديدة، لم يدرك أشراف مكة الخطر إلا في وقت متأخر ولم يقدموا في الوقت المناسب المساندة لأمراء وقبائل وسط الجزيرة العربية قبل أن يبتلعهم الوهابيون. صحيح أن الحملات التي أرسلها غالب، أمير مكة آنذاك، منذ شتاء 1790م/ 1791م إلى وسط الجزيرة العربية، إلى أقاليم الوشم والسر ووادي الدواسر، أدت إلى انفصال أجزاء من المطير وقحطان عن الوهابيين، لكن نجاحها لم تكن له صفة الديمومة. ولم يصمد اتفاق مع الوهابيين يقضي بترك الحجاز لأمير مكة (1799م) زمناً طويلاً لأنه لم ينص على منع الدعاية الوهابية الدينية في المنطقة. فعندما وصلت هذه الدعاية إلى المناطق الحدودية الجنوبية للحجاز، بيشة وعسير، نشبت هنا صراعات مختلفة (1800م ـ 1802م). وفي هذا الوقت تخلى عثمان المضايفي، صهر أمير مكة ورئيس قبيلة عدوان، عن سيده وانضم إلى صفوف عدوه. وبفضل العون الذي قدمه للوهابيين سقطت الطائف في بداية عام 1803م.

وبعد وقت قصير اضطر غالب إلى ترك مكة، وإذا ما كان قد تمكن من العودة إليها في صيف العام نفسه، فإن وضعه كان يائساً ما لم يتلقىٰ معونة من الأتراك. ولم يكن الباب العالي متقاعساً بأي حال عن تقديم الدعم، لكنه لم يكن يملك الوسائل اللازمة لذلك: ففي مصر[1] كانت تسود منذ انسحاب الفرنسيين حالة الفوضى، والعراق كان هو نفسه مهدداً من الوهابيين. كانت المساندة الوحيدة التي تلقاها غالب حفنة من الجنود وضعها تحت تصرفه أمير قافلة الحج السورية في ربيع عام 1804م وتركها عنده حتى موسم الحج القادم. على الرغم من ذلك لم يتبع غالب خطى أقربائه الذين خضعوا للوهابيين بالجملة ولم يستسلم حتى عام 1806م بعد حصار مكة مدة سبعة أشهر. فتركه الوهابيون في منصبه وتركوا له سلطته كاملة تقريباً (مع قوات خاصة به).

بعد إعادة احتلال الحجاز[2] توقع غالب أن يعترف المصريون الأتراك بحقوقه كاملة لأنه أقام اتصالات مبكرة معهم وساعدهم على الاستيلاء على ينبع وجدة ومكة. على الرغم من ذلك لم يثق بمحمد علي عندما زار الجزيرة العربية عام 1813م. وقد أكدت الأحداث صحة ارتيابه: فقد اعتقل بطريقة مهينة وعُيّن مكانه ابن أخيه يحيى بن سرور.

وضع الاحتلال المصري (1812م ـ 1840م) إمارة مكة في حالة من التبعية الشديدة لم يسبق لها مثيل. فلم يعد الأمير هو الحاكم الفعلي وإنما أصبح المحافظ الذي يعينه محمد علي.

عندما استولى الأتراك مجدداً على الحجاز، بعد سقوط سياسة محمد علي الطموحة، تركوا أمير مكة آنذاك، محمد بن عبد المعين بن عون، في منصبه. كان محمد بن عون ينحدر من أسرة العبادلة التي تقاسمت السلطة في القرن السابع عشر

(1) الباشاوات الذين عُينوا آنذاك لسنجق جدة كانوا جميعاً ينتسبون إلى الجيش المصري، وكان أخرهم محمد علي الذي لم يلتحق؛ منجن، الجزء الأول، ص12، 24، 32، 40، 159.

(2) انظر ص325 وما بعدها. المصادر: بوركهاردت، منجن، الجبرتي.

مع ذوي زيد وذوي بركات. وبعد اشتراكه في المعارك التي دارت في عسير عينه محمد علي أميراً لهذه المنطقة. وفي عام 1824م ذهب إلى القاهرة وكان لم يزل موجوداً هناك عندما حدثت في عام 1827م اضطرابات في مكة. إذ كان محافظ مكة قد عزل يحيى بن سرور غير المطيع وعيّن مكانه عبد المطلب، بن غالب. لكن محمد علي قرر إنهاء سلطة ذوي زيد الذين حكموا مكة 50 عاماً متواصلة، وأرسل إليها عام 1827م محمد بن عون الذي كان محتمياً عنده. نظراً لسلوكه الذكي المتحفظ وعلاقته الجيدة مع محمد علي، الذي ظل له تأثير على سير الأمور في الجزيرة العربية بعد عام 1840م أيضاً، تمكن محمد بن عون من البقاء في الحكم فترة طويلة نسبياً. في عام 1851م تعين عليه التنحي أمام مكائد عبد المطلب الذي كان موجوداً في القسطنطينية منذ 20 عاماً. لكن عبد المطلب، الإبن الأصيل لذوي زيد المشاكسين، سبب للأتراك مصاعب جمة مما جعلهم يتخلون عنه بعد خمسة أعوام ويعيدون محمد بن عون إلى المنصب. وعندما توفي ابن عون عام 1858م خلفه ابنه عبد الله قام عبد الله (1858م ـ 1877م) بتوحيد مهارات أبيه السياسية والعسكرية مع المعارف والخبرات التي كان قد اكتسبها خلال إقامته الطويلة في القسطنطينية. جاء بعده أخوه الطيب حسين الذي راح للأسف ضحية عملية اغتيال عام 1880م.

في هذا الوقت كان الأخوان الأصغران من ذوي عون موجودين في القسطنطينية للحصول على التأهيل العصري الذي أصبح مطلوباً في عصر الإصلاح؛ إذ كانت قد جرت العادت أن يقيم الإبن البكر للشريف الحاكم أو أخوه في القسطنطينية. فكما كان عبد الله هناك خلال فترة حكم أبيه الثانية، كان حسين في القسطنطينية خلال حكم أخيه. وعندما أصبح حسين أميراً أرسل أخوه الأصغر عون الرفيق إلى البلاط العثماني. في القسطنطينية كان الأشراف يضمون إلى دائرة كبار الشخصيات عن طريق منحهم لقب باشا وتعيينهم أعضاء في مجلس الدولة. لكن محاولة تحويلهم إلى عثمانيين لم تنجح إلا مع بعض أبناء العائلة من الأجيال اللاحقة.

وعلى أي حال فإن الإقامة الطويلة على ضفاف البوسفور لم يؤثر على العجوز

عبد المطلب الذي أرسله الباب العالي إلى مكة بعد وفاة حسين (1880م). فقد أعاد تطبيق أساليب الحكم التعسفي القروسطي التي كان يطبقها أسلافه مما أدى إلى اعتقاله بعد عامين. وعاش بعد ذلك حتى عام 1886م شبه سجين في مكة، وكان الناس يحترمونه إلى درجة التقديس رغم أفعاله السيئة.

كما أن خليفته عون الرفيق المذكور قبل قليل، والذي عاد ذوي عون معه إلى القيادة، أثبت أنه لم يتأثر بالأفكار الغربية. في البداية كان عنده وآل تركي قوي لكبح جماحه، ولكن بعد أن عينوا إلى جانبه والياً مطيعاً أطلق العنان لأسلوب حكمه التعسفي. فلم يقتصر الأمر على الزيادة المتواصلة للأعباء التي تثقل كاهل الحجاج، بل وقع عام 1904م هجوم على الحجاج المصريين عند أبواب مكة، لا بل إن القافلة المصرية الرسمية تعرضت عام 1905م قرب الحمرا لهجوم على طريق عودتها من المدينة. لقيت هذه الأحداث صدى قوياً في صحافة كثير من البلدان الإسلامية، وخاصة في القاهرة حيث عبر الكاتب الكبير إبراهيم المويلحي والشاعر أحمد شوقي عن الغضب العام الذي عم البلاد نتيجة ذلك[1]. توفي عون عام 1905م قبل أن تعطي موجة الاحتجاج مفعولها.

لا يمكن الادعاء أن الظروف تحسنت في عهد ابن أخيه وخليفته علي بن عبد الله[2]. بل بالعكس فقد هوجمت قافلة الحج المصرية مجدداً عام 1908م على الطريق من المدينة إلى ينبع[3]. وهذه المرة أيضاً لم يحدث أي شيء؛ إذ إن سقوط علي والباشا التركي(1908م) لم يكن بسبب الشؤون الحجازية وإنما بسبب تغير الحكم في القسطنطينية.

---

(1) مرآة الحرمين، الجزء الأول، ص64 وما بعدها؛ الجزء الثاني ص70 وما يليها، 128.

(2) عين أولاً أخو عون، عبد الإله، لكنه توفي قبل مغادرته القسطنطينية. علي، الذي كان قبل تعيينه يعمل "وكيل الأشغال" عند عون الرفيق، عاش بعد عزله في مصر حيث كان ذوي عون يملكون كثيراً من الأراضي بفضل هدايا محمد علي والخديوي عباس الأول؛ مرآة الحرمين، الجزء الأول، ص37، 65؛ شكيب أرسلان، ارتسامات، ص127.

(3) مرآة الحرمين، الجزء الثاني، ص210 وما يليها.

بصرف النظر عن مثل هذه الحوادث غير المريحة فقد تغير في الحجاز خلال العقود الأخيرة كثير من الأمور. فمن الناحية الأولى تعززت مكانة الأتراك في بعض الجوانب، فقد نقل الحاكم ـ الذي أصبح يسمى والي الحجاز ـ مقره إلى مكة، وفي جدة وغيرها من المدن الساحلية (الموانىء) أصبحت الإدارة تركية، وأصبحت الجمارك منذ الاحتلال المصري في أيدي الأتراك، وفتحت محاكم تركية (دنيوية) إلى جانب محاكم الشريف. ولكن من الناحية الأخرى ازداد نفوذ الأمير: في السابق كانت سلطة الشريف الأكبر (الشريف الحاكم)[1] تنتهي عند حدود سلطة أشراف أقوياء آخرين. ولكن هذا الحاجز سقط منذ أن أصبح خصوم الشريف الحاكم يبعدون من الحجاز. كما أن سلطة الشريف الحاكم على رعاياه العاديين لم تكن سلطة مطلقة. فالمنظمات والهيئات التي كان سكان مكة منضمين إليها، الأسياد «السادة» (انظر مقال: قبائل الأشراف، في نهاية الفصل) والجمعيات المهنية، الأحياء والمستوطنات الأجنبية كانت تدير نفسها ذاتياً، كانت دون شك خاضعة للشريف ومرتبطة به، ولكنه لم يكن يستطيع أن يفعل بها ما يشاء. ودستور الولاية، الذي بدأ تطبيقه عام 1869م ونص على وجود مجالس بلدية ودوائر تابعة لها في أحياء المدن، لم يلغ المنظمات والهيئات الإدارية القروسطية، لكنه أفرغها شيئاً فشيئاً وقوى بذلك سلطة الشريف الحاكم.

كان لهذا التحول تأثير حاسم على المرحلة الأخيرة من تاريخ الأشراف. فلو كان يوجد في مكة منافس قوي للشريف حسين لما استطاع أبداً تنفيذ اللعبة التي لعبها، ولو كان أهالي مكة يثقون بالإصلاحات التركية لما انضموا إلى ثورة عام 1916م.

بعد ثورة تركيا الفتاة (24 يوليو/ تموز 1908م) حدثت تغيرات كبيرة في جهاز

---

(1) مما يعبر عن تغير موقف شريف مكة من أقربائه منشور صادر عن "سيِّد" حضرموتي عام 1316هـ/ 1899م، ومنشور آخر صادر عن مدير أعمال عون سابقاً وأمير البدو في جدة، مرآة، الجزء الثاني، ص275 وما يليها.

الموظفين راح ضحيتها أيضاً شريف مكة علي بن عبد الله. ووقع اختيار الأتراك الجدد على ابن أخ آخر لعون الرفيق، هو حسين بن علي[1]، الذي كان يعيش منذ عام 1893م مع أبنائه الثلاثة، علي وعبد الله وفيصل، في القسطنطينية[2]. وكان السلطان عبد الحميد فقد في السنين الأخيرة الثقة به لأنه كان يشتبه في أنه يقيم علاقات مع السفارة البريطانية ولذلك كان يعارض تعيينه. ولم يتمكن حسين من إقناع السلطان بوفائه له إلا في المقابلة الوداعية. وفي الحقيقة فإن بريطانيا دعمت سراً ترشيح حسين وكان نفوذها في القسطنطينية قوياً جداً في الأشهر الأولى بعد الثورة التركية وذلك بفضل كامل باشا، الوزير التركي الأول الموالي لها، وبسبب الميول "الديمقراطية" لحزب تركيا الفتاة.

حاول حسين في البداية تعزيز سمعة ومكانة الإمارة في الجزيرة العربية نفسها. وأرسل لهذا الغرض عام 1910م حملة إلى نجد لتتدخل في الصراع الدائر بين ابن رشيد وعبد العزيز آل سعود لصالح ابن رشيد. ووصلت قواته إلى الشعرة في السر وأرغمت ابن سعود، على الرغم من أنه كان في هذه الأثناء قد عقد صلحاً مع ابن رشيد، على الاعتراف بسلطة مكة على قبائل العتيبة وبحق الشريف في جباية الضرائب في القصيم[3]. ولكن هذا الاعتراف بقي دون نتائج عملية بسبب أحداث التهامة وحالت عسير، وعدم تمكن حسين من تطبيق الاتفاقية بالقوة. وكان محمد الإدريسي، وهو رجل من أصل مراكشي كان يحكم عائلة أشراف مقيمة منذ مائة

---

(1) بخصوص الظروف السائدة في الحجاز وبداية الثورة العربية خلال الحرب العالمية انظر: ج. أنتونيوس، "النهضة العربية"، لندن، 1938م، لكن الكتاب مكتوب من وجهة النظر الهاشمية، أي من وجهة نظر شريف مكة، ويبالغ في بعض الحالات في إبراز المصالح الإنجليزية. وبما أنني أنا شخصياً كنت خلال الحرب أتدخل في الشؤون العربية التركية، فإنني سأعرض هذه المسائل اعتماداً على ما سجلته أنا شخصياً من ملاحظات.

(2) قام السلطان عبد الحميد شخصياً بجمعي عام 1894م مع الشريف حسين وقد زرته مراراً وتكراراً في قصره الجميل الواقع على البوسفور.

(3) حسب هاندبوك، الجزء الأول، ص110. لا بل إن مخبري الشخصي محمد بن بسام تحدث عن التزام ابن سعود بدفع ضريبة سنوية؛ انظر أيضاً، موزيل، شمال نجد، ص284.

عام تقريباً في صبيا، قد دحر الأتراك هنا في مرفأ قنفذة وفي بعض المواقع في وسط عسير، وهدد بذلك الحدود الجنوبية لإمارة مكة. وبما أن مصالح حسين كانت تتطابق هنا مع المصالح التركية فقد أرسل ابنه فيصل لتحرير الأتراك في إبها، القرية الرئيسية في منطقة الجبال. وكانت هذه الحملة ناجحة. ولكن هنا أيضاً لم تتحقق نتائج مستديمة لأن الإدريسي حصل خلال حرب طرابلس على أسلحة من الطليان ولأن الأتراك كانوا في أمس الحاجة إلى إرسال قواتهم إلى البلقان[1].

في الوقت الذي كان حسين مهتماً بما يجري في الجزيرة العربية كان يتابع باهتمام الأحداث الجارية في القسطنطينية التي كان ابنه عبد الله ـ النائب عن مكة في البرلمان التركي ـ وأخوه ناصر[2] يخبرانه بها باستمرار. ولم يصله من هناك ما يدعو إلى السرور، إذ إن توجه تركيا الفتاة نحو الحداثة كان يتعارض مع تدينه المحافظ[3]، والميل المتزايد إلى المركزية في السياسة الداخلية قضى على أمله في حصول إمارة مكة على المكانة شبه المستقلة التي كانت تتمتع بها في عهد أسلافه. لا بل إن الأتراك الجدد كانوا يريدون تخفيض مركز الحجاز إلى مقاطعة عادية. ولهذا الغرض كان من المقرر إيصال الخط الحديدي حتى مكة وفرض التجنيد الإجباري في الحجاز. وإذا ما عارض حسين هذه الخطط فقد كان الأتراك ينوون عزله وتعيين الشريف علي حيدر خليفة له، وهو حفيد الشريف عبد المطلب من ذوي زيد وكان أخوه جعفر عضواً نشيطاً في جمعية تركيا الفتاة. وكان كلا الأخين قد حصلا نتيجة إقامة أبيهما وجدهما الطويلة في تركيا على تربية تركية وأصبحا من الأتراك. وكان جعفر قد بدأ منذ عام 1910م، بمساعدة بعض أصدقائه المتنفذين في الحزب، بدس الدسائس ضد حسين لكي يعزل ويعين أخوه الأكبر محله. وكان

(1) هاندبوك، الجزء الأول، ص110، 141.

(2) انظر الملاحظة 14 المتعلقة بشجرة النسب رقم 3.

(3) علمت من خلال الأحاديث التي أجريتها عام 1915م مع فيصل (انظر أدناه) أن عزم الحكومة التركية على إعطاء الحياة في مكة منحى عصرياً بعيداً عن التدين سبّب لدى شريف مكة انزعاجاً كبيراً. وكان هذا أحد الأسباب التي أدت إلى ثورته على الأتراك فيما بعد.

يقنعهم بأن أخاه علي حيدر سيدير الأماكن المقدسة حسب أفكار جمعية تركيا الفتاة. كما أن شريف مكة السابق علي باشا (بن عبد الله) الذي كان يعيش في مصر كان يعرض نفسه خليفة لحسين.

وهكذا نشأت حالة من الاغتراب بين القسطنطينية ومكة. ولكن هذا العداء ظل كامناً في البداية ولم يظهر نحو الخارج. وقد حافظ حسين على مكانته المحترمة وكان يعمل حسب السياسة المكية القديمة. فقد عرف كيف يؤخر تنفيذ الخط الحديدي الحجازي عن طريق إثارة الإضطرابات بواسطة حرب، وعرف كيف يقنع الأتراك بأن فرض الخدمة العسكرية الإلزامية وتوسيع نطاق المحاكم التركية أمران غير قابلين للتنفيذ. كما أنه استطاع أيضاً التصدي بنجاح في بادىء الأمر لخطر العزل: في شتاء 1912م/ 1913م جاء إلى المدينة الشريفان علي حيدر وجعفر بهدف التوجه فيما بعد إلى مكة. وبدأ هناك على الفور بالتآمر ضد حسين وبإقامة علاقات مع سكان المدينة ومع القبائل الموجودة في محيطها. فأرسل شريف مكة على أثر ذلك إلى المدينة ابنه عبد الله والشريفين شريف وشاكر لمواجهة هذه التحركات التآمرية. وكان حضورهم حازماً وقوياً إلى درجة أن علي حيدر وجعفر عادا إلى القسطنطينية. وتجدر الإشارة إلى أنهما لم يتمكنا من كسب أي نفوذ أو الحصول على أي تأييد لأنهما لم يكونا يعرفان عادات البلد وكانا يتكلمان اللغة التركية أفضل من اللغة العربية[1].

في أول عام 1914م شن الأتراك حملة جديدة ضد الشريف حسين: أرسلوا الجنرال الفظ وهيب باشا والياً على الحجاز لكي يتخذ التحضيرات لعزل الشريف. ولكن القسطنطينية تراجعت في اللحظة الأخيرة وتنصلت من الوالي. أما أسباب هذا التحول فغير معروفة. لعل الحكومة التركية ابتغت من وراء ذلك تخفيف حدة التذمر في العالم العربي الذي كان غاضباً أصلاً بسبب محاكمة عزيز المصري

(1) هذه القصة غير مذكورة في المراجع ذات العلاقة. يتحدث بريموند (ص21) عن رحلة علي حيدر إلى المدينة ولكنه يضعها خطأ في عام 1915م.

(مارس/ آذار، أبريل/ نيسان 1914)[1].

في هذه الأثناء كانت قد نشأت شبكة من الإتصالات الواسعة النطاق. فقد كان عبد الله، الإبن الثاني للشريف حسين، قد زار في فبراير/ شباط وأبريل/ نيسان 1914م القاهرة دون علم أبيه، الذي أوفده في مهمة إلى القسطنطينية، وسأل هناك القائم بالأعمال البريطاني كيتشنر وسكرتيره للشؤون الشرقية، رونالد ستورز، عن موقف بريطانيا في حال إعلان أبيه الثورة وعن إمكانية تزويده بالأسلحة. وحاول أيضاً عن طريق الأمير محمد علي سؤال لندن مباشرة عن هذا الموضوع[2].

لم يجد عبد الله آنذاك أذناً صاغية. ولكن عندما اندلعت الحرب العالمية وظهر خطر اشتراك تركيا فيها أدرك كيتشنر الأبعاد الإيجابية لحدوث ثورة في الحجاز. فأوعز إلى الممثلية البريطانية في القاهرة، في سبتمبر/ أيلول 1914م، بإجراء مفاوضات مع الشريف حسين.

الآن تردد الشريف حسين. إذ إن الوضع، بالنسبة له أيضاً، كان قد تغير كلياً: فالدفاع عن تملك الإمارة بقوة السلاح لم يكن يتعارض مع الخط التقليدي للسياسة المكية، ولكن التحالف مع قوة مسيحية في اللحظة التي هددت فيها هذه القوة وجود الدولة العثمانية، زعيمة العالم الإسلامي ، كان يعني قطيعة مع ماض عمره ألف عام. ولم يكن من الممكن تبرير هذه الخطوة إلا إذا أقيمت دولة قيادية عربية محل الدولة التركية. ولكن نجاح ذلك كان يتوقف على نتيجة الحرب وعلى الضمانات التي يحصل عليها العرب خارج الحجاز لقاء مشاركتهم وعلى ما ستكون بريطانيا مستعدة لتقديمه للمستقبل العربي. لذلك قرر حسين الانتظار وأوقف تبادل المذكرات مع القاهرة في ديسمبر/ كانون الثاني 1914م بالقول بأن الوقت ما زال مبكراً للقيام بأي تصرف. كان يريد السير على المضمون وترك الباب مفتوحاً أمامه

---

(1) انتونيوس، ص118 وما بعدها؛ بريموند، ص23.

(2) معلومة من الأمير شكيب أرسلان.

في اتجاه الطرف الثاني في حال انتصار قوى المركز[1].

لا بل إن الشريف حسين لبى طواعية بعض مطالب الأتراك، فأرسل راية النبي من المدينة إلى دمشق وقدم فصيلة من خيالة الإبل المتطوعين للمشاركة في حملة سيناء. إلا أنه لم يلب الطلب الرئيسي للأتراك وهو وضع نفسه في خدمة الحرب المقدسة (الجهاد). وكان يرد على الأتراك بالقول أن هذا الموقف سيعني تعريض الحجاز للحصار البريطاني وبالتالي للمجاعة. أدى هذا الرفض إلى تقوية الشكوك التي تولدت بسبب المفاوضات التي كان الشريف حسين يجريها مع جهات إنجليزية هندية لترحيل حجاج هنود لم يعودوا إلى بلادهم بعد أداء فريضة الحج، وقام أقرباؤه المعادون له باستغلال ذلك في القسطنطينية ضده[2].

لذلك بدأ الأتراك بوضع حسين تحت المراقبة وبتضييق حدود حريته في التصرف. وفي مارس/ آذار 1915م عزموا على عزله فعلياً. وكان حسين يعتقد بأن حياته في خطر. ولكي يحسن علاقاته مع الحكومة قرر إرسال ابنه فيصل إلى القسطنطينية.

في البداية واجه فيصل هنا بعض المصاعب. كنت وقتها في القسطنطينية ـ نقلت في بداية إبريل/ نيسان 1915م إلى سفارتنا هناك ـ وتدخلت مراراً في المفاوضات التي أجراها فيصل مع طلعت وأنور باشا. وفي الأحاديث التي دارت بيني وبينه شرح لي وجهة نظره بكل وضوح. قال إن أباه مضطر إلى المداورة؛ فهو مضطر إلى إبقاء علاقاته جيدة ظاهرياً مع الإنجليز لكي يحصل على الحبوب، لأن الحجاز لا يمكن أن يحصل على حاجاته الغذائية من الأتراك. في ذلك الوقت كان الخط الحديدي إلى المدينة، ذو السكة الواحدة، يستعمل حصراً للنقل العسكري

(1) انتونيوس، ص134، 142، يقول إن الشريف كان منذ ذلك الحين قد قرر الثورة. لكن هذا غير صحيح. ريحاني (ملوك العرب، الجزء الأول، ص59) الذي زار حسين عام 1922م يصف موقف الشريف حسين آنذاك بشكل أصح من انتونيوس المتأثر بحكاية الوحدة العربية.

(2) ملاحظة مسجلة في ربيع 1915م.

وكانت كميات الحبوب المتوفرة لدى الأتراك لازمة لتموين القوات العسكرية الموجودة في سورية وفلسطين. وذكر لي أيضاً أن أباه على علم بعزم الأتراك على إرسال الشريف علي حيدر إلى مكة لتعيينه أميراً عليها بدلاً منه. وكلا القولين كان صحيحاً: فالحجاز لم يكن من الممكن إنقاذه من التعرض للمجاعة إلا بمساعدة إنجليزية، والشريفان علي حيدر وجعفر كانا يستعدان فعلاً للسفر إلى مكة. ولم يكن من السهل إقناع الحكام الأتراك بوجاهة رغبات الشريف حسين. أبدى أنور، الذي كان يعرف العرب منذ حرب طرابلس، تفهماً للوضع أكبر من تفهم طلعت؛ كان يتعين على طلعت باشا مراعاة جمعية تركيا الفتاة التي كان للشريف جعفر نفوذ قوي فيها. على الرغم من ذلك تم التمكن من تفادي حدوث قطيعة؛ ولو حدثت القطيعة لكان لها آنئذ نتائج خطيرة تجاه السكان العرب في الدولة التركية وتجاه القوات العربية التي كانت آنذاك لم تزل موجودة في سورية وفي جبهة سيناء.

أسفرت مهمة فيصل عن النتائج التالية: سمح لحسين بالمحافظة على اتصالاته مع الإنجليز وأعطي تطمينات بخصوص أمنه الشخصي وبخصوص عزله من منصبه. لكنه طولب من الناحية الأخرى بإرسال كتيبة ثانية من الخيالة بقيادة أحد أبنائه إلى جبهة سيناء، الأمر الذي كان فيصل نفسه قد اقترحه. وطلب من فيصل أيضاً أن يقنع أباه بدعم الجهاد دعماً فعلياً عن طريق إرسال دعاة إلى الأقطار المختلفة.

غادر فيصل القسطنطينية راضياً تمام الرضى ومحملاً بكثير من الهدايا التي أرسلها أنور وطلعت إلى أبيه. وفي دمشق انصرف إلى المهمة الثانية التي كان أبوه قد كلفه بها، ألا وهي: الاتصال بالقوميين العرب الذين كانوا قد أرسلوا له في نهاية يناير/ كانون الثاني 1915م رسولاً[1] ليشجعه على إعلان الثورة. ويبدو أن فيصل الذي كان، خلافاً لأخيه عبد الله، يرفض الحركة القومية العربية[2] لأنه كان يخشى

(1) فوزي البكري، من عائلة دمشقية معروفة.

(2) بخصوص تطور الحركة القومية العربية انظر الفصول التمهيدية عند أنتونيوس.

أن تخدم الأطماع الإنجليزية الفرنسية، كان قد انتسب في دمشق، في طريقه إلى القسطنطينية، إلى كلا الجمعيتين السريتين "الفتاة" و"العهد" لكي يطلع على خططهما. وعند عودته إلى دمشق سلّم محضراً مكتوباً يتضمن الشروط التي يكون قادة الجمعيتين العربيتين السريتين مستعدين ضمنها لإعلان الثورة بالتحالف مع الإنجليز وتحت قيادة الشريف حسين. كانت هذه الشروط تتعلق بالدرجة الأولى بالحدود التي يطالب العرب بأن تكون لهم حريتهم المطلقة ضمنها. وكانت هذه الحدود تضم منطقة تمتد من خط مرسين ـ أضنه شرقاً حتى الحدود الفارسية وتشمل سورية وفلسطين والعراق والجزيرة العربية كاملة باستثناء عدن.

أدى النجاح الذي حققه فيصل في القسطنطينية إلى تهدئة الشريف حسين في اللحظة الراهنة ولكنه ظل قلقاً بخصوص المستقبل. فقد كان يتوقع دسائس جديدة من علي حيدر، الأمر الذي حدث فعلاً بعد سفر فيصل مباشرة، وكان يعتقد أن الأتراك سيعزلونه من منصبه في حال انتصارهم في الحرب، لاسيما أنه لم يستطع اتخاذ قرار بتقديم دعم فعال للحرب المقدسة. ولذلك قرر جس نبض الطرف الآخر لمعرفة من يمكن أن يتوقعه منه في حال تعاونه معه، وهكذا استأنف المفاوضات مع بريطانيا التي كانت قد توقفت في ديسمبر/ كانون الأول 1914م.

الجزء السياسي من هذه المفاوضات موجود في الرسائل المتبادلة بين الشريف حسين والمفوض السامي البريطاني في مصر سير هنري مكماهون (14 يونيو/ حزيران 1915م حتى 30 يناير/ كانون الثاني 1916م). كانت هذه الإتصالات مغطاة تجاه الأتراك بالموافقة التي حصل عليها فيصل والتي سمح الأتراك للشريف حسين بموجبها بالإتصال مع الإنجليز لضمان تزويد الحجاز بالحبوب. كانت المذكرة الأولى التي أرسلها حسين ـ دون تاريخ وبلا توقيع ـ مرفقة مع رسالة موجهة من أبنه عبد الله إلى ستورز لا تتضمن سوى الإعراب عن الرغبة في التزود بالحبوب. تضمنت هذه المذكرة الأولى بمنتهى الوضوح والدقة رغبات وعروض الشريف حسين: طالب بحرية البلدان العربية حسب المحضر الذي سُلّم لفيصل في دمشق، وبإقامة خلافة عربية وبعقد حلف مع بريطانيا للحماية والدفاع.

كانت الخطة العملياتية (غير المذكورة في رسائل مكماهون) تنص على إعلان الشريف حسين الثورة، وتمرد القوات الموجودة في سورية ذات الأصل العربي، وقيام الحلفاء بإنزال قوات في مرفأ اسكندرون. لكن هذه الخطة لم تنفذ لأن الألوية العربية سحبت من البلاد، ولأن خطة إنزال القوات فشلت بسبب المآخذ السياسية الفرنسية والمآخذ العسكرية الإنجليزية.

عندما اعتقد حسين أنه حصل على موافقة الإنجليز على مطالبه ـ بقيت بعض نقاط الاختلاف دون حل ـ قطع على الفور المراسلات، تماماً كما حدث في ديسمبر/ كانون الأول 1914م. صحيح أنه اتخذ بعض التحضيرات لإعلان الثورة، أرسل، مثلاً، ابنه الأكبر علي إلى المدينة لكسب تأييد شيوخ البدو الموجودين هناك، لكنه لم يكن بأي حال في عجلة من أمره، وخاصة بسبب الوضع الحربي الذي لم يكن في صالح الحلفاء. ولكي يبقى على اتصال مع الأتراك أرسل ابنه فيصل في يناير/ كانون الثاني 1916م مرة أخرى إلى دمشق. وكانت مهمة فيصل الالتقاء مع جمال باشا، قائد الجيش الرابع في سورية المشهور بقوته وسطوته، لكي يناقش معه تفاصيل كتيبة المتطوعين الثانية التي كان يتعين على الشريف حسين تشكيلها من حوالي 1500 خيال ووضعها في المدينة بناء على طلب الأتراك. ولكن بعد وقت قصير من ذلك التاريخ وقع حدث انتزع الشريف حسين من موقفه المترقب وأجبره على التصرف الفوري، ألا وهو: قيام جمال باشا بإعدام عدد من الزعماء السوريين.

كان جمال باشا قد قام في أغسطس/ آب 1915م بإعدام بعض الزعماء السوريين بتهمة الاستعداد للقيام بثورة في الشريط الساحلي الواقع بين صور وصيدا[1]. وعندما وصل فيصل في ديسمبر/ كانون الأول 1916م إلى دمشق،

(1) هناك شكوك قوية في صحة ذلك. إذ حتى مذكرات جمال باشا، ص222 وما يليها، والكتاب الأحمر التركي يوحيان بأن الأمر يعود إلى وشاية كاذبة من أسعد شقير، مفتي الجيش الرابع آنذاك، الذي كان عميلاً للإنجليز.

كانت قد نفذت موجة ثانية من الإعتقالات، وكان بين المعتقلين هذه المرة أشخاص من العائلات الأولى في سورية ونواب وشيوخ. ووجهت لهم تهمة الاتصال مع العدو بناء على مراسلات كانت قد جرت قبل الحرب بزمن طويل. في هذه المرحلة قام الشريف حسين بآخر محاولة للتفاهم مع الأتراك؛ أرسل برقية ألى أنور باشا[1] طالب فيها بإيقاف المحاكمات وبإصدار عفو عام للمناطق العربية وبإعلان الحجاز إمارة وراثية[2]. لكن طلباته رفضت وأخذت العمليات مجراها. ولقد قمت شخصياً وبمنتهى الحدة بتحذير جمال باشا من تنفيذ مزيد من الإعدامات[3] لأن دماء أبناء العائلات النبيلة[4] ستفتح هوة عميقة بين الأتراك والعرب. لكن جمال لم يقبل النصيحة: في السادس من مايو/ أيار 1916م نفذ 21 حكم إعدام جديداً. وبما أن الدم يطلب الدم فقد توجب الآن على الشريف حسين أن يتصرف[5]، كما أن فيصل أقسم بأن ينتقم من الأتراك[6].

---

(1) جمال باشا، ص242.

(2) كانت تلبية الرغبة الأخيرة ستعني الاستبعاد النهائي لعلي حيدر وذوي زيد، وإعطاء الحجاز وضعاً مشابهاً لوضع وسط الجزيرة العربية بالنسبة لابن رشيد وآل سعود، وبالنسبة لشيوخ البدو الكبار عموماً.

(3) عندما كنت في خريف 1915م موجوداً في سورية. أدت خلافاتي مع جمال باشا آنذاك إلى فتور شديد في علاقاتنا التي كانت حتى ذاك الحين ودية. وبعد ذلك القتل الجماعي الهمجي، الذي حدث بعد عودتي إلى القسطنطينية، قطعت علاقتي معه كلياً.

(4) مكانة النبلاء والزعماء مهمة جداً في جميع البلدان العربية بشكل لا يمكن مقارنته بمكانة العائلات المماثلة في أوروبا.

(5) من المشكوك فيه أن يكون وصول القوات البديلة المخصصة لليمن إلى المدينة هو الذي دفع الشريف حسين إلى اتخاذ قراره حسبما يزعم بريموند، ص30، وبصورة حذرة انتونيوس، ص191. كان عدد تلك القوات يتراوح بين 2000 و3000 رجل مسلحين تسليحاً سيئاً وغير مدربين، ولو وصلت إلى مكة في هذه الحالة بعد قطع مسافة طويلة في الصحراء، لما كان في وسعها أن تؤثر على الأحداث الجارية هناك.

(6) عندما زار فيصل فيما بعد برلين بصفته ملكاً على العراق، قال لي إنه بعد الإعدامات الجديدة تولدت لديه مخاوف حقيقية على حياة أبيه وأخوته وحياته شخصياً.

في 16 مايو/ أيار 1916م غادر فيصل دمشق بناء على طلب والده؛ وزعم بأن الغاية من سفره هي قيادة كتيبة الخيالة، التي كانت في هذه الأثناء قد تجمعت قرب المدينة، إلى سورية. وفي 5 يونيو/ حزيران أعلن فيصل وأخوه الأكبر علي في معسكر المتطوعين قرب المدينة الاستقلال العربي باسم أبيهما ثم تحركا مع هذه القوات نحو الجنوب الشرقي لكي يدعوا الكتائب البدوية الموجودة هناك إلى القتال. وفي مكة أطلق الشريف حسين في 10 يونيو/ حزيران 1916م إشارة "النهضة"، وخلال الأسابيع الأربعة التالية استسلمت المخافر والحصون التركية.

في مدخل هذا الفصل قمنا بعرض مجريات الحملة العسكرية في الحجاز، ولا يمكننا هنا الحديث عن الدور الذي لعبه الشريف حسين على المسرح السياسي العسكري إلا باختصار. فقد كان من الناحية الأولى حريصاً على الحصول على أكبر دعم مالي وعسكري ممكن من الحلفاء ـ إلى جانب الإنجليز كان الفرنسيون أيضاً منذ خريف 1916م ممثلين في جدة ببعثة عسكرية برئاسة العقيد بريموند ـ لكنه كان من الناحية الأخرى حريصاً على الحيلولة دون ترسيخ أقدام المسيحيين في الديار المقدسة.

أما العمليات الميدانية فلم يكن له تأثير عليها إلا بصورة غير مباشرة عن طريق حل الخلافات[1] التي كثيراً ما كانت تنشب بين قواته المؤلفة من خليط غير متجانس من البدو والعسكريين الفارين من أصل عربي، والبيشة (انظر الصفحة 596 من هذا الجزء) وعقيل (مرتزقة من القصيم). وبعد أن شكل نوعاً من الحكومة أعلن نفسه في 2 نوفمبر/ تشرين الثاني 1916م ملكاً على البلدان العربية، لكن الحلفاء لم يعترفوا به إلا ملكاً على الحجاز فقط. إلا أن الملك حسين لم يقطع الخيط الأخير الذي يربطه بالدولة العثمانية إلا بعد ذلك بوقت طويل، بعد فشل المفاوضات مع الأتراك حول عقد صلح خاص[2]: ففي يوم الجمعة في 18 يناير/ كانون الثاني

(1) بريموند، ص200، 229.

(2) قبل وقت قصير من نقل جمال باشا من سورية، انتونيوس، ص230، 253 وما يليها.

1918م توقف ذكر اسم السلطان ـ الخليفة في خطب المساجد[1].

عند نهاية الحرب اعتقد الملك حسين أن حلمه سيتحقق، إذ إن الحجاز كان قد تحرر وبدا أنه سيشكل نواة دولة عربية تضم سورية وبلاد الرافدين. غير أنه ما لبث أن تلقى أمرّ خيب الأمل. فلم يلب الإنجليز الوعود التي قدموها له في رسائل مكماهون وفي وقت لاحق، مما أدى إلى فشل خططه في إقامة دولة عربية كبرى. لا بل وأكثر من ذلك: في اللحظة التي اعتقد فيها أنه بات قادراً على تحقيق تلك الخطط، وجد نفسه معرضاً للهجوم في عقر داره، في قلب الحجاز.

لكي نفهم الوضع يجب إلقاء نظرة على سياسة حسين الداخلية العربية. كان حسين قد تقرب عند اندلاع الحرب من خصميه السابقين عبد العزيز آل سعود ومحمد الإدريسي ووجد ليدهما تفهماً كاملاً لموقفه المتحفظ تجاه طلب الأتراك بالدعوة إلى الجهاد. ولكن عندما أعلن حسين الثورة بردت العلاقات. فإلى جانب الخلاف القديم مع آل سعود، الذي بلغ ذروته في النزاع حول حق جباية الضرائب من العتيبة وحرب في نجد، نشأت خلافات جديدة. فقد أدى اتخاذ الملك حسين لقب "ملك البلدان العربية" إلى إزعاج آل سعود وغيره من الحكام العرب. كما أن الدعم الكبير الذي تلقاه حسين من الإنجليز وما يترتب على ذلك من ازدياد لقوته أثار قلق منافسيه. أضيف إلى ذلك بعض الأسباب الثانوية، منها أن تجار القصيم كانوا يؤيدون فكرة الدولة العثمانية على الرغم من أنه كان يوجد بينهم أنصار للملك حسين، وأن الإخوان لم يكونوا يعتبرون الأتراك عدوهم الرئيسي وإنما حسين. ولم يتمكن الإنجليز من تحقيق تقارب بين آل سعود وحسين، لكنهم نجحوا في توجيه أنظار آل سعود لفترة مؤقتة إلى عدوه القديم ابن رشيد[2]. وبعد انتهاء الحرب مباشرة التهبت الخصومة بين نجد والحجاز في منطقة خرمة ـ تربة التي كان

---

(1) بريموند، ص256.

(2) فيلبي، الجزء الأول، ص105 وما بعدها، 227 وما بعدها؛ الجزء الثالث، ص98، 102، 104 وما بعدها.

قد دار حولها صراع عنيف في المرحلة الوهابية الأولى.

في عام 1917م كان الشريف حسين قد ألقى أمير خرمة، الشريف خالد بن منصور بن لؤي، في السجن. وبعدما نجح عبد الله في إقناع أبيه بإطلاق سراحه شارك خالد فترة من الزمن تحت قيادة عبد الله في معارك أمام المدينة، لكنه ذهب بعد ذلك إلى الرياض واعتنق المذهب الوهابي. اعتبر حسين هذا التصرف انشقاقاً سياسياً وطلب من أمير تربة تهديد خرمة. وفي عام 1918م أرسل ثلاث مرات قوات إلى البلدة، بينما ظل آل سعود هادئاً تماماً، لكن القوات صدت على أعقابها في المرات الثلاث. وأخيراً في ربيع عام 1919م قرر آل سعود التدخل بعدما أحس بالتهديد من جيش عبد الله الذي أصبح حراً. فشن في ليلة 25 ـ 26 مايو/ أيار هجوماً مفاجئاً على جيش الشريف المؤلف من 4000 رجل وألحق به هزيمة نكراء، ونجا عبد الله بصعوبة بالغة[1].

في العام التالي بدأ الوهابيون بتنغيص حياة حسين، في الجنوب أيضاً: في المنطقة الجبلية من عسير استقل، بعد انسحاب الأتراك، رجل اسمه ابن عايض من عائلة كانت قد برزت في المرحلة الوهابية الأولى. وبينما كان ابن عايض من أنصار حسين، كان جزء من قبائله، ومنها قحطان وزهران، يجري اتصالات مع آل سعود. وقد سويت الخلافات الناجمة عن هذا الوضع بقيام الوهابيين في صيف 1921م بالاستيلاء على العاصمة إبها. ولكن بعد وقت قصير خسر الوهابيون عسير مرة أخرى بسبب ثورة حرض عليها حسين. وفي صيف 1922م استولى عليها الوهابيون للمرة الثانية بمساعدة قحطان وزهران وهزموا القوة التي أرسلها حسين إلى هناك. ثم فشلت محاولة ثالثة لحسين في ربيع عام 1923م بعد تحقيق بعض النجاحات في البداية[2].

---

(1) فيلبي، الجزء الأول، ص168، 171؛ الجزء الثالث، ص40، 100، 212؛ بريموند، ص328.
(2) بريموند، ص325؛ ريحاني، تاريخ نجد، ص269 وما يليها؛ موزيل، شمال نجد، ص291، 294.

في شمال الحجاز كان عمال الشريف وموظفوه يواجهون منذ عام 1922م المصاعب مع البدو، وخاصة مع ولد علي الذين كانوا قد انتقلوا إلى صف الوهابيين (انظر الصفحة 498 في هذا الجزء). ومنذ عام 1924م بدأت مستوطنات الإخوان تنمو كالفطر على الحدود بين الحجاز ونجد، في تيما، وخيبر، وحايط، وحويّط. ودولة شمر، الدعم الوحيد للشريف حسين في الجزيرة العربية، لم تعد موجودة منذ نهاية 1921م. ولم يكن حسين يأمل في تلقي مساعدة من بريطانيا بعد فشل جميع المفاوضات حول القضايا السياسية الكبيرة. وفي العالم الإسلامي كان قد فقد كل رصيده لأنه لم يكن قادراً على إزالة المخاطر والإزعاجات المرتبطة بأداء فريضة الحج. كما أن اتخاذ لقب "خليفة"، الذي حثه عليه أنصاره في فلسطين وسورية والعراق (مارس/ آذار 1924م)، أساء أيضاً إلى سمعته. وهكذا كان عاجزاً عن التصدي لهجوم آل سعود في خريف عام 1924م. وفي 5 سبتمبر/ أيلول استسلمت الطائف[1]، وكان الإخوان قد فظعوا بجزء من السكان في الليل. وقام أشخاص من أسرة ذوي زيد، كانوا يعيشون في المنفى عند آل سعود، بتنظيم الإدارة الوهابية[2]. وبعد معركة أخرى غير موفقة انفجرت في مكة حالة من الذعر، وكان حسين وحده مصمماً على المقاومة. ومع ذلك وجد نفسه في مساء يوم الثاني من أكتوبر/ تشرين الأول مضطراً إلى التخلي عن الحكم. وفي اليوم التالي سافر إلى جدة وبعد بضعة أسابيع إلى العقبة.

كما أن ابنه علي، الذي بويع ملكاً في الرابع من أكتوبر/ تشرين الأول، لم يتمكن أيضاً من البقاء في مكة. فانتقل إلى جدة ودافع عن نفسه هناك طيلة عام كامل. وفي 18 ديسمبر/ كانون الأول 1925م أعلن علي أيضاً استقالته، وفي 19 ديسمبر توجه بحراً إلى العراق حيث كان أخوه فيصل قد أصبح ملكاً. أما حسين، الذي كان يدعم علياً بكل قواه من العقبة، فقد أبعده الإنجليز من هناك في يونيو/

---

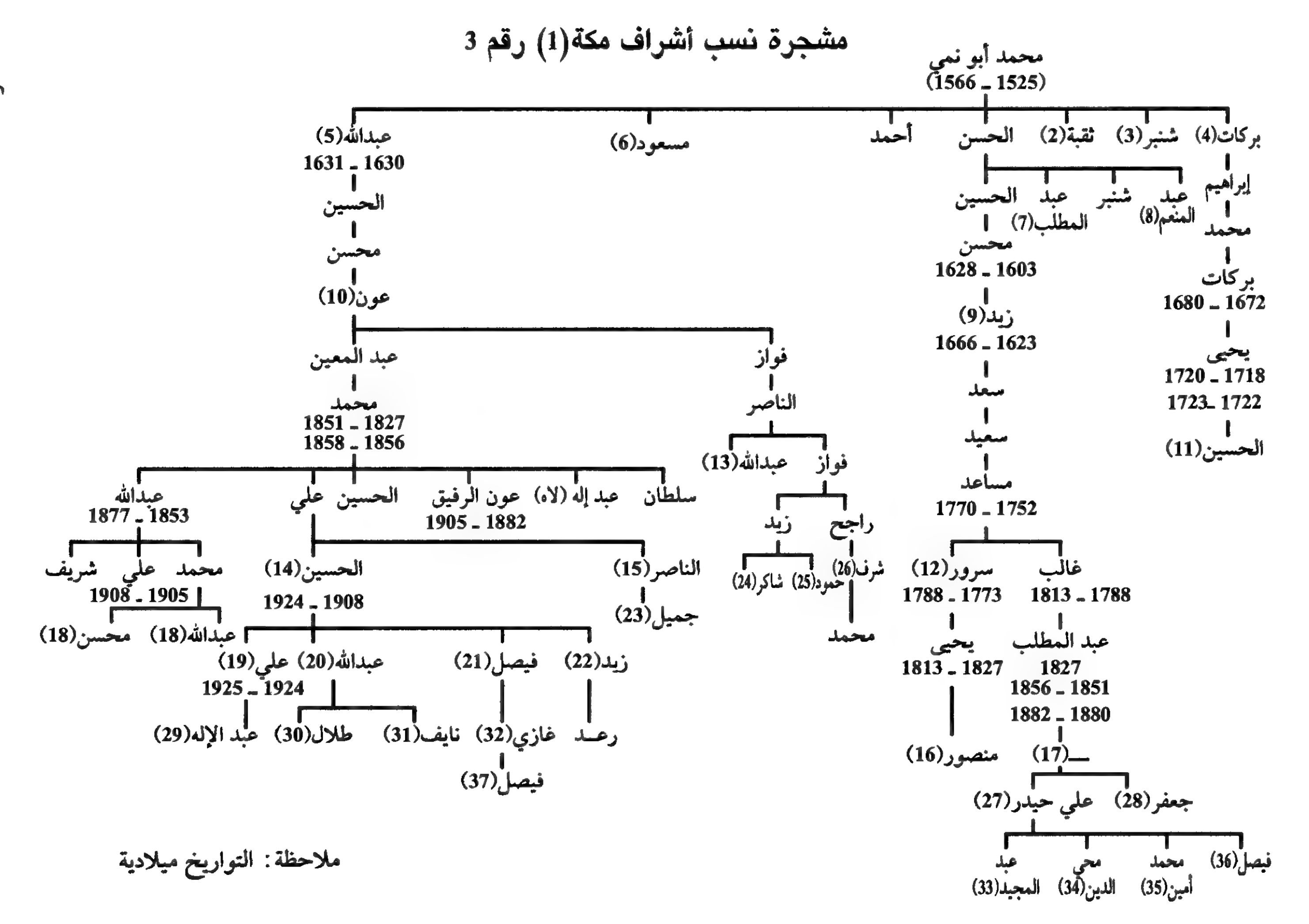
(1) بيانات الحملة موجودة بأفضل شكل في: نالينو، لا رابيا سا أوديانا، الأحداث في: ريحاني، تاريخ نجد.

(2) موزيل، نفس المصدر السابق، ص297 وما بعدها.

حزيران 1925م بضغط من آل سعود: نقلته سفينة حربية بريطانية إلى قبرص حيث عاش حتى عام 1930م. ثم توفي في يونيو/ حزيران 1931م في عمان، شاعراً بمرارة قاسية ولكنه واثق من حقه.

على الرغم من الأخطاء التي قد يكون حسين وقع فيها كحاكم، وعلى الرغم من حكمه الفردي وتعنته وميله المفرط إلى الإقتصاد في الإنفاق، فإن إنجازه التاريخي ثابت لا يرقى إليه الشك. إذ إن آخر شريف حكم الحجاز هو مؤسس العالم العربي الجديد. فقد ترك لهذا العالم مهمة تحقيق فكرة الوحدة العربية والاستقلال.

مشجرة نسب أشراف مكة(1) رقم 3



ملاحظة: التواريخ ميلادية

ملاحظات حول مشجرة نسب أشراف مكة رقم (3)

1 ـ حسب سنوك ـ هورغرونيه، مكة، سلسلة النسب 3، فوستنفلد، أشراف مكة في القرن الحادي عشر (السابع عشر)، سلسلة النسب؛ الأجيال الحديثة حسب معلوماتي الشخصية.

2 ـ جد عائلة ذوي ثقبة، سنوك، الجزء الأول، ص117، 127.

3 ـ جد عائلة الشنابرة(4)؟ لكن الإسم يمكن أن يكون عائداً أيضاً إلى ابنه الذي يحمل نفس الإسم (فوستنفلد، نفس المصدر السابق، ص18، 29 ورد اسم بشير محل شمبر)، أو إلى أحد أبناء حسن بن أبي نمي (نفس المصدر، ص8 مرة أخرى خطأ: بشير)، أو إلى أشخاص آخرين من العائلة.

4 ـ جد عائلة ذوي بركات (12).

5 ـ جد عائلة العبادلة(1).

6 ـ جد عائلة ذوي مسعود، سنوك، الجزء الأول، ص119، 127.

7 ـ جد عائلة ذوي عبد المطلب، سنوك، الجزء الأول، ص119.

8 ـ جد عائلة المناعمة(5)؟

9 ـ جد عائلة ذوي زيد(2).

10 ـ جد عائلة ذوي عون.

11 ـ جد عائلة ذوي حسين(9).

12 ـ جد عائلة ذوي سرور(3).

13 ـ سنوك، الجزء الأول، ص167.

14 ـ إضافة إلى ما جاء في النص نود أن نذكر هنا بعض المعلومات الأخرى. ولد حسين عام 1855م من أم شركسية في القسطنطينية حيث كان أبوه وجده يقيمان آنذاك. وعندما تولى جده عام 1856م الإمارة عاد معه ابنه علي وحفيده الصغير حسين إلى الحجاز. وعندما تولى عبد الله، الإبن الأكبر للشريف محمد (1858م)، الحكم توجب على علي العودة ثانية إلى القسطنطينية. لكن حسين بقي في بادىء الأمر في مكة ولم يعد إلى القسطنطينية إلا بعد سن البلوغ. وبعد وفاة أبيه (1887م) عاد إلى مكة وتزوج ابنة عمه عبديه بنت عبد الله التي أنجبت له أبناءه الثلاثة علي وعبد الله وفيصل. أما ابنه الأصغر زيد فهو من أم تركية تزوجها حسين في القسطنطينية بعد وفاة زوجته الأولى.

15 ـ سناتور تركي. تألم جداً من انشقاق أخيه حسين عن الأتراك. وبقي حتى نهاية الحرب في قصره على البوسفور. وفي عام 1919م انتقل إلى القاهرة وتوفي هناك قبل بضعة أعوام وكان له إلى جانب جميل خمسة أبناء آخرين هم: جعفر، وعلي، وراكان، وزامل، وحسين. زامل توفي. علي وراكان وحسين يعيشون في القاهرة، حسين يعمل في قسم المراسم الملكية. وقد التقيته عام 1915م في قصر الشريف ناصر مراراً مع ابن عمه وصهره فيصل، انظر ص605 أعلاه.

16 ـ انظر سنوك، الجزء الأول، ص167.

17 ـ يرد ذكر أبناء عبد المطلب عند برتون، بلغريماج، الجزء الثاني، ص150، وفي مرآة الحرمين، الجزء الأول، ص37.

18 ـ مرآة الجزء الأول، ص38. لهم ابن عم اسمه حسن يعيش في القاهرة وهو متزوج من امرأة تركية.

19 ـ ولد في مكة عام 1880م (1879؟)، وتوفي في بغداد 1935م. ملك الحجاز (1924م/ 1925م) متزوج من حفيظة ابنة عم أبيه عبد الله. وكان له إضافة إلى ابنه عبد الإله عدة بنات تزوج إحداهن الملك غازي ملك العراق.

20 ـ أمير شرقي الأردن. متزوج من ابنة عمه، بنت ناصر، التي أنجبت ابنه طلال وبنتاً. في وقت لاحق تزوج عبد الله أيضاً امرأة شركسية أنجبت نايف وابنتين.

21 ـ ولد عام 1883م قرب الطائف، وفي 8 مارس/ آذار 1920م عين ملكاً على سورية، وفي 23 أغسطس/ آب 1921م ملكاً على العراق، توفي عام 1933م في برن. متزوج من ابنة عمه حزيمة بنت الناصر وله منها ابنه غازي وثلاث بنات. إحدى هؤلاء البنات تعيش الآن في روما، والثانية متزوجة من ضابط عراقي، والثالثة توفيت.

22 ـ عام 1933م القائم بالأعمال العراقي في أنقرة، وعام 1927م في برلين. متزوج من امرأة تركية. يعيش غالباً في القسطنطينية.

23 ـ عاش فترة طويلة عند صهره الأمير عبد الله في شرقي الأردن، ويعمل حالياً في شركة انجليزية في دمشق.

24 ـ كان في الحرب العالمية أنشط القادة عند عبد الله وكان يدفع هو نفسه لقومه عقيل. ثم عاش بعد ذلك في قصر عبد الله وتوفي عام 1934م وعمره 45 عاماً. لورنس، في أماكن متفرقة؛ فيلبي، الجزء الثالث، ص212؛ ريحاني، تاريخ نجد، ص375؛ بريموند ص205، 209، 262؛ انظر الصفحة 603 ـ 604 أعلاه. زوجته من عائلة أشراف من خرمة وكان اسمها غزوة، وهو اسم مشتق، حسبما قال لي ابن عمه الشريف محمد الشريف، من الغزو الذي ظل أشراف خرمة يقومون به حتى ما قبل وقت قصير.

25 ـ فيلبي، الجزء الأول، ص187 وما بعدها. شكيب أرسلان، ارتسامات، ص271، يذكر العائلة، التي تملك أراضي في العرج، واد جانبي يصب في وادي

الوجّ قرب الطائف، ذوي ناصر الدين. حمود يعيش في الطائف.

26 ـ انظر الصفحة 603 ـ 604 أعلاه. اشتهر بقسوته وواستقامته وشعوره العميق بالواجب، كان قاضي القضاة عند حسين وقائمقام في مكة، ومثل أبيه أمير الطائف. وفي الحرب العالمية أثبت أيضاً جدارته، لورنس، ص119، 142، 216 والخ. ؛ بريوند، ص217، 266. خلال رحلة الملك فيصل إلى أوروبا عام 1928م كان نائباً له (نائب الملك). زوجته الأولى، أم الشريف محمد، توفيت مبكراً؛ فتزوج أختها وعندما توفيت أيضاً تزوج عزمة ابنة شريف آخر من الطائف فأنجبت له بنتين وصبيين اسمهما فواز وعبد الحميد ولا يزالان طفلين. عين عام 1941م حاكماً على العراق ثم هرب مع رئيس الوزراء العراقي رشيد عالي الكيلاني ومفتي القدس إلى إيران، فاعتقله الإنجليز ونقلوه إلى روديسيا. ابنه محمد هرب إلى تركيا.

27 ـ لقد تحدثنا عنه مراراً في سياق تطور الثورة العربية. بعد انشقاق حسين عين أميراً على مكة لكنه لم يتسلم منصبه أبداً. كان يعيش منذ عام 1923م في بيروت ورشح مراراً لتولي العرش السوري. توفي عام 1936م. اقترن في زواجه الأول بأميرة تركية وفي زواجه الثاني بامرأة ارلندية تعرف عليها خلال رحلة إلى بريطانيا. جاء أبناؤه من زواجه الأول، له من زواجه الثاني ابنتان.

28 ـ انظر الصفحة 603 ـ 604 أعلاه. كان يعيش بعد الحرب العالمية عند أخيه علي حيدر، وفي وقت لاحق انتقل إلى بلاط سلطان لحج (قرب عدن).

29 ـ منذ عام 1939م(*) حاكم العراق، تزوج امرأة مصرية لكنه طلقها بعد ذلك. جاء عام 1938، بعد احتفالات التتويج في لندن، إلى برلين حيث زارني مع زوجته الجميلة الشابة. عبد الإله هو الصيغة العربية الفصحى للصيغة العامية عبدلاه.

(*) أصبح الأمير عبد الإله وصياً على العرش في عام 1939م بعد موت الملك غازي، واستمر في وصايته حتى بعد أن تسلم الملك فيصل الثاني سلطاته الدستورية وقد قتلا في 14 تموز عام 1958م (ماجد شبّر).

30 ـ ولد عام 1911م، متزوج من ابنة عمه، بنت جميل الناصر.

31 ـ تزوج من أميرة من الأسرة العثمانية تعيش في القاهرة.

32 ـ ولد عام 1912م في مكة حيث بقي حتى عام 1924م. في وقت لاحق في بغداد، درس عام 1925م في هارو، ومن عام 1928م حتى عام 1932م في الأكاديمية العسكرية في بغداد. خلف عام 1933م أباه فيصل ملكاً على العراق. متزوج من ابنة عمه علية بنت علي. توفي عام 1939م نتيجة حادث سيارة.

33 ـ يعيش في بيروت، حيث زرته في عامي 1927م و1929م، ممثلاً لشركة جنرال موتورز. متزوج من روحية حفيدة السلطان مراد الخامس وابنة الأمير صلاح الدين وأخت غير شقيقة للأمير عثمان فؤاد.

34 ـ درس موسيقى في أمريكا ويعمل في بغداد مديراً للمعهد العالي للموسيقى.

35 ـ تربى في بريطانيا، وهو أستاذ اللغة الإنجليزية في دار المعلمين في بغداد(*).

36 ـ يعيش في القسطنطينية ويدير أملاك العائلة هناك.

37 ـ ولد عام 1935م. ملك العراق.

(*) هو الشريف محي الدين الذي يُعد من أكبر العازفين الموسيقيين في العراق في القرن العشرين وكان له الفضل الأساس بتأسيس ودراسة وتطوير آلة العود في العراق بل يُعد الأب الروحي والمدرّس الأول في هذا الباب. (ماجد شبّر)

عائلات أشراف حاكمة

في غربي الجزيرة العربية

لقد ذكرنا في الصفحة 514 أعلاه خطاً جانبياً لآخر أسرة مكية حاكمة حكمت خلال العهد المملوكي في ينبع. ويبدو أن أول أمير مستقل لينبع كان غانم بن إدريس، الحفيد الثاني لقتادة، بينما كانت البلدة تدار قبل ذلك من مكة. ولقد تمكن غانم، الذي تقاسم أبوه فترة من الزمن الحكم مع شريف مكة، من الاستيلاء على مكة في عام 670هـ/ 1271م بالتعاون مع شريف المدينة. ولكنه لم يستطع البقاء هناك مع رفيقه في القتال سوى "40 يوماً"[1]. ومنذ ذلك الحين أصبح لأمراء ينبع علاقات وثيقة مع أشراف المدينة.

من الطبيعي أن النفوذ المصري في ينبع كان قوياً جداً إلى درجة أن الأمراء كانوا في القرن التاسع الهجري موظفين مملوكيين لا أكثر. وفي عام 887هـ/ 1482م وضعت ينبع تحت سلطة مكة وتلقى أميرها آنذاك، دراج، أمر تعيينه من شريف مكة، ولكن في عام 911هـ/ 1505م قام السلطان المملوكي بتعيين ابن دراج في المنصب[2].

(1) حوليات مكة، الجزء الثاني، ص219.

(2) سخاوي، دراج؛ ابن إياس، الجزء الرابع، ص89.

ليس معروفاً ما حدث مع هذه العائلة بعد ذلك، وعلى أرجح الظن خرجت منها عائلتا شيوخ الجهينة اللتان عالجناهما في الصفحة 518 من هذا الجزء وهما: ذوي هجّار والعيايشة.

وفي البقع الصغيرة الواقعة في السهل الساحلي حكمت أيضاً في أواخر العصور الوسطى عائلات حسينية: في صفرا، وبدر، وخليص وعسفان[1].

أهم عائلة بين العائلات الحاكمة في غربي الجزيرة العربية، بعد عائلة شريف مكة، هي عائلة أمراء المدينة، وهي عائلة حسينية[2]. وكان مؤسسها طاهر بن مسلم (توفي عام 381هـ/ 991م)) قد جاء من القاهرة، ربما كمراسل فاطمي. وعلى أي حال فإن العائلة التي أسسها أوصلت الشيعة، وبالتحديد الإتجاه الإمامي المتشدد ـ كان أشراف مكة آنذاك يتبنون الإتجاه المعتدل، الزيدي ـ في المدينة إلى الحكم. وفيما عدا ذلك كانت تسود في المدينة تحت حكامها ظروفاً مشابهة للظروف السائدة في مكة. هنا كما هناك صراع متواصل على السلطة بين أفراد الأسرة الحاكمة، ونظام يقضي بتعيين أقوى خصم شريكاً في الحكم. كما أن العلاقات مع القوى الحامية شهدت تطوراً مشابهاً لما حدث في مكة، إذ تنامى النفوذ المصري شيئاً فشيئاً وبلغ ذروته في العهد المملوكي. في عام 811هـ/ 1468م وضعت المدينة تحت إشراف أمير مكة، ولكن هذا الوضع الجديد لم يطبق في بادىء الأمر. وظل الأمر كذلك حتى عام 887هـ/ 1482م حيث أصبح أمير المدينة تابعاً فعلاً لأمير مكة، كان يعتبر نائباً له ويتعين عليه تقاسم وارداته معه.

يبدو أن منصب أمير المدينة ألغاه الأتراك، ولكن العائلة الحسينية الوحيدة التي

---

(1) ابن بطوطة، الجزء الأول، ص295، انظر سنوك، الجزء الأول، ص71 ـ المقريزي، قبائل عربية، ص85، انظر محمد أديب، ص136. ابن بطوطة، الجزء الأول، ص298؛ المقريزي، نفس المصدر؛ ابن إياس، الجزء الرابع، ص89. أشراف بدر ما زالوا يزدهرون حتى اليوم، شكيب أرسلان، ارتسامات، ص273.

(2) قام الدكتور كاسكل بإعداد دراسة عن هذه الأسرة نشير إليها بخصوص المصادر والتفاصيل.

تحمل في غربي الجزيرة العربية لقب شريف (وليس سيّد)، احتفظت ببعض الحقوق حتى الوقت الحاضر. وكانت في وقت لاحق تسكن في بلدة العوالي المجاورة للمدينة والتي يسكنها حرب (بنو علي).

في عام 1900م كان محمد عبد الله الجودي شريف المدينة. ولكن الحكومة غضبت عليه نتيجة وشاية من شيخ حرب محمد بن ربيق (انظر الجزء الثالث) فلجأ إلى المطير في الصحراء؛ كان متزوجاً من ابنة شيخ المطير. ولكي ينتقم من الواشي محمد بن ربيق اقتحم بيته (في المدينة؟ عوالي) وقتله. وقد تمكن هو نفسه من الفرار لكن ابنه وأخاه وزوجته الحامل قتلهم حرب[1].

خلال الحرب العالمية كان شحات شريف المدينة، وكان أيضاً عدواً للأتراك. وقد تولى في وقت لاحق منصب محافظ المدينة إلى أن استولى عليها الوهابيون (1925م). وكان أخوه ناصر من القادة البارزين عند فيصل. ولم تزل العائلة حتى اليوم تعتنق المذهب الشيعي[2].

في الحوليات يرد ذكر عائلات أشراف أخرى، ويذكر المقريزي (خطط، الجزء الأول، ص185) عائلة أشراف (جعفرية؟) في وادي القرى قام زعيمها عبد الله بن إدريس بن جعفر في عام 415هـ/ 1024م، بالتعاون مع ابن الجراح (انظر الجزء الأول، ص498، وما يليها)، بشن هجوم على أيلا، العقبة حالياً. وهناك أشراف آخرون يرد ذكرهم في حكايات بني عقبة، انظر الصفحة 480 أعلاه.

(1) معلومات من القاهرة.

(2) لورنس، ص155، 159 وما بعدها؛ 216؛ ريحاني، تاريخ نجد، ص375، 381.

قبائل أشراف

كما تحوّل في أوائل العصور الوسطى بعض الأشراف من مدنيين إلى بدو، كذلك تطورت في العصر الحديث فروع من قتادة إلى قبائل يعيش جزء منها حياة بدوية. وقد حدثت العملية تماماً كما في السابق. فقد كان أجداد هذه القبائل، وهم جميعهم تقريباً من أمراء مكة الحاكمين، يشترون أراضي في الأرياف. وفي وقت لاحق استقر جزء من أبنائهم وأتباعهم بصورة دائمة هناك[1] وكانوا يتحولون إلى حياة البداوة عندما كانت تقع أحداث سياسية أو طبيعية تجعل أراضيهم تفقد قيمتها. وتعيش هذه القبائل الشريفية غالباً حول مكة المكرمة وقرب الطائف، بينما يسكن زعماؤها عادة في مكة.

في الحرب العالمية تميز أيضاً، بالإضافة إلى أشراف القبيلة الحاكمة العبادلة، كثير من أبناء القبائل الأخرى، وخاصة بعد الحرّث(8): كان علي بن الحسين الحارثي[2] من المضيق أحد أنشط القادة عند فيصل. ونذكر من الفعور الشريف حمزة الفعر، من الفرع الذي كان مقيماً في وادي ليّه الأعلى قرب الطائف، الذي عين وزيراً للأشغال العامة في حكومة الملك حسين الأولى. وشارك ابنه عبد الله

---

(1) قارن سنوك، الجزء الأول، ص113. بخصوص ملكيات الأشراف العقارية انظر أيضاً شكيب أرسلان، ارتسامات، ص127.

(2) كان أبوه محسن زعيم القبيلة؛ لورنس، ص82، 122، 216، 387.

في حملة فيصل في الشمال ثم حارب بعد ذلك في عسير حيث مني بالهزيمة[1]. وعلى الرغم من هذه العلاقات انتقل الحرث والفعور في وقت مبكر إلى صفوف آل سعود[2].

خارج منطقة مكة، في التهامة جنوب ليث، تسكن قبيلتا الأشراف ذوي حسن وذوي بركات. كان ذوو حسن مختصمين مع شريف مكة منذ أمد طويل، ولكنهم حاولوا رغم ذلك مقاومة آل سعود. وكانوا قبل الحرب العالمية يتمتعون بسمعة سيئة جداً كقراصنة بحار[3]، كما أن أبناء عمهم ذوي بركات المتعادين معهم كانوا يمارسون نفس المهنة[4].

يشكل الأشراف الحسينيون جمعيات بقيادة شيوخهم في المدينة ومكة والسويرقية «السوارقية» وينبع البحر[5].

أما مجموعات الأشراف في وسط الجزيرة العربية فهي تقع خارج إطار هذا المقال ولكننا نود الإشارة فقط مرة أخرى إلى أشراف خرمه[6] لأنهم تدخلوا بقيادة زعيمهم خالد بن منصور بن لؤي (توفي 1932م) بصورة فعالة في تاريخ الحجاز الحديث، انظر الصفحة 612 في هذا الجزء.

لقد أفرزت طبقة الأشراف النبلاء العديد من الشخصيات الهامة، وكان يوجد في أوساطها على الدوام رجال تميزوا بالتواضع والشجاعة والكرم والإحساس

---

(1) شكيب أرسلان، نفس المصدر، ص135، 271؛ لورنس، ص212، 355؛ بريموند، ص101، 175؛ الريحاني، نفس المصدر السابق، ص272.
(2) الريحاني، نفس المصدر السابق، ص299، 301، 343.
(3) سنوك، الجزء الأول، ص137؛ هاندبوك، الجزء الأول، ص426؛ ريحاني، نفس المصدر السابق، ص342.
(4) هاندبوك، الجزء الأول، ص417 وما بعدها. يذكر بوركهاردت جزءاً منهم في وادي فاطمة، رحلات، الجزء الثاني، ص92.
(5) أيوب صبري، الجزء الثالث، ص269؛ سنوك، الجزء الأول، ص167.
(6) حوالي 200 نسمة، فيلبي، الجزء الثاني، ص171.

بالحق والعدل. وأثبتت الحرب العالمية أن الأشراف كانوا قادرين على الارتقاء فوق مصالحهم الخاصة وتبني قضايا كبرى.

الأشراف(1)

القبيلة	المنطقة	العدد
1 ـ العبادلة(2)	جنوب مكة	
2 ـ ذوي زيد	وادي عصم	
3 ـ ذوي سرور(3)	جنوب مكة	200
4 ـ الشنابرة(4)	جنوب مكة	150
5 ـ المناعمة		
6 ـ ذوي جازان(5)		
7 ـ ذوي جود الله		
8 ـ الحرث(6)		
9 ـ ذوي حسين(7)		
10 ـ الفعور		
11 ـ ذوي حسن(8)	الليث ـ الشاقة الشامية	3000
12 ـ ذوي بركات	الشاقّة الشامية ـ دوقة	400
13 ـ الجعافرة	شمال جيزان(9)	600

ملاحظات

1 ـ يوجد قوائم لدى بوركهاردت، رحلات، الجزء الأول، ص408؛ دوتي، الجزء الأول، ص522؛ هاندبوك، الجزء الأول، ص406 وما يليها، قارن ص72، 417 وما بعدها، 426 وما بعدها، 429؛ فؤاد حمزة، ص158. لم نسجل في الجدول ذوي حمود والسواملة، الذين ورد ذكرهم عند بوركهاردت ودوتي فقط، وكذلك لم نسجل أي قبيلة لم يذكرها إلا مؤلف واحد. انظر أيضاً شجرة النسب رقم 3 والملاحظات المتعلقة بها.

2 ـ آخر أسرة حكمت مكة وتحكم الآن في شرقي الأردن والعراق. ويسكن فرع من العبادلة عند ذوي بركات (12) وفرع آخر في عسير، انظر هاندبوك، الجزء الأول، ص407 وما بعدها.

3 ـ بدو رحل. وهم في الأصل فرع من ذوي زيد. علي بن سعد السروري، قائمقام مكة سابقاً، كان في الثمانينات لصاً سيء السمعة؛ سنوك، الجزء الأول، ص184، 203.

4 ـ بدو رحل. متعادون من ذوي سرور. في القتال ضد الوهابيين برز من هذه القبيلة في مطلع القرن التاسع عشر شريف اسمه راجح، سنوك، الجزء الأول، ص150 وما بعدها.

5 ـ انظر سنوك، الجزء الأول، ص117.

6 ـ كانوا، حسب بوركهاردت، ص338، منضمين إلى عدوان.

7 ـ سنوك، الجزء الأول، ص186.

8 ـ من أحفاد حسن بن عجلان (شجرة النسب 2).

9 ـ في تهامة عسير (مخلاف اليمن).

قبائل المناطق الحدودية

بين الحجاز وعسير

تمتد المنطقة، التي سنتحدث عن قبائلها هنا، على الساحل من ليث حتى حلي، وفي الداخل تقريباً من خط العرض 20 حتى خط العرض 19، وتصل في الشرق إلى وادي بيشه تقريباً، وتطغى على تضاريسها سلسلة السراه، المسماة العقبات[1] حالياً، والتي تبدأ في الشمال الشرقي عند الطائف وتتجه في البداية نحو الجنوب الغربي ثم تنعطف شمال ليث نحو الجنوب الشرقي لتتخذ أخيراً مساراً باتجاه الجنوب. يسمى السفح المواجه للبحر والسهل الساحلي، هنا أيضاً، تهامة (أو التهم والتهمة)، وتمتد وراء السلسلة مناطق الزهران، وغامد، وشمران، وبالقرن، وبني عمر وبني شهر[2].

حسب طبيعة الأرض والمناخ يمكن اعتبار هذه المنطقة جزءاً من اليمن أو

(1) تحمل الأجزاء المنفردة من السلسلة الجبلية أسماء مختلفة مثل: عقبة بني أوس، عقبة بني عمرو، عقبة رغدان، عقبة الباحة، عقبة بني ظبيان، عقبة بني كبير، عقبة حزنة، عقبة بني سهيم.

(2) بما أن الجماعات التي تسمى هذه المناطق باسمها تصل إلى ما بعد السراه، إلى التهامة، فإن أسماء المناطق تمتد أحياناً إلى هناك؛ وهذا ما ينطبق أيضاً، مثلاً، على خريطة جنوب غرب الجزيرة العربية، 1: 440 253، الورقتان 6، 7، التي سنسميها فيما يلي ببساطة "الخريطة".

عسير. أما شعور السكان فهو متأرجح في هذا الصدد لأن الحدود السياسية تغيرت مراراً في الزمن الحديث. في القرن الثامن عشر كانت تمر قرب حلي بحيث أن منطقتنا كانت آنئذ تابعة للحجاز. وخلال الإحتلال المصري أيضاً كانت تعدُّ جزءاً من الحجاز[1]، ولكن بعد الحملة التركية 1871م ضمت إلى ناحية عسير من إقليم اليمن[2]. وبعد استيلاء آل سعود بعد الحرب العالمية على عسير والحجاز عادت التهامة (قنفذة) إلى الحجاز، بينما ضمت المنطقة المرتفعة إلى إمارة عسير[3].

لم تلعب هذه المنطقة الحدودية في التاريخ أي دور مستقل؛ ذلك أن مناطق القوة تقع، بصرف النظر عن مكة، أبعد إلى الجنوب، في المنطقة المرتفعة من عسير[4] وفي أجزاء التهامة المسماة مخلاف اليمن (جيزان، مدي، صبيا، أبو عريش). في المنطقة المرتفعة من عسير كان يقيم الزعماء الذين حكموا منطقتنا في بداية القرن الماضي لصالح الوهابيين، وهم: محمد وعبد الوهاب أبو نقطة، وطامي ابن شعيب[5]، وآل عايض (انظر ص612 أعلاه)؛ ومن مخلاف اليمن ينحدر

(1) انظر جومار، دراسات جغرافية وتاريخية عن الجزيرة العربية، باريس 1939م، ص41 وما يليها (باستثناء حلي)؛ تاميسييه، الجزء الثاني، ص241 وما بعدها (الحدود الجنوبية للحجاز في الداخل: "خلايل" = "هلايل" على الخريطة الورقة 7).

(2) وزعت على النواحي قنفذة، رغدان (= زهران، غامد)، بني شهر، أحمد راشد، تاريخي يلن وصنعاء، اسطنبول 1291، ص69.

(3) نالينو، لارابياسا أوديانا، ص69، 74. يعود تناقض المعلومات عن غامد وزهران، اللذان يظهران في قائمة مناطق نجد وفي قائمة مناطق الحجاز، إلى أن أجزاء هذه المنطقة، الواقعة على هذا الجانب من السراه، تتبع للتهامة؛ انظر الملاحظة 2 أعلاه.

(4) عسير هي في الأصل اسم قبيلة كانت منضمة إلى عنز (فوستنفلد، الجدول، ح12) من عرب الشمال (الهمداني، ص118) وتعبر في الحقيقة فقط عن المنطقة العالية حول إبها. وبعد ذلك صار الاسم يمتد، حسب الظروف السياسية، إلى المناطق المجاورة، انظر هاندبوك «كتاب الجيب»، الجزء الأول، ص128؛ نالينو، ص69.

(5) بوركهاردت، ص455 ـ 565؛ جومار، ص78 وما يليها؛ تاميسييه، الجزء الثاني، ص180، 266؛ منجن، الجزء الثاني، ص524 ـ 541.

خصومهم، أشراف أبو عريش[1]، وكذلك الإدريسي خرجوا من هنا أيضاً.

قبل الحرب العالمية كانت غامد وبنو شهر واقعة تحت نفوذ الأتراك أو شريف مكة، وكانت زهران وشمران وبالقرن واقعة تحت نفوذ الإدريسي. ففي التهامة كانت الإدريسي يتمتع بمكانة أعلى من مكانة الأتراك وشريف مكة. وفي المعارك التي دارت بين وهابيين آل سعود وأتباع ابن عايض (1920م/ 1921م) وقف بنو شهر إلى جانب الأخيرين بينما انضمت زهران إلى الوهابيين (انظر الصفحة 612 أعلاه).

الكثافة السكانية في المنطقة الحدودية أعلى جداً منها في الحجاز ونسبة السكان المستقرين أعلى جداً من نسبة الرحل. ويعود السبب في ذلك إلى أن الشريط الساحلي وخاصة المنطقة المرتفعة هنا غنية بالمياه. في التهامة تضم منطقة دوقة أبا الخير وحدها مئات القرى (القرية الرئيسية: قرمة)، كما أن المناطق المحيطة بقنفذة[2] والأراضي الواقعة خلف حلي مستثمرة بشكل جيد. ففي المناطق العالية، التي مناخها أبرد جداً من مناخ جبال الحجاز، تزرع الوديان في كل مكان، فقط في الشرق، حيث تدخل المنطقة في سهوب نجد، تغلب الحياة البدوية.

السوق الرئيسية لقبائل السلسلة الجبلية هي المخوة الواقعة في أسفل عقبة سهيم، التي كانت في الماضي تزود مكة بالحبوب[3]. ومما يتمتع بأهمية كبيرة واحات بيشه[4] الواقعة في منطقة تنقل قبيلة الشهران[5]، أكبر قبائل عسير، والتي

---

(1) نيبور بلاد العرب، ص266 وما يليها، نيبور، وصف رحلة، الجزء الأول، ص292 وما يليها؛ بوركهاردت، ص465 ـ 563؛ جومار، ص79 وما يليها؛ منجن، الجزء الثاني، ص533 ـ 541.

(2) تأسست القرن في العصر الحديث؛ موريتس، آرابين «بلاد العرب»، ص109.

(3) بوركهاردت، رحلات، الجزء الأول، ص347، الجزء الثاني، ص389.

(4) خلط بوركهاردت، ص340، خطأً بينها وبين بيشة ابن سالم الواقعة في مرتفع السراه والتابعة لقبيلة فرعية من رفيدة اليمن تحمل نفس الاسم (هاندبوك، الجزء الأول، ص445 وما يليها).

(5) قائمة شبرنغر رقم 28؛ هاندبوك، الجزء الأول، ص462 وما يليها. الشهران هم بالتأكيد من أحفاد خثعم (فوستنفلد، الجدول 9، 16؛ ابن دريد، ص304؛ فوستنفلد، أماكن سكن،

تشكل اليوم مع المناطق المجاورة، تبالة، وترج، والثنية، ناحية مستقلة تابعة لإمارة عارض (الرياض). كان في السابق يحدث هنا خلال موسم قطاف التمر وقف للقتال واستعمال السلاح يستمر عدة أشهر لكي تتمكن القبائل المتخاصمة من شراء التمور ومقايضتها.

كما هو الحال، كما رأينا، في الحجاز بقيت الظروف السكانية في منطقتنا أيضاً مستقرة عن القبائل في مرحلة ما قبل الإسلام لا تتوفر سوى معلومات عامة مقتضبة: يعتقد بأن أصحاب المنطقة الأصليين هم خثعم الذين جاؤوا من الشمال والذين طردهم فيما بعد أزد القادمون من الجنوب إلى بيشة وتربة[1]. وفي فجر الإسلام حدثت في صفوف أزد هجرة قوية جداً إلى العراق وخراسان. وعلى الرغم من ذلك نجد هنا في عام 900م حسب الهمداني[2]، الذي يعود له الفضل في كثير من المعلومات التفصيلية عن منطقتنا، تقريباً نفس التركيبة السكانية. في ذلك الوقت أيضاً كان أزد يستولون على كامل المنطقة تقريباً، وبالتحديد الزهران، أو بالأحرى فرعهم دوس، وغامد والحِجرْ الذين يوجد منهم في منطقتنا الفرع شهر

ص76؛ انظر النص أدناه)، على الرغم من أنهم يعيدون أصلهم الآن، حسب هاندبوك، إلى رجال الحجر (انظر النص أدناه)؛ وتجدر الإشارة إلى أن القبيلة الفرعية بني وهّاب (قائمة شبرنغر رقم 30)، التي تسيطر على واحات بيشة، تضم جماعات تنحدر من قبائل عربية قديمة أخرى لهذه المنطقة، وهي: السلوك (فوستنفلد، الجدول ب 19، ف14؛ ياقوت، الجزء الرابع، ص62؛ قائمة شبرنغر رقم 58) وأكلب (فوستنفلد، الجدول، آ 5 = 9، 17؛ فوستنفلد، أماكن سكن، ص76 وما بعدها؛ الهمداني، ص121؛ قائمة شبرنغر رقم 29؛ بوركهاردت، ص340). علماء النسب المحليون يربطون أيضاً معاوية (قائمة شبرنغر رقم 37) الذين ينتمون أيضاً إلى بني وهاب، مع معاوية بن بكر بن هوازن القدامى. وينتمي إلى بني وهاب عائلة آل شكبان التي كانت تحكم بيشة في مطلع القرن الماضي لصالح الوهابيين (قائمة شبرنغر رقم 29، 31؛ منجن، الجزء الثاني، ص521، 524، 537).

(1) فوستنفلد، أماكن سكن، ص53، 58، وفوستنفلد، سجل الجداول، أزد.

(2) ص 121 وما بعدها؛ انظر أيضاً ياقوت، الجزء الأول، ص464؛ الجزء الثاني، ص622؛ الجزء الثالث، ص750. بخصوص نسب القبائل المذكورة هنا انظر فوستنفلد، الجدول 10، 17 (زهران)، 20 (دوس)، 12 (حجر)، وابن دريد، ص288.

وكان الخثعم يمتدون من الشمال الشرقي بين الحجر وغامد.

جميع هذه الأسماء تقريباً تظهر مرة أخرى في جدولنا (أ، أ 1، ب، ب10). يقتصر الحِجْرْ، الذين يسمون اليوم رجال الحَجَر، الآن على عسير، وحافظ الخثعم على وجودهم في منطقتنا[1]، بينما اختفوا من منطقة بيشة أو بالأحرى اندمجوا مع قبائل أخرى. ولكن هذا لا يعني، طبعاً، أن القبائل الحالية مرتبطة شعورياً وثقافياً (من خلال التراث الأدبي والحكايا المتناقلة) مع تلك السابقة من ناحية النسب. بل يبدو أن الوعي التاريخي لهذه القبائل المستقرة بمعظمها، مرتبط بالمنطقة أكثر من ارتباطه بالقبيلة. وتجدر الإشارة إلى أن أسماء مثل الحِجْر/ حَجَر، وغامد، وزهران، تعبر في المقطع الذي أشرنا إليه عن الحمداني إلى أسماء قبائل وأسماء مناطق في آن واحد. وينطبق الشيء نفسه على التعابير الحديثة: شمران (جـ II 4)، وبالقرن (ب4) وبني عمرو[2]، وبني شهر.

لا يوجد في منطقة الجبال قبائل من أصول غريبة سوى قريش الذين ينتسب إليهم سكان بالجرشي (ب8) ويذكر الهمداني (ص122) بعض القبائل في مواقع أبعد قليلاً نحو الجنوب. أما التهامة فتقدم في هذا الصدد صورة أكثر تلوناً. فالهمداني (ص70، 120) يذكر هنا، إلى جانب بعض قبائل أزد، كنانة (جـ I 8د) الذي جاؤوا، كما هو معلوم، من الشمال. ولقد استمرت هذه الهجرة من منطقة مكة إلى الجنوب حتى العصر الحديث كما يتبين من هجرة القبائل الشريفية ذوي حسن وذوي بركات (جـ I 1، جـ I 2).

(1) هاندبوك، الجزء الأول، ص430: بين شمران وبالقرن.

(2) غير موجودة عند مصدرنا. حسب هاندبوك، الجزء الأول، ص410 وما بعدها، إلى الجنوب من بالقرن.

قبائل المناطق الحدودية بين الحجاز وعسير(1)

أ ـ بلاد زهران(2)

القبيلة أو المنطقة	الشيخ	القرية الرئيسية
1 ـ دوس	أحمد بن صالح	
2 ـ بني حسن	عصيدان(3)	
3 ـ بالخزمر(4) «بال خزمر»	حسن اللقطى	
4 ـ الجوفا(5)	مطلق الجوفا	
5 ـ بني عمر	راشد بن رقوش بن مساعد	

ب ـ بلاد غامد(6)

القبيلة أو المنطقة	الشيخ	منطقة السكن
1 ـ بني حثيم	أحمد بن سعيد بن صرمان	رغدان في المنطقة الواقعة خلف الليث
2 ـ بني عبد الله	محمد بن ملا أحمد	الباحة
3 ـ بني ظبيان(7)	سعيد بن قسقس	بني محمد
4 ـ بالقرن(8)	صالح بالقرن	دار السوق
5 ـ بني كبير	عبد الله بن صالح	وادي الحمى
6 ـ آل زهران(9)	أحمد المكي	
7 ـ بني سالم(10)		
8 ـ بالجرشي(11) «بال جرشي»	محمد بن عبد العزيز	غامد

9 ـ قذانة(12)	صالح بن عبد الله	
10 ـ بني شهر(13)	فراج بن سعيد العسيلي(14)	
11 ـ بني سهيم(15)	صالح بن جمعان	

جـ ـ تهامة(16)

1. السهل الساحلي

القبيلة أو المنطقة	الشيخ	منطقة السكن
1 ـ ذوى حسن(17)		الليث ـ الشاقة الشامية
2 ـ ذوى بركات(18)		الشاقة الشامية ـ دوقة
3 ـ بني شهاب		وراء دوقة
4 ـ زبيد(19)	محمد بن مرزوق	جنوب دوقة
5 ـ بني زيد(20)	حسن بن خضر	القنفذة
6 ـ بالعير(21) «بل عير»		جنوب شرق القنفذة
أ ـ النواشرة		
ب ـ عمر		
7 ـ بني يعلى(22)		شمال حلي
8 ـ اهل حلي(23)		حلي
أ ـ عبيد الأمير(24)		
ب ـ الغوانمة(25)		
جـ ـ أولاد العلاونة(26)		
د ـ كنانة(27)		

II المناطق الخلفية

القبيلة أو المنطقة	الشيخ	منطقة السكن
1 ـ بالعريان(28)		شرق الزبيد
2 ـ العوامر(29)		
3 ـ بالقرن التهمة(30)		شرق بالعريان
4 ـ شمران(31)		

ملاحظات

1 ـ المصادر: بوركهاردت، ص342؛ بوركهاردت، رحلات، الجزء الثاني، ص373 وما يليها؛ جومار، ص45 وما يليها؛ برتون، بلغريماج، الجزء الثاني، ص122؛ أيوب صبري، الجزء الثالث، ص295 وما بعدها، 291 وما بعدها؛ هاندبوك، الجزء الأول، ص128 وما يليها، 407 وما يليها؛ الخريطة، الورقة 6 و7. لم نعتمد على فؤاد حمزة إلا عندما يذكر معلومة خاصة به.

2 ـ سجلت في دمشق 1925م، المصدر: بدوي من غامد. انظر أيضاً قائمة شبرنغر رقم 26، تاميسييه، الجزء الثاني، ص29 وما بعدها؛ هاندبوك، ص475 وما يليها. فؤاد حمزة، ص153 وما بعدها، يقسمهم إلى: دوس(1)، بني عمرو (5؟)، بني يوسا مع بني حسن (2) وبالخزمر(3)، بطيل، بني سُليم، أحلاف. العدد: 35000، حسب هاندبوك نصفهم بدو رحل.

3 ـ هاندبوك، سعيد بن عصيدان.

4 ـ طريقة الكتابة تتأرجح بين "بال" و"بل"، سكرتيري العربي يقترح "أبا ال".

5 ـ اسم منطقة، انظر جومار، ص68.

6 ـ المصدر حسب أعلاه. انظر أيضاً قائمة شبرنغر رقم 27؛ هاندبوك، الجزء الأول، ص422 وما بعدها. العدد 65000، جزء منهم رحل.

7 ـ يرد الاسم حسب ابن دريد، ص289، لدى غامد القدامى.

8 ـ عند الهمداني (ص70) بني القرن؟ تشكل بالقرن منطقة خاصة بها تقع إلى الشرق من غامد وتتحد معها إدارياً فقط. انظر قائمة شبرنغر رقم 38؛ جومار، ص42؛ أيوب صبري، ص295 وما بعدها؛ برتون، نفس المصدر السابق. هاندبوك، الجزء الأول، ص419 وما يليها: 6000 نسمة، ثلثهم يعيش حياة بدوية.

9 ـ الجزء البدوي من الزهران، انظر الملاحظة 2 أعلاه. تمتد منطقة تنقلهم باتجاه نجد حتى حدود العتيبة المتخاصمين معهم. نحو 3000 خيمة.

10 ـ غير هامّين، يخضعون لشيخ بني كبير.

11 ـ يسجلها جومار، ص51، قاسم مكان. يزعم بالجرشي، الذين يحتوي اسمهم قرية جرش التي كانت مهمة في فجر الإسلام (موجودة في منطقة خميس مشيط الحالية)، أنهم قريشيون، ويستعملون صيحة الحرب: صبيان قريش!

12 ـ فيما عدا ذلك يسجلها جومار فقط، ص46. يجب أن تكون واقعة غرب بيشة، جنوب شرق بالقرن.

13 ـ منطقة بني شهر غير تابعة لغامد. تستولي القبيلة على كامل جنوب شرق منطقتنا وتصل حتى وادي بيشة تقريباً. وتمتد في الجنوب إلى ما بعد تنومة، وفي الغرب عبر الجبال إلى التهامة. وهي تتألف حسب هاندبوك، الجزء الأول ص469 وما يليها، من: بني شهر الشام حول عسبلي وعددهم 20000 نسمة من السكان المستقرين و7000 من البدو الرحل، وبني شهر اليمن حول نماص وعددهم 13000 نسمة من السكان المستقرين. وهناك مجموعة ثالثة، بنو شهر التهمة، تقيم في السفوح الجبلية الغربية شمال محايل؛ يبلغ عددها 8000 نسمة من السكان

المستقرين و5000 نسمة من البدو يسجل فؤاد حمزة، ص159، توزيعاً آخر.

يبدو أن بني شهر خضعوا عام 1871م، باستثناء بعض القبائل الفرعية، للأتراك دون مقاومة كبيرة. وكانت الأجزاء المستقرة من القبيلة لا تزال مؤيدة للأتراك أثناء الحرب العالمية.

14 ـ يسمى هكذا حسب مكان سكنه. أما كنيته فهي حسب هاندبوك ابن "قروم"، وحسب أحمد راشد، الجزء الثاني، ص12، 54، ابن غرم. فراج بن سعيد، من أم شركسية، كان نائباً في البرلمان التركي، وكان جده فايز قد جلبه الأتراك عام 1871م إلى القسطنطينية.

15 ـ شمال غرب بني شهر. لعل الأمر يتعلق بقبيلة فرعية من بالقرن تحمل الإسم نفسه، انظر هاندبوك، الجزء الأول، ص420 وما يليها.

16 ـ سجلت في دمشق عام 1927م.

17 ـ سجلت جدول الأشراف 11.

18 ـ سجلت جدول الأشراف 12.

19 ـ انظر الجزء الأول، ص280؛ هاندبوك، الجزء الأول، ص478 وما بعدها. العدد: 15000. يمتدون بعيداً في المناطق الخلفية. مستقرون.

20 ـ جومار، ص47. هاندبوك، ص477 وما بعدها: 4000 مستقرون، 3000 بدو. لا يتمتعون بمكانة محترمة.

21 ـ هاندبوك، الجزء الأول، ص418 وما يليها: أ: 3000 غالباً مستقرون، ب: 4000 بدو.

22 ـ هاندبوك، الجزء الأول، ص475: 500. مكانة غير مرموقة.

23 ـ هاندبوك، الجزء الأول، ص424 وما بعدها. لا يشكلون سوى وحدة سياسية فقط. مستقرون، مع بعض الاستثناءات غير الهامة.

24 ـ عبيد سابقاً. 600 نسمة.

25 ـ 1500.

26 ـ 3000.

27 ـ 1400. أيوب صبري، الجزء الثالث، ص292: بالكناني.

28 ـ من بين القبائل الفرعية المذكورة في هاندبوك، الجزء الثاني، ص414، يظهر بنو عيسى أيضاً عند جومار، ص47، وبنو سهيم عند مخبرنا كقبيلة مستقلة، بخصوص بني سُليم انظر بوركهاردت، رحلات، الجزء الثاني، ص389، والملاحظة 2 أعلاه.

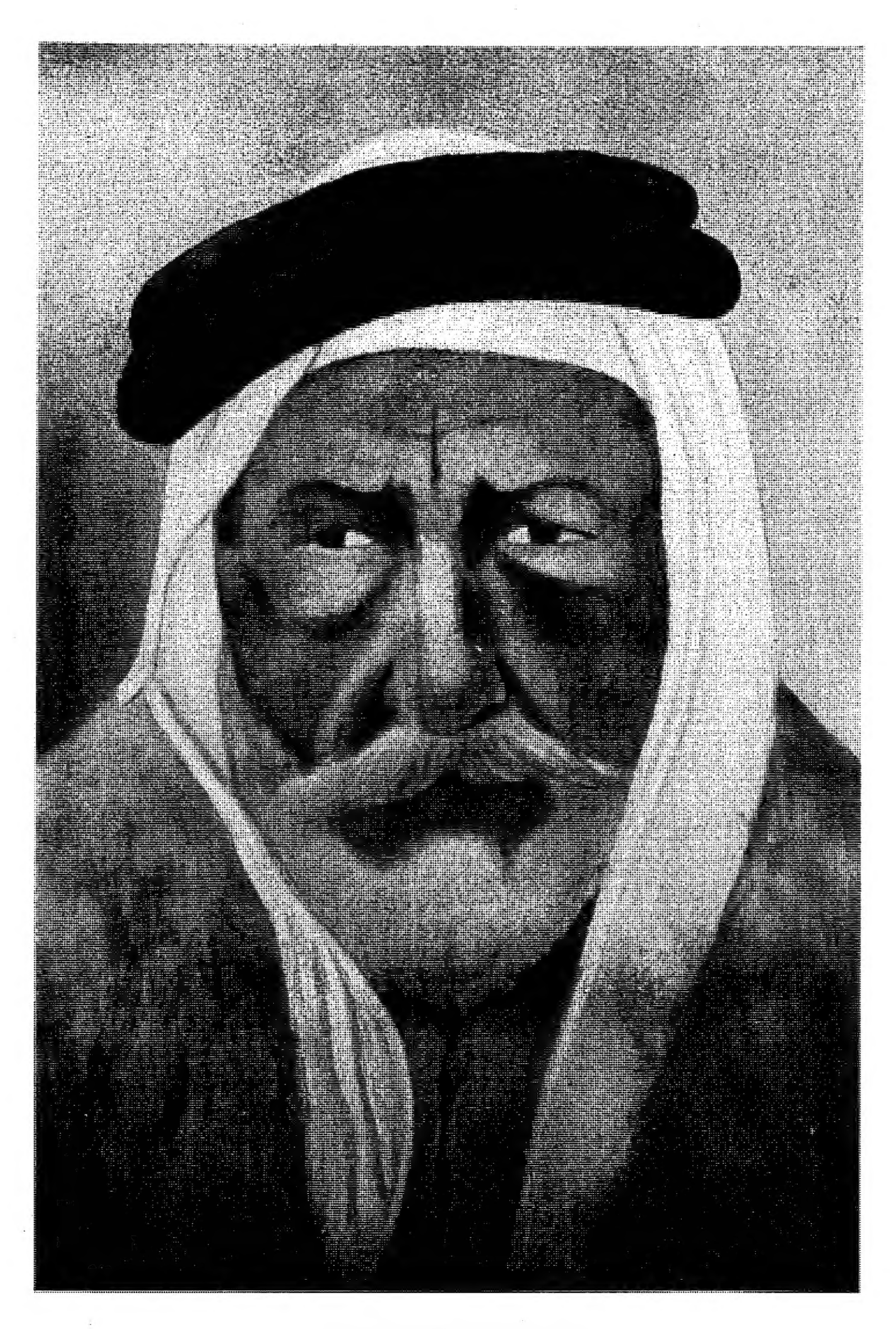
29 ـ انظر جومار، ص48، والخريطة.

30 ـ انظر الملاحظة 8 أعلاه.

31 ـ تقع منطقتهم جنوب شرق غامد وتمتد عرضانياً عبر ظهر السلسلة الجبلية هاندبوك، الجزء الأول، ص473 وما بعدها، انظر جومار، ص48، حيث يميز بين شمران الشام وشمران تهامة مع 2000 شخص نصف رحل لكل منهما و2000 شخص من البدو الرحل ملتحقين بالأولى (بشمران الشام).



رؤساء الغزاوية، من اليسار الى اليمين: محمد الزناتي، امير محمد آل صالح. شيخ المشايخ الحالي، امير محمد بن بشير، امير السيد ابن بريقع (1929م).



علي العطاونه، شيخ التياها (1929م).